

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولود معمري تيزي وزو

كلية اللغات والآداب. قسم اللغة والثقافة الامازيغية

حيوية اللغة المزابية ومساهمة إزلوان-الشعر المزابي فيها. دراسة سوسيو-لسانية

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في اللغة والثقافة الامازيغية. تخصص:
اللسانيات الامازيغية.

تحت إشراف الأستاذ:

أ.د. موسى إمران

من إعداد الطالب:

عبد الله نوح

لجنة التحكيم:

د. سالم جمعة، أستاذ محاضر "أ"، جامعة تيزي وزو، رئيسا

أ.د. موسى إمران، أستاذ التعليم العالي، جامعة تيزي وزو، مشرفا ومقررا

أ.د. عبد الرزاق دوراري، أستاذ التعليم العالي، جامعة الجزائر، ممتحنا

د. مصطفى تيجت، أستاذ محاضر "أ"، جامعة بجاية، ممتحنا

2019 - 2018

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهُدَى وَتَحَفُّظَات

إِلَى دُوحِ وَالِدَيَّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ،
اللَّذَيْنِ حَرَصَا عَلَى أَنْ يَنْقُلَا إِلَى الْأَمَارِغِيَّةِ
لُحَّةً وَتَقَافَةً وَائْتِمَاءً، بِكُلِّ أَمَانَةٍ وَتَفَانِي،
وَعِلْمَانِي أَنْ أَفْتُخِرَ بِأَمَارِغِيَّتِي.
الشُّكْرُ لِكُلِّ مَنْ أَمَدَّنِي بِبَيْدِ الْعَوْنِ وَالْمُسَاعَدَةِ
فِي بَحْثِي الْمِيدَانِي □
الشُّكْرُ لِلْأُسْتَاذِ مُوسَى إِمْرَازَنْ لِقَبُولِهِ الْإِشْرَافَ
عَلَى هَذَا الْعَمَلِ وَلِنَصَائِحِهِ وَتَوْجِيهَاتِهِ.



نَهْزِي زَنْتِ ~ ٧٠١٩٤٤٥٠٦

عَبْدُ اللَّهِ نُوح

AGZUL S TMAZIṬ(TUMZABT)

Asentel-nney yetwaḡḡ f temsalt n tudert n wiwal n tumzabt ela ḥsab tess (9) n terkizin i tebna yef-sent LYUNESCO tudert n tutlayin ddunnit aseggwas n 2003. Nebres dex manec i yella izelwan n tumzabt ikburen ney ijdiden, tticcen-as ljeħd d tudert d tutlayt n tumzabt.

Tasuddut n LYUNESCO tessers tumzabt si tutlayin i yellanet "abrid n laxṭar" aseggwas n 2010, d ayen i yen-yejĵin ad nxemmem batta d lḥalet d yimal tumzabt. Asesten ameqran i nebna yef-s axdam-nney an d :

- *Yadṛa, tumzabt tella teḡwa yel wenḡa, ney uhu ?, d manec i yella izelwan qawwan tumzabt, ucin-as taneffut bacak ad tedder ?.*

Abras-nney yetwaḡḡ abrid n tasnilest d tmetti(sociolinguistique), nessexden dys idlisen n tasnilest, d wayen i nessen f tmetti tumzabt ; d webrass di wannar s imlagaten i neḡḡu meħ wi ssawalen tumzabt d yimediyazen, bacak ad nebres tamsalt-u f sen udmawen : udem n tasnilest, d wudem n tmetti.

Di tunt tamezwart, nebres timsal n tira n tumzabt d uselmed-s, d mayella yer-s idlisen n weezam ney uhu, d imucan nusexdem n tumzabt, d mayella yettuswessee asexdem-s di ac indunen n tmeddurt n midden ney uhu. Nna nebres tamsalt n usuley n tumzabt jar imṛiwen d taṛwa-nsen imezḡanen, dex manec i txemmen At mḡab f tutlayt-nsen, d ssiyyaset n Dewlet tazayrit d latar-s f tumzabt.

Di tunt fayet sennet, nebres manec i yella izelwan n tmaziyt n At mżab nefeen tutlayt n tumżabt, swa s uqawwa n ccan-s d ubeddel n wayen i txemmem midden f tumżabt, ney s uqawwa n tumżabt s yiwalen ijdiden d lemtul, d usedder n yiwalen ikburen i ndan.

Deffer webras i neğğū, nufu belli yalla a yen yesqewwan tumżabt, dex yella ayen i tt-yesdeεεafen :

Tumżabt teqwa amayer ssawalen sys At mżab ac-ass di ac wencan, dex imŗiwen zeddiy llan ssuluyen tumżabt i tarw-nsen imezzanen alimaŗu. Mea wammu ifuk ad tt-sseezmen likulat bacak ad ttussexdem ujar d ujar.

Izelwan n tumżabt d iggen ttawil i yusedder n tumżabt d warra n yiwalen ikburen d yinzan(lamtal) d yidles n At mżab akbur illan yeğğur ineqda, ssebbet n ubeddel n lehwal.

Lumbesseħ tumżabt tedef amayer uhu ttusseezam, swa likulat n ddin ney likulat n Ddewlet. S wammu lac yer-s idlisen n uselmad d imawalen, d idlisen n tjeŗrumt. Dex nufu belli tumżabt ssawalen-tt At mżab yi jar-asen, zeddiy ul yettuswessee asiwel sys yel gaε imucan unŗiben (iŗesmiyyen).

Tameğğarut, niwed belli tumżabt ul telli igget twayit tameqrant, lumbesseħ tella "abrid n laxtar". Bacak ad tead d "tutlayt i qwan" amanec i yeqqar LYUNESCO, ifuk ad ttusseezem likulat i yimezzanen d imeqranen, qlen yer-s imusnawen n tasnilest, xedmen-tt seggemen-tt, rnin-as iwalen d ijdiden bacak ad tijur mea lweqt n yimaŗu. Dex ifuk ad yettuswessee asexdem n tumżabt d usiwel-s, tatef yal řressemyyat ul tqimi ttussexdam yi taddart.

المقدمة

إن اللغة باعتبارها وسيلة للتواصل ووعاء فكريا وثقافيا لجماعة الناطقين بها، فهي كائن إجتماعي جمعي. فقد تقوى وتزدهر وتفرض هيمنتها على استخدامات الناطقين، كما قد تضعف وتموت إذا لم تتوفر على عناصر القوة والاستمرار التي تضمن لها الحيوية والبقاء أمام منافسة اللغات الأخرى الأكثر قوة وحيوية، وفقا للقانون الطبيعي: البقاء للأقوى.¹ وإن كانت البشرية تعيش ظاهرة موت اللغات منذ خمسة آلاف سنة على الأقل أين ظهرت وازمحلت حوالي (30.000) ثلاثون ألف لغة بفعل عدة عوامل، فإن هذه الحركية ازدادت مع موجة الاستعمار الأوروبي للقارات الثلاث إفريقيا وآسيا والأمريكيتين²، ومازالت مستمرة بوتيرة أسرع وأقوى في عصرنا الحالي بفعل العولمة الثقافية وثورة الاتصالات، إلى أن وصلت إلى درجة خطيرة تهدد الإرث اللغوي للبشرية جمعاء عندما أصبحت تموت في كل أسبوعين في العالم لغة من اللغات الضعيفة المندثرة.³

ولاشك أن اللغة الامازيغية ليست بمنأى عن هذا الخطر، إذ عرفت بمختلف تنوعاتها تشتتا واندثارا واسعا عبر التاريخ بفعل عدة عوامل، يمكن تقسيمها إلى اثنين: العامل الداخلي المتمثل في غلبة الطابع الشفوي لهذه اللغة مما حرّمها من تدوين آدابها ومعارفها وإنتاجها الفكري الذي اندثر ولم يصل إلينا إلا اليسير منه؛ والعوامل الخارجية المتعلقة بظروف الناطقين بها وبسلوكهم اللغوي، والمتمثلة أساسا في الغزوات التي عرفت بها البلاد الامازيغية عبر التاريخ والتي أدت إلى إضعاف الامازيغية بفعل الهيمنة السياسية الاقتصادية الدينية للغات الدخيلة التي كانت دوما لغة السلطة المركزية. فبعد الاحتلال الروماني جاء الدخول الإسلامي ولاسيما الاجتياح الهلالي في القرن الحادي عشر، بموجة كبيرة من تراجع اللغة

¹ ذهب العديد من اللسانيين إلى اعتبار اللغة كأي كائن بيولوجي يخضع لقانون الفرز الطبيعي، مع أن انتقادات وجهت لهذا الاعتقاد باعتبار أن اللغة قد تزول وتبقى مع ذلك ثقافتها بلغة أخرى. انظر:

Lionel CORDIER, *La langue comme outil de puissance : L'exemple de l'espéranto dans les jeux de pouvoir linguistiques européens*, Mémoire de Master soutenu le 6 septembre 2012, S.D. Albane Geslin, Institut d'Etudes Politiques de Lyon, Université Lyon 2, pp.15 et S.

² انظر:

Jacques DECLERC, « La mort des langues », Site *Aménagement linguistique dans le monde*, Québec, TLFG, Université Laval, 10 mai 2012. http://www.axl.cefal.ulaval.ca/Langues/2vital_expan

³ Claude HEGEGE, «Une langue disparaît tous les quinze jours», Entretien réalisé par Simonnet Dominique, Publié le 02/11/2000. [http://www.lexpress.fr/informations/une-langue-disparait-tous-les-quinze-jours_640290.html]

الامازيغية، بحيث تعرّبت مناطق شاسعة من شمال إفريقيا بعد تعرب النخب بفعل تثنين اللغة العربية باعتبارها لغة الدين والقداسة الإلهية والسلطة القائمة على الشرعية الدينية ولغة القوة والهيمنة، وبالمقابل تحقير اللغة الامازيغية بسبب طابعها الشفوي وارتباطها بعامة الشعب "الجاهل" بالعلوم الدينية. ولم يختلف الأمر مع الاحتلال الفرنسي الذي رأى في التماسك القبلي للجماعات الامازيغية ووحدتها خطرا على وجوده، فعمل على كسرهما وتفتيتها لتفريق الشعب إلى "عرب وامايزغ". واستمر نفس الخطاب بعد الاستقلال باعتبار الجزائر مكونة من "خليط" من الامازيغ والعرب.

كما لعب صراع القوى الرمزية بين المدينة كرمز "التحضّر والنبيل" والريف "رمز التوحش والتخلف" في المخيلة الشعبي دورا بارزا في إضعاف مركز اللغة الامازيغية في التمثلات، والتعرّب الطوعي لعدد كبير من الامازيغ كشكل من أشكال الارتقاء الاجتماعي إلى مصاف السكان الحضريين. فبعد تعرّب عدد معتبر من القبائل الامازيغية مثل كتامة وعدة فروع من زناتة ومصمودة بعد اسلامها، تعرّب الكثير من الناطقين بالامازيغية بعد نزوحهم من الجبال واستقرارهم بالحواضر والمدن الكبرى، مثل سكان جبال الأوراس الناطقين بالشاوية الذين استقروا بالمدن الشرقية، وسكان منطقة القبائل بعد استقرارهم بالجزائر العاصمة وضواحيها، وسكان جبال الشنوة والونشريس ومتيجة إثر استقرارهم بالحواضر والمدن الوسطى، الخ.

وقد عاين هذا الاندثار الواسع للغة الامازيغية في الجزائر الباحثان الفرنسيان إدموند دوتيه Edmond DOUTTE وإميل فيليكس قوتيه E.F.GAUTIER في بداية القرن العشرين إثر تحقيق جغرافي لغوي حول انتشار اللغة الامازيغية بالجزائر أُجري بمساعدة الإدارة المحلية الاستعمارية بناء على إحصاء سكان الجزائر لسنة 1911¹. بحيث توصلوا إلى وجود تراجع كبير للغة الامازيغية على المستوى الجغرافي والسكاني للجزائر لا يمثل إلا استمرارا لمسار طويل من الاندثار يمتد لآلاف السنين؛ كما سجلا اختفاء اللغة الامازيغية من مناطق شاسعة في جبال الأوراس ومتيجة والجنوب الشرقي والشمال الأوسط والأطلس التلي، الخ مقارنة بما كان عليه الحال منذ خمسين سنة فقط؛ بل ذهبوا إلى أن الامازيغية تتجه إلى أن تصبح << لغة حصرية للتخاطب المنزلي >> واحتمال موتها المحقق إن استمرت على تلك الحال² مع

¹) Bulletin Officiel du Gouvernement General de l'Algérie, année 1912, n°208911 .

²) Edmond DOUTTE, Emile-Félix GAUTIER, Enquête sur la dispersion de la langue berbère en Algérie, Faite par ordre de M. le Gouverneur General, Adolphe Jourdan, 1913, p.157.

ان ذلك لم يحدث فس الواقع. بينما أكد اللغوي المتمزغ اندرية باسيه André BASSET في بحثه لهذه المسألة سنة 1938 أن بقاء اللغة الامازيغية من عدمه إنما يرتبط أساسا بمدى الوعي اللغوي للناطقين بها وإرادتهم للمحافظة عليها.¹

في الواقع لا يزال الخطر قائما بصفة جدية حتى اليوم بالنسبة للعديد من التنوعات الامازيغية إذا لم تتوفر على عناصر القوة والحيوية اللازمة لاستمرارها ومقاومتها لعوامل الاندثار مثل الزناتية في مناطق أدرار وبنشار وتيميمون، الخ. ويعود ذلك حسب البروفيسور عبد الرزاق دوراري الى عاملين: الاول هو المنافسة القوية للغة العربية الدارجة بسبب قوتها الوظيفية كلغة التواصل الاولى في كل البلدان المغاربية، والثاني هو صفة الدونية والتحقير الناتجة عن سياسة الدول التي تجعل منها في التمثلات لغة مبتذلة وبدون قيمة، ومضرة لوحدة الامة؛ كما يرجع ذلك -حسبه- الى اتجاه طبيعي للناطقين بالامازيغية الى استعمال اللغة الدارجة، طالما انها تسمح لهم بالتواصل مع اكبر عدد من الناس.² ويضاف الى هذه العوامل أننا نعيش ظاهرة العولمة المتميزة بتحول القارة الأرضية إلى " قرية كونية " تزول فيها الحدود الثقافية واللغوية، وتحتك فيها اللغات وتتصارع بصفة قوية لم تُعرف من قبل في تاريخ البشرية، ستؤدي حتما في المدى البعيد إلى هيمنة لغات الأمم القوية على القارة الأرضية.

والمفارقة، كما يرى البروفيسور عبد الرزاق دوراري، ان اكبر تحدي يواجه اللغة الامازيغية بمختلف تنوعاتها، يتمثل في اتجاه اللغة العربية الدارجة الجزائرية الى فرض نفسها كلغة جامعة وحيدة لأسباب اقتصادية وسوسيو-سياسية ، لكن ذلك يؤدي في نفس الوقت الى وعي لغوي قوي لدى النخب الامازيغية للتضامن والدفاع والوفاء للغة.³

قام الباحثان بهذا التحقيق سنة 1913 بالاستناد إلى الإحصاء العام لسكان الجزائر لسنة 1911 الصادر سنة 1912، الذي حدد لأول مرة أعداد الناطقين بالامازيغية والعربية والمزدوجي اللغة، مع مقارنتها بالخريطة الجغرافية اللغوية للامازيغية التي أنجزها الجنرال هانوتو سنة 1860 أي نصف قرن قبل ذلك. أنظر المرجع السابق، ص. 7 وما بعدها، 94 وما بعدها، 140 وما بعدها.

¹) André BASSET, « L'avenir de la langue berbère en Afrique du Nord », dans *Entretiens sur l'évolution des pays de civilisation arabe*, Tome III (3ème année), Centre d'Etudes de Politique Etrangère, paris, 1938, pp.184, 185.

²) Abderrezak DOURARI, « «La mort d'une langue se fait par des politiques délibérées», *El Watan*, 31 mars 2014, Mis à jour, 1 Juin, 2018, Entretien réalisé par Bsikri Mehdi.[<https://algeria-watch.org/?p=6324>].

³) Abderrezak DOURARI, «Malaise linguistique et identitaire en Algérie», *ANADI, Revue d'Etudes Amazighes*, N°2, 1997, pp.26, 27.

وعليه فإن الاعتراف بالطابع الوطني والرسمي للغة الامازيغية من طرف الدولة الجزائرية بموجب دستور 6 مارس 2016، يؤمل منه ان ينقذ هذه التنوعات اللهجية من الموت، لأنه بفضل الرسمية على الأقل << لا تستطيع الدولة ان تعتدي على اللغة او تقتلها >>¹. غير ان البروفيسور محند آكلي حدادو يرى أن لدور الباحثين ايضا اهمية محورية في إحصاء ومعاينة وإنقاذ المتغيرات الامازيغية المهددة بالموت، وانه ينبغي ان يكون من المهام المستعجلة للأكاديمية الجزائرية للغة الامازيغية هو انقاذ المتنوعات الامازيغية المهددة بالاندثار.²

إن اعتبار اللغة المزابية من طرف منظمة اليونسكو سنة 2010 من بين اللغات الثلاث عشر بالجزائر الموجودة في خانة القابلية لخطر الانقراض (vulnérable) (من بينها ثمانية لغات امازيغية)،³ أثار لدينا اهتماما خاصا بالخوض في دراسة هذا التصنيف، مع بحث دور الشعر المزابي الامازيغي في حيوية اللغة المزابية لما عايناه من أثره البالغ على بعثها. وذلك من خلال مقارنة نظرية وميدانية في آن واحد تثبت هذا التصنيف أو تنفيه، لاسيما أننا من الناطقين الأصليين لهذه اللغة والملاحظين لها، المناضلين من أجل ترقيتها، المدرسين لها والباحثين فيها؛ محاولة منا للاستجابة إلى حاجة ملحة في حقل الدراسات السوسيو-لسانية الامازيغية، أين شكل موضوع خطورة اندثار اللغات ولا يزال موضع اهتمام الباحثين السوسيو-لسانيين منذ أواسط القرن التاسع عشر عندما اصدر ويتني Whitney سنة 1867 كتاب *The Life and Growth of Language* (حياة اللغة ونموها).⁴ بل وأصبحت إشكالية حياة وموت اللغات منذ التسعينيات مجال اهتمام متزايد لدى العلماء السوسيو-لسانيون لاسيما في كندا أين توجد خمسون لغة محلية

¹) Idem.

²) Mohand Akli HADDADOU, « L'académie de la langue amazighe doit recenser les différentes variétés, qui sont menacées de disparition », Écrit par Fadila Djouder, *Théma*, 2018. [http://reporters.dz/thema/item]

³) L'Organisation des Nations Unies pour l'Education, la Science et la Culture, *Atlas des langues en danger dans le monde*, 3ème ed. Paris, 2011. Version en ligne: [http://www.unesco.org/culture/en/endangeredlanguages/atlas]

Atlas interactif : http://www.unesco.org/culture/languages-atlas/fr/atlasmap/language-id-1996.html
Actualisation: Jun 27 2011.

⁴) لويس جان كالفي، *حرب اللغات والسياسات اللغوية*، ترجمة د.حسن حمزة، مراجعة د. سلام بزي- حمزة، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008، ص.25.

مهدة¹. فانبثقت عن هذه الإشكالية عدة محاور في السوسيو-لسانيات المعاصرة، ازدادت أهميتها أكثر فأكثر لارتباطها بظاهرة العولمة المتنامية والتواصل الكثيف بين الشعوب، مثل: تواصل وصراع وحرب اللغات، خطر اندثار اللغات الأقلية، اللغات والإثنية، إعادة إحياء اللغات، الحقوق اللغوية، السياسات اللغوية، الخ.²

وبالفعل، فقد دقت منظمة اليونسكو ناقوس الخطر عندما أعلنت في تقريرها الصادر سنة 2003 عن مجموعة من خبراءها السوسيو-لسانيون أن الأغلبية الساحقة من سكان الكرة الأرضية أي 97% ينطقون 4% من لغات العالم فقط، بينما ينطق حوالي 3% من سكان العالم فقط بقية اللغات المهدة بالانقراض والتي تشكل إرثا للبشرية أي بحوالي 96% من لغات العالم . ويترب عن ذلك أن حوالي (6.000) ستة آلاف لغة أي 90 % من لغات العالم معرضة للانقراض المحقق حتى أواخر القرن الواحد والعشرين³. ويحذر من جهته العالم السوسيو-لساني الفرنسي المعاصر كلود هيجيج Claude HEGEGE من أن وتيرة موت اللغات في العالم أصبحت سريعة جدا بشكل لا يمكن تداركه، أين تموت في كل سنة -حسبه- خمسة وعشرون لغة ، بمعدل موت لغة واحدة في كل 15 خمسة عشر يوما⁴. وتكمن خطورة موت لغة ما كونها وعاءا للتراث الثقافي واللغوي الإنساني، إذ >> ينجم عن انقراض كل لغة خسارة المعرفة الثقافية والتاريخية والبيئية الفريدة التي لا تعوض. فكل لغة هي تعبير فريد عن التجربة البشرية <<.⁵

وبالطبع يثير هذا الوضع مسألة اتجاه البشرية على المدى البعيد الى حتمية استعمال عدد أقل من لغات العالم والتميط الثقافي والقيمي، مما يشكل خطرا على المجموعات اللغوية الثقافية الضعيفة.

¹) Stéphanie Langlois et Annie Turner, « Les langues autochtones et certains facteurs de vitalité en 2011 », octobre 2013, [<http://www.statcan.gc.ca/pub/89-655-x/89-655-x2014001-fra.htm>]

²) Ahmed BOUKOUS, *Revitalisation de la langue amazigh, défis enjeux et stratégies*, Publication de l'Institut Royal de la Culture Amazighe, Série : Etudes N° 22, 2010, p.4.

³)مجموعة خبراء لليونسكو المختصون حول اللغات المهدة بالاندثار، *حيوية اللغات وتعرضها للاندثار*، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة باريس، 2003.

⁴ ذكر من طرف :

Jacques DECLERC, « La mort des langues » , op.cit.

⁵)مجموعة خبراء لليونسكو المختصون حول اللغات المهدة بالاندثار، *حيوية اللغات وتعرضها للاندثار*، ص4.

ويقصد بموت اللغة واندثارها حسب تعريف اليونسكو الذي ننبناه >> عندما يتوقف ناطقوها عن التحدث بها، فيستخدمونها في عدد من مجالات التواصل يتناقص أكثر فأكثر ، ويتوقفون عن نقلها من جيل إلى آخر. ويعني ذلك عدم وجود أي متحدث جديد لها سواء من الكبار أو الصغار >> (بتصرف)¹، بينما يختصر البعض خطر اندثار لغة ما في وجود عدد قليل جدا من الناطقين بها وتناقص استخدامها أكثر فأكثر لدى الأجيال الجديدة.² وبالمقابل نستطيع أن نصف اللغة بـ"الحيوية" >> عندما تُستخدم من طرف اكبر فاكبر عدد من الناطقين، في أكثر فأكثر قدر من الوظائف والمجالات³ >> ، وتنتقل من جيل إلى آخر، وتجذب أكثر فأكثر مستخدمين جدد.⁴

غير أن السؤال المحوري الذي يطرح في هذا الصدد هو: ما هي المعايير والعوامل الأكثر حسما وتأثيرا في حيوية اللغات ومقاومتها للاندثار ؟ . ويتعقّد السؤال عندما نعرف أن اللغات لم تتدثر عبر التاريخ لنفس الأسباب والعوامل، وإنما لأسباب وعوامل مختلفة خاصة بوضعية كل لغة وتاريخها ومحيطها الاجتماعي السياسي وثقافة وتمثلات الناطقين بها، إلخ. فقد يكون ذلك بسبب الغزو العسكري أو الدين أو العامل الاقتصادي، أو الثقافي أو الديمغرافي، إلخ. ويشكل هذا التساؤل اليوم إحدى محاور البحث السوسيو-لساني الجديدة المثيرة للاهتمام والجدل والتي نحاول الخوض فيها.

ولمحاولة توحيد طريقة تقييم حيوية اللغات واندثارها فقد وضع مجموعة من خبراء منظمة اليونسكو من مختلف القارات سنة 2002 -بعد سنة ونصف من الدراسة المقارنة لحياة وموت اللغات- نظاما لتقييم حيوية اللغات ووضعها السوسيو-لساني مبني على تسعة معايير، وهي: انتقال اللغة بين الأجيال، وعدد الناطقين باللغة ونسبتهم، ومجالات استخدام اللغة ومدى دخولها وسائل إعلام جديدة، وتوفر مواد تدريسها، وكمية توثيق اللغة ونوعيته، وأخيرا السلوك اللغوي للناطقين والسياسة اللغوية السائدة.

¹ نفس المرجع، ص.3. وقد وردت الفقرة الأخيرة بصياغة خاطئة كآلاتي " وذلك يعني انه ما من متحدث جديد، أكان في صفوف الكبار أو الصغار".

²) Laurent SAGART, « Les langues en danger : aspects généraux et informations pratiques », *LES LANGUES EN DANGER, Mémoire de la société linguistique de paris*, nouvelle série, Tome III, Peeters, 2000, p.13.

³) William F. MACKAY, « vitalité linguistique », dans Marie-Louise MOREAU, *La sociolinguistique, Les concepts de base*, MARDAGA Editeur, 1977, p.295.

⁴ (انظر محاولة تأصيل هذا المفهوم وغيره من المصطلحات المستخدمة في الأطروحة، في المدخل التمهيدي : الإطار المنهجي.

وإن أصبحت هذه المعايير المتفق عليها مرجعا لكل باحث في هذا الموضوع، فقد ثار التساؤل لدينا حول مدى كفايتها لوحدها في دراستنا لتقييم الوضع السوسيو-لساني لحيوية اللغة المزابية، بعد أن لاحظنا وجود عوامل أخرى-لم ترد في وثيقة اليونسكو- لا تقل أهمية في مساهمتها في حيوية اللغة المزابية، وهي:

- الإنتاج الأدبي لاسيما الشعري والغنائي، وهو الأكثر أهمية، لذلك شكل المحور الثاني لأطروحتنا ،
- الخصوصية الدينية المذهبية للمزابيين التي ارتبطت بشكل قوي بالخصوصية اللغوية،
- العامل الطبيعي المتمثل في الانعزال الجغرافي الذي سمح بالحفاظ على اللغة المزابية.

لقد أثار انتباهنا على وجه خاص -كملاحظ مشارك للغة المزابية ومعايش ومتابع لتطورها- ما للشعر المزابي بمختلف أنواعه من دور محوري في دعم حيوية اللغة المزابية في العشرية الأربع الماضية. وحتى قبل ذلك يمثل الشعر أهم أشكال التعبير الأدبي الامازيغي قوة وحيوية واستمرارا في المجتمع المزابي، كما هو في كافة المجتمعات الامازيغية في شمال افريقيا كما يلاحظ الباحث المتمرغ هنري باسيه Henri BASSET¹.

ففي ظل عوامل الضعف التي ترتبط باللغة المزابية، كالنقص الهائل للدراسات والبحوث العلمية الأكاديمية حولها وعدم تهيئتها للتدريس، إضافة إلى غياب أي حركة جموعية سياسية مطلوبة قوية حول الامازيغية بوادي مزاب كما هو الحال بمنطقة القبائل؛ تنثر جملة من التساؤلات حول مدى أهمية الشعر المزابي الامازيغي في حيوية اللغة المزابية ودوره في تقوية الوعي الاثنو-لساني للناطقين بها. وذلك بالنظر الى الاعتبارات التالية:

- كان الشعر المزابي - كما لاحظنا ميدانيا- ولا يزال المحور الذي تدور حوله جهود إحياء اللغة المزابية وبعثها منذ الأربعينيات، بما يمثله من عناصر قوة وجاذبية للغة المزابية، لاسيما بعد استفادته من النشر الواسع والربط القوي في الأوساط الشعبية بفضل تطور الشعر الغنائي ووسائل الإعلام. ولا أدل على ذلك أن اغلب المناضلين من اجل ترقية اللغة المزابية سياسيا وثقافيا وفنيا وعلميا في المجتمع المزابي هم من شعراء اللغة المزابية، واستعملوا الشعر كوسيلة لنضالهم لإحياء اللغة المزابية؛ أمثال عبد الوهاب حمو فخار، صالح ترشين، الحاج يحي احمد، عمر

¹ Henri BASSET, *Essai sur la littérature des berbères*, Ibis Press - AWAL, paris, 2007, p.180.

داودي، عادل مزاب، حمو زيطاني، الخ وأن أول كتاب نشر باللغة المزابية في العصر الحديث سنة 1985 كان ديوان شعر امازيغي. بل نجد اغلب ما نشر حتى الآن بهذه اللغة من طرف أبنائها هو أساسا دواوين شعرية، وهو ما يشكل مدونة لغوية هامة للغة الادبية والشعرية الراقية.

➤ إن للشعر دورا محوريا في حماية اللغات من الاندثار. وهو ما أكدت عليه منظمة اليونسكو في دورتها الثلاثين بباريس بتاريخ 21 مارس 1999 بإعلان 21 مارس من كل عام "يوما عالميا للشعر" وكان >> الهدف الرئيسي من ذلك هو دعم التنوع اللغوي من خلال التعبير الشعري، وإتاحة الفرصة للغات المهددة بالاندثار بأن يُستمع لها في مجتمعاتها المحلية >> ¹.

ولعل هذا ينطبق على الشعر المزابي الامازيغي الذي يحتضن رصيда لفظيا ونحويا وتراثيا هاما آيلا للزوال، سواء تعلق الأمر بالأهازيج المزابية التراثية، أو بالشعر المزابي الحديث الذي حاول إحياء التراث اللغوي والثقافي المزابي وبعثه في قالب أسلوبي جديد يجمع بين التأثير الجمالي واللفظي والبلاغي وتوظيف الرصيد اللفظي والثقافي الأصيل، لإنقاذه بذلك من الاندثار، وبالتالي إنقاذ اللغة المزابية ورصيدها اللساني.

➤ أن اللغة الشعرية الادبية تمثل مستوى من اللغة المدعمة لفظيا وتركيبيا *langue soutenue* أرقى من اللغة السائدة، لما تحتويه من نماذج أسلوبية وبلاغية راقية، وهي بذلك تؤدي وظائف شعرية جمالية واتصالية وفكرية كما نظر لها رومان جاكسون.

➤ إن توسع أغراض الشعر المزابي الحديث من شأنه إعطاء اللغة المزابية قدرة اتصالية أوسع للتعبير عن انشغالات وآمال الأجيال المعاصرة، كما يمثل الإنشاد والأغنية المزابية المعاصرة وسائل هامة لانتشار اللغة الشعرية في الاوساط الشعبية.

ولا شك في ما للشعر من أهمية في الدراسات اللسانية، طالما أن للغة والشعر ارتباطا وثيقا لما يمثله هذا الأخير من لغة خاصة قوية وجذابة ولدوره في تغيير اللغة وتطويرها، فضلا عن أثره في تحبيب اللغة إلى نفوس الناطقين بها وترقية مكانتها في تمثلاتهم الفردية والجماعية. وعلى ذلك يقول الناقد

¹ www.unesco.org/ar/home/ar-single-view/news/21/

الألماني فولفغانغ كايزر¹ >> نظرا إلى أن الشعر (...) يتميز في لغته الخاصة من قوة وفعالية، فإن البحث فيه يصبح قسما من علم اللغة. (...) ولا يمكن اللغوي إلا أن يكسب إذا هو حرص على ملاحظة اللغة هناك في المكان الذي يحيا فيه بقوة كبيرة، أعني في الشعر.²

وبناء على ما سبق بُنيت الإشكالية المحورية لأطروحتنا من جهة على تقييم حيوية اللغة المزابية ووضعها السوسيو-لساني طبقا لمعايير منظمة اليونسكو التسعة ووفقا لأدوات البحث الأكاديمي؛ ومن جهة أخرى على دراسة الدور المحوري للشعر المزابي في دعم هذه الحيوية. وصيغت على النحو التالي:

- ما هي درجة حيوية اللغة المزابية واستمراريتها في محكّ معايير منظمة اليونسكو ؟ وكيف ساهم الشعر المزابي الامازيغي كعامل أساسي محوري في هذه الحيوية؟

واعتبارا لذلك ارتأينا أن تكون مقارنتنا لتقييم حيوية اللغة المزابية وتأثير الشعر المزابي فيها، مقارنة ماكرو-سوسيو-لسانية، من خلال الملاحظة المباشرة بالمشاركة والبحث التوثيقي، بالإضافة إلى الاستبيان الميداني واللقاءات بالاستعانة باستجواب عينة نمطية من الناطقين المزابيين.³ وترتكز إشكاليتنا على زاويتين تمثلان محورا أطروحتنا، وهي:

أولاً: تقييم درجة حيوية اللغة المزابية بناء على وضعها السوسيو-لساني الحالي، وفقا للمعايير الدولية التسعة التي اعتمدها اليونسكو لتقييم حيوية اللغات. بحيث نحاول اختبار هذه المعايير على اللغة المزابية بناء على معاشتنا وملاحظتنا، مع الاستعانة بأجوبة الناطقين المزابيين المبحوثين لاستكشاف تمثلاتهم ومواقفهم وسلوكياتهم.

¹ فولفغانغ كايزر (1906-1960) من كبار النقاد الألمان في العصر الحديث، عضو أكاديمية العلوم بغوتتن والأكاديمية الألمانية للغة والشعر.

² فولفغانغ كايزر، تر. أبو العيد دودو، العمل الفني اللغوي، مدخل إلى علم الأدب، الجزء الاول، دار الحكمة، الجزائر، 2000، ص.29.

³ انظر الإطار المنهجي في المبحث التمهيدي.

ثانياً: بحث دور الشعر المزابي الأمازيغي القديم والحديث في بعث حيوية اللغة المزابية، وتغيير تمثلات ومواقف وسلوكيات الناطقين المزابيين حولها، لاسيما في مواجهة المركز الاستعلائي للغة العربية الفصحى .

ولمحاولة الإجابة عن إشكاليتنا وضعنا فرضيتين نحاول اختبارهما، استوحيناهما من معاشتنا للغة المزابية ومعرفتنا لأحوالها وملاحظتنا لواقعها :

- **الفرضية الأولى:** إن اللغة المزابية توجد في منطقة "التهديد" وفقا لسلم التقييم لمنظمة اليونسكو. وتستند هذه الفرضية إلى معطيات: انعدام المواد البيداغوجية والبحوث والدراسات الأكاديمية الضرورية لتقنينها وتعليمها، وغياب تدريسها شبه الكلي من المدارس الحكومية والحرّة، والنقص الكمي والنوعي الكبير في التوثيق، والعدد المحدود جدا للناطقين بها، وظهور عوامل جديدة تهدد طرق نقل اللغة بين الأجيال مثل ثورة الاتصالات المعاصرة التي أدت إلى اكتساح الألفاظ الدخيلة العربية الفصحى والدارجة والفرنسية للغة المزابية، مما ترتب عنه ظاهرة التصحر اللفظي واندثار الألفاظ والمفردات الأصيلة مع شبه انعدام للابتكار اللفظي néologisme ، إضافة إلى وضع الازدواجية اللغوية diglossie التفاضلية التي تعيش فيه مع اللغة العربية الفصحى التي تدرس إجباريا في المدارس المزابية للأطفال منذ سن الخامسة، وتستعمل على نطاق واسع في المجال الديني والثقافي للمجتمع المزابي، وتنامي ظاهرتي خلط وتداول الشفريات.

- **الفرضية الثانية:** إن اللغة المزابية ليست مهددة إلى هذا الحد، وإنما تصنف في خانة "قابلة للتهديد" -كما كلفتها اليونسكو بحق- وهو وضع أقل خطرا، بل إن هناك عوامل سوسيو-لسانية جديدة قد تزيد من قوتها لتصبح حتى لغة "آمنة". وتستند هذه الفرضية إلى مؤشرات القوة التي تتمتع بها والتي تضمن بقائها واستمراريتها وفقا للسلم التقييمي لليونسكو، أهمها استمرار عملية انتقالها بين الأجيال والخصوصية الدينية المذهبية، وتوسع استخداماتها إلى مجالات جديدة بفضل السياسة اللغوية للدولة الجزائرية لترقية الأمازيغية في كل تنوعاتها. ويندرج الشعر المزابي إزلوان ضمن أهم هذه العوامل كحامل للغة المزابية، إذ ظل الشعر المزابي القديم منه أو الحديث، سمة لغوية وتعبيرية وفنية بارزة للهوية الاثنو-لسانية للمزابيين بالرغم من الثقل الرمزي والمعرفي الذي تمثلته اللغة العربية الفصحى. وازداد دور إزلوان على وجه الخصوص بفضل توسع مجالاته ومواضيعه إلى الانشغالات المعاصرة للمجتمع المزابي، ما أدى إلى دعم مكانة اللغة المزابية في التمثل الجماعي للمزابيين، وتقوية اللغة لسانيا إن من حيث الألفاظ أو من حيث التركيب والتأثير

الأسلوبي والبلاغي. وساعدت على ذلك مختلف الوسائط الثقافية الحديثة المتطورة، مثل الوسائل السمعية البصرية والأغنية المزابية.

وبذلك بنينا دراستنا على محورين أساسيين، يمثلان شطرا الإشكالية، كرسنا لكل منهما فصلا مستقلا:

الفصل الأول: وكرسناه للدراسة التقييمية للوضع السوسيو-لساني لحيوية اللغة المزابية وفقا للمعايير التسعة لمنظمة اليونسكو، بأن حاولنا استكشاف أهم عناصر القوة التي قد تضمن استمراريتها وحيويتها من جهة، وتحديد عناصر الضعف التي قد تهدد بزوالها على المدى البعيد كباقي اللغات الضعيفة في العالم من جهة أخرى؛ بهدف تحديد درجة تقييم اللغة المزابية بالنسبة لكل معيار في النظام التقييمي لليونسكو. وتم ذلك بالاستعانة - كلما تطلب الأمر - بنتائج الاستبيان الاستقصائي لدى عينة من الناطقين الشباب للغة المزابية حول تمثلاتهم ومواقفهم وسلوكهم اللغوي، كآلاتي:

المبحث الأول: اخترنا فيه وضع اللغة المزابية على ضوء العوامل المتعلقة بالخصائص الداخلية للغة المزابية من حيث التدوين والتوثيق (**المطلب الأول**) ، ومدى توفر المواد البيداغوجية لتدريسها (**المطلب الثاني**)، ثم بحث مجالات استخدامها ومدى اقتحامها للمجالات الجديدة (**المطلب الثالث**).

المبحث الثاني: اخترنا فيه العوامل المتعلقة بالمحيط الخارجي للغة المزابية من حيث : مدى انتقال اللغة المزابية بين الأجيال، وعدد الناطقين بها ونسبتهم (**المطلب الأول**)، والسلوك اللغوي للناطقين باللغة المزابية (**المطلب الثاني**)، وأخيرا السياسات اللغوية الحكومية وسلوك المؤسسات الرسمية وأثرها على حيوية اللغة المزابية (**المطلب الثاني**).

الفصل الثاني: كرسناه للدراسة السوسيو-لسانية للشعر المزابي كعامل أساسي لحيوية اللغة المزابية ودعم وعي الانتماء للهوية اللغوية للجماعة المزابية، من خلال ارتباطه بالوسط النسوي الأحادي اللغة بالنسبة للشعر المزابي القديم؛ وبفضل التوسع الكبير في ميادينه واستفادته من الوسائط الثقافية الحديثة للبث الواسع وتطوره البلاغي واللفظي بالنسبة للشعر المزابي الحديث. وقسمناه إلى مبحثين :

- **المبحث الأول:** خصصناه لدراسة الأهازيج المزابية القديمة كتراث لسانی شفوي نسوي، ودورها في الحفاظ على حيوية اللغة المزابية من خلال خصائصها الموضوعية والفنية التي جعلت منه سمة للهوية المزابية ولبنة لغوية متينة في مواجهة الاندثار.

- **المبحث الثاني:** وفيه حاولنا دراسة دور الشعر المزابي الحديث في حيوية اللغة المزابية من خلال التطور الواسع لأغراضه وميادينه من جهة؛ وبثه الواسع بفضل تطور الأغنية المزابية والوسائط الثقافية والإعلامية الحديثة ، وتطوره اللساني والبلاغي من جهة أخرى.

وقدما لدراستنا بمبحث تمهيدي استعرضنا فيه الإطار المنهجي والنظري العام لإشكاليتنا، ومنهج وأدوات البحث المستعملة، والإطار المفاهيمي التي بنيت عليه دراستنا، وأخيرا أهم المعوقات التي اعترضتنا. وكان اختيارنا للمقاربة السوسيو-لسانية لدراسة مدى استمرارية اللغة المزابية إيماننا منا بمقولة انطوان ميه *<< أن العنصر الوحيد الذي يمكن أن نلجأ إليه لفهم التغير اللغوي، هو التغير الاجتماعي >>*¹ باعتبار اللغة مؤسسة اجتماعية تتأثر وتؤثر في المجتمع في تفاعله مع السياقات الاجتماعية، متجاوزين في ذلك مفارقة فردينان دي سويسير الذي يعترف من جهة أن اللغة اجتماعية، لكنه يدعو من جهة أخرى إلى دراسة اللغة كمنظومة مستقلة في ذاتها بمعزل عن محيطها الاجتماعي مدعيا انه *<< ليس من الضروري دائما معرفة الظروف التي تتطور من خلالها لغة ما >>*².

أملنا أن تساهم دراستنا التي تتدرج ضمن اللسانيات الخارجية في درء النقص الكبير إن لم نقل انعدام الدراسات اللسانية حول اللغة المزابية بصفة عامة ووضعها السوسيو-لساني على وجه الخصوص، إذا استثنينا محاولة الأستاذ آرن كيرشنر Arne KIRCHNER حول وضع اللغة المزابية سنة 2009،³ التي

¹) Gilles SIOUFFI, Dan Van RAEMDONK, *100 fiches pour comprendre la linguistique*, BREAL éditions, 1999, pp.70, 71. *Idem*, p.8.N.B.P. N° 1 .Repris du Antoine Meillet, « l'état actuel des études de linguistique générale », leçon inaugurale de Collège de France, 13 février 1909.

²) فردينان ده سوسر، تريبوسف غازي، مجيد النصر، *محاضرات في الألسنية العامة*، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1986، ص.37.

³) حاول الأستاذ الألماني آرن كيرشنر Arne KIRCHNER ، أستاذ اللسانيات في جامعتي قوتتن (ألمانيا) Göttingen و مورسيا Murcia (إسبانيا) بمناسبة إقامته القصيرة في الجزائر كمتعاون فني وزياراته السياحية لوادي مزاب؛ وضع جدول تقييمي لحيوية اللغة المزابية وفقا لمعايير اليونسكو، لكن بناءا على استبيان محدود جدا بمساعدة بعض أصدقائه، وقدم اقتراحات للمحافظة عليها. وبغض النظر عن هزال هذا العمل منهجا ومضمونا وعدم تجاوزه الوصف العام لجهل الباحث للوضع السوسيو-لساني لبني مزاب، فإنه كان بالنسبة لنا على الأقل منبها إلى أهمية الموضوع ومحفزا للخوض فيه وفق دراسة شاملة ومعقدة وميدانية. أنظر هذه الأعمال في :

Arne KIRCHNER, *Etat actuel de la langue mozabite*, Ghardaïa ,11 mai 2009 ; *Etapas pour l'enseignement de la langue mozabite*, Ghardaïa ,13Mai 2010 ; *Préservation de la langue mozabite*, Ghardaïa, 2 Mai 2008 ; dans le site : www.MzabHouse.com.

أثارت انتباهنا إلى أهمية الموضوع، بغض النظر عما يكتنفها من نقائص¹. وجاء عملنا هذا لنكمل به مسارنا العلمي بعد دراستنا المقارنة للألفاظ الامازيغية المشتركة بين المتغيرتين القبائلية والمزابية في مذكرة الماجستير².

¹ انظر انتقاداتنا لسبر الآراء السوسيو-لساني الذي قام به آرن كيرشنر حول اللغة المزابية في الإطار المنهجي.

²) Abdallah NOUH, *Le vocabulaire berbère commun au kabyle et au mozabite, Etude de lexicologie berbère comparée*, Mémoire de Magister, Option : linguistique amazighe, S. D. Mohammed Akli HADDADOU, 2006-2007, Département de Langue et Culture Amazighes, Faculté des lettres et langues, Université Mouloud Mammeri, Tizi Ouzou.

مبحث تمهيدي الإطار المنهجي للدراسة

تتدرج أطروحتنا في إطار الدراسات السوسيو-لسانية (الفرع الأول) ويتعلق محورها الأول بتقييم حيوية اللغة المزابية وفقا لمعايير حيوية اللغات التي صاغها خبراء منظمة اليونسكو (الفرع الثاني). وقد حاولنا الجمع بين أهم وسائل البحث المعروفة: الملاحظة بالمشاركة، الاستبيان، البحث التوثيقي (الفرع الثالث). أما محورها الثاني فيتمركز على دراسة دور الشعر المزابي-ازلوان في حيوية اللغة المزابية اعتمادا على مدونة محددة من الشعر القديم والحديث (الفرع الرابع). ونحاول تحديد أهم المصطلحات المستخدمة (الفرع الخامس) قبل أن نختم بذكر أهم المعوقات المنهجية والمادية التي اعترضتنا دراستنا (الفرع السادس).

الفرع الأول: السوسيو-لسانية (اللسانيات الاجتماعية)

ما فتى الفلاسفة والباحثون الذين تناولوا موضوع اللغة منذ القديم يشيرون إلى الارتباط الكبير بينها وبين المجتمع الذي تعيش فيه باعتبارها كائنا اجتماعيا. ويضيق المجال لاستعراض تطور الدراسات اللسانية الذي أدى إلى ظهور هذا التخصص. وللب القول أن نشأة هذا التخصص المتفرع من اللسانيات عرف تطورا تاريخيا طويلا يعود إلى التساؤلات الأولى التي طرحها الفلاسفة والمفكرون حول العلاقة بين اللغة والناطقين بها لاسيما إبان النهضة الأوروبية في القرن الثامن عشر، ثم ما لبث أن تطور هذا التيار في خضم المذاهب والمدارس اللغوية في أوروبا مع تطور الجدل حول كون اللغة ظاهرة طبيعية أم ظاهرة اجتماعية، وهل يجب دراستها في ذاتها أو في محيطها الاجتماعي، مما نتج عنه الإقرار باتصال الظاهرة اللغوية وتأثرها بالمجتمع وبالكثير من العلوم مثل الجغرافية وعلم النفس والفيزياء،¹ حتى تم الاعتراف بهذا التخصص في الستينيات من القرن العشرين بالولايات المتحدة الأمريكية على ضوء أعمال انطوان

¹ (حول تطور علم السوسيو-لسانيات انظر: د. هادي نهر لعبيي، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، عالم الكتب الحديثة، أريد، الأردن، 2009، ص. 19 إلى 36).

مبيه Antoine Meillet وويليام لابوف William Labov.¹ وأصبح اليوم التمييز واضحا بين كل من اللسانيات التاريخية واللسانيات الوصفية واللسانيات الاجتماعية أو السوسيو-لسانيات².

وتنقسم الدراسات اللسانية إلى نوعين : دراسات داخلية تعكف على دراسة اللغة في ذاتها على مختلف مستوياتها الصوتية الدلالية التركيبية، ودراسات خارجية تهتم بدراسة اللغة في محيطها الاجتماعي التلغفي والسيكولوجي³، ومنها السوسيو-لسانية sociolinguistique وهو المفهوم الذي أصّل له انطوان مبيه Antoine Meillet (1866 - 1936) منذ بداية القرن العشرين عندما أكد على الطابع الاجتماعي للغة معتبرا أن اللغة واقعا اجتماعيا لا يمكن دراستها بمعزل عن السياقات الاجتماعية التي تحيط بها، ومنقدا ومخالفا نظرية فردناند دي سوسير Ferdinand de Saussure (1857 - 1913) مؤسس اللسانيات الحديثة الذي يرى في اللغة نسقا يجب دراسته في حد ذاته منفصلا عن أي تأثير خارجي رغم اعترافه أن اللغة "مؤسسة اجتماعية"⁴.

ويستعمل البعض مصطلح "علم الاجتماع اللغوي" للدلالة على هذا التخصص⁵، وهو مصطلح منتقد في رأينا، لأن ترجمته الفرنسية sociologie du langage، تعني انه فرع من فروع علم الاجتماع ، بينما يعتبر ويليام لابوف علم الاجتماع اللغوي جزءا من السوسيو-لسانيات الذي يتناول بالبحث اندثار اللغات وذوبانها والتعددية اللغوية والتهيئة والتخطيط اللغوي⁶ وهو موضوع دراستنا هذه.

ويعود مشكل تصنيف هذا التخصص رغم اعتباره تخصصا لسانيا - إلى وجوده في منطقة وسطى بين اللسانيات وعلم الاجتماع ما جعل ميدان بحثه واسعا وغير محدد بدقة ومنع من وجود >> الاتفاق على تعريف موحد تتبناه هيئة رسمية متخصصة. وهذا بسبب التداخل الحاصل بين علم الاجتماع (أحد

¹) Gilles SIOUFFI, Dan Van RAEMDONK, 100 fiches pour comprendre la linguistique, BREAL éditions, 1999, p.36.

²) يستعمل المصطلحين معا لتسمية هذا العلم. ونحن نفضل مصطلح السوسيو-لسانيات لأنه أكثره دقة واقرب إلى الترجمة الفرنسية. أنظر د. عبد القادر الفاسي الفهري، د. نادية العمري، معجم المصطلحات اللسانية، إنجليزي-فرنسي - عربي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2009، ص. 309.

³) د. جمال حمداوي، اللسانيات الاجتماعية، (د.ت.)، شبكة الالوكة، ص. 5. [www.alukah.net]

⁴) Louis-Jean Calvet, La sociolinguistique, PUF, 7^{ème} édition, 2001, pp.5,6.

⁵) برنار صبولسكي، ترجمة عبد القادر ستقادي، علم الاجتماع اللغوي، sociolinguistics، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص. 21 وما بعده.

⁶) William LABOV, Sociolinguistique, Editions MINUIT, paris, 1976, p.257.

الأصول المعروفة لهذا التخصص) واللسانيات العامة>>¹. ومع ذلك يمكن تعريفه أنه العلم الذي يبحث >>التفاعل بين استعمالنا للغة والظواهر الاجتماعية التي تحيط بنا>> (ترجمتنا).²

والملاحظ أن حقل الدراسات السوسيو-لسانية واسع جداً، ويشمل عدة تخصصات تمتد بين اللسانيات وعلم الاجتماع اللغوي.³ ويمكن أن نقسمه إلى محورين:

✓ دراسة العناصر والخصائص الداخلية للغات وتحولاتها في علاقاتها مع المحيط الاجتماعي، مثل الظواهر الصوتية والفونولوجية والنحوية التركيبية واللفظية، وهي أقرب إلى اللسانيات. وتعرف بالسوسيو-لسانية الجزئية.

✓ دراسة الوضع الاجتماعي للغات وسلوك الناطقين بها ومواقفهم وتمثيلاتهم، والسياسات اللغوية للدولة، وهي أقرب إلى علم الاجتماع. وتعرف بالسوسيو-لسانية الكلية.

وتدخل دراستنا في إطار السوسيو-لسانية الكلية macro sociolinguistique التي تهتم بتطور اللغة في محيطها الاجتماعي في إطار مجموعة الناطقين بها وعلاقاتهم بالمجموعات اللغوية الأخرى؛ مقارنة بالسوسيو-لسانية الجزئية micro sociolinguistique التي تهتم بالظاهرة اللغوية للفرد وتحولاتها ما بين الأفراد في نفس الطائفة اللغوية.⁴

وكان اعتمادنا على المنهج الكيفي في بحثنا كأساس للتحليل والاستنباط، باعتبار أن تحليلنا بني على فهم الموضوع وتحليله للإجابة عن أسئلة: كيف؟ ولماذا؟⁵ اعتماداً على الملاحظة بالمشاركة، مع الاستعانة بالمنهج الكمي انطلاقاً من الاستبيان الاستقصائي الموزع على عينة من الناطقين بالمزابيين، كمنهج مكمل للتحليل الكيفي لبحث مختلف فرضيات البحث.

¹ برنار صبولسكي، ترجمة عبد القادر ستقادي، علم الاجتماع اللغوي، sociolinguistics، ص. 22.

² Gilles SIOUFFI, Dan Van RAEMDONK, 100 fiches pour comprendre la linguistique, op.cit., p.36.

³ انظر الجدول التوضيحي لحقول الدراسات السوسيو-لسانية :

Henri BOYER, collaboration de Gloria BAYO, Éléments de sociolinguistique, DUNOD, paris, 1996, 2^{ème} édition, p. 9.

⁴ Henri BOYER, introduction à la sociolinguistique, DUNOD, paris, 2001, pp.17,18.

⁵ حمود بن ناصر بن محمد الهاشمي، مقدمة في منهج البحث النوعي، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، 2005، ص. 16، 17.

وتحاول دراستنا اقتحام احد المواضيع الجديدة للسوسيو-لسانيات المعاصرة، وهو حياة وموت اللغات. هذا الموضوع لم يظهر ك مجال للدراسة إلا في التسعينيات من القرن الماضي، عندما جذب إليه اهتمام كبير وفائق من طرف اللسانيين مع ظهور "أزمة التعددية اللغوية" مع ظاهرة ابتلاع اللغات القوية للغات الضعيفة ، لاسيما اللغات الأهلية *langue autochtones* بمختلف القارات.¹ غير أن أهم مسألة واجهتنا في مسعانا هو اختيار حزمة من المعايير لتقييم درجة حيوية اللغة المزابية. وبسبب الاختلاف الكبير بين اللسانيين في تحديد معايير تقييم اللغات، فإن اختيارنا كان في النهاية على سلم المؤشرات الذي بلوره خبراء اليونسكو.

الفرع الثاني: معايير تقييم حيوية اللغة المزابية ووضعها السوسيو-لساني

يختلف الباحثون السوسيو-لسانيون حول العناصر والعوامل الأساسية لحيوية اللغات وموتها. فمنهم من يركز على العوامل الداخلية للغة والناطقين بها مثل العامل الديمغرافي ودرجة تطور اللغة، ومنهم من يهتم بالعوامل الخارجية المتمثلة في السلوك اللغوي والسياسات اللغوية للدولة. فبينما يرى ستيوارث Stewart سنة 1962 أن الحيوية تأتي من العامل الديمغرافي الذي يكسب اللغة شبكة من التواصل الوطني والدولي، يرى كلوس Kloss (1967) وماك كونال MacConnel (1976، 1996) أن مركز اللغة وتطورها وازدياد وظائفها هو الذي يعطي لها الحيوية.² أما ويليام ماكي William F. Mackey فيجمع هذه العوامل في اثنين هما: "القوة اللغوية" *puissance linguistique* وتقاس حسب العوامل الديمغرافية الاقتصادية والثقافية، و"الاجاذبية اللغوية" *l'attraction linguistique* ويقاس حسب الوضع الاجتماعي الجغرافي للجماعة اللغوية.³ أما حسب هوارد جيلز Howard Giles (1977) الذي قام بدراسات حول السلوك اللغوي للأفراد والجماعات، فإن حيوية اللغة تقوم على ثلاث عناصر أساسية:⁴ المركز الاجتماعي للغة وللجماعة، وعدد أفراد الجماعة وانتشارهم الجغرافي (العامل الديمغرافي)،

¹) Luisa Maffi, « Langues menacées, savoirs en péril », en ligne [<http://www.cairn.info/revue-internationale-des-sciences-sociales-2002-3-page-425.htm>] 42 OK

²)William F. Mackey, Art. « vitalité linguistique », in Marie-Louise MOREAU, *La sociolinguistique*, p.295.

³)William F. Mackey, *Bilinguisme et contact des langues*, Editions Klincksieck, paris, 1976, pp.203-220.

⁴)Idem, p.295. Cf. Howard GILES, *Language, ethnicity and intergroup relations*, Londres Academic Press, 1977.

وأخيرا الدعم المؤسساتي. ويجمع عبد الواحد وافي هذه العوامل في ست طوائف هي : العوامل الاجتماعية الحضارية للناطقين، وتأثير اللغات الأخرى، والإنتاج الأدبي، وانتقال اللغة بين الأجيال، والعوامل الطبيعية، وأخيرا العوامل اللغوية المتعلقة بالخصائص اللسانية للغة¹؛ الخ.

ويطرح العديد من السوسيو-لسانيون المسألة من وجهة نظر أخرى، وذلك بالبحث عن العوامل التي تتمتع بها اللغة لمقاومة الإدماج اللغوي² (l'assimilisation linguistique language shift). ويلخصها هولمز Janet Holmes في العوامل الديمغرافية الاجتماعية، والعوامل المؤسسية، والتواصل مع بلد الاصل، والمواقف والقيم حول اللغات.³

ولعل أهم تصنيف لهذه العوامل هو ذلك الذي قام به اللساني الكندي جاك لوكلاك Jacques LECLERC الذي جمع أهم العوامل المستعملة حتى الآن لتقييم حيوية اللغة وموتها في سبع ، وهي :⁴

- **العامل الديمغرافي:** من حيث عدد الناطقين وتوزيعهم المكاني، ومعدل الخصوبة، والهجرة من وإلى جماعة الناطقين بها.
- **العامل الاقتصادي:** من حيث التبادل التجاري والإنتاج الصناعي والتكنولوجي، ومستوى المعيشة.
- **العامل العسكري:** من حيث القوة العسكرية التي تضمن السيطرة والهيمنة على الشعوب الأخرى كما كان الحال في الدول القديمة ولاسيما في الفترة الاستعمارية الحديثة.
- **العامل الثقافي:** ويتمثل في الإنتاج الفكري الأدبي والعلمي، ودرجة النشر وعدد المطبوعات وتوزيعها، وقوة البث الإعلامي، ودرجة حضور اللغة في الانترنت، والتدريس ومحو الأمية.

¹ د. علي عبد الواحد وافي، **اللغة والمجتمع**، عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، 1983، ص. 11 وما بعدها.

² Maria Zerva, « Assimilation linguistique et processus de minoration », *Lidil* [En ligne], 44 | 2011, mis en ligne le 15 juin 2013, consulté le 17 mai 2017. URL : <http://lidil.revues.org/3147>

³ HOLMES Janet, *An Introduction to Sociolinguistics*, London and New York, Longman, 1992, pp. 65-73 (citée par Maria Zerva, *idem*).

⁴ Jacques DECLERC, "Vitalité et mort des langues", dans *L'aménagement linguistique dans le monde*, Québec, TLFQ, Université Laval, 02 septembre 2013.
http://www.axl.celan.ulaval.ca/Langues/2vital_expansion.htm

- **العامل السياسي:** ويتعلق بالسياسة اللغوية للدولة من حيث موقع اللغات فيها، إن كانت دولة أحادية اللغة أو متعددة اللغات.
- **العامل اللغوي:** ويقصد به الخصائص الداخلية للغة من حيث مدى الانتماء إلى عائلة لغوية واحدة مع لغة أخرى منافسة، ودرجة تطور اللغة من حيث التهيئة والمعيارية النحوية والبيداغوجية.
- **العامل الأيديولوجي:** ويتعلق بالأيديولوجية مدح وتعظيم بعض اللغات على أسس غير علمية، بحيث يتولد عنها أساطير مبنية على تفوق بعض اللغات على أخرى، فتعتبر بعض اللغات " سهلة وثرية وجميلة ومتقدمة " مقارنة بأخرى "صعبة وفقيرة وغير جميلة و بدائية" .

ومهما يكن فإن اختلاف الباحثين حول معايير وعوامل حيوية اللغات وموتها يرجع إلى اختلاف الظروف التاريخية والوضع الثقافي الاجتماعي الاقتصادي الديمغرافي لكل لغة والمجتمع الذي ينطقها. إذ لم يكن وراء انقراض اللغات في التاريخ نفس العوامل والأسباب. غير أنه لا يمكن في رأينا تجاهل أثر ثلاث عوامل أساسية في حياة وموت اللغات في كل الظروف والأزمنة يتفق عليها أغلب الباحثين، وهي: العامل الديمغرافي-الاقتصادي للجماعة اللغوية، وسلوك الناطقين باللغة ودرجة إيمانهم بلغتهم، والسياسة اللغوية. أما العناصر اللسانية الداخلية للغة والمتمثلة في مستوى تهيئتها وتطورها فهي تعتبر في الحقيقة نتيجة للعوامل السالفة الذكر وليس سببا لها.

السُّلم التقييمي المعتمد (سلم منظمة اليونسكو لحيوية اللغات وتعرضها للاندثار)

تقاديا للإطناب والتوسع وحتى لا نضيع في الجدل حول عوامل حيوية اللغات - وهو ليس الموضوع الأساسي الوحيد لبحثنا - فقد كان اختيارنا حاسما على النظام التقييمي للعوامل التسعة التي اجمع عليها خبراء منظمة اليونسكو¹ واقترحوها، ومحاولة إسقاطها على حالة اللغة المزابية، طالما أن هذا النظام يمثل اتفاق مجموعة من الخبراء اللسانيين والسوسيو-لسانيين من مختلف القارات واللغات إثر دراسة مشتركة قاموا بها بالتعاون مع اليونسكو في الفترة ما بين نوفمبر 2001 و مارس 2003 والتي جاءت كحصيللة للدراسات

¹ انظر: مجموعة خبراء لليونسكو المختصون حول اللغات المهددة بالاندثار، **حيوية اللغات وتعرضها للاندثار**، منظمة

الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، 2003.

UNESCO , *L'Atlas des langues en danger dans le monde*, op.cit, 2011, p.5.

السابقة حول هذا الموضوع¹؛ مما يجعله مرجعا لكل باحث حول هذا الموضوع بالرغم مما يمكن أن يكتنفه من نقائص وانتقادات. ويقوم هذا السلم التقييمي على تسعة معايير، بحيث يتم تقييم اللغة المدروسة حسب كل معيار وفقا لسلم تنقيط تصاعدي من 0 إلى 5، يمكن استعراضها بإيجاز في الآتي:²

العامل الأول: انتقال اللغة بين الأجيال، ويتم تقييمه بين درجة "منقرضة" (0) عندما لا يبقى أي ناطق باللغة، ودرجة "آمنة" (5) حين تتحدث اللغة كل الأجيال في كل السياقات ويستمر انتقالها عبر الأجيال. لكن قد تصبح اللغة مهددة رغم تصنيفها كلغة مستقرة ويرمز إليها (-5) وذلك عندما يكون هناك تعدد لغوي في اللغة الأم واحتكار لغة أو عدة لغات مهيمنة لبعض مجالات التواصل.

العامل الثاني: العدد المطلق للمتحدثين، ويقيم من دون سلم حسب العدد الإجمالي للناطقين وانتشارهم الجغرافي.

العامل الثالث: عدد الناطقين من إجمالي عدد السكان، ويقيم حسب نسبة الناطقين من إجمالي عدد السكان من درجة "منقرضة" (0) حين لا يبقى أي شخص يتكلم اللغة، والدرجة "آمنة" (5) حين يتكلم الجميع اللغة.

العامل الرابع: مجالات استخدام اللغة وسياقاتها³، ويتم تقييمه بين درجة "منقرضة" (0) للغة التي لا تستخدم في أي مجال، والدرجة "الاستخدام الشامل" (5) بالنسبة للغة التي تستخدم في كل المجالات والوظائف.

¹ جاءت هذه الوثيقة اثر مسار طويل بدا منذ الثمانينات عندما أطلقت اليونسكو برنامج "الكتاب الأحمر للغات المهددة بالاندثار"، وبعد إطلاقها لبرنامج "إعلان روائع التراث الشفوي وغير المادي للبشرية" سنة 1997، أوصى المشاركون في اللجنة الدولية لهذا الإعلان سنة 2001 على ضرورة وضع برنامج خاص للغات المهددة بالاندثار، كما أكدت الدورة الواحدة والثلاثون للمؤتمر العام لليونسكو سنة 2001 على وجوب احترام التنوع اللغوي من خلال الإعلان العالمي المتعلق بالتنوع الثقافي". وبعد المؤتمر الثاني حول اللغات المهددة بالاندثار المنعقد في كيوتو سنة 2001، عملت مجموعة من اللسانيين والمدافعين عن اللغات بالتعاون مع منظمة اليونسكو منذ نوفمبر 2001 إلى غاية مارس 2003 على وضع هذه الوثيقة التوجيهية لتقييم حيوية اللغات وتعرضها للاندثار. انظر: نفس المرجع السابق، ص. 1 و 2.

² نفس المرجع، ص. 16 وما بعدها.

³ وردت الترجمة العربية كالاتي "التغييرات في مجال استخدام اللغة"، وهي ترجمة غير دقيقة وغامضة لا تؤدي المعنى

المراد. لذلك تصرفنا فيها بهذا العنوان حتى يؤدي المعنى الوارد في النص الفرنسي وهو :

<<Utilisation de la langue dans les différents domaines publics et privés>>.

العامل الخامس: توسع استخدام اللغة إلى المجالات الجديدة¹، ويتم تقييمه بين الدرجة "جامدة" (0) عندما تبقى اللغة جامدة ولا تقتحم أي مجال جديد، والدرجة "دينامية" (5) عندما تقتحم اللغة كافة المجالات الجديدة.

العامل السادس: مدى توفر مواد تدريس اللغة ومحو الأمية²، ويتم وفقه تقييم اللغة من درجة (0) عندما تكون لغة شفوية لا كتابة لها وغير مدرسة، ودرجة (5) حين تتوفر اللغة على مواد للتدريس وتقاليد في علم اللغة والكتابة والتأليف والإبداع والإدارة والتعليم.

العامل السابع: السياسات اللغوية الحكومية والسلوكيات المؤسسية³، ويتم تقييم اللغة وفقه حسب الدعم الذي تقدمه الدولة لها، من درجة "الحظر" (0) عندما يمنع استخدام لغات الأقليات، ودرجة "الدعم المتكافئ" (5) حين تحظى كل اللغات بالحماية والدعم من طرف الدولة.

العامل الثامن: مواقف أفراد المجتمع من لغتهم الخاصة بهم، ويتم تقييم اللغة وفقه حسب مواقف الأفراد الناطقين من لغتهم من حيث الدعم والاستخدام، من درجة (0) عندما يهمل كل الأفراد لغتهم ويفضلون استخدام غيرها، والدرجة (5) حين يحب كل الأفراد لغتهم ويرغبون في الحفاظ عليها وتعزيزها.

العامل التاسع: نوع التوثيق وجودته، ويقيم حسب درجة توثيق اللغة ونوعيته، من درجة "غير موثق" (0) عندما تقتصر اللغة إلى أي مادة موثقة، ودرجة "ممتاز" (5) حين تتوفر اللغة على وثائق لغوية شاملة مثل القواميس والقواعد والنصوص، والتسجيلات الصوتية والمرئية العالية الجودة.

وبالإضافة إلى استخدام هذا السلم التقييمي لاختبار حيوية اللغة المزابية في القسم الأول من أطروحتنا، فقد درسنا عامل ازدهار الشعر المزابي وأثره في حيوية اللغة المزابية في القسم الثاني.

¹ وردت الترجمة العربية كالاتي "مواجهة مجالات ووسائل إعلام جديدة" عن الفرنسية *Réaction face aux nouveaux domaines et médias* وهي غير دقيقة، لأن الأمر يتعلق بتوسع مجالات استخدام اللغة إلى المجالات الجديدة.

² أضفنا إلى العنوان "مدى توفر"

³ وردت الترجمة كالاتي: "السلوك والسياسات اللغوية الحكومية والمؤسسية بما فيها وضعها الرسمي واستخدامها" وفضلنا صياغتها بشكل مختصر وواضح.

الفرع الثالث: أساليب البحث المعتمدة

لاعتمادنا في دراستنا على التحليل الكيفي أساسا وعلى التحليل الكمي تباعا لتحديد تصورات ومواقف الناطقين المزابيين اللغوية، فإننا تبيننا الجمع بين الأساليب الثلاثة الأكثر استعمالا في البحث العلمي سعيا منا للاستفادة من إيجابيات كل منها في التنظير لأطروحتنا، أملا أن نحقق أكبر قدر من الموضوعية: فبالإضافة إلى الملاحظة بالمشاركة التي نقوم بها باعتبارنا عضوا مشاركا في جماعة الناطقين المزابيين والعاملين في حقل اللغة المزابية (أولا)، استعنا بالاستقصاء الميداني لعينة تمثيلية للناطقين المزابيين مع بعض اللقاءات مع الفاعلين الثقافيين، واستغلال ما يهمننا من المعطيات المتحصل عليها (ثانيا)، بالإضافة إلى البحث التوثيقي الكلاسيكي في المراجع المنجزة حول الموضوع (ثالثا).

أولا: الملاحظة بالمشاركة

نعقد أن وضعنا السوسيو-لساني واحتكاكنا بالواقع اللغوي والثقافي المزابي، بالإضافة إلى نشاطنا العلمي والمهني في حقل اللغة المزابية¹، قد يساعدنا على الملاحظة بالمشاركة والمعاينة الدقيقة إلى حد ما لمختلف عناصر الوضع السوسيو-لساني للغة المزابية وحيويتها، وفحص مدى تأثير الشعر المزابي في الحفاظ على اللغة المزابية. مع قناعتنا أن ذلك لا يكفي وحده ولا تكتمل نظرتنا إلا بدمجها مع البحث الميداني. وبالفعل لا يمكن الاعتماد على الملاحظة بالمشاركة وحدها لدراسة الظواهر الإنسانية لما يكتنفها من مخاطر الجروح إلى الذاتية، لذلك اقتضى منا الأمر في دراسة الظاهرة اللغوية الأمازيغية في المجتمع المزابي، الاستعانة بتقنية الاستبيان لبحث مختلف تساؤلات الإشكالية في المجتمع المزابي المعاصر، حتى يكتمل فهمنا لها ويسمح لنا باختبار فرضياتنا على أسس صحيحة مبنية على الجمع والمقارنة بين فهم الباحث للظاهرة باعتباره جزءا منها من جهة، والمعطيات المستقاة من الواقع الميداني المتحرك والتي قد تنبئ بتطورات مغايرة تماما لما يعتقد الباحث.

¹ بالإضافة إلى كوني ناطق أصلي للغة المزابية، فقد بدأت نشاطي في الحقل الثقافي الأمازيغي منذ 1991 كصحافي باللغة المزابية في القناة الثانية (1991-1999)، ثم منتج حصص ثقافية حول اللغة والشعر والقصص المزابية (2003-2011)، وكذلك مدرس للمتنوعة المزابية في قسم اللغة والثقافة الأمازيغية بجامعة تيزي وزو منذ افتتاحه سنة 1991، كما كنت عضوا في اللجنة العلمية للمحافظة السامية للأمازيغية في الفترة 1995-1998.

ثانيا: البحث الميداني (الاستبيان واللقاءات)

استخدمنا تقنية الاستبيان المكتوب لجمع المعلومات حول مختلف التساؤلات التي تثيرها عوامل التقييم الخارجية لمنظمة اليونسكو والمرتبطة بالممارسة العملية والمعايشة الميدانية للناطقين المزابيين. وقد كانت المعطيات المستقاة مفيدة جدا لنا في فهم تصوراتهم وسلوكياتهم اللغوية، بل أن بعض النتائج غيرت من اعتقاداتنا، مثل مسألة الأمن اللغوي عند المزابيين، كما سنرى. وتم إجراء الاستبيان ما بين الفترة الممتدة من 2015 إلى 2017، بتوزيعه على المعنيين عبر الشبكة الجموعية والمدارس، ثم جمعه واستغلاله. وقد حرصنا أن يشمل الجانب التطبيقي للغة المزابية وان يكون تمثيلا. كما يتبين في الآتي:

أ- محاور الاستبيان وأسئلته: بنينا استبياننا على خمسة محاور أساسية تناولناها في مختلف

أجزاء دراستنا (أنظر الإستبيان في الملحق)، وهي:

- 1) سياقات استخدام اللغة المزابية: 2 سؤالين.
- 2) استخدامات اللغة حسب المواضيع والمجالات: 5 أسئلة.
- 3) التمثلات حول اللغات لدى المزابيين : 4 أسئلة،
- 4) المواقف من اللغة المزابية وتدريسها: 3 أسئلة.
- 5) أسئلة حول الشعر والثقافة المزابية: 5 أسئلة

وتم اللجوء الى نمط الأسئلة نصف المغلقة لأن الهدف منها هو محاولتنا التأكد من صحة قناعاتنا حول وضع اللغة المزابية والمبنية على الملاحظة والمعايشة. بحيث جاءت الاسئلة بخيارين مغلقين: "نعم" أو "لا"، ثم اتبعنا الاسئلة غالبا بسؤال " لماذا ؟" لمحاولة فهم التفسيرات التي يقدمها المبحوثون لمواقفهم وآرائهم وتمثلاتهم (انظر حزمة اسئلة الاستبيان في الملحق) . أما اختيار الاسئلة فقد جاء للاستجابة الى الحاجة لفهم الوضع السوسيو-لساني للغة المزابية في مختلف اقسام الاطروحة خاصة في الفصل الاول. كما استوحينا بعض الاسئلة من الاستبيان الذي اعتمد عليه الاستاذ عبد الناصر قجيبة في اطروحته حول الوضع السوسيو-لساني للغة الشاوية في منطقة الأوراس للتشابة بين وضع اللغتين، رغم اختلاف الاشكالية والطريقة التي اعتمدها كل منا، بحيث نجده هو قد لجأ الى الجمع بين الاستبيان والمقابلة

لدراسة الوضع السوسيو-لساني للمنطقة الوسطى للاوراس بما فيها من ناطقين بالامازيغية والعربية، وليس للمجموعة الناطقة بالشاوية.¹

ب-تكوين العينة : لكون دراستنا تشمل منطقة وادي مزاب فقد حرصنا على تمثيل المدن

المزابية السبعة، ولم يشمل بحثنا المزابيين المغتربين بمختلف المدن الجزائرية وفي الخارج، رغم أهميتهم العددية المعتبرة التي لا تقل حسب تقديرنا الشخصي عن ثلث عدد المزابيين، طالما أن اغلب هؤلاء مرتبطون ارتباطا وثيقا بالوطن الأم وعاداته وتقاليده بفضل التماسك الاجتماعي الديني الكبير. هذا الارتباط جعل الأغلبية الساحقة منهم يقيمون بوادي مزاب في فترات متقطعة، وفي أقصى تقدير يزورونه على الأقل مرة في السنة في المناسبات والعطل المدرسية. كما أن المزابي أينما انتقل فإنه ينقل معه مؤسساته وتقاليده ولغته ومذهبه وكل ما يمثل خصوصياته كذخر يحافظ به على هويته ويقاوم به أي تغيير. وبالتالي لم نلاحظ أي اختلاف لغوي بين المهاجرين والمقيمين بوادي مزاب.

وسعينا إلى محاولة تحقيق مبدئي التمثيلية *représentativité* والتعميم *généralisation*² بالرغم من استحالة تحقيق التمثيلية المطلقة نظرا للنقائص التي تشوب دوما اختيار العينة³؛ فقد كان اختيارنا على عينة نمطية⁴ بمعنى أنها تتكون من نمط معين من الأشخاص المبحوثين، وهم الشباب المزابي المتمدرس من الذكور ومن مستويات دراسية متفاوتة جامعية وثانوية. وهي عينة مجالية تم سحبها من مجالات جغرافية محددة، وهي المدن المزابية السبعة. أما حجم العينة فهي اعتباطية تتكون من 90 مستجوبا. وتم تشكيل عينتنا بناء على ثلاثة مؤشرات ومتغير واحد على النحو التالي:

¹) Abdennacer GUEDJIBA, *La situation linguistique dans le massif central de l'Aurès (Etude sociolinguistique)*, Thèse de Doctorat en linguistique amazighe, F.L.L., DLCA, Université Mouloud Mammeri de Tizi Ouzou, S.D. Malika AHMED ZAID –CHERTOUK, 2011-2012, pp. 12,13, Annexes pp.2,8.

²) يقصد بالتمثيلية << أن تكون العينة المستخرجة تعكس بصفة وفية مجتمع البحث الذي أخذت منه >> وبفضل تحقيق هذا التمثيل نستطيع تحقيق التعميمية التي يقصد بها << تعميم النتائج المحصل عليها من الجزء على الكل >>. انظر: سعيد سبعون، الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع، دار القصة للنشر، الجزائر، 2012، ص. 136، 137.

³) Luc CAMPENHOUDT, Raymond QUIVY, *Manuel de recherche en sciences sociales*, DUNOD Editions, paris, 4^{ème} édition, 2011, p.168.

⁴) سعيد سبعون، نفس المرجع، ص. 142، 148.

(1) السن: بأن كان اختيارنا محصورا على الجيل الجديد من المولودين ما بين 1990 و2000، أي

البالغين 30 عاما على الأكثر. ذلك أن تقييم وضع اللغة ومدى قابليتها للاستمرار إنما يبنى أساسا على على توقع المستقبل بالإضافة إلى دراسة الحاضر. ولاشك أن استجواب الجيل الجديد يسمح لنا بتوقع مستقبل اللغة المزابية في آفاق الأربعين سنة القادمة من خلال تمثلاتهم وسلوكياتهم ومواقفهم منها.

(2) المستوى الدراسي: بتمثيل جمهور المتدرسين سواء في التعليم الرسمي أو الديني الحر ذوا

المستوى الدراسي الجامعي أو الثانوي. ذلك أن هؤلاء، بالإضافة إلى تمكنهم من الإجابة الكتابية على أسئلة الاستبيان، يحوزون على قسط من التعليم والثقافة والوعي الهوياتي، كما كان لأغلبهم معرفة بالمسألة الأمازيغية واحتكاك ما بالامازيغ الآخرين، عبر السفر والدراسة والانترنت، مما بلور لديهم مواقف وآراء حول المسألة الأمازيغية.

(3) الانتشار الجغرافي: بتمثيل المدن المزابية السبعة المشكلة لوادي مزاب بصفة متساوية، مع الأخذ

بعين الاعتبار لعدد السكان، فبالنسبة للمدن الخمس الكبرى، خصصنا 14 مستجوبا لكل منها، وللمدينتين الأقل سكانا، آت بنور وآت مليشت خصصنا 10 مستجوبا. وعليه شكلنا عينة اعتباطية للاستبيان من 90 مستجوبا يتوزعون بين المدن المزابية السبعة، كالتالي:

المدينة	عدد المستجوبين	الذكور	الإناث
تاغردايت	14	7	7
آت إزدجن	14	7	7
تادجنيث	14	7	7
قرارة	14	7	7
بريان	14	7	7
آت بنور	10	5	5
آت مليشت	10	5	5
المجموع	90	45	45

جدول (1) تشكيلة عينة الاستبيان

(4) الجنس: وهو المتغير الوحيد في دراستنا، بتمثيل الذكور والإناث بصفة متساوية أي 50 ٪ لكل

منهما. ويسمح هذا المتغير بدراسة الفروق الموجودة بين المجتمعين النسوي والرجالي. بسبب ما يكتسبه هذا التمييز من أهمية خاصة في المجتمع المزابي الذي يقوم على الفصل شبه التام بين المجتمعين، ولاختلاف المسار الحياتي والوظيفة الاجتماعية لكل منهما. إذ يهدف تربية البنت المزابية وتعليمها أساسا لتكوين ربة أسرة ناجحة داخل البيت، خلافا للرجل الذي يوجه إلى حقل العمل. هذه القاعدة التقليدية جعلت من المرأة الأكثر محافظة على الإرث اللغوي الأمازيغي والديني، بينما يبقى المجتمع الرجالي المزابي أكثر عرضة إلى التأثيرات اللغوية والثقافية الأجنبية بحكم احتكاكه اليومي بالغير بواسطة التجارة والدراسة والعمل. مع اننا اخذنا بالاعتبار بمتغير الجنس عند فرزنا الاحصائي للإجابات في بعض الاسئلة الهامة دون غيرها، طالما أن دراستنا لا تدخل في اطار ثنائية ذكور-إناث بقدر ما تحاول رسم تصور حول التوجهات العامة للجنسين حول اللغة المزابية.

ونظرا لوجود متغيرين في نموذج استبياننا، كان اختيارنا على الجدول التقاطعي البسيط لقراءة الاستبيان واستخلاص النتائج، بحيث يكون المتغير المستقل أفقيا والمتغير التابع عموديا، كالتالي:¹

- المتغير المستقل (أفقيا): الجنس، بحيث يتم التمييز بين الذكور والإناث.
- المتغير التابع (عموديا): ويتضمن أسئلة الاستبيان حول السلوك والتمثلات والممارسات اللغوية. كالتالي:

السؤال \ الجنس	الذكور	الإناث	المجموع
الجواب الأول	%	%	%
الجواب الثاني	%	%	%
من دون إجابة	%	%	%
المجموع	%	%	%

جدول (2) متغير الجنس في الاستبيان

وأخيرا كملنا استبياننا بجملة من اللقاءات مع أهم شعراء اللغة المزابية، لإثراء معلوماتنا حول السياقات الاجتماعية والتاريخية السياسية لتطور الشعر المزابي الحديث، ودور الشعر المزابي في حيوية

⁽¹⁾ سعيد سبعون، الدليل المنهجي ...، ص. 207 وما بعدها.

اللغة المزابية والوعي الاثنو-لساني للجماعة المزابية، بسبب انعدام البحوث والدراسات حول مسيرة هؤلاء الشعراء والأثر اللغوي والاجتماعي لإبداعاتهم الشعرية.

وحاولنا في صياغة الاستبيان، تفادي الأخطاء والهفوات المنهجية التي تكتنف سبر الآراء الذي قام به الأستاذ آرن كريشنر في بحثه السالف الذكر، وأهمها ما يلي:¹

- لا يمكن فهم الوضع السوسيو-لساني للغة ما، ووضع تصنيف لها من حيث الحيوية بناء على استبيان محدود كهذا بكل ما تشوبه من نقائص من حيث صياغة الأسئلة وانجازها الميداني. بل يتطلب الامر معرفة معمقة للمجتمع المبحوث وثقافته وتاريخه، أو على الأقل معاشته وملاحظته الطويلة عن قرب.

- انه استعمل نفس استبيان الباحث اللغوي كواكنبوش (1986) Quakenbush الذي استخدمه لتقييم لغات الأقلية في الفلبين والمتكون من 25 سؤال. ورغم اعترافه بأن <<السياق في الفلبين يختلف تماما>> فإنه حاول ضبطه-كما قال-مع وضع وادي مزاب.ومن نافلة القول أن أي استبيان إنما يأتي استجابة للوضع الخاص بكل لغة، ولا يقبل منهجيا استخدام نفس الاستبيان لدراسة لغات يختلف وضعها السوسيو-لساني جذريا.

- أغلب الأسئلة غير ملائمة لوضع اللغة المزابية، إذ لا فائدة -مثلا - لباحث يعرف الوضع المزابي- من إجراء سبر للآراء لمعرفة هل المزابيون يتكلمون باللغة المزابية أم لا، وما هي اللغة المستعملة في المنزل، الخ. كما نجد أغلب الأسئلة تدور حول تقييم مستوى اللغة المزابية بالنسبة للناطقين. ونعتقد أن هذه المسألة إنما تدرس بالنسبة للغات النمطة المهيئة التي لها مرجعية نحوية ولفظية تسمح بالقياس عليها، إذ لا بد من الاعتماد على لغة مرجعية مثبتة لتقييم مستوى المتكلم وفقها.

- لم يأخذ الباحث-باعترافه- بعين الاعتبار المستوى الدراسي للمستجوبين، مع أن لهذا العامل أهمية كبيرة في تحديد موقف الناطقين وسلوكهم اللغوي بالنسبة للمجتمع المزابي.

- إن دراسة الوضع السوسيو-لساني لأي لغة وتصنيفها من حيث الحيوية يتطلب الإحاطة بكافة العوامل المحيطة بها (الاجتماعية الثقافية الدينية، الخ)، باعتبار اللغة مؤسسة إجتماعية. وهنا نلاحظ تسرع الباحث في تصنيف اللغة المزابية بناء على معطيات هزيلة جمعها بواسطة استبيان محدود.

¹) Arne Kirchner, ETAT ACTUEL DE LA LANGUE MOZABITE: RÉSULTATS D'UN SONDAGE, cf. www.MzabHouse.com

ثالثا: البحث التوثيقي

استعملنا البحث التوثيقي في دراستنا السوسيو-لسانية التطبيقية ولجمع مختلف المعطيات المتعلقة بالوضع السوسيو-لساني للغة المزابية، وذلك على الرغم من النقص الكبير للمراجع إن لم نقل انعدامها، كما سيأتي بيانه في معوقات البحث. أما في بحثنا التوثيقي لجمع مدونة الشعر المزابي وترصد تطوره التاريخي، فقد أفادتنا الدراسات الاثنوقرافية الاستعمارية لتتبع الشعر المزابي القديم أين وجدنا قسما هاما منه مدونا في مختلف الأعمال. وننوه بالخصوص بالبحوث القيمة التي قام بها الأب جون دولور Jean DELHEURE منذ النصف الأول من القرن العشرين والتي دَوَّن فيها الكثير من الأشعار المزابية القديمة. وبفضل هذه الأعمال تم نقل هذه الأشعار الشفوية إلى المكتوب وإنقاذها بذلك من الضياع المحقق. وللأسف الشديد لم نتمكن من تدوين الأشعار الشفوية القديمة التي كانت متداولة حتى سنوات الستينيات والسبعينيات، قبل ان تندثر بمجرد وفاة الأشخاص الحافظين لها بسبب عدم تدوينها. فكيف تتشكل مدونة الشعر المزابي التي اعتمدنا عليها في دراستنا؟

الفرع الرابع: مدونة الشعر المزابي

تعتمد دراستنا على مدونة من الشعر المزابي تتشكل من قسمين:

-**الشعر المزابي القديم:** ويشمل مجموعة من القصائد الغنائية التراثية والأهازيج المتداولة حتى اليوم في المناسبات الاجتماعية المختلفة، والتي تعود إلى فترة غير معروفة وتناقلتها الأجيال أبا عن جد؛ وقد تم تدوين أغلبها من قبل الباحثين الأوروبيين في الفترة الاستعمارية في إطار تدوين الأدب الشعبي الجزائري خدمة للسياسة الاستعمارية التي تقوم على معرفة العادات الشفوية للشعوب المستعمرة¹. ونتمثل أهم أعمال هؤلاء فيما يلي :

1- المؤلفات الاثنوغرافية للأب جون دولور Jean DELHEURE ولاسيما مؤلفيه القيمين الموسومين :

Iwalen d tmeğga n'At MZAB "أقوال وأفعال بني مزاب" (1986) ، ومؤلفه مع آلان

¹ (عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دراسة لأشكال الأداء في الفنون التعبيرية الشعبية في الجزائر، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص.15.

مادلين Alain MADLEIN « *Le travail de la laine à Ghardaïa* » "صناعة الصوف في غرداية" (1979)، كما سيأتي بيانها.

2- مؤلف الباحثة آن ماري قواشون حول الحياة النسوية في وادي مزاب بالفرنسية الموسوم « الحياة النسوية بوادي مزاب، دراسة في السوسيولوجية الإسلامية » (1927) .

3- ما جمعه الباحث جون ماري داليه Jean Marie DALLET من أشعار منشورة في دورية الوثائق والأرشيف البربري¹. ورغم أقلية هذه الأشعار إلا أنها تكتسي أهمية بالغة باعتبارها من بقايا الأهازيج النسوية المندثرة.

ونلاحظ بأسف شديد قلة ما دون من الشعر المزابي الامازيغي التراثي القديم، خلافا لما هو موجود بالمناطق الامازيغية الأخرى أين يوجد حتى اليوم شعر شفوي غير مدون وشعراء شفويون لم يجرّدوا شعرهم. إذ لم يبق في وادي مزاب من الشعر الامازيغي الشفوي إلا القليل جدا يحفظه بعض الخاصة من المسنين في كتمان. ويعود ذلك أساسا إلى الوضع اللغوي المتميز للمجتمع المزابي أين حظي الشعر الديني باللغة العربية بميزة الكتابة منذ القرون الأولى من إنشاء المدن المزابية، بينما بقي الشعر الامازيغي إلى وقت متأخر جدا في طابعه الشفوي الدوني فأدى ذلك إلى ضياع جزء كبير منه.

-**الشعر المزابي الحديث:** ويتمثل في أربعة دواوين شعرية للشاعرين المعروفين: عبد الوهاب حمو فخار، وصالح ترشين. وتعود إلى الفترة الممتدة ما بين 1975 و1995. ويمثل هذين الشاعرين وجهين معروفين للشعر الامازيغي بمنطقة مزاب، معترف بمركزهما وإبداعاتهما من قبل المجتمع المزابي. لذلك كان اعتماد دراستنا أساسا على الدواوين الأربع التي أنتجها وهي:

- الأعمال الشعرية لعبد الوهاب حمو فخار: إمطاون نلفرح "دموع الفرح"، (1984).¹، إمطاون ازوقاغن "الدموع الحمراء"، (1990).² . تايّدت ن وغلان "سنبلة مزاب"، وهي مسرحية شعرية باللغة المزابية (1994).³

¹ ينظر على الخصوص:

- Jean Marie DALLET, « Chants de tisseuses », in *Fond et Documentation Berbère*, N°18, 1947 ; et N° 24, 1948.
- Jean Marie DALLET, « l'ers », in *Fond et Documentation Berbère*, N°10, 1947.

- ديوان صالح ترشين، أول-إنو "قلبي"، قصائد بالمزابية مترجمة إلى العربية والفرنسية (1994)⁴.
- أدرجنا في مدونتنا بعض المقتطفات من الشعر الغنائي الذي كان له دورا كبيرا في الوعي الاثني-لساني بالهوية الامازيغية جمعناها من مصادر مختلفة، مثل أشعار عمر عادل مزاب ، وداودي عمر.⁵ وعمر بوسعدة⁶ والشيخ بلحاج سليمان وجابر بليدي، الخ.

الفرع الخامس: تعريف بعض المصطلحات الأساسية

لكون دراسة حياة وموت اللغات الذي يسميه البعض la linguistique de préservation⁷ ويمكن ترجمته ب"لسانيات المحافظة"؛ حقلا جديدا في السوسيو-لسانيات المعاصرة، فإن منظومته المفاهيمية والاصطلاحية لم يكتمل انجازها بعد ، كما لم تتجز مجموعة مصطلحات دقيقة ومتفق عليها حول الموضوع ومناهج البحث فيه.⁸ وعليه فقد استعملنا أهم المفاهيم والمصطلحات المتداولة انطلاقا من أدبيات اليونسكو والمعاجم اللغوية المعروفة، وأهمها ما يلي:

¹ عبد الوهاب حمو فخار، إمطاون نلفرح "دموع الفرح"، من تراثنا الشعبي الجزائري، الحلقة الاولى، المطبعة العربية، غرداية، 1984.

² عبد الوهاب حمو فخار، إمطاون ازوقاغن، imettawen izeggayen، غرداية، 1990.

³ عبد الوهاب حمو فخار، تايدرت ن وغلان "سنبله ميزاب"، تسنايت س زلوا نس تومزابت "مسرحية شعرية باللغة المزابية"، غرداية، 1994.

⁴ صالح ترشين، أول-إنو "قلبي - mon coeur"، قصائد بالمزابية مترجمة إلى العربية والفرنسية، تر. مصطفى بن بكير حمودة، عبد الله بن صالح وينتن، المطبعة العربية، 1994.

⁵ اعتمدنا على الأرشيف الغنائي للمكتبة الغنائية (الفونيتاك) للقناة الإذاعية الامازيغية الثانية، 2001، الجزائر العاصمة .

⁶ عمر ن سليمان بوسعدة، احوف ن وغلان، أناشيد ميزابية مختارة من التراث لألمع الشعراء والمنشدين، 2006.

⁷ Luisa Maffi, « Langues menacées, savoirs en péril », op.cit.

⁸ Crystal, D. 2000. *Language Death*, Cambridge, Cambridge University Press.

أولاً: اللغة المزابية La langue mozabite

دون الخوض في اشكالية وحدة وتعدد الامازيغية، نعتقد انطلاقاً من تجربتنا البحثية في الماجستير ان المزابية هي لغة ضمن مجموعة من اللغات الامازيغية التي تتحدر من اصل واحد لكن تتفاوت درجة التفاهم بين ناطقيها ، وعليه نقادى استخدام مصطلح "اللهجة/المتغيرة/التنوع".

ثانياً: الحيوية اللغوية vitalité linguistique

ظهر هذا المصطلح منذ الستينيات لوصف اللغات التي تحافظ على حيويتها وقوتها، بينما يستعمل لويس جون كالفي مرادف آخر لحيوية اللغة وهو مصطلح "وزن" اللغة le poids de la langue للدلالة على قوتها الديمغرافية الاقتصادية والتكنولوجية¹. ويبقى السوسيو-لسانيون مختلفون حول العامل الحاسم الذي يجعل من لغة ما "لغة تتمتع بالحيوية"، كما بيناه في الفرع الثاني.

- الإثنية l'ethnie ويقصد بها في السوسيو-لسانيات الجماعة من الأفراد التي يشترك أعضاؤها فيما بينهم في أصل جغرافي وثقافي واحد. غير أن هذا المصطلح يرتبط بقوة بمصطلح الهوية اللغوية *Identité linguistique* ، إذ أن الكثير من الجماعات «تربط ربطاً كاملاً بين هويتها ولغتها ، بحيث تعتبر لغتها، وفي نفس الوقت تقاليدها الثقافية والدينية، الأرضية التي تميزها كجماعة²» (ترجمتنا)

- الحيوية الاثنو-لسانية vitalité ethnolinguistique : ونتج هذا المصطلح من الربط بين الحيوية اللغوية والجماعة اللغوية. ويعرف أنه « مجموعة من العوامل التي تسمح لأي جماعة اثنو-لغوية أن تتصرف كجماعة متميزة وناشطة. »³ (ترجمتنا)، وهي دعم أساسي للمحافظة اللغوية *préservation linguistique*، أي قدرة أي لغة المحافظة على نفسها بالإضافة إلى تمتعها بمركز أساسي في الجماعة، وحيازتها لشبكة اجتماعية تعمل على نشرها⁴. وقد أسلفنا ذكر العوامل التي تقوم عليها

¹) Louis-Jean Calvet, Poids des langues et « prospectives » :essai d'application au français l'espagnole et au portugais, dans *Synergies, Brésil n° spécial 1*, 2010, pp.43 et s.

²) Toussaint Y. Tchitchi, Art. « Ethnie », in Marie-Louise MOREAU, *La sociolinguistique*, p.142.

³) Michel Blanc, Art. « préservation linguistique », in Marie-Louise MOREAU, *La sociolinguistique*, pp.232,233.

⁴) *idem*. p.232.

الحيوية الاثنو-لسانية وسبب اختيارنا للسلم التقييمي لمنظمة اليونسكو. ويميز البعض بين نوعين من
الحيوية الاثنو-لسانية ¹:

(أ) **الحيوية الاثنو-لسانية الموضوعية** *vitalité ethnolinguistique objective*: وهي التي ترتبط بعوامل موضوعية مثل العامل الديمغرافي، ومجالات توسع اللغة واستعمالاتها، والسياسة اللغوية للدولة تجاهه، الخ.

(ب) **الحيوية الاثنو-لسانية الذاتية** *vitalité ethnolinguistique subjective* : وتقاس حسب الوعي اللغوي للناطقين ومواقفهم وسلوكياتهم اللغوية.

ثالثا: الهوية اللغوية *Identité linguistique*

يرتبط مفهوم الهوية اللغوية بمفهوم "الجماعة اللغوية" *La communauté linguistique* بحيث أن الانتماء السوسيو-لغوي للفرد يتحدد حسب انتمائه الطبقي، الاثني، سنه وجنسه، أو مستوى تعليمه، الخ. غير أن هذا المصطلح يستخدم أكثر لتحديد انتماء الشخص إلى جماعة معينة في منطقة متعددة الإثنيات واللغات بحيث أن استعمال لغة معينة من طرف الشخص يسمح للمستمعين له بتحديد انتمائه الاثني ². بمعنى أن اللغة عنصر أساسي لتحديد هوية الجماعة. وهذا هو المفهوم الذي نقصده في استخدامنا لهذا المصطلح.

رابعا: الجماعة اللغوية *La communauté linguistique*

هي الجماعة من الأفراد الذين يتواصلون بواسطة لغة مشتركة. لكن غالبا ما يرتبط هؤلاء بروابط جغرافية ومؤسسات اجتماعية هي التي تجعل منهم طائفة لغوية مشتركة. و بالتالي فإن للعامل الاجتماعي دورا حاسما في تكوين هذه الجماعة. ³

¹) Eliisa SAKSING, *L'attitude linguistique des jeunes français de 24 à 26 ans*, Mémoire de licence, S.D. Anna Ayanoglou et Martin EHALA, Université de TARTU, Faculté de Philosophie, Département d'études romanes, 2014, p. 8.

²) Salikoko Mufwene, Art. « Identité », in, Marie-Louise MOREAU, *La sociolinguistique*, pp.160, 161.

³) Daniel Baggioni, Marie-Louise Moreau, Didier de Robillard, Art. « Communauté linguistique », in Marie-Louise MOREAU, *op.cit.*, pp.88, 89.

خامسا: موت اللغة La mort d'une langue

توصف اللغة بالميتة لما ينتهي استخدامها. وحسب لويس جون كالفلي فإن اللغة تندثر بثلاث طرق هي:¹

-عن طريق التحول: عندما تموت اللغة الأصل وتتبقى منها مجموعة من اللغات واللهجات، مثل اللاتينية التي تفرعت منها الفرنسية والإيطالية والإسبانية.

-عن طريق الانقراض: عندما يموت كل الناطقين بلغة ما دون بقاء أي خلف لهم .

-عن طريق الاستبدال: حين يستبدل الناطقون لغتهم المغلوبة بلغة غالبية. وقد يكون الاستبدال بالتناوب عندما يقتصر على جيل من الأجيال (الشباب مثلا)، وقد يكون الاستبدال بالامتصاص حين تذوب اللغة المغلوبة ذوبانا كاملا وتدرجيا وبطيئا في اللغة الغالبة.

غير أن موت اللغة هي آخر درجات اندثارها ، حيث وضع خبراء منظمة اليونسكو سلما تدرجيا لموت اللغة يتكون من 7 مستويات وهي:² لغة آمنة، لغة مترعزعة، لغة في حالة خطر، لغة في حالة خطر شديد، لغة منازعة (آيلة للاندثار)، لغة منقرضة.

سادسا: الازدواجية اللغوية Diglossie

يقصد بهذا المصطلح المشتق من الكلمة اليونانية diglotos "الثنائي اللغة"، كما أسس له السوسيولساني الأمريكي شارل فيكسون Charles A. Ferguson سنة 1959³: تعايش متغيرتين لغويتين أو أكثر من نفس اللغة في مجتمع ما، بحيث تستخدم في مجالات ووظائف مختلفة ومتكاملة، وذلك في وضعية صراع بحيث تكون اللغة الأولى من درجة راقية باعتبارها لغة السلطة والمؤسسات والآداب والكتابة، بينما تكون اللغة الثانية لغة العامة والشارع ومجالات الحياة العادية غير الرسمية للفئات الشعبية الأمية. غير أن فيشمان A . Fishman وسع من مفهوم المصطلح منذ 1967 ليعني حالة الاستخدام

¹ لويس جون كالفلي، ترجمة د. حسن حمزة، مراجعة د. سلام بزي حمزة، حرب اللغات والسياسات اللغوية، المنظمة العربية للترجمة، 2005، ص. 204، 205.

² (اليونسكو، حيوية اللغات وتعرضها للاندثار، مرجع سابق.

³ Charles A. Ferguson, « Diglossia ». Word 15, 1959, p. 325-340.

التكاملي للغتين مختلفتين أو أكثر -ليس بالضرورة من نفس الأصل- بشكل منظم وقار.¹ وهذا المفهوم الأخير هو الذي نتبناه لتحليل الازدواجية اللغوية بين اللغة المزابية واللغة العربية الفصحى والدارجة.

ونحن إذ نتعرض للازدواجية اللغوية باعتبارها ظاهرة جماعية وليست فردية وهو ما يسمى بالازدواجية اللغوية الجماعية، فإننا نتناولها من منظور ماكروسوسيو-لساني² بالاعتماد على استبياننا.

سابعا: الشعر المزابي izelwan

نقصد بالشعر المزابي - كما يدل عليه المصطلح في اللغة المزابية - كل أنواع الشعر المنتج باللغة المزابية . وهو نوعان :

-**الأهازيج المزابية القديمة:** وتتمثل حصرا في الأهازيج النسوية التراثية التي يجهل مؤلفيها، والمتبقية إلى اليوم بعد اندثار محتمل لقسم كبير من الشعر الامازيغي بفعل الشفوية؛ أو بالأحرى مجموعة الأشعار التراثية التي تتناقلها الاجيال شفويا، والتي تم تدوين بعضها من طرف الكتاب الفرنسيين. وهي في اغلبها أشعار غنائية تراثية ترتبط بالحن امازيغية الإيقاع تتشابه وتتقارب مع الأهازيج السائدة بمنطقة القبائل؛

-**الشعر المزابي الحديث:** وهو الشعر الذي ظهر اقلبه منذ السبعينيات، ونحن نركز دراستنا على ما أنتجه الشاعران عبد الوهاب حمو فخار وصالح ترشين ونشراه في دواوين مطبوعة. ويرجع هذا الشعر وهو شعر رجالي في غالبيته المطلقة، إلى حوالي خمسة عقود وهو أكثر تطورا وازدهارا إن من حيث البناء الأدبي أو المواضيع؛ وأدرجنا في هذا المسمى الشعر المزابي الغنائي الحديث الذي نشأ وتطور مع تطور الأغنية المزابية بنوعها الانشادي والموسيقي. ويتكون هذا الشعر من قسمين: قسم معتبر من الشعر الذي نظمه الشعراء ثم أدائه في شكل إنشادي أو موسيقي، وقسم آخر وضعه المغنون حسب مقتضيات اللحن، وهو أحيانا ليس في مستوى الشعر المكتوب من حيث البناء والإيقاع والقافية ومع ذلك اعتبرناه من الشعر.

¹) J.F.Hamers,M.Blanc, *Bilinguïté et bilinguisme*, Pierre Mardaga Éditeur, Bruxelles, 2^{ème} édition, 1983, pp.238,239.

²)Idem , pp.31,34.

الفرع السادس: معوقات البحث

يمكن تصنيف أهم المعوقات التي واجهت دراستنا إلى شقين:

- **المعوقات المادية:** وتتمثل في النقص الحاد في المراجع المتعلقة بموضوع بحثنا الذي يعد من المواضيع المستجدة في الحقل البحثي الأكاديمي، سواء في شقه الأول المتعلق بحيوية اللغات أو في شقه الثاني حول اللغة المزابية. بحيث نسجل ضآلة المراجع حول موضوع حيوية اللغات في بلدنا لانعدام الاهتمام به، لاسيما أمهات الكتب والدراسات الذي قام بها السوسيولسانيون الانقلساكسونيون باللغة الانكليزية ، لكون هذه المسألة من اهتمامات الدول التي تعترف بالتعددية اللغوية وبالطوائف السوسيو-لسانية communautés linguistiques، وتشكل فيها مسائل التعددية اللغوية واللغات المحلية والأصيلة الضعيفة اكبر اهتمامات السوسيو-لسانيات مثل كندا والولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا؛ وهي غير متوفرة في المكتبات الجامعية في الجزائر ذات التقاليد الأكاديمية الفرنسية المبنية على النموذج اليقوي للدولة الأمة والأحادية اللغوية unicité linguistique، وأين تقل فيها الدراسات والاهتمام باللغات المحلية والأقلية وتتجاهل فيها اللسانيات هذه المسألة لحساسيتها السياسية. كما لم نتمكن من الاطلاع على الأعمال الاصلية لمجموعة خبراء اليونسكو حول اللغات المهددة بالاندثار¹.

ومن جهة أخرى عانينا من انعدام الدراسات حول التاريخ الثقافي لوادي مزاب التي يمكن أن تفيدنا في دراستنا لانجاز تصور حول الوضع السوسيو- لساني للغة المزابية وتطوره، وكذا نقص كبير في المراجع والبحوث حول الشعر المزابي إن استثنينا بعض الأعمال التدوينية للكتاب الفرنسيين. وبالطبع لم نتمكن كل هذه المعوقات عن المضي في دراستنا التي نأمل أن تكون فاتحة لأعمال بحثية أخرى.

- **المعوقات المنهجية:** وتتمثل أولها في عدم تخصصنا في علم الاجتماع طالما أن لدراستنا بالإضافة إلى الشق اللساني، شقا سوسيوولوجيا يتطلب التمكن من المعرفة السوسيوولوجية والتحكم في أساليب التحليل السوسيوولوجي للظاهرة اللغوية. ومن جهة أخرى فإن أهم ما يشوب دراستنا هو قدم سلم اليونسكو لحيوية

¹ انظر: مجموعة خبراء لليونسكو ، **حيوية اللغات وتعرضها للاندثار**، المرجع السابق، ص.21. وعددهم عشرة خبراء سوسيو-لسانيون يمثلون مختلف القارات كان اغلب انتاجهم باللغة الانكليزية. ولم نجد ضاللتنا في مكتبة تمثيلية لليونسكو في الجزائر. إذ لم نتلق أي رد منها بعد مراسلتنا العديدة لها وفقا لطلب مسؤولتها منا ذلك سنة 2015.

اللغات الذي اعتمدنا عليه، بمدة 17 سنة (2003) وعدم تحيينه من طرف اليونسكو، مع أن هناك تطورا كبيرا في حركية اللغات وظهور عوامل جديدة وقوية ترتبط خاصة بالثورة الالكترونية والاتصالات.

كما واجهتنا مصاعب تتعلق بالاستبيان: فبعد أن وزعنا 120 استمارة تشمل جيلين: جيل الشباب وجيل الكهول، واجهتنا صعوبة كبيرة في توزيعها واستردادها بسبب الظروف الأمنية الخطيرة التي كان يمر بها وادي مزاب (2013-2015)، فقررنا إعادة العينة وحصرها عدديا بـ 90 استبيان، وفئوا في فئة الشباب المتمدرسين مناصفة بين الجنسين. ومن جهة أخرى لاحظنا بعد جمع الأجوبة، عدم ملائمة بعض الأسئلة التي كان بالإمكان صياغتها بشكل أفضل ليفهمها المستجوب، كالسؤال 1-2 و 3-1 حول استعمال اللغة المزابية بحضور غير المزابين، حيث كان الجواب بالإجماع: "اللغة العربية الدارجة حتى يفهم الآخرون"، بينما كان الأجدر بالأحرى استعمال تعبير "مع وجود أجانب بجانبك" و"هل تشعر بالحرج؟" لقياس درجة إيمان الناطق بلغته الأم وعدم تحرجه في النطق بها. ولاحظنا أيضا عدم إجابة عدد معتبر من المستجوبين على بعض الأسئلة التي تمس بالحساسيات الدينية مثل مدى تهديد اللغة العربية الفصحى (لغة القراء) للغة المزابية، ومسألة تعليم اللغة المزابية للعرب المتساكنين بغرداية وتعليمها بالمدارس الدينية، الخ؛ كما يصعب فهم خطابات بعض المستجوبين الفضفاضة والعامة والمختصرة جدا، التي لا تعكس حقيقة تمثلاتهم وسلوكياتهم اللغوية الفعلية بقدر ما تعبر عن الخطاب الجمعي، مما يعيق تحديد السلوك اللغوي الحقيقي للناطقين باللغة المزابية.

وتفسّر هذه المواقف المتحفظة بكون المسألة الامازيغية بوادي مزاب ظلت إلى وقت قريب من الطابوهات التي تثير الحساسيات، لارتباطها بإعادة النظر في هيمنة اللغة العربية لغة الدين من جهة، وبالعلاقات مع السكان العرب من جهة أخرى. كما أن بحثنا الميداني تم في ظروف الاضطرابات الطائفية الخطيرة التي ضربت منطقة وادي مزاب ما بين 2013-2015 ، والتي أدت بفعل الدعاية السياسية إلى التباس في مصطلح "الامازيغية"، بسبب إلصاق تهمة "الانفصالية" و"الطائفية" على مناضلي الامازيغية.

وعلى المستوى المنهجي، تدل هذه التجربة البحثية أن تقنية المحادثة المباشرة technique de l'entretien direct مع المستجوبين هي أفضل للباحث في مثل هذا السياق لجمع المعطيات اللازمة، لما توفره من الراحة للمستجوبين وتمكن الباحث من التكيف مع شخصية كل منهم لانتزاع آرائهم بشكل سهل وسريع، لاسيما في المجتمعات المتماسكة مثل المجتمع المزابي بسبب ضيق مجال حرية الرأي وسواد القنوات الجمعية.

الفصل الأول

حيوية اللغة المزابية في محكّ

معايير منظمة اليونسكو

إن قياس حيوية لغة ما واستمراريتها يرتبط بمدى توفرها على جملة من المعايير والمؤشرات التي حددها خبراء السوسيو-لسانية، بناء على دراسة تاريخ اللغات وتجاربها المختلفة في تاريخ البشرية . بحيث تبين أن انعدام هذه العوامل¹ كان سببا في ضعف ثم موت واندثار الكثير من اللغات في القرون والعقود السابقة بمختلف مناطق العالم. لكن في ظل عدم الإجماع على العوامل الحاسمة لحياة وموت اللغات بسبب اختلاف الظروف الاجتماعية المادية والتاريخية لكل لغة ومحيطها، يبقى النظام التقييمي لمنظمة اليونسكو -كما بيّناه في الإطار المنهجي- أهم نظام لتقييم حيوية اللغات واستمرارها ومدى تهديدها بالاندثار، مادام يمثل حوصلة أعمال الدراسات والبحوث السابقة حول الموضوع. فكيف نقيّم درجة الحيوية الاثنو-لسانية للغة المزابية في محكّ هذا النظام التقييمي الدولي من حيث العوامل الداخلية والخارجية ؟ .

في محاولتنا للإجابة على هذا التساؤل اقتضت ضرورة توازن المنهجية والتبويب تصنيف العوامل التسعة التي يقوم عليها هذا النظام في مجموعتين:

- **العوامل المتعلقة بخصائص اللغة المزابية واستخداماتها:** وتتعلق بالخصائص الذاتية الداخلية للغة من حيث درجة تدوين وتوثيق اللغة وتوفير المواد البيداغوجية لتدريسها، ومدى اقتحامها للمجالات الجديدة (المبحث الأول)
- **العوامل المتعلقة بالناطقين وبالسياسة اللغوية والمحيط المؤسسي:** وتتعلق بالمحيط الخارجي للغة من حيث عدد الناطقين بها، وسلوكهم اللغوي ومدى انتقالها بين الأجيال، والسياسات اللغوية الحكومية وسلوك المؤسسات الرسمية (المبحث الثاني).

ونبين توزيع العوامل التسعة في خطة هذا الفصل لدراسة درجة حيوية اللغة المزابية، مقارنة بترتيبها السلمي في تقييم اليونسكو حسب الجدول التالي:

(1) نستعمل مصطلح "العامل" facteur لكونه أكثر دلالة في رأينا من مصطلح المؤشر indice الذي يعني الدليل.

ترتيب اليونسكو لهذه العوامل	توزيعنا للعوامل التسعة لليونسكو في خطتنا
العامل التاسع	المبحث الأول: العوامل المتعلقة باللغة واستخداماتها المطلب الأول: نوع توثيق اللغة المزابية وجودته
العامل السادس	المطلب الثاني: مدى توفر مواد التدريس المتعلقة باللغة المزابية ومحو الأمية
العامل الرابع والخامس	المطلب الثالث: مجالات استخدام اللغة المزابية ومدى توسعه إلى مجالات ووسائل الإعلام الجديدة
العامل الأول والثاني والثالث	المبحث الثاني: العوامل المتعلقة بالناطقين وبالمحيط المطلب الأول: انتقال اللغة المزابية عبر الأجيال وعدد الناطقين بها ونسبتهم
العامل الثامن	المطلب الثاني: السلوك اللغوي للناطقين باللغة المزابية حيال لغتهم
العامل السابع	المطلب الثالث: السياسات اللغوية الحكومية وسلوك المؤسسات الرسمية

الجدول (3) ترتيب عوامل حيوية اللغات في خطة الدراسة

ويجب إثارة الانتباه إلى أن ترتيب هذه المعايير من قبل خبراء اليونسكو إنما تم بشكل هرمي حسب الأهمية والأولوية، بحيث تمثل العوامل الثلاثة الأولى المتعلقة بانتقال اللغة بين الأجيال والجانب الديمغرافي أهمية قصوى في بقاء وحيوية اللغات مقارنة بالعوامل الأخيرة المتعلقة بسلوك الناطقين حيال لغتهم والسياسة اللغوية للدولة؛¹ وعليه فلا بد أن يأخذ في الاعتبار تقييمنا لوضع اللغة المزابية لهذا المعطى المنهجي. ومن جهة أخرى فإن دراستنا في هذا الفصل، إن كانت تهدف إلى قياس درجة حيوية اللغة المزابية ومدى تعرضها للاندثار وفقا لمعايير اليونسكو، فهي تسعى أيضا إلى فحص مدى قوة هذه المعايير بالنسبة لوضع اللغة المزابية أمام معايير أخرى خاصة بوضع اللغة المزابية لا تقل أهمية وحسما في بقائها أو اندثارها.

¹) Augusto CARLI, "Pour une mise à jour du concept de vitalité linguistique", Université de Modena, Italie, in www.AUGUSTO_CARLI_relu2.2012.pdf ; p.5.

المبحث الأول: حيوية اللغة المزابية وفقا للعوامل المتعلقة بخصائص اللغة واستخداماتها

تشكل العوامل الداخلية للتقييم والمتعلقة بدرجة تطور اللغة من حيث التدوين والتدريس ومجالات استخدامها، نقاط ضعف واضحة للغة المزابية التي تعاني من رداءة التوثيق وضآلته الكبيرة مقارنة برصيد الشفوي، بسبب النقص الهائل لاهتمام الجماعة المزابية بتدوين لغتها وتركيز جهودها على تدوين التراث الديني الاباضي (المطلب الأول)؛ كما يلاحظ شبه انعدام للمواد البيداغوجية العلمية اللغوية لتدريسها بسبب الغياب شبه التام لتدريسها (المطلب الثاني) على الرغم من التوسع المعتبر لاستخداماتها في السياقات والمجالات الجديدة (المطلب الثالث). غير أن السؤال الجوهرى الذي نحاول الإجابة عليه يكمن في دراسة طبيعة هذا الضعف ونوعه، وتحديد درجته ومدى خطورته على وضع اللغة المزابية على ضوء النظام التقييمي لليونسكو.

المطلب الأول: نوع التوثيق وجودته

إذا كان الكلام *la parole* قد يفنى ويندثر فإن اللغة *la langue* يمكن أن تبقى وتخلد لتصل إلى الأجيال اللاحقة بفضل التدوين باعتباره العامل الوحيد الذي يحفظها من الاندثار بعد زوال النطق بها. فالعديد من لغات العالم اندثرت منذ مئات السنين ولم تعد مستعملة مثل السومارية والقبطية والصينية الكونفوشيوسية ولغات آسيا القديمة، الخ لكن تم حفظها بفضل كتابة آدابها وفكرها في الصخور والتمائيل والأضرحة، مما سمح ببناء نظامها النحوي والحفاظ على رصيدها الفكرى اللغوي الثقافى المتبقى كتراث للإنسانية.¹

وفضلا عن كون التدوين يضمن بقاء اللغة والحفاظ عليها، فإن انتقال لغة ما إلى الكتابة يسمح لها بتميط وتثبيت قواعدها لتصل إلى مرتبة اللغات العلمية المنمطة والمدرسّة التي تنتج أدبا راقيا يشكل رصيда لغويا وثقافيا لها. وعليه فإن عامل نوعية التوثيق وجودته يُقيّم بناء على مدى توفر اللغة على نصوص مكتوبة وقواميس شاملة وتسجيلات ومواد سمعية-بصرية ومؤلفات ادبية ولغوية تساعد اللغويين على البحث اللغوي. ففي أي درجة يمكن تصنيف اللغة المزابية وفق هذا المعيار التقييمي لليونسكو؟.

¹) Claude HEGEGE, «Une langue disparaît tous les quinze jours», op.cit., Cf. [http://www.lexpress.fr/informations/une-langue-disparait-tous-les-quinze-jours_640290.html]

في الواقع لم يهتم المزابيون بعد تشكلهم كجماعة اثنو-لسانية ودينية في بداية القرن الحادي عشر بوادي مزاب بتدوين لغتهم الامازيغية، بالرغم من وجود تقاليد في كتابة الامازيغية عند اسلافهم إبان الدولة الرستمية وبعدها مثل العقيدة الاباضية التي بقيت في التداول حتى القرن الرابع عشر، كما سيأتي بيانه؛ بينما انصب اهتمامهم على تدوين فكرهم الديني والفقه الاباضي باللغة العربية بهدف إثبات الذات ومواجهة خصومهم المذهبيين في ظل الصراع المذهبي السياسي الذي ميز المغرب الأوسط في تلك الفترة. وترتب عن ذلك إنتاج غزير في العلوم الدينية باللغة العربية أغلبته حول القضايا الدينية الجدلية الخلافية،¹ بحيث كان المزابيون ولا يزالون يرون في ذلك وسيلة للحفاظ على مذهبهم وتثبيتته في مواجهة إدعاءات مذهب الأغلبية المهيمن الذي يعتبرهم "فرقة ضالة" ويقصيه من "أهل الجماعة"؛ بينما لم يشعر المزابيون بالحاجة إلى تدوين اللغة المزابية التي بقيت -رغم ذلك- حية وقوية بشفويتها وارتباطها بهويتهم الاثنو-لسانية والمذهبية.

وبغض النظر عن بقايا بعض النصوص الدينية الاباضية الامازيغية القديمة، فإن تدوين اللغة المزابية لم يظهر إلا منذ حوالي قرن ونصف وذلك بصفة جزئية وغير شاملة بفضل جهود بعض الكتاب الفرنسيين، ثم ما لبث أن تطور على يد بعض الباحثين المزابيين في العشريات الأخيرة (الفرع الأول). ويتميز الجانب الموثق للغة المزابية بنوعية متوسطة وحتى رديئة لا ترقى إلى الشمولية والامتنياز العلمي مقارنة بالمتنوعات الامازيغية الأخرى مثل القبائلية (الفرع الثاني).

الفرع الأول: مسار انتقال اللغة المزابية إلى التدوين

إن كان تدوين اللغة المزابية بدأ بشكل معتبر بالتزامن مع تدوين مختلف التنوعات الامازيغية على أيدي الكتاب الفرنسيين في الفترة الاستعمارية، فإن الفكرة السائدة حول الطابع الشفوي المحض للغة الامازيغية تبقى نسبية، حيث ثبت وجود عدة وثائق وكتابات باللغة الامازيغية إضافة إلى الكتابات الصخرية الكثيرة التي تعود إلى ما قبل التاريخ. وإذا تتبعنا تاريخ المزابيين وجدنا ذكر مؤلفات بالامازيغية إبان الدولة الرستمية وما بعدها (أولا) غير أن التدوين الفعلي للغة المزابية لم ينطلق إلا إبان الفترة

¹ يضم وادي مزاب مكتبات عائلية كثيرة تحتوي على آلاف المخطوطات من تأليف المشايخ الاباضية حول مختلف العلوم الدينية مثل العقيدة والفقه والمواريث، إلخ.

الاستعمارية على يد الباحثين الفرنسيين (ثانياً)، ليستمر مسار التدوين هذا بعد الاستقلال بشكل بطيء على أيدي أبناء اللغة المزابية (ثالثاً).

أولاً: التدوين الضئيل للغة المزابية قبل الفترة الاستعمارية

(أ) تدوين اللغة الامازيغية إبان الدولة الرستمية

من الصعب الجزم بكون اللغة المزابية الحالية هي نفس اللغة الامازيغية التي كانت سائدة في الدولة الرستمية الاباضية الزناتية (من 777 إلى 909م) والتي يفترض انحدار اغلبية بنو مزاب منها، وذلك بسبب عدم وصول مدونات للغة الرستميين إلينا تسمح لنا بالمقارنة اللغوية. لكن احتمال ذلك شبه مؤكد بسبب المسار التاريخي لتكوّن الجماعة المزابية من الرعايا السابقين للدولة الرستمية الاباضية، كما ان الفترة التي تفصل سقوط تيهرت عن تأسيس أولى المدن المزابية وهي تادجنيبت سنة 1012 هي فترة قصيرة نسبياً لا تتجاوز القرن من الزمن، وهي لا تؤثر بشكل كبير في تطور اللغات بشكل كبير. ويؤكد هذا الافتراض الدراسة المقارنة التي قام بها المتمزغ الايطالي برونياتيلي Brugnattelli بين لهجات انفوسة وجربة ومزاب، من خلال قصيدة امازيغية في العقيدة الاباضية المغربية، أين وجد تقارباً بين هذه اللهجات بما يمكن أن يشكل لغة أدبية مشتركة une koinè كانت >> تستعمل على الخصوص من طرف رجال الدين لإنجاز المؤلفات الموجهة للتداول داخل الجماعة الدينية [الاباضية] الشمال افريقية >> (ترجمتها).¹ كما يؤكد التقارب اللهجي الملحوظ حتى اليوم بين تنوعات مزاب وجربة ونفوسة وسهولة التفاهم بين ناطقيها.

وعلى الرغم من أن اللغة العربية كانت هي لغة الإدارة والنخبة الدينية الحاكمة في الدولة الرستمية ، فإن عامة الشعب الرستمي كان امازيغياً لا يفهم غير الامازيغية، بل إن اللغة الامازيغية عرفت انتقالاً واضحاً إلى الكتابة في تيهرت إبان القرن التاسع بفضل الاستقرار والتسامح، وكانت لغة غالبية الشعب العظمى وحتى كبار القوم وعمال الولايات. ولا أدل على ذلك أن الأئمة الرستميين أنفسهم كانوا يلجئون إلى ترجمة قراراتهم حتى يفهمها أغلبية عامة الشعب وحتى عمال الولايات البعيدة الحديثي العهد باللغة العربية. كما وُجد شعراء امازيغيون كبار لهم دواوين مكتوبة مثل الشاعر أبا سهل النفوسي نجل الإمام أفلق الذي وضع دواوين شعرية مشهورة في رثاء الدولة الرستمية بعد سقوطها، والشاعرة زيديت بنت عبد

¹) Vermondo BRUGNATELLI, « D'une langue de contact entre berbères ibadites », in *Berbère en contact, Etudes en linguistique et sociolinguistique*, RUDIGER KOPPE, VERLAG, KOLN, Germany, 2008, p.50.

الله من قبيلة ملوشة، والشاعرة منزو بنت عثمان من قبيلة مزاتة وكان أبوها أيضا شاعرا بالامازيغية، كما كتب الرستميون في الميادين الدينية مثل مؤلف مهدي النفوسي في الدفاع عن الاباضية في القرن التاسع، الخ.¹

وتدل هذه الشواهد على أن اللغة الامازيغية كانت قد انتقلت إبان الدولة الرستمية إلى مرحلة معتبرة من التدوين وبدأت تخرج من شفويتها، طالما أن التدوين هو وليد الحاجة والطلب الاجتماعي، إذ لولا وجود الحاجة إلى كتابة الامازيغية بسبب وجود القراء والمستنسخين لها لبقيت في شفويتها. ولولا سقوط الدولة الرستمية وما تلاه من حرق لمكتبات تيهرت وإتلاف كتب الاباضية التي تمجّد مذهبهم وحكمهم كما هو حال أغلب ما دوّن بالامازيغية آنذاك شعرا ونثرا كما رأينا، لانتقل إلينا شيئا من هذا الرصيد اللغوي الامازيغي المكتوب.

(ب) تدوين العقيدة الاباضية بالامازيغية خلال القرن العاشر

تعتبر العقيدة الاباضية - مرجع كل اباضية المغرب الكبير - أهم مثال للرصيد الامازيغي المدون من طرف الاباضية. ويعود تاريخها إلى القرن العاشر الميلادي أي مع نهاية الدولة الرستمية ونشئت رعاياها من قبائل زناتة في ربوع المغرب الأوسط.² إذ ورد في الفقرة الأولى من هذه العقيدة على لسان الشيخ أبي حفص عمرو بن جُمَيْع، مترجم هذه العقيدة وأحد مشايخ جبل نفوسة وجربة الامازيغيين أنها كانت مكتوبة "بالبربرية". حيث يقول:

>> فَإِنِّي وَجَدْتُ هَذِهِ النُّكْتَةَ مَنسُوخَةً بِالْبَرْبَرِيَّةِ، فِي تَوْحِيدِ خَالِقِ الْبَرِيَّةِ، فَسَأَلْنِي مَنْ لَا أَرُدُّ قَوْلَهُ، وَلَا أَجْهَلُ فَضْلَهُ، أَنْ أَنْقُلَهَا مِنْ لِسَانِ الْبَرْبَرِيَّةِ إِلَى لِسَانِ الْعَرَبِيَّةِ، لِيَبِينَ لَفْظُهَا، وَيَسْهَلَ عَلَى الْقَارِئِ حِفْظُهَا، فَأَجَبْتَهُ إِلَى مَا طَلَبَ، وَسَاعَفْتُهُ فِيمَا رَغِبَ، وَالْخَيْرُ فِي ذَلِكَ أَرَدْتُ... <<³

¹ انظر : ابراهيم بكير بحاز، الدولة الرستمية، 160-296هـ/777-909 م، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، منشورات آلفا، الجزائر، 2010، ص 406-416.

² انظر محاولة المستشرق البللوني دراسة هذه العقيدة وحيثيات ترجمتها:

A. de C. MOTYLINSKI, "L'Aqida des Abadhites", in Rec. De mémo. et de textes publiés en l'honneur du XIV congrès des orientalistes, par les professeurs de l'Ecole supérieur d'Alger, Alger, 1905, pp.505, 545.

³ أبي حفص عمرو بن جميع (حي مابين ق 7-8 هـ / 13-14)، عقيدة التوحيد، تح. عمر بن احمد بازين، المطبعة

العربية، غرداية، الطبعة الثالثة، 2003، ص.1

وفي الواقع تُشور عدة تساؤلات مُلحّة حول هذا الموضوع الهام الذي لم يحظ للأسف بالدراسة من قبل المؤرخين. وترجع الأهمية القصوى لهذا الموضوع إلى فقدان وثيقة لغوية قد يكون لبقائها تأثيرا كبيرا على الوضع السوسيو-لساني للغة المزابية، بالنظر إلى محتواها المقدس وتاريخها ورمزيتها كمرجع عقائدي لكل الامازيغ الإباضية بالمغرب الوسط :

- أول هذه التساؤلات تتعلق بهوية الشخص الذي طلب من الشيخ أبي عمرو جُميع القيام بهذه الترجمة، ومكانته السياسية والدينية وعلاقته به.
- وثانيهما حول الأسباب والدوافع التي كانت وراء ترجمة العقيدة الإباضية من الأمازيغية إلى العربية، مع أنها كانت متداولة لدى القبائل الزناتية الامازيغية الاباضية على الأقل لمدة ثلاث قرون من الزمن دون أن يطرح ذلك أي مشكلة¹. فإذا عرفنا أن تاريخ العقيدة الاباضية المدونة بالامازيغية يرجع إلى القرن العاشر، وأن ترجمتها من طرف الشيخ أبي حفص عمرو بن جُميع حدث في القرن الرابع عشر،² فإن ذلك يعني أنها قد بقيت في التداول لمدة اربع قرون إلى غاية ترجمتها إلى العربية، وهي فترة طويلة جدا في حياة الأمم والشعوب.
- أما التساؤل الثالث الأكثر إلحاحا وأهمية لنا، فيدور حول سبب عدم العثور على أي نسخة من النسخ الأمازيغية للعقيدة الإباضية التي كانت متداولة لمدة ثلاث قرون في المغرب الأوسط .

ففيما يخص التساؤل الأول فأغلب الظن -حسب سياق الكلام- أن الشيخ أبي عمرو جُميع إنما استجاب لطلب أحد كبار القوم من ذوي السلطة والنفوذ الديني أو السياسي ممن " لا يُرد قوله ولا يُجهل فضله". والاحتمال الأقرب كون هذا الشخص عالما دينيا يكرُّ له الاحترام أو حاكما يدين له بالولاء خوفا ورهبة. إذ المؤكد أن هذا الطلب لم يأت من عامة الشعب الامازيغي الذي كان أسهل عليه أن يحفظ عقيدته بلغته الأصلية الأقرب إلى وجدانه والأيسر للحفظ وهو ما حدث على ما يبدو لمدة ثلاثة قرون من الزمن.

أما التساؤل الثاني حول المبررات والأسباب التي جعلت هذا الشخص من ذوي السلطة والنفوذ على ما يبدو، يطلب من الشيخ ترجمة العقيدة الاباضية من الامازيغية بدعوى << ليبين لفظها، ويسهل على القارئ حفظها >> فإن الأقرب إلى المنطق أن العقيدة المكتوبة بالامازيغية تكون أكثر وضوحا وأيسر

¹ وذلك حسب النسخ التي وجدت لهذه الترجمة والتي تعود إلى تواريخ مختلفة تقع بين ما بين اواخر القرن 13 و أوائل

القرن 14 . انظر: ابي حفص عمرو بن جميع، عقيدة التوحيد، تج. عمر بن احمد بازين، ص.2، 1. ح، ط.

² نفس المرجع السابق، ص.ج.

للحفظ على الشعب الامازيغي آنذاك، وإن وُجد إشكال في هذا الصدد فإن الاحتمال الأقرب أن كتابتها لم تكن تستجيب لقواعد محددة أو لم تكن مشكّلة، مما صعب على بعض القراء من العامة حفظها وفهمها خاصة وأن الأمازيغ آنذاك كانوا قريبي العهد بكتابة لغتهم الأصلية المتميزة بالشفوية.

وفيما يتعلق بالتساؤل الثالث فمن المحتمل جدا أن كل النسخ الامازيغية للعقيدة الاباضية المتداولة آنذاك تم حرقها أو دفنها بأمر من هذا الشخص النافذ الذي يحوز على سلطة سياسية أو دينية قاهرة، وقد يكون ذلك إقتداء بما فعله عثمان بن عفان عند تدوين القرآن الكريم سنة 13/12 هـ. مع أن لهذا الاحتمال مآخذ من حيث أن الاباضية من بقايا الدولة الرستمية كانوا في القرن الرابع عشر متواجدين بمختلف الحواضر ببلاد زناتة الكبرى ولم توجد لهم دولة إباضية تجمعهم، وأن احتمال بقاء نسخ من هذه العقيدة في إحدى هذه الحواضر وارد جدا.

بالإضافة إلى العقيدة الاباضية تم العثور ضمن مخطوطات مدينة غرداية سنة 1913 على نصوص دينية إباضية باللغة الامازيغية بلغت 24 مقتطف يحتمل أن تكون من كتاب "مدونة ابن غانم الخرساني"، وهي إحدى المراجع الفقهية الاباضية، تناولها بالبحث المتمزغ البولوني تادوز لويكي ضمن مجموعة SMOGARZEWSKI سنة 1927¹، كما قام بدراستها اللسانية اللفظية الباحث الليبي محمد اومادي². كما توجد مخطوطات عديدة باللغة الامازيغية لجبل نفوسة بليبيا³ القريبة صوتيا ولفظيا من

¹) Ouahmi OULD BRAHAM, "Lecture des quelques textes berbères médiévaux. Extraits d'une chronique Ibadite" par T. LEWICKI, *Littérature arabo-berbère*, N° 18, 1987, pp. 87. 88.

²) محمد وُمادي، *مدونة ابي غانم (الفقه بالامازيغية)*، سلسلة دراسات نفوسية (3)، موقع مؤسسة تاوالت:

www.tawalt.com أو موقع: تاماتارت، مَعْلَمَة عن كل ما هو نفوسة 293p/?p=293 <http://www.tamatart.com>

³) مثال ذلك مؤلف ابراهيم اوسليمان الشماخي، "تغاسرا د بريدن د درارن نفوسن" (قصور وطرقات وجبال نفوسة)، طبع بمطبعة السيد جردان بالجزائر المحروسة سنة 1202؛ الذي وجدتُ نسخة منه بخزانة المخطوطات العائلية لجده الشيخ عمر اوسليمان نوح سنة 1988 من دون ترجمتها الفرنسية. وهو كتاب للوصف الجغرافي لجبل نفوسة الاباضية بليبيا، نشره المستشرق البولوني موتيلينسكي سنة 1885 الذي أشار إلى أن هذا الكتاب كتبه طالب من يفرن بطلب منه. حيث جاءت في مؤخرة الكتاب بيانات باللغة الفرنسية كالآتي:

Le Djbel Nefousa Relations, en tamazigh't de Djbel Nefousa. Composé par Brahim ousliman CHAMAKHI. Tleb d'Ifren, Textes publié par A. DE MOTYLINSKI, Interprète militaire au M'Zab, Adolphe Jourdan Editeur, Alger, 1885.

اللغة المزابية بفعل القرابة القبلية والانتساب المذهبي والتاريخي¹. ويبقى التساؤل حول مدى اعتبار هذه النصوص نصوصا مزابية ام بقايا للغة زناتية مشتركة كان ينطق بها الاباضيون في المغرب الأوسط .

ثانيا: مسار تدوين اللغة المزابية منذ العهد الاستعماري

(أ) البداية الفعلية للتدوين العلمي للغة المزابية في الفترة الاستعمارية

يمكن اعتبار أواخر القرن التاسع عشر البداية الفعلية لتدوين اللغة المزابية على أيدي الباحثين الفرنسيين من أمثال رينيه باسيه René BASSET سنة 1893، و اوقوست موليراس Auguste MOULIERAS سنة 1895، و ارنست فورليو GOURLIAU Ernest سنة 1898، إلخ كما سيأتي بيانه في الفرع الثاني عند تقييمنا لهذه الأعمال. إذ يعود الفضل لهؤلاء في إطلاق عملية تدوين اللغة المزابية عند محاولتهم لدراساتها واستكشاف قواعدها وألفاظها في إطار سياسة الاستكشاف الاستعمارية لجنوب الجزائر، كما سجلوا العديد من القصص الشعبية والأشعار التراثية والأمثال والحكم. وبذلك تعد أعمالهم ذات أهمية تاريخية لغوية كبيرة لما تتضمنه من رصيد لغوي شاهد على وضع اللغة المزابية في تلك الفترة.

(ب) مسار تدوين اللغة المزابية بعد الاستقلال على أيدي أبنائها ونشرها الواسع

باستثناء بعض الكتابات المحدودة، مثل الرسائل الشخصية وبعض العقود ، وكذا بعض الأشعار التي كتبت في الستينات من القرن العشرين كما سنرى؛ فإن اللغة المزابية لم تأخذ طريقها إلى التدوين من طرف أبنائها إلا في أواسط الثمانينيات بمؤلفات طبعت ووزعت على نطاق واسع بين الناطقين باللغة المزابية. واستمر ذلك بوتيرة بطيئة جدا مقارنة بالمتنوعات الامازيغية الأخرى مثل القبايلية في الجزائر وتمازيغت والشلحية في المغرب. وفي محاولتنا حوصلة ما دونه المزابيون من اللغة المزابية وآدابها وجدنا أن مجمل ما أنتج حول اللغة المزابية من طرف الناطقين بها في ثلاث عشرات منذ 1982 لا يتجاوز

¹ حسب علاقاتي وتوصلي مع اصدقاء من الناطقين بامازيغية جبل نفوسة لاحظت وجود تقارب كبير بين المزابية والنفوسية. ولعل ذلك يعود الى القرابة القبلية (نزوح العديد من العشائر والعائلات النفوسية إلى وادي مزاب اثر سقوط الدولة الرستمية في القرن 10) والانتماء المذهبي الاباضي (جبل نفوسة منطقة ناطقة بالامازيغية اباضية المذهب، وكانت عمالة تابعة للإمامة الرستمية).

العشر مؤلفات، في الشعر والنحو المزابي، نستعرضها باختصار حسب ظهورها التاريخي حتى نضعها في سياق تطور الوعي اللغوي لدى المزابيين منذ الثمانينيات:

فقد شهدت سنة 1982 ظهور أول كتيب مدون باللغة المزابية بعنوان **تزايدت لال أوّسان** "النخلة سيدة الزمان" لمجموعة من الباحثين بإشراف الحاج موسى عيسى سليمان، حول ألفاظ النخلة والأمثال التي قيلت حولها إضافة إلى قصيدتين حول النخلة باللغة المزابية. غير أن هذا العمل المخطوط والمحدود (20 صفحة) الذي وسم بـ "الحلقة الأولى" صدر بكميات قليلة جدا وبنوعية رديئة، ولم يعرف الانتشار كما لم تصدر منه منذ ذاك الحلقة الثانية¹. وعليه فإن الديوان الشعري باللغة المزابية الموسوم بـ **imeṭṭawen n lferḥ** "دموع الفرح" للشاعر المزابي عبد الوهاب حمو فخار الصادر سنة 1984 بغرداية، يعتبر أول مؤلف مطبوع نشر باللغة المزابية ينجزه أحد المزابيين في العصر الحديث، وأعقبه بعد ذلك ديوان **imeṭṭawen izeggwayen** "الدموع الحمراء" سنة 1990 بغرداية؛ فكان ذلك بمثابة انطلاقة للنشر الواسع باللغة المزابية مع تغير تمثّلات الكثير من المزابيين بأن أدركوا أن المزابية لغة كغيرها من اللغات لها قواعد ونحو، وهي تكتب ويمكن نشر كتب بها؛ بعد أن كانوا يترددون حتى بإعطائها وصف اللغة. وهو ما أكدّه المؤلف بقوله: >> عندما كنت طالبا جامعيا في السبعينيات وجدت دواوين شعرية بكل اللغات العربية، الفرنسية، القبائلية.... إلا اللغة المزابية، فكنت اطرح تساؤلات : لماذا لم نعط الأدب المزابي حقه؟ لماذا لا توجد كتب خاصة باللغة المزابية؟... <<²

وبفضل تطور الوعي بالقضية الامازيغية وتخفيف مضايقات الحزب الحاكم (جبهة التحرير) نتيجة الانفتاح الديمقراطي فقد كانت سنوات 1989 - 1990 انطلاقة واضحة لتدوين اللغة المزابية، وبحلول سنة 1994 صدر الديوان الشعري الثالث باللغة المزابية **ul-inu** "قلبي" للشاعر اليزقني صالح ترشين متضمنا 53 قصيدة حول مختلف الأغراض الشعرية، وهي مرتبطة غالبا بالاحداث الاجتماعية السياسية والثقافية التي شهدتها مزاب سنوات الثمانينيات وبداية التسعينيات. على اثر ذلك صدر سنة 1996 الكتاب الدراسي التعليمي الأول للغة المزابية الموسوم: **الوجيز في قواعد كتابة والنحو للغة الامازيغية "المزابية"** لمؤلفيه ابراهيم عبد السلام وبكير عبد السلام. وبعد توقف الإصدارات باللغة المزابية

¹ نخبة من الفتيان بإشراف الحاج موسى عيسى سليمان، تزايدت لال أوّسان - بحث خاص بالنخلة ومشتقاتها متركز أساسا على ما أملتّه البيئّة، الحلقة الأولى، مخبر إسفارن - آل يونس، غرداية، 1982.

² لقاء مع الشاعر عبد الوهاب حمو فخار ، غرداية بتاريخ 02 سبتمبر 2015.

حوالي عشرية كاملة، نشر الباحث العصامي محمد كحلعيو محاولته في النحو المزابي سنة 2006، بالتزامن مع عمل سليمان بكاي حول ألفاظ النخلة سنة 2006، تلاه القاموس الذي أنجزناه حول الألفاظ الامازيغية القبائلية المزابية المشتركة سنة 2007، تبعه القاموس المزابي الفرنسي للباحثان العصاميان نوح مفنون احمد وعبد السلام ابراهيم سنة 2012، وأخيرا الكتاب التعليمي "تسلسلت ن وورغ" للشاعر عبد الوهاب حمو فخار سنة 2015.¹

ومن جهة أخرى عرفت التسعينيات انطلاق مشاريع بحثية كبيرة لتدوين التراث اللغوي المزابي أدارها الباحث العصامي الأستاذ الحاج عبد الرحمان حواش مؤسس أكبر مكتبة أرشيف للوثائق والمؤلفات والبحوث المنجزة حول اللغة المزابية؛ مثل إنجازه دراسة حول النحو المزابي، وقاموس الألفاظ المزابية حول الصوف والمنسج التقليدي، وبحوثه المتعددة حول الرصيد اللفظي المزابي، الخ.² غير أن هذه الأعمال لم تنتشر حتى اليوم ليستفيد منها جمهور المستخدمين للغة المزابية فضلا عن الباحثين الأكاديميين والشعراء والمغنيين والمسرحيين. ولاشك إن تم طباعة هذه الأعمال البحثية في المستقبل فسوف يدعم الكتلة اللغوية المدونة للغة المزابية ويدعم من درجة حيويتها.

ومن حيث نطاق النشر للوثائق المدونة يمكن القول أن الإنتاج العلمي والأدبي باللغة المزابية عرف النشر الواسع لأول مرة في التاريخ منذ أواسط الثمانينيات بفضل الطباعة والوسائط السمعية البصرية، مما سمح بوصوله إلى الفئات الواسعة للمجتمع المزابي سواء من المتعلمين والجامعيين أو من المتوسطي الثقافة. ويدل على ذلك العدد المعتبر لعدد النسخ التي نشرت بها هذه الكتب، والتي تجاوز أغلبها الخمسة آلاف 5.000 نسخة. ومن حيث الحروف المستعملة في التدوين نشير إلى أن القسم الأكبر من اللغة المزابية تم تدوينه بالحروف اللاتينية من طرف الكتاب والباحثين الفرنسيين مما كان منفرا للمعربين لقراءته وتناوله؛ أما بالنسبة للمؤلفات الحديثة التي أنجزها المزابيون فنلاحظ عدم وجود تقليد ثابت للكتابة لديهم - مثلما هو الحال بالنسبة للقبائليين - ؛ حيث اختلفت الحروف التي تكتب بها اللغة المزابية لديهم،

¹ انظر استعراض وتقييم هذه المؤلفات والأعمال لاحقا في الفرع الثاني : "توعية الأعمال الموثقة والمؤلفات حول اللغة المزابية وباللغة المزابية".

² بدأ الحاج عبد الرحمان حواش الذي كان تاجرا بمدينة تيارت، مشواره في تكوين مكتبته منذ السبعينيات ، كما اهتم بعد ذلك وهو عصامي بالبحث اللغوي، فأنجز العديد من الأعمال حول اللغة المزابية مثل قاموس ألفاظ المنسج، والنحو المزابي، وأطلق مع مجموعة من الباحثين العصاميين مشروع القاموس المزابي الفرنسي، الخ

فمن جهة اختار أغلبية الشعراء المزابيين الحرف العربي لكتابة الدواوين الشعرية المزابية الأربعة التي صدرت في الثمانينيات والتسعينيات ؛ نجد أن أغلب الباحثين المزابيين الذين نشروا حتى الآن مؤلفات باللغة المزابية أو حول اللغة المزابية وتتعلق أغلبها بالمجال اللفظي، كان اختيارهم على الحرف اللاتيني مواصلة للإنتاج العلمي الموروث من المدرسة الفرنسية واقتداء بالتقليد السائد بمنطقة القبائل والمناطق الأمازيغية بالمغرب. وأغلب هؤلاء باحثون عصاميون مثل إبراهيم عبد السلام ونوح مفنون أحمد مؤلفا القاموس المزابي- الفرنسي الجديد ، وكحلعيو محمد مؤلف كتاب النحو المزابي، الخ. كما اخترنا بدورنا الحرف اللاتيني في مجمل أعمالنا لأسباب تقنية وعملية.¹ ولعل العاملين الباحثين الوحيدين الذين دوّنوا بالحرف العربي هو قاموس الفاظ النخلة لسليمان بكاي ودليل "إلسنغ" الذي أنجزه يوسف الواهج للحصص الإذاعية البحثية في اللغة المزابية للأستاذ الباحث عبد الرحمان حواش التي صدرت في أقراص لمساعدة عامة الناس على الاستفادة من هذه الأقراص.²

وبالرغم من ضآلة الإنتاج المدون باللغة المزابية، الذي يبقى متواضعا جدا وتبقى معه الدراسات اللسانية والأدبية حول اللغة المزابية شبه منعدمة، فإنه لا يخفى ما تمثله هذه الأعمال المنشورة من قوة للغة المزابية وحيويتها واستمرارها، من عدة نواحي:

- من حيث كون التدوين العصري الورقي والالكتروني وسيلة لا تضاهي للحفاظ على أي لغة والنشر الواسع لأدبها بين الناطقين بها؛
- من الناحية الرمزية بما يمثله التدوين من ارتقاء اللغة المزابية من مرحلة الشفوية إلى مستوى اللغة المكتوبة ولغة الثقافة النخبوية الراقية، التي يصدر بها دواوين شعرية موجهة إلى جمهور القراء من المتعلمين والمتقنين؛ بعد أن كانت إلى وقت قريب لغة الأميين من عامة الشعب بكل ما تحمله من الخصائص الدونية مثل ارتباطها بالمجتمع النسوي وخاصيتها الشفوية التي تحيل إلى الأمية والجهل والتخلف.
- من حيث العدد المعتبر للنسخ التي طبعت بها والتي سمح لها بالانتشار الواسع لدى الفئات المثقفة والمتعلمة من الجنسين، مما كان وسيلة هامة لدعم مكانة اللغة المزابية لديها.

⁽¹⁾ اخترنا الحرف اللاتيني في مختلف أعمالنا البيداغوجية العلمية كتدريس اللغة المزابية لطلبة قسم الثقافة واللغة الأمازيغية بجامعة مولود معمري منذ 1990 وانجاز مذكرة الماجستير التي ناقشناها سنة 2007، بالإضافة إلى أعمالنا العلمية المنشورة وغير المنشورة.

⁽²⁾ عبد الرحمن بن عيسى حواش، إلسنغ، لساننا، دليل الباحث في أقراص، إعداد: يوسف بن يحي الواهج، د.ن. 2010.

الفرع الثاني : نوعية الأعمال الموثقة والمؤلفات حول اللغة المزابية وباللغة المزابية

تشكو اللغة المزابية من قلة الدراسات والبحوث المنجزة حولها التي يعود أغلبها إلى الحقبة الاستعمارية، بالإضافة إلى المستوى المتوسط أو الضعيف لأغلب هذه الأعمال وعدم تحسينها وتحسينها. إذ تعد أغلب البحوث التي قام بها المتمزغون الفرنسيون مثل الأب جون دولور Jaune DELHEUR وجون ماري داليه Jaune Marie DALLET أعمال ابتدائية تدخل في إطار عملية التدوين الأولية الضرورية لكل لغة لإنقاذها من الاندثار، وبالتالي يجب أن تعقبها دراسات أكاديمية متخصصة معمقة لكل جانب من جوانب اللغة لاسيما: النظام الصوتي، والنظام النحوي التركيبي، الرصيد اللفظي، الخ. أما أبناء اللغة المزابية من الجامعيين واللغويين فلم يهتموا بالبحث في لغتهم إلا قليلا، ولم يتم مواصلة المشوار الذي بدأه هؤلاء الكتاب الفرنسيين كما هو الحال بالنسبة للغة القبائلية مثلا. إذ حسب الدراسة البيبليوغرافية المسحية للأستاذ سالم شاكرك حول الدراسات الامازيغية بشمال إفريقيا، فإن البحوث المنجزة حول اللغة المزابية مجتمعة (الفترة الاستعمارية وما بعدها) لا تتعدى 21 عمل بحثي فقط حتى سنة 1990، وهو ما لا يمثل سوى 1% من جملة الدراسات الامازيغية في شمال إفريقيا. والأمر لم يتغير بشكل ملحوظ إلى اليوم، بينما تمثل اللغة القبائلية 25% والتارقية 21% والشاوية 6%¹. ولبحث نوعية التدوين والتوثيق للغة المزابية نستعرض باختصار الدراسات اللسانية المتخصصة حول اللغة المزابية على قلتها (أولا) ثم تقييم البدء المحتشم لعملية نشر التراث اللغوي والأدبي المزابي باللغة المزابية (ثانيا).

أولا: الدراسات والبحوث حول اللغة المزابية

تشكل أعمال الكتاب الفرنسيين حول اللغة المزابية القسم الأكبر مما أنجز حولها حتى اليوم (أ) بينما لا تمثل الاعمال التي أنجزها الباحثون الناطقون بهذه اللغة إلا جزءا يسيرا جدا يعد على الأصابع (ب)

(أ) أعمال الكتاب الفرنسيين حول اللغة المزابية: ويمكن أن نصنفها إلى فئتين: أعمال لغوية نحوية ولفظية، وأعمال تدوينية للأدب المزابي، رغم أن بعضها تضمن بالإضافة إلى الدراسة اللغوية والأدبية نصوصا وبحوثا اثنوغرافية، نستعرضها في الآتي:

¹) Salem CHAKER, *Une décennie d'études berbères (1980-1990), bibliographie critique*, éditions BOUCHEN, 1992, pp. 14,15.

1. الأعمال اللغوية:

➤ **الدراسات النحوية :** يمكن اعتبار مؤلف الباحث اللغوي المتمزغ رينيه باسيه René BASSET¹ الصادر سنة 1893 بعنوان "دراسة حول زناتية مزاب، ورقلة ووادي أريغ" (ترجمة)، أول محاولة لاستكشاف اللغة المزابية نحواً وألفاظاً. هذا الكتاب هو حصيلة لمهمة بحثية كلفه بها الحاكم العام للجزائر ترمان TIRMAN سنة 1885 أي بعد ثلاث سنوات من احتلال وادي مزاب، لاستكشاف مآدُون باللغة المزابية بالجنوب الجزائري. ويتضمن هذا المؤلف دراسته مقارنة بين ثلاث متغيرات لهجية زناتية وهي المزابية والورقلية ومتغيرة وادي أريغ بالإضافة إلى نصوص مترجمة لهذه المتغيرات وقاموس مزابي- اماريغي-فرنسي.² وفي سنة 1895 اصدر الباحث الفرنسي اوقوست مولييراس³ Auguste MOULIERAS دراسة اثنوقرافية نحوية حول سكان مدينة بني يزقن، بعنوان: " (سكان)بني يزقن، محاولة حول لسانهم وعاداتهم الشعبية" (ترجمتها)، بحيث ضمّنها دراسة للهجة بني مدينة بني يزقن من حيث التراكيب والألفاظ إضافة إلى بعض التقييدات التاريخية والقصص باللغة المزابية مترجمة إلى الفرنسية.⁴ وفي سنة 1897 اصدر الباحث القبائلي أعر نور بن سي لونيس بمساعدة احد المزابيين موكا مسعود بن يحي كتاب النحو المزابي *Grammaire mozabite* ، وبعد سنة اصدر ارنست غورليو GOURLIAU Ernest سنة 1898 دراسته المقارنة القيّمة بعنوان : " النحو الكامل للغة المزابية، مقارنا في اقسامه الاساسية بلهجات القبائل والتاماشق" (ترجمتها) ، أين حاول بحث النظام النحوي المزابي مقارنا بالقبائلية والتاماشقت (إحدى متغيرات التارقية).⁵ وقد قام الأستاذ جون ماري داليه Jean Marie DALLET بمراجعة شاملة لهذا العمل وتصحيح الأخطاء الواردة فيه في عمل نشره سنة 1969 بعد إقامة زمنية بوادي مزاب سنة 1945.⁶

¹) أستاذ بالمدرسة العليا للآداب بالجزائر العاصمة وعضو بعدة مؤسسات علمية لاسيما مؤسسة اللسانيات بباريس.

²) René BASSET, *Etude sur la zenatia du M'zab, de Ouargla et de l'Oued Rir*, paris, Leroux, 1893.

³) وهو أستاذ بكلية اللغة والأدب العربي بوهان.

⁴) Auguste MOULIERAS, *Les Beni-Isquen (Mzab), essai sur leur dialecte et leurs traditions populaires*, Fouque, Oran, 1895.

⁵) Ernest GOURLIAU, *Grammaire complète de la langue mozabite, comparée dans ses parties essentielles aux dialectes kabyle et tamachek*, A. Jourdan, 1898.

⁶) Jean Marie DALLET, "Pour une vérification des notations berbères mozabites d'Ernest GOURLIAU (1898)", *Fichier de Documentation Berbère*, Fort-National, 1969.

واستمر مسار البحوث والدراسات النحوية الفرنسية حول اللغة المزابية بعد الاستقلال لكن بشكل قليل جدا من خلال أعمال جون ماري داليه Jean Marie DALLET وجون دولور Jean DELHEURE . حيث قام جون ماري داليه سنة 1970 بأول عمل تدويني لعدد هام من الأفعال المزابية مع تصنيفها في قاموس وفقا للتركيبية الجذرية كبدائية لدراسة النظام الصرفي المزابي.¹ ويعد هذا العمل إضافة إلى بحث الأب جون دولور Jean DELHEURE حول النظام الصرفي المزابي -الورقلي سنة 1989² المراجع الوحيدة حول الفعل المزابي حتى الآن.

ولم تكمل هذه الأعمال إلا في أواخر الثمانينات عندما اصدر الأب جون دولور Jean DELHEURE سنة 1989 بحثا بعنوان " دراسة حول اللغة المزابية"(ترجمتتا) قدّم فيه أهم عناصر النحو المزابي باعتباره دليلا مساعدا للمنجد المزابي - الفرنسي الذي أصدره سنة 1984.³

ويتميز الإنتاج البحثي الذي قام به الفرنسيون في إطار حملة الاستكشافات العلمية للدولة المُستعمَرة، في أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين، على الرغم من أهميته التاريخية واللسانية القصوى كلبنة أولى للبحوث اللغوية حول اللغة المزابية؛ بكونه دراسات ابتدائية وصفية تحاول تقديم النحو المزابي مثل النظام الصرفي والاسمي وأدوات الربط انطلاقا من النحو الفرنسي للقرن التاسع عشر؛ مما جعلها منتقدة وبعيدة من أن تقدم صورة واضحة للنظام النحوي التركيبي المزابي.

➤ **الدراسات اللفظية والقواميس:** حاول أغلب الباحثين الفرنسيين في دراستهم للنظام النحوي بحث النصوص المزابية التي جمعوها ووضع قواميس لألفاظ مزابية مترجمة إلى الفرنسية لا ترقى أن تشكل مناجد لغوية مكتملة لكنها تكتسي أهمية بالغة في الدراسة التاريخية للغة المزابية لكونها مدونات لفظية تشهد على حالة اللغة المزابية في تلك الفترات التاريخية البعيدة التي يصل

¹) Jean Marie DALLET, *Berbère de l'Oued Mzab : le verbe, glossaire, classification*, Fort National, FDB, 1970.

²) Jean DELHEURE, « systèmes verbaux ouaregli-mozabites », *Journées d'étude de linguistique berbère*, Paris, Publications Langues 'O, 1989, p.53-64.

³) Jean DELHEURE, ' ' étude sur le mozabite', *Etudes et Documentation Berbères*, n°6,1989, Fort National.

أقدمها إلى القرنين من الزمن. وقد تم انجاز ستة قواميس مزابية -فرنسية منذ بداية القرن التاسع عشر¹، إضافة إلى قاموس ظهر في بداية القرن العشرين. وتتمثل فيما يلي:

- قواميس شالير SHALER سنة 1830 ، وصامودا SAMUDA سنة 1840، وهودقسون HODGSON سنة 1844، ودوفيرييه DUVERRIER سنة 1858.

-قواميس رينيه باسيه René BASSET لسنة 1893، وأوقوست قورليو GOURLIAU لسنة 1898.

- قاموس بيارناي S. BIARNAY لسنة 1924² المستخرج من نص طويل باللغة المزابية مترجم إلى الفرنسية حول فلاح النخلة بوادي مزاب ومعارفها وتقنياتها التقليدية دونه بعد إقامة طويلة بمدينة بريان³. وجاء هذا القاموس المزابي -الفرنسي الهام الذي يحتوي على حوالي 900 مدخل لفظي ليكمل قاموس رينيه باسيه السالف الذكر.

ومنذ ظهور هذه القواميس الصغيرة في أواخر القرن التاسع عشر بما يشوبها من النقائص والأخطاء في تفسير الكلمات وكتابتها الصوتية، لم ينجز أي قاموس للغة المزابية إلى أواخر القرن العشرين، عندما أصدر الأب جون دولور سنة 1984 المنجد المزابي -الفرنسي الذي أنجزه تتويجا لأعماله السابقة في جمع المادة الأدبية والنحوية المزابية . هذا المنجد الموسوم -*ajraw n yiwalen tumzabt-tafransit* (مدونة الكلمات المزابية-الفرنسية)⁴ تضمن الألفاظ الواردة في مؤلفه الثاني الذي سيصدره سنة 1985 والموسوم : *iwalen d tmeğga n At Mzab* "كلمات ووقائع بني مزاب" . ويعتبر منجد الأب جون دولور أهم قاموس انجز من طرف الكتاب الفرنسيين. فبالإضافة إلى مادته اللغوية الثرية، فإن اللفظ يقدم في مختلف استعمالاته السياقية من خلال أمثلة باللغة المزابية. ويشهد ذلك على معرفة باللغة المزابية وتدقيق لغوي كبير للمؤلف بعد اقامته الطويلة بوادي مزاب. وتشكل هذه الأعمال القاموسية للباحثين الفرنسيين اللبنة الأولى التي تؤسس للدراسات اللفظية حول اللغة المزابية .

¹)René BASSET, *Etude sur la zenatia du M'zab, de Ouargla et de l'Oued Rir*, pp. 255 à 261.

²) S. BIARNAY, « Les dattiers dans l'Oasis de Berriane(Mzab)», in *Notes d'ethnographie et de Linguistique Nord Africaine*, Publiés par L Brunot et E Laoust, Editions Ernest Leroux, paris, 1924, pp. 165-265.

³) *Idem*, p. 167.

⁴)Jean DELHEUR, *ajraw n yiwalen tumzabt-tafransit/ Dictionnaire mozabite-français*, SELAF/Peeters, paris, 1984.

2. الأعمال التدوينية للأدب المزابي :

لم يتمكن الباحثون الفرنسيون في محاولاتهم لاستكشاف اللغة المزابية إلا تسجيل النسر القليل من الأدب المزابي الامازيغي الشفوي حسب ما توفر لهم من مصادر، بينما ضاع الكثير منه في مسار السنين. ومع ذلك يمثل ما دَوّن هؤلاء من الأساطير والقصص والأشعار القديمة رصيذا لغويا وأدبيا وتاريخيا وثقافيا هاما لأي دراسة حول اللغة والأدب والمجتمع والتاريخ المزابي. ويتمثل أهم ما تم تدوينه من الأدب المزابي من طرف الكتاب الفرنسيين، فيما يلي:

- تدوين ستة نصوص أدبية واثنوقرافية قديمة على يد الأستاذ رينيه باسيه Renet BASSET سنة 1890.¹
- تدوين جملة من القصص والأساطير المزابية القديمة على يد الأستاذ موليراس MOULIERAS سنة 1895 في دراسته المونوقرافية حول سكان بني يزقن.²
- تدوين جملة من الأساطير القديمة حول الأولياء والكرامات بوادي مزاب على يد لوبلون دو بريوا Le blanc DE PREBOIS سنة 1918،³ مع أن ذلك تم للأسف باللغة الفرنسية، إذ لو دَوّن الكاتب النص المزابي لشكّل ذلك مرجعا لغويا هاما في يومنا هذا.
- تدوين جملة من القصص المزابية القديمة من طرف الأستاذ جون ماري داليه Jean Marie Dallet في مؤلفه الصادر سنة 1965.⁴
- وفيما يتعلق بحياة المجتمع النسوي المزابي بصفة عامة وبالأدب النسوي بصفة خاصة تم تدوين قسم معتبر من الأهازيج والأشعار النسوية من طرف كل من قوفيون GOUVION في دراسته المونوقرافية الصادرة سنة 1926،⁵ والسيدة فوانشون GOICHON في بحثها حول الحياة النسوية بوادي مزاب الصادر سنة 1927،⁶ بينما دَوّن الأب جون دولور والسيدة آلان

¹) Renet BASSET, *Loqman berbère*, paris, 1890.

²) Auguste MOULIERAS, *Les Beni-Isquen (Mzab)*, op cit.

³) LEBLANC de PREBOIS, «Legends du Mzab », *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger*, 1918.

⁴) Jean Marie Dallet, *Récits du Mzab*, Fichier de Documentation Berbères , n° 61, 1965.

⁵) Marthe et Edmond GOUVION, *Le kharedjisme, monographie du Mzab*, Casablanca , 1926.

⁶) A.M.GOICHON, Préf. William MARCAIS, *La vie féminine au M'Zab, Etude de sociologie musulmane*, Librairie Orientaliste Paul GEUTHNER, paris, 1927.

- مادلين ALLAIN Madleine مجموعة من الأهازيج النسوية المزابية حول المنسج التقليدي في بحثهما القيم حول المنسج التقليدي للصوف بوادي مزاب الصادر سنة 1979.¹
- تدوين الأب جون دولور لنصوص مزابية قديمة تعود إلى النصف الثاني من القرن العشرين من أفواه أشخاص مسنين في كتابه القيم *iwalen d tmeğğa n At Mzab* (حكايات وأعمال بني مزاب) الصادر سنة 1985.² ويتضمن هذا الكتاب مجموعة كبيرة من النصوص الاثنوقرافية والأدبية المزابية المترجمة إلى الفرنسية ذات قيمة أدبية وتاريخية ولغوية كبيرة ما زالت تشكل رصيда لغويا هاما للبحث اللغوي التاريخي.
- تدوين بعض الأغاز المزابية القديمة من طرف بنطوليل BENTOLILA F بمساعدة الباحث الجامعي المزابي بهون علي حاج بكير، في إطار عمله حول الأغاز الامازيغية الصادر سنة 1986.³

(ب) المؤلفات والأعمال العلمية للباحثين المزابيين حول اللغة المزابية :

مما يثير الانتباه والتساؤل عدم اهتمام المزابيين بالدراسات اللغوية الجامعية الأكاديمية حول اللغة المزابية قدر اهتمامهم المفرط باللغة العربية التي أنجزوا حولها العديد من المؤلفات، كما يتبع المئات من الطلبة المزابيين دراسات جامعية حول اللغة العربية وآدابها بالإضافة إلى اللغات الأخرى، بينما لا يتجاوز عددهم أصابع اليد في الحقل الامازيغي رغم وجود هذا التخصص في الجامعة الجزائرية منذ بداية التسعينيات من القرن الماضي. ويرجع ذلك إلى عدة أسباب ذاتية وموضوعية أهمها عدم الشعور بالحاجة إلى دراسة اللغة المزابية التي تبقى في التمثلات الجمعية للمزابيين كـ "لهجة محلية" ولغة التخاطب الشعبي للعامة، وكذا المركز المتفوق الذي تتمتع به اللغة العربية لدى الوعي الجمعي للمزابيين مقارنة بمركز اللغة المزابية كما سوف نرى. إذ لم ينجز الباحثون المزابيون حول لغتهم حتى اليوم سوى عمليتين جامعيتين في اللسانيات الامازيغية بالإضافة إلى قاموسين للألفاظ المزابية. ويمكن استعراض أهم هذه المؤلفات والأعمال العلمية فيما يلي:

¹) Jean DELHEUR, ALLAIN Madleine, « Le travail de la laine à Ghardaia », *Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée*, 1979.

²) Jean DELHEUR, *Iwalen d tmeğğa n At Mzab/Faits et dits du Mzab*, SELAF/Peeters, paris, 1985.

³) BENTOLILA F.(Dir.), *Devinettes berbères*, Chap.IX, Bouhounali H.B, « Devinettes du Mzab », CILF, paris 1986.

1. الدراسات النحوية:

تفتقر اللغة المزابية إلى دراسات أكاديمية معمقة حول النظام الصوتي والنحوي التركيبي. أما البحوث المحتشمة التي صدرت حتى اليوم فإنها لا تعدو أن تكون محاولات قام بها غالبا بعض الباحثين العصاميين. وفي الواقع يمكن اعتبار أول دراسة مخصصة للنحو المزابي قام بها أمازيغ هي كتاب النحو المزابي *Grammaire mozabite* الصادر سنة 1897 لمؤلفه الباحث القبائلي أعمر بن سي لونيس ¹ Ameer Nour BEN Si LOUNIS بمساعدة احد المزابيين المقيمين بمدينة سطيف المسمى موكا مسعود بن يحي ² Moka Messaoud BENYAHIA. وينقسم هذا العمل إلى ثلاث اقسام : القسم الأول وهو الأكبر ويشمل تقديم لعناصر النحو المزابي مثل النظام الاسمي والفعلية وعناصر الربط والوصف، الخ على طريقة النحو الفرنسي، والقسم الثاني ويتضمن قائمة من الألفاظ المستعملة ومعانيها بالفرنسية مرتبة حسب الميادين، والقسم الثالث ويتضمن كتابا للمحادثة بالمزابية مع ترجمتها بالفرنسية *Manuel de conversation*. ويوضح المؤلف أعمر بن سي لونيس أنه يهدف بهذا العمل إلى تسهيل معرفة اللغة المزابية للباحثين اللسانيين (الفرنسيين) بسبب صعوبة تعلمها مباشرة من قبل المزابيين لعدم مساعدتهم للأجانب لتعلم لغتهم، كما يهدف إلى تسهيل مهمة التواصل لموظفي المكاتب العربية والكولون مع السكان المزابيين.³

ويمثل مؤلف الباحث ابراهيم عبد السلام ويكير عبد السلام السالف الذكر حول قواعد الكتابة والنحو للغة المزابية الصادر سنة 1996، رغم عدم استجابته للمقاييس البيداغوجية الأكاديمية المعروفة، أول عمل بيداغوجي تدريسي في هذا الصدد.⁴ إذ تكتسي أهمية هذا العمل الموجه للجمهور الواسع في كونه أول كتاب مدرسي لتعلم الكتابة والنحو المزابي. ومما سهل من انتشار هذا الكتاب لدى الفئات

⁽¹⁾ وهو مترجم قضائي من منطقة لاريجا ناث اراثن، متحصل على دبلوم الترجمة العربية القبائلية المزابية، كما تشير إلى ذلك الصفحة الأولى من الكتاب.

⁽²⁾ Ameer Nour BEN Si LOUNIS, Moka Messaoud BENYAHIA., *Grammaire mozabite*, Imprimerie Baldachino-Laronde-Viguer, 1897.

⁽³⁾ Idem, *Avant-propos*.

⁽⁴⁾ ابراهيم عبد السلام، ويكير عبد السلام، *الوجيز في قواعد الكتابة والنحو للغة الامازيغية "المزابية"*، المطبعة العربية، غرداية، 1996.

المزابية المعرّبة كونه اعتمد تدوين قواعد اللغة المزابية ونصوصها الأدبية بالأبجدية اللاتينية مع استعمال اللغة العربية لشرح قواعد الكتابة والنحو المزابي. بينما تضمن كتاب الباحث العصامي محمد كحلعي

Tajerṛumt n tmaziyt(tumḥabt) "النحو الامازيغي(المزابية) الصادر سنة 2006 بمدينة بني يزقن،¹ محاولة قدم فيها بشكل مختصر بعض عناصر من النحو المزابي مشروحة باللغة الفرنسية دون أي تناول بيداغوجي وتعليمي مما يجعلها مادة خام تحتاج إلى التناول البيداغوجي التعليمي.

2. الدراسات اللفظية والقواميس:

الملاحظ أن أهم الدراسات التي أنجزها الباحثون المزابيون حول اللغة المزابية حتى الآن تتعلق بالميدان اللفظي والقاموسي دون الميدان النحوي التركيبي، ودونت كلها بالحروف اللاتينية باستثناء عمل سليمان بكاي- استمرارا للتقليد السائد في الدراسات اللسانية المزابية منذ الفترة الاستعمارية. ويمكن أن نستعرضها في قسمين:

➤ القواميس والمناجد المزابية:

يمثل المنجد المزابي-الفرنسي Dictionnaire mozabite-français الصادر سنة 2012 للباحثين احمد نوح مفنون وابراهيم عبد السلام، أهم عمل مرجعي منشور في هذا الشأن. ويحتوي هذا القاموس الذي هو نتاج عشرية كاملة من البحث الميداني بمساعدة الباحث العصامي عبد الرحمان حواش على حوالي 8.000 مدخل لفظي². ويكتسي هذا العمل أهمية خاصة في تاريخ اللغة المزابية، فبالإضافة إلى كونه أول قاموس مزابي ينجزه مزابيون، فإنه يتضمن قسما كبيرا من الألفاظ المزابية القديمة المهدة بالاندثار التي تم انتشالها وبعثها ، مما يعد لبنة هامة في المحافظة على اللغة المزابية ودعم حيويتها.

بينما أنجز الباحث العصامي حواش عبد الرحمن عدة أعمال لفظية باللغة المزابية بعد عقود من البحث الميداني لم يكتب لها النشر بعد، أهمها قاموس ثري حول ألفاظ المنسج التقليدي وصناعة الصوف

¹) Mohamed KHALAINOU, *Tajerṛumt n tmaziyt(tumḥabt)*, Grammaire berbère, le mozabite, éditions El Furqan, imprimerie Afak, Beni- izguen, 2006.

²) Ahmed NOUH-MEFNOUN, Brahim ABDESSALAM, *Dictionnaire mozabite- français*, ENAG, 2011.

وما ينتج عنها من الألبسة الصوفية يتضمن 600 مفردة مزابية و100 مثل شعبي، بالإضافة إلى قاموس يتضمن 2.500 مثل شعبي مزابي لم يعد في التداول، الخ.¹ وفي مجال الدراسات اللفظية الامازيغية المقارنة نشرنا من جهتنا قاموسا للألفاظ الامازيغية المشتركة بين المزابية والقبائلية مترجمة إلى الفرنسية بعنوان *Amawal n teqbaylit d Tumzabt* "قاموس الألفاظ الامازيغية المشتركة بين القبائلية والمزابية" سنة 2007.² وهي مدونة تشمل 878 كلمة امازيغية مشتركة الجذور بين المتغيرتين وهي موضوع دراستنا المقارنة التي أنجزنا لرسالة للماجستير في اللسانيات الامازيغية.³ تبقى مرجعا للدراسات اللغوية المقارنة بين المتغيرات الامازيغية.

بالنسبة للقواميس المتخصصة، فبالإضافة إلى كتاب "تردايت لال وُسَّان" السالف الذكر الصادر سنة 1982 المتضمن بعض الألفاظ والأمثال حول النخلة والتمر؛ فقد أنجز الباحث العصامي سليمان بن سعيد بكاي وهو من الخبراء التقليديين في النخلة وتقسيم مياه الأمطار (لاومنا) ببني يزقن، بحثا قيما حول المجال اللفظي للنخلة والتمر باللغة المزابية والعربية سنة 2006، ضمّنه قاموسا لفظيا مزدوج اللغة للألفاظ المتعلقة بالنخلة والتمر والمنتجات المشتقة منها.⁴ ويرجع الفضل لهذين العاملين في توثيق جزء من الرصيد اللفظي للغة المزابية المتعلق بالميدان النخلة والتمر.

وساهمت هذه القواميس والأعمال التوثيقية، على قلتها، في تدوين جزء معتبر من الرصيد اللفظي للغة المزابية في كل ميادين الحياة الصناعية الفلاحية والعائلية، فأُنقذت بذلك آلاف الألفاظ والمفردات الامازيغية القديمة الغير مستعملة من الاندثار المحقق.

➤ البحوث والدراسات اللفظية الجامعية:

لم ينجز حول اللغة المزابية حتى اليوم إلا عملين جامعيين من طرف الطلبة المزابيين في إطار قسم الثقافة واللغة الامازيغية بجامعة مولود معمري بتيڤزي وزو. ويندرج موضوع هذين العاملين في الحقل اللفظي الامازيغي lexicologie berbère. وأول هذه الأعمال مذكرة الليسانس الطالب لعابب رشيد(مزابي من

¹ انظر اللقاء الذي أجرته مجلة *izmulen* (الرموز) مع الباحث سنة 2001 :

IZMULEN, Revue de l'association culturelle BERGAN, N° 1/2001, p.43.

²) Abdallah NOUH, *Amawal n teqbaylit d Tumzabt, Glossaire de vocabulaire commun au kabyle et au mozabite*, HCA, 2007.

³) *Idem*, p.5.

⁴ (سليمان بن سعيد بكاي، ألفاظ النخلة بالعربية والميزابية، المحافظة السامية للامازيغية، 2006. مشروع: Maghreb Date
، Plam Project(RAB 98/G31) – HCA

قرارة) وبولمة شافية (قبائلية) نوقشت سنة 2002 حول ظاهرة الابتكار اللفظي في النشرة المزابية المتلفزة؛¹ تتبعها رسالة الماجستير التي ناقشناها سنة 2007 وهي دراسة لفظية مقارنة للألفاظ الامازيغية المشتركة بين المزابية والقبائلية.² بينما لم يكتب لرسالة ماجستير للطالب يحي مجاهد حول النظام الصرفي المزابي أن ترى النور.³

وفي مجال الابتكار اللفظي نشرت لجنة البحث حول اللغة المزابية التي شكلها الحاج عبد الرحمان حواش، حصيلة أعمالها البحثية حول ابتكار المفردات المزابية الجديدة التي انطلقت منذ 1990، وذلك بمجلة *Awal* لسنة 1994.⁴ ويبقى هذا العمل مع مذكرة الليسانس للعاب رشيد الانجازين الوحيدين اللذين ظهرا حتى اليوم حول موضوع الابتكار اللفظي في اللغة المزابية.

3. الدراسات اللغوية الأدبية:

باستثناء أعمال الجرد والتدوين التي أنجزها الكتاب والباحثون الفرنسيون للأدب المزابي منذ القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، لم ينجز الباحثون الجامعيون المزابيون أي عمل لغوي أكاديمي حول هذا الأدب، مع أن المئات من البحوث الجامعية كمذكرات ورسائل التخرج تم انجازها من طرف الجامعيين الناطقين باللغة المزابية حول اللغة العربية واللغات الأخرى. هذا الواقع يحيلنا مرة أخرى إلى التمثلات والسلوكيات اللغوية للمزابيين حول لغتهم مقارنة باللغات العربية والفرنسية.

¹ Rachid LAIB, Chafia BOULMA, *Tumzabt face à la modernité, Etude lexicale du journal télévisé en Tmazighte (tumzabt)*. Mémoire de licence, Option : linguistique, soutenu Le 22-10-2002. Département de Langue et Culture Amazigh, Université Mouloud MAMMERI, Tizi Ouzou.

² Abdallah NOUH, *Le vocabulaire berbère commun au Kabyle et au mozabite*, op. cit.

³ Yahia MEDJAHED, *Le système verbal mozabite*, S.D. Salem CHAKER.(manuscrit).

⁴ Abderrahman u Aissa HOUACHE et al., « De quelques créations lexicales à partir des racines berbères en usage dans le sud algérien », *Awal*, n° 11, 1994. pp.137-148.

ثانيا: المؤلفات والمدونات باللغة المزابية

من اللافت للانتباه أن اغلب المؤلفات التي أنجزت باللغة المزابية حتى اليوم هي دواوين شعرية موجهة إلى عامة القراء المزابيين أغلبها مدون بالحروف العربية¹، بينما دونت البحوث اللغوية المزابية كما رأينا بالحروف اللاتينية (أ). كما تتوفر اللغة المزابي على رصيد سمعي-بصري أصبح يزداد يوما بعد يوم محفوظ أغلبه في الإذاعة والتلفزة الوطنية والشركات السمعية البصرية الخاصة(ب)بالإضافة إلى مسار رقمنة اغلب الدراسات اللغوية حول المزابية الذي بدأ يأخذ طريقه للاستعمال (ج).

(أ) المؤلفات المنشورة: تتمثل أهم المؤلفات المنشورة باللغة المزابية حسب ظهورها التاريخي فيما يلي:

- كتيب بعنوان "تزدايت لال أوّسان" النخلة سيّدة الزمان" لمجموعة من الباحثين بإشراف الحاج موسى عيسى سليمان صدر سنة 1982. ويتضمن هذا العمل الموجز قاموسا معتبرا للألفاظ المزابية حول النخلة والمشتقات المستخرجة منها، والأمثال والحكم المزابية التي قيلت حولها كما يحوي على قصيدتين حول النخلة باللغة المزابية.² غير أن هذا العمل المتميز بطباعة رديئة لم يحظ إلا بنشر محدود جدا في نطاق مدينة غرداية.
- الإنجيل مترجما باللغة المزابية، وصادر في تاريخ غير معروف يحتمل ان يكون في الثمانينيات بمدينة غرداية.³
- إمطاون نلفرح، "دموع الفرح" لعبد الوهاب حمو فخار، وصادر بغرداية سنة 1984. وهو أول مؤلف في تاريخ وادي مزاب يطبع باللغة المزابية من تأليف شخص مزابي. ويتضمن مجموعة قصائد تتناول مختلف المواضيع أغلبها يتمحور حول الوضع الاجتماعي والديني لوادي مزاب في سنوات السبعينيات وأوائل الثمانينيات من القرن العشرين. وتنقسم هذه المجموعة إلى خمسة أقسام هي: الاجتماع، التاريخ والمناسبات بثمانية قصائد لكل منهما، والطبيعيات بأربع قصائد.

¹ تم إعادة تدوين بعض هذه الأعمال بالحروف اللاتينية مثل ديوان صالح ترشين UL-INU, (mon cœur), ANEP, 2003، وذلك بهدف تبليغها الى القراء في المناطق الأخرى التي يسود فيها الحرف اللاتيني مثل منطقة القبائل.

² نخبة من الفتيان بإشراف الحاج موسى عيسى سليمان، تزدايت لال أوّسان-بحث خاص، مرجع سابق.

³ St-MARTIN, St-Luc MARC, St-JEAN, Le nouveau testament, Traduit en langue mozabite, S.Ed., S.D. cf. [http://al-injil.net/fr/en-mzab-tumzabt/]

- **امطاون ازوقاغن** لنفس الشاعر وصدر بغرداية سنة 1990. وهي قصيدة مزابية طويلة يغلب عليها الطابع النقدي والسياسي من إلهام الأحداث الدامية التي عرفت غرداية سنة 1985 وما تلاها، كما يتبين من خلالها تأثير جو الحريات الديمقراطية التي عرفت الجزائر إبان هذه الفترة المتميزة بالتعددية السياسية وممارسة الحريات.
- مجلتان طلابيتان تهتمان بالامازيغية لغة وثقافة وقضية، من انجاز الطلبة الجامعيين المزابيين بالعاصمة، هما : مجلة *tifawt* "الضياء" ظهرت سنة 1989 لمجموعة طلبة مزابيين من مناضلي القضية الامازيغية بجامعة باب الزوار بالعاصمة، وكانت تصدر وتوزع بصفة شبه سرية وصدرت منها ثلاث أعداد؛ ومجلة *izuran n weylan* "جذور الوطن" وهي لسان حال جمعية تحمل نفس الاسم تأسست بالعاصمة سنة 1990 وصدر منها عدنان.¹ هاتان المجلتان تحسيسيتان ولا تحتويان إلا على بعض النصوص باللغة المزابية وحول اللغة المزابية وتراثها.
- **تايدرت ن وغلان** "سنبله ميزاب" للشاعر عبد الوهاب حمو فخار وصدر بغرداية سنة 1994. وهو مسرحية شعرية باللغة المزابية انجزها الشاعر لتلميذاته في مدرسة الإصلاح الدينية في إطار مادة الأدب المزابي الذي يدرّسه منذ السبعينيات .
- **أول-إنو،"قلبي"** لصالح ترشين وصدر ببني يزقن سنة 1994. وهو مجموعة شعرية باللغة المزابية مترجمة إلى العربية والفرنسية. هذا الديوان الهام لا يزال يشكل إلى جانب ديواني عبد الوهاب حمو فخار معجما لغويا هاما ورصيда أدبيا ولسانيا معتبرا للغة المزابية مازالا يعدان مرجعا لكل دارس للغة المزابية وآدابها، إلى درجة يمكن معها القول أن هذان العملان أدخلتا اللغة المزابية في مسار التدوين نظرا لمضمونهما اللفظي والثقافي الهام.
- **أحوف ن وغلان،"اناشيد مزاب"** لعمر ن سليمان بوسعدة ،وصدر بغرداية سنة 2006. وهي اناشيد مزابية شعبية معروفة لمختلف الشعراء والمنشدين تتداول في الاعراس والمناسبات الاحتفالية.

¹ كنت شخصا رئيسا لهذه الجمعية، وهي جمعية ثقافية معتمدة تضم طلاب مزابيين من مناضلي القضية الامازيغية من مختلف المدن المزابية. وسرعان ما توقف نشاطها إثر الازمة الامنية التي شهدتها الجزائر ما بين 1992-1999.

- خمس مجموعات شعرية صغيرة ليوسف اوصالح سيوسيو مابين 1998 و 2006، كان آخرها **يَفْ وَرَاغ** "أفضل من الذهب" وتتضمن حوالي ثلاثين قصيدة شعرية. ويبدو من ضعف الأسلوب واختلال الإيقاع الذي يميز هذا الانتاج ان المؤلف مازال في بداية مشواره الشعري. غير ان ما يثير الانتباه في مجموعته الاخيرة هو اجتهاد المؤلف في الابتكار اللفظي، حيث خصص لذلك 7 صفحات اقترح فيها اكثر من 50 لفظة جديدة لقياس الزمن، إذ ابتكر على سبيل المثال اسماء الايام انطلاقا من الحساب باللغة المزابية كالتالي: السبت: قانون، الاحد: سائون، الاثنين، شارضون، الثلاثاء: أكزون، الاربعاء : سمسون، الخ. كما وضع نظام للرسم يشبه التيفيناغ كتب به اشعاره الى جانب الرسم العربي.¹
- **إلسنغ** "لساننا" دليل الباحث في أقراص، للباحث عبد الرحمان حواش، إعداد يوسف الواهج، بغرداية سنة 2010. ويعد مرجعا سمعيا ومكتوبا هاما للدراسات اللفظية والثقافية حول اللغة المزابية وتراثها الأدبي.
- **تسلسلت ن وورغ** "سلسلة الذهب" - تعلم اللغة المزابية وآدابها بالمزابية، المستوى الأول"، لعبد الوهاب حمو فخار، وصدر في نوفمبر 2015. ويمثل هذا المؤلف الكتاب التدريسي الثاني للغة المزابية بعد مؤلف عبد السلام إبراهيم لسنة 1996، ويتضمن دروسا وتمارين لكتابة المزابية بالحروف العربية ونصوص الأدب المزابي المدرّسة بمعهد الإصلاح الديني بغرداية.² وسنحاول تقييم هذا العمل لاحقا عند بحث المواد البيداغوجية لتدريس اللغة المزابية.
- قصتان مصورتان من التراث باللغة المزابية مترجمتان إلى الفرنسية، وهما *Ayenja n Mamma Wessara* " مغرف لالة وسارة" و *Anager jar aǧellid* " الصراع بين ملك الجراد والملك الاسد"، وهي تأليف

¹ يوسف وُصالح سيوسيو، **يَفْ وَرَاغ**، غرداية، 2006. والمجموعات الاخرى هي: **لقوت نالؤنت** "قوة الامة" (1998)، **يور اجديد ايلولد** "ولد الشهر الجديد" (1999)، **الماد بس بسى** **اتحاولد يوغلاب أد باسي** "تعلم قليلا واجمع الكثير" (2001)، **تيفاوت نونور تغغد سؤل** "ضياء النور اشرق من القلب" (2003).

² عبد الوهاب حمو فخار، **تسلسلت ن وورغ**، **ألماد ن تمازيغت د تسكلاس**، **تساننت تمزوارت**، مطبعة الفنون الجميلة، الجزائر، نوفمبر 2015.

مشارك بين احمد نوح مفنون والكاتبة الفرنسية المختصة في القصص العالمي فيرونيك لانيي

دولاتور Véronique LAGNY DELATOUR صدرتا سنة 2016.¹

- مجموعتان شعريتان لشاعرتين مزابيتين: ايوالن س اول نو "كلمات من قلبي" لسعيدة

قرقر (2015)، وتاونجيمت يرسين - tawenjimt yarsin لفلة مصطفى

مقنين (2017).²

والملاحظ ان اكثر من ثلثي الانتاج باللغة المزابية يتعلق بالشعر. وباستثناء القصتان المذكورتين لم يصدر باللغة المزابية أي مؤلف في النثر مثل الروايات والقصص ومختلف أصناف الكتابة النثرية حتى اليوم. ومن حيث المقروئية لاتزال اللغة العربية وبدرجة أقل اللغة الفرنسية تحتل نسبة معتبرة من المقروئية لدى بني مزاب، بينما لم تستطع اللغة المزابية أن تجد مكانا لها لدى القراء المزابيين كلغة ادب وكتابة نثرية، إذ يفضل اغلب المزابيين سماع الشعر عن قراءته. ويعود سبب غياب تقاليد المقروئية باللغة المزابية الى عدم تدريس الأدب المزابي في البرامج التعليمية وانعدام وسائط النشر كالصحف والمجلات المختصة.

(ب) التوثيق السمعي-البصري للغة المزابية: انتقل جزء معتبر من الرصيد اللغوي والثقافي المزابي إلى التدوين بفضل الوسائط السمعية البصرية منذ ظهور الأقراص المضغوطة وانتشارها في أواخر التسعينيات، ثم ازدادت عملية التوثيق السمعي البصري للغة المزابية وأدائها بفضل دخولها في المجال الإعلامي العمومي ودعم الدولة لها في إطار ترقية اللغة الامازيغية . وتتوفر اللغة المزابية اليوم على أرشيف معتبر من الأغاني المزابية والحصص الثقافية واللغوية التي أنجزت في القناة الإذاعية الثانية منذ إدراج المتغيرة المزابية في بداية التسعينيات من القرن الماضي. كما تتوفر القناة الامازيغية الرابعة للتلغزة الوطنية على حصص ثقافية وعدة أفلام وثائقية وفكاهية ودرامية باللغة المزابية أنجزتها شركات سينمائية خاصة موجودة بوادي مزاب مثل شركة palmvision بالم فيزيون التي أنتجت سلسلة فكاهية بعنوان

¹) Véronique LAGNY DELATOUR, Ahmed NOUH MEFNOUN, *La louche de MAMMA WESSARA, Ayenja n Mamma Wessara, conte mozabite, français-mozabite*, Le Verger des Hespérides Editions, Nancy, France, 2016 ; *Le combat singulier de roi sauterelle et du roi lion, Anager jar aǧellid acebb d uǧellid war, conte mozabite, français-mozabite*, Le Verger des Hespérides Editions, Nancy, France, 2016 .

²) قرقر سعيدة، ايوالن س اول انو، كلام من القلب، (د.ن) (د.م)، 2015 ؛ لفلة مصطفى مقنين، تاونجيمت يرسين، (القلب المطمئن)، مطبعة شريف م. (الآفاق)، بني يزقن، غرداية،

nniy-ač,tennid-i "قلت لك، وقلت لي" الفكاهية باللغة المزابية فبثت في الشبكة الرمضانية لسنة 2015، وشركة mzabmedia التي أنتجت فيلم *tazza d tedfi* " الضحك والفائدة"، وشركة Apha design التي أنتجت سكاتش *asra n wurey* "عقد الذهب" الشهير. كما أنتجت المنظمات الكشفية المزابية والجمعيات والفرق المسرحية الكثير من الأفلام الاجتماعية والتربوية الهادفة باللغة المزابية بهدف توعية المجتمع المزابي حول بعض القضايا الاجتماعية، بثتها عبر شبكة الانترنت في اليوتوب والفيسبوك ليشاهدها عشرات الآلاف من رواد الانترنت. ولأن المجال يضيق لذكر كل هذه المنتجات نذكر على سبيل المثال لا الحصر آخر ما صدر منها مثل الأقراص التي أنتجتها الأفواج الكشفية لمدينة قرارة المتضمنة عدة أفلام اجتماعية مثل *batta i c-iwin ?* "ما الذي أدى بك إلى هذا؟"، *tteft-i fus-ikw* "خذوا بيدي"، الخ، وكذا قرص تيزواتين *tizwatin* "المروحيات" الذي أنتجه الشاعر احمد الحاج يحيى والذي تضمن سبعة مونولوجات فكاهية باللغة المزابية وظف فيها زخما هائلا من الألفاظ القديمة، وقرص تزدايت د لال ن وسان *tazdayt d lall n wussan* " النخلة سيدة الأيام" للباحث كمال رمضان المتضمن بحثا لفظيا حول ألفاظ النخلة ومكوناتها ومشتقاتها، الخ.¹

ولهذه المنتجات الإعلامية لاسيما الأقراص المضغوطة والأفلام المرقمة الرخيصة الثمن والمنتشرة في الأوساط الشعبية، أهمية لغوية بالغة لما تتضمنه من توثيق لرصيد لغوي وأدبي وثقافي كبير مثل العادات القديمة واللقاءات مع خبراء التراث، وبعث استعمال الألفاظ والتعابير المزابية المندثرة في الأفلام والمسرحيات بهدف حفظها وإحيائها. بالإضافة إلى دور هذه المنتجات في دعم المكانة الرمزية للغة المزابية لدى الناطقين بها وتحسيسهم بهويتهم اللغوية-لسانية.

(ج) التوثيق الرقمي للغة المزابية : استقادت اللغة المزابية كغيرها من اللغات بوسيلة الرقمنة الأرشيفية وبات الانترنت وسيلة فعالة لتوثيق اللغة المزابية ونشرها، إذ يساهم التدوين الالكتروني بالانتشار الهائل للإنتاج العلمي والأدبي باللغة المزابية، باعتباره طريقة أكثر سهولة وفعالية في حفظ وتداول ونشر الإنتاج اللغوي والأدبي في المستقبل. وبالفعل عمد عدد من مستعملي الانترنت إلى رقمنة مختلف الدراسات التي أنجزها الباحثون الفرنسيون حول اللغة المزابية ووضعها في متناول الراغبين في الاطلاع عليها عبر

¹ كمال رمضان، تزدايت د لال ن وسان، (أول دليل علمي وتقني عن تقنيات خدمة النخلة: غرسها، تأبيرها، جني الثمر... الخ)، أفريل 2016 . [قرص pdf]

مختلف المواقع الالكترونية الامازيغية والمكتبات الرقمية المتخصصة في الميدان الامازيغي والمزابي، لعل أهمها موقع www.ayamun.com وموقع www.alsatica.eu.¹

وخلاصة القول أن اللغة المزابية لم تصل بعد من حيث التوثيق إلى درجة مقبولة بسبب التأخر الكبير في حركة التوثيق والبحث العلمي حول هذه اللغة من طرف أبنائها، بعد أن ضاع قسم معتبر منها بفعل الشفوية. ذلك أن جهود الجماعة المزابية تركزت أساسا حتى اليوم على خدمة المذهب الإباضي من خلال اللغة العربية بواسطة تأليف كمّ هائل من المخطوطات الدينية في القديم، تبعته حركة نشر قوية للكتب الدينية الاباضية في العصر الحديث مع تنامي الحركة الإصلاحية الاباضية، مما جعل نسبة المقرئية باللغة العربية لدى المزابيين مرتفعة جدا إلى حد لا يقارن بنسبة المقرئية باللغة المزابية التي هي شبه منعدمة لانعدام تقاليد القراءة والكتابة بهذه اللغة، نتيجة عدم اهتمام النخبة المعربة الحاكمة في المؤسسات التقليدية ورجال الدين ورجال الأعمال إن لم نقل معاداتهم للنشر باللغة المزابية أو حول اللغة المزابية.²

وبمحاولة لتقييم الرصيد اللغوي المدون والمنشور باللغة المزابية نلاحظ غلبة الشعر المزابي بحوالي 7 دواوين شعرية، وقلة في البحوث والدراسات الأكاديمية التي لا تتجاوز أصبع اليد، واقل منها النصوص النثرية من قصص وأساطير وأمثال والتي لا تزال حبيسة الشفوية. إذ تحتاج اللغة المزابية إلى كم هائل من المدونات النصية التي تساعد في عملية التدريس والبحث وتنمي المقرئية لدى الناطقين لها.

وحسب تقديرنا فإن الرصيد الأدبي واللفظي والنحوي للغة المزابية المدون لا يمكن أن يتجاوز حوالي 50 إلى 60 % وهو جزء لا يستهان به من الرصيد اللغوي المزابي الحالي؛ بينما يذهب الباحث عبد الرحمن حواش أبعد من ذلك بتقديره ما دونّ منها ب 90%³. وفي اعتقادنا فإن رصيدا كبيرا من اللغة

¹ http://www.alsatica.eu/alsatica/bnus/Agraw-n-yiwalen-tumzabt-t-tfransist-Dictionnaire-mozabite-francais-J-Delheure,1_P_2F1438039.html.

² لعل أفضل مثال على ذلك "جمعية التراث"، أكبر مؤسسة مزابية مهتمة بالتراث التي تتوفر على ميزانية ضخمة. فقد نشرت هذه المؤسسة الممولة من طرف رجال الأعمال والصناعيين المزابيين بتزكية من رجال الدين الاباضية، منذ 1983 إلى اليوم أكثر من 200 مؤلف حصريا باللغة العربية في مختلف المجالات. والمفارقة انه لا يوجد من ضمنها ولا كتاب واحد حول اللغة المزابية أو باللغة المزابية مع أنها تعتبر جزءا أساسيا من التراث المزابي. انظر موقع الجمعية: <http://www.tourath.org/ar/content/view/12/26/>

³ انظر اللقاء مع الباحث عبد الرحمن حواش:

IZMULEN, Revue de l'association culturelle BERGAN, Op.cit. p.41.

المزابية كان قد اندثر عبر القرون دون ان يبقى منه أثر بسبب عدم تدوينه، بينما لا يزال قسم آخر منها في مجال الشفوية والذاكرة الشعبية، وهو معرض لاندثار حقيقي بحكم عملية التثاقف والتصحّر اللغوي *érosion lexicale* الناتجة عن الاحتكاك باللغات والثقافات الأخرى، أي اللغات والثقافات القوية المسيطرة في عملية الاتصال على المستوى الوطني والعالمي. ومع ذلك فإن الثورة الاتصالية الرقمية والسمعية البصرية قد تكون لصالح اللغة المزابية، بأن تسمح بتزايد كبير في عملية توثيق الرصيد الشفوي للغة المزابية لسهولة التقنية، بشرط وجود وعي لدى ناطقيها، بأهمية التدوين كأفضل وسيلة للحفاظ على لغتهم ودعمها كعلامة لهوية الجماعة.

وبناء عليه رأينا تصنيف وضع اللغة المزابية من حيث التدوين والتوثيق في درجة تدوين جزئي/مبعثر *Fragmentaire* (الدرجة "2") في سلم اليونسكو، مادامت لا تتوفر على وسائل إعلام يومية نافذة ولا على تسجيلات سمعية بصرية من النوعية الجيدة أو على نصوص شاملة للرصيد اللفظي واللغوي؛ مع أنها تتوفر على قواعد نحو معروفة للغة، إضافة إلى بعض القواميس والنصوص الأدبية والتسجيلات السمعية-البصرية المتوسطة النوعية، مع تطور حركة بطيئة لكتابتها. ولاشك ان انعدام تدريس اللغة المزابية وغياب المواد البيداغوجية بها كان من بين الاسباب الرئيسية في وضعها المتأخر في نسبة التوثيق والصف الكبير للمواد المدونة .

المطلب الثاني: مدى توافر مواد التدريس المتعلقة باللغة المزابية ومحو الأمية

يمثل تعليم أي لغة عنصرا هاما لحيويتها، باعتبار المدرسة من المؤسسات المرجعية في صنع اللغة المشروعة *langue légitime* حسب بيار بورديو، للدور الذي تقوم به في تنميط اللغة وتهيتها لتتبلور "اللغة الفصحى" التي تتمتع بالشرعية من جهة، ولإعطاء اللغة المدرّسة قوة رمزية ترقّيها للاستعمال في المجال الرسمي وسوق العمل من جهة أخرى.¹ إذ >> يؤثر معلم اللغة بسبب وظيفته بشكل يومي على قدرات تعبير (تلاميذه) عن أي أفكار أو أحاسيس <<²

¹) Pierre BOURDIEU, *Langue et pouvoir symbolique*, Editions Fayard, 2001, pp.75 et S.

²) Georges DAVY, *Eléments de sociologie*, Vrin, paris, 1950, p.233. Cité par Pierre BOURDIEU, op. cit., p.75. « Il agit quotidiennement de par sa fonction sur la faculté d'expression de toute idée et de toute émotion, sur le langage »

وتقيّم منظمة اليونسكو وفق هذا العامل مدى دخول اللغة إلى مجال التدريس وبالتالي مدى توفرها على المواد البيداغوجية التي تسمح بتعلمها من طرف أبنائها، ومدى إمكانية الوصول إلى هذه المواد والنصوص اللغوية من طرف كافة أبناء المجتمع. فهل تتوفر اللغة المزابية على نصوص تعليمية مكتوبة مدرجة في المناهج الدراسية يمكن أن يطلع عليها التلاميذ في المدرسة (الدرجة "3") أو أنها تتوفر على بعض هذه النصوص لكن لا يستفيد منها إلا بعض الأفراد مثل الباحثين والمهتمين (الدرجة "2") ؟

في الواقع لا تتوفر اللغة المزابية على المواد البيداغوجية الكافية لتدريسها، طالما أنها لم تدرج حتى اليوم في النظام التربوي بشكل جدي وشامل. إذ يلاحظ أن الأعمال والبحوث التي أنجزت حتى الآن حول اللغة المزابية على قلتها، سواء على يد الباحثين الفرنسيين في الفترة الاستعمارية أو على يد أبنائها بعد الاستقلال، هي محاولات لرصد البنية النحوية واللفظية لهذه اللغة تدخل في إطار تدوين هذه اللغة وتوثيقها، من دون أن يتم صياغتها على شكل مواد بيداغوجية قابلة للتدريس والاطلاع الواسع، مع وجود بعض الأعمال القليلة التي أنجزها باحثين عصاميين غير متخصصين. وبالطبع يعود هذا الوضع إلى عدم تدريس هذه اللغة حتى الآن إلا في إطار تجربة محدودة شابتها الكثير من النقائص.

ونظرا لأهمية شبكة المدارس الحرة والخاصة المتوفرة في المجتمع المزابي أين يعتبر التعليم الحر إستراتيجية جماعية للحفاظ على الجماعة المزابية بنقل موروثها العقائدي المذهبي والثقافي بين الأجيال، ارتأينا بحث هذا المؤشر في التعليم الرسمي والحر : ففي التعليم الرسمي يمكن رصد المواد البيداغوجية لتدريس اللغة المزابية في الكتابين المدرسيين للغة الامازيغية اللذين صاغتهما وزارة التربية الوطنية وكذا الكتاب التدريسي للباحث عبد السلام إبراهيم (الفرع الأول)؛ أما في التعليم الحر فنكتفي ببحث تجربة تدريس الأدب المزابي في معهد الحياة بغرداية (الفرع الثاني).

الفرع الأول: المواد البيداغوجية لتدريس اللغة المزابية في التعليم الرسمي ونوعيتها

إن كان خبراء اليونسكو يقررون >> إن التعليم باللغة/ أي اللغة وسيلة للتعليم/ هو ضروري لحيويتها¹، فإن أهم ما تعاني منه اللغة المزابية يتمثل في عدم انتقالها إلى لغة تعليم وعدم تدريسها.

¹ (اليونسكو، حيوية اللغات وتعرضها للاندثار، مرجع سابق، ص.12).

وترتب عن ذلك تأخر كبير في مجال انتاج المواد البيداغوجية والقواميس والأدب المكتوب اللازمة للتهيئة والتميط اللغويين. وهي من الشروط الاساسية لتقدم اللغات وانتقالها إلى التدوين والتوحيد والاستعمال في مختلف المجالات الرسمية للدولة والمجال الأدبي والثقافي.

إذ لا تتوفر اللغة المزابية حتى الآن على مواد تعليمية مكتوبة واسعة الانتشار ولا على نظام نحوي بيداغوجي مهياً، وذلك بسبب عدم وجود تجربة طويلة في تدريسها، وتأخرها الكبير في هذا الصدد مقارنة بالقبائلية مثلاً. فباستثناء التجربة المحدودة التي قامت بها المحافظة السامية للامازيغية ووزارة التربية الوطنية من سنة 1995 إلى سنة 2000، لم تعرف اللغة المزابية طريقها إلى التدريس في المدارس الرسمية بصفة جدية وشاملة ومستمرة حتى اليوم، وكان انعدام المواد البيداغوجية لتدريسها من ضمن أهم الأسباب لذلك. فقد انطلق تدريس اللغة المزابية في المدارس الحكومية في مدارس نموذجية بشكل محدود جداً وسرعان ما توقف لعدة أسباب، مما جعل المواد البيداغوجية المتوفرة لتدريسها قليلة جداً وبنوعية ضعيفة لانعدام الحاجة إليها في ظل غياب تدريسها (أولاً)؛ بينما ينعدم تدريس اللغة المزابية في التعليم الديني الحر والتعليم الخاص انعداماً كاملاً إذا استثنينا التجربة المحدودة لتعليم عناصر من الأدب المزابي في معهد الإصلاح الديني بغرداية المجسدة في كتاب مدرسي (ثانياً).

أولاً: تدريس اللغة المزابية في المدارس الحكومية وأسباب فشله

(أ) التدريس الرسمي للغة المزابية

انطلقت عملية تعليم اللغة المزابية في السنة الدراسية 1995-1996 وفق برنامج المحافظة السامية للامازيغية¹ بصفة تجريبية في أقسام الامتحانات وهي السنة 9 أساسي والثالثة ثانوي. وبدأ ذلك بتنظيم تربص تكويني لفائدة واحد وعشرين 21 مدرسا أغلبهم مدرسين بالطورين المتوسط والثانوي نظمتهم

¹ تم إنشاء المحافظة السامية للامازيغية بموجب المرسوم الرئاسي 95-147 المؤرخ في 27 ماي 1995 إثر مفاوضات جمعت الحركات الجمعوية الامازيغية الوطنية مع رئاسة الجمهورية بعد "إضراب المحفظة" بمنطقة القبائل سنة 1994-1995، انبثقت عنها اتفاقية 22 أفريل 1995. بين رئاسة الجمهورية ووفد من الحركات الجمعوية الامازيغية مشكل من الحركة الثقافية البربرية لمنطقة القبائل والحركة الثقافية الامازيغية للاوراس والحركة الجمعوية لوادي مزاب ، بالإضافة إلى جمعيات لأولياء التلاميذ لمنطقة القبائل وبعض النقابات. وكان من أولى مهامها إدراج اللغة الامازيغية بكافة متغيراتها في التعليم الرسمي.

المحافظة السامية للامازيغية في جويليت 1995 مباشرة بعد إنشائها، بمشاركة حوالي 245 مترصا ينتمون إلى 16 ولاية. وعليه لم يكن إدراج اللغة المزابية نتيجة مطلب شعبي أو سياسي عبر عنه الناطقون المزابيون أو حاجة اجتماعية أو اقتصادية أو تعليمية عبر عنها الأفراد أو الجماعات، بقدر ما جاء نتيجة قرار سياسي اتخذته الدولة لإدراج الامازيغية بتنوعاتها في المنظومة التربوية، على اثر إضراب المحفظة الذي قام به أكثر من مليون تلميذ بمنطقة القبائل في السنة الدراسية 1994-1995 للمطالبة بإدراج الامازيغية في منظومتها التربوية والإعلام. وكان الهدف من وراء تعميم العملية على كل الولايات الناطقة بالامازيغية رغم انعدام الطلب الاجتماعي فيها، هو إعطاء العملية بعدا وطنيا وإخراج القضية من تموقعها الجهوي بمنطقة القبائل.

وبدأت عملية إدراج تدريس اللغة المزابية حسب برنامج وزارة التربية الوطنية في سبع مدارس نموذجية متوسطة وثانوية تم اختيارها في المناطق الناطقة باللغة المزابية بكل من مدن غرداية وبنى يزقن وبريان وقرارة. وتم تكوين الأفواج بناء على رغبات التلاميذ التي جردت على ضوء استمارة وزعت عليهم وفقا لتوجيهات الوزارة. غير أن هذه التجربة سرعان ما اندحرت بأن تناقص عدد التلاميذ الراغبين في تعلم اللغة المزابية بصفة تدريجية منذ السنة الموالية ليختفي كلية مع مطلع سنة الألفين وثمانية، ثم يعود من جديد في السنة الدراسية 2016-2017 وذلك بالوتيرة التالية:¹

- السنة الدراسية 1995-1996: 21 أستاذ و584 تلميذ أبدى رغبته في تعلم المزابية في الطورين المتوسط والثانوي بمدن قرارة، غرداية، بنى يزقن، بريان، سبب، حاسي لفحل، المنيع، منهم ناطقين بها وناطقين بالعربية.
- السنة الدراسية 1999-2000: 4 أساتذة و200 تلميذ.
- السنة الدراسية 2008-2009: 2 أساتذة وأقل من 50 تلميذ يدرسون اللغة المزابية في متوسطتين من جملة 224 مؤسسة تربوية تضمها الولاية.

¹) Salem Chaker, Said Chemakh, Abdallah NOUH, « MZAB – MOZABITES : Langue et littérature », dans *ENCYCLOPÉDIE BERBERE*, XXXII, MGILD - MZAB, PEETERS, Paris – Louvain – Walpole, MA, 2010, p. 5186.

وبعد توقف دام حوالي سبعة سنوات، تم إعادة اطلاق تجربة جديدة لتدريس اللغة المزابية في إطار سياسة الدولة لتعميم تعليم اللغة الامازيغية منذ السنة الدراسية 2016-2017. ويشمل هذا التعليم الذي يقوم به خمسة اساتذة متحصلين على الليسانس في الامازيغية (اربعة ناطقين بالقبائلية وواحد ناطق بالمزابية)، حوالي عشر مدارس ابتدائية بمدينة قراة وغرداية، ويستفيد منه حوالي 500 تلميذ في الطور الابتدائي (السنة الاولى والرابعة) منهم حوالي 85% من الناطقين بالمزابية و 15% من الناطقين بالعربية متواجدين في اقسام مختلطة من حيث لغة الام للتلاميذ. وفي غياب كتاب مدرسي خاص بالمتغيرة المزابية لكونها لم تكن تدرس، فإن هذا التعليم يتم حاليا وفقا للكتاب المدرسي للغة الامازيغية-المتغيرة القبائلية مع تكييفه مع المتغيرة المزابية.¹ ومن جهة اخرى فإن اختلاف المستويات اللغوية للتلاميذ بالمزابية يطرح اشكالية المنهج التعليمي والمحتوى البيداغوجي للبرامج.

وفي ميدان التعليم العالي يجب الإشارة إلى تجربتنا لتدريس اللغة المزابية منذ السنة الجامعية 1990-1991 بجامعة تيزي وزو ثم بجاية على مستوى ماجستير اللغة والثقافة الامازيغية، ثم على مستوى الليسانس منذ 1998. هذا التعليم الموجه لطلبة جامعيين مقبلين على تحضير بحوث في اللسانيات الامازيغية من الناطقين بالقبائلية على الخصوص، يتم وفقا لمقاربة تواصلية تركز على المقارنة اللفظية والصوتية بين المزابية والقبائلية والتنوعات الأخرى الامازيغية بمشاركة الطالب المتلقي، بهدف تحديد المشترك والمختلف في الجانب اللفظي والصوتي استجابة لأحد أهداف برنامج الليسانس في اللغة والثقافة الامازيغية وهو استيعاب الطالب لأهم التنوعات بين لغته واللغات الامازيغية الأخرى. وكللت هذه التجربة التي تمتد إلى عقدين من الزمن على الأقل بإعداد منهج وكتاب لتدريس اللغة المزابية للطلبة الناطقين باللغات الامازيغية الأخرى لم يعرف طريقه إلى النشر بعد.

(ب) أهم العوائق السوسيو-لسانية لتدريس اللغة المزابية في التعليم الرسمي

⁽¹⁾ هذه المعلومات استقيناها مباشرة من الاساتذة المعنيين، أما توقعات مديرية التربية لولاية غرداية فتحدد عدد التلاميذ المعنيين بتعليم الامازيغية بالولاية باكثر من 1.104 تلميذ و 37 قسم . انظر : مديرية التربية ولاية غرداية، مديرية التعليم الاساسي، المديرية الفرعية للتنظيم المدرسي، وضعية تعليم الامازيغية في الطور الابتدائي، نوفمبر 2016.

يعود افتقاد اللغة المزابية لعملية التتميط البيداغوجي والتهيئة اللغوية الى توقف تجربة تعليم اللغة المزابية في المدارس الرسمية الذي انطلق سنة 1995-96 . وكان لفشل هذه التجربة عدة أسباب وعوائق سوسيو-لسانية وسياسية، منها ما هو مشترك مع باقي متنوعات الامازيغية بمناطق الوطن، ومنها ما هو خاص بوضع اللغة المزابية، نتوقف على أهمها فيما يلي :

1. **الخيارات السياسية الخاطئة للمحافظة السامية للامازيغية ووزارة التربية:** فقد تم إدراج الامازيغية بشكل متسرع وفجائي بناء على قرارات شعبية عملت على "الإدراج الرمزي" للامازيغية للاستجابة إلى حاجة آنية للتهذئة السياسية، وللضغط المطلبي للمجتمع والاحزاب والحركات الثقافية في منطقة القبائل. وتم ذلك من دون أخذ الوقت الكافي للتهيئة وتحضير المادة التعليمية والطرق البيداغوجية والأساتذة والتحسيس المجتمعي في المناطق الامازيغية الاخرى. فإن كانت اللغة القبائلية عرفت تجربة معتبرة في التدريس تمتد إلى عدة عشرات في الأوساط الجمعوية والمهجر لاسيما في فرنسا؛ فإن اللغة المزابية لم تكن قد درست أبدا في تاريخها في المدارس الرسمية، مع ان الأمر يتطلب، كما هو الحال بالنسبة إلى أي لغة، المرور على مراحل عديدة كالجمع والتدوين ثم التهيئة والتتميط وإعداد المراجع اللغوية والقواميس والمدونات، وأخيرا الكتب البيداغوجية، الخ.
2. **الخيارات البيداغوجية الخاطئة للمحافظة السامية للامازيغية ووزارة التربية:** بأن برمجت مادة اللغة المزابية في أقسام الامتحان وهي السنة 9 أساسي(نهاية الطور المتوسط) والسنة الثالثة ثانوي(نهاية الطور الثانوي)، مما جعلها - بالإضافة إلى النقائص السالفة الذكر - عبئا على التلاميذ، وأدى بأغلبهم إلى الاستغناء عنها لصالح المواد الأساسية. وكان بالاحرى إدراج هذه المادة في السنة الاولى ابتدائي والتدرج في تطويره وتحسينه مع التدرج في المستويات، وهو ما طالب به ثلاثة اعضاء من المحافظة السامية للامازيغية الممثلين لوادي مزاب في رسالة موجه لرئاسة الجمهورية في اكتوبر 1995.
3. **انعدام الكتب الدراسية البيداغوجية لتدريس اللغة المزابية انعداما كلياً:** عانت اللغة المزابية التي تم إدراجها في المنظومة التربوية لأول مرة في التاريخ بوجه خاص من هذا المشكل، إضافة إلى انعدام الكفاءات المتخصصة. هذا الوضع أدى إلى معانات طويلة لأساتذة المادة الذين خاضوا هذه التجربة لأول مرة في تسويق مادتهم وتحبيبها للتلاميذ وإقناعهم بضرورتها. بحيث اعتمد هؤلاء على الدروس التي أُلقيت عليهم في تربص جويليت 1995 السالف الذكر المتعلقة بقواعد كتابة اللغة المزابية وبعض

النصوص المزابية التي أنتجها باحثون عصاميون في اللغة المزابية تفتقد إلى الصياغة البيداغوجية مضمونا وشكلا.

4. **العرقيل الادارية والاجرائية:** وتتمثل في عدم ملائمة البرامج وأوقات برمجة المادة، وعدم كفاية الحجم الساعي المخصص للمادة، بالإضافة إلى الطابع الاختياري لتعلم الامازيغية، الخ.¹
5. **العراقيل الإيديولوجية:** حيث تعرض هذا التعليم الى عرقلة متعمدة في الواقع العملي بوادي مزاب من طرف بعض المعادين للامازيغية من المنتسبين إلى قطاع التربية، من خلال برمجتها في أوقات العطل وتخويف التلاميذ من المادة عوض تحسيسهم وترغيبهم فيها، وعدم وضع الشروط التحفيزية اللازمة للأساتذة والتلاميذ على السواء، الخ. وأعطى الطابع الاختياري لتعليمها للمعارضين الإيديولوجيين قدرة على عرقلة هذه التجربة.

وإذا بحثنا عن الدوافع وراء هذه السلوكيات المعادية من خلال ما نستشفه من تصريحات هؤلاء الخفية والعنوية، وجدنا أن قسما معتبرا من المؤطرين لقطاع التربية بولاية غرداية كانوا يرون في تعليم الامازيغية مخطئا " لضرب اللغة العربية" أو " خلق ضرة لها" ، بل إن أحد هؤلاء وهو مدير لمتوسطة كانت من ضمن المدارس النموذجية التي دُرست فيها اللغة المزابية سنوات 1995-1998 صرّح لنا وبكل تحدي : >> نعم فعلا أنا عرقلت تعليم اللغة المزابية، لأن هذا التعليم كان يتم بالفرنسية (الحروف اللاتينية) ! << .

6. **انعدام الحاجة والطلب الاجتماعي لتعلم اللغة المزابية:** لم يعرف مزاب اي حركة مطلبية امازيغية مثلما هو الحال بمنطقة القبائل، بسبب اختلاف الظروف التاريخية الاجتماعية السياسية بين المنطقتين. فبالإضافة إلى الاعتقاد السائد لدى المزابيين بعدم الحاجة إلى تعلم لغتهم مادامت تستعمل داخل الأسرة وفي مختلف الميادين من طرفهم، فإن البعض الآخر أبدى معارضة واضحة لتعليمها للأجانب باعتبارها تراثا حصريا للجماعة المزابية وأحد أسس هويتها الذي يميزها عن غيرها. مع أن الأمر يختلف في حالة الأزمة أين يتشبث المزابيون بتراثهم الثقافي واللغوية كآلية للمقاومة؛ وبالفعل عاينا ازديادا قويا للمطلب الامازيغي في فترة الأزمات الطائفية التي هزت منطقة وادي مزاب مثل

¹ انظر ملخص الدراسة التقييمية لبرنامج تعليم الامازيغية في السنة 7 أساسي المنجز لصالح المعهد الوطني للبحث في التربية INRE :

Nora TIGZIRI, et Amar NABTI, « Evaluation du programme de langue amazighe de la 7^{ème} année fondamentale », dans *Actes du Colloque International sue l'Enseignement des langues Maternelles*, Tizi-Ouzou les 23,24 et 25 mai 2003 , pp.261,262 .

الأحداث الدموية والاضطرابات التي شهدتها منذ 1975 وكان آخرها أزمة 2013-2015. وهو ما لاحظته أيضا الطالب حميد أوجانه في بحثه الميداني للأسباب الاجتماعية المؤثرة في موقف الفرد المزابي من تدريس لغته في المدارس الرسمية عندما توصل إلى أنه >> كلما ازدادت حدة العداوة في تصور الفرد المزابي لعلاقته مع "المتساكنين"، ورأى إلى الصراع ضدهم من الجانب العرقي اللغوي، ازداد شعوراً بأصله الأمازيغي، وتأييداً لتدريس الأمازيغية (المزابية) في المؤسسات التربوية >>¹

وقد كشفت لنا نتائج الاستبيان الميداني في السؤال المتعلق بمدى ضرورة تدريس اللغة المزابية في المدارس الرسمية الحكومية (السؤال رقم 4-2) ان انعدام الطلب الاجتماعي لتدريس اللغة المزابية لا يعني بأي حال معارضة المزابيين بصفة مطلقة لتعليم لغتهم، إذ يرى 56% من المبحوثين (35% منهم اناث، و 65% منهم ذكور) ضرورة تدريس اللغة المزابية في المدارس الرسمية، مقابل 44% (63% منهم اناث، و 37% منهم ذكور) يعارضون ذلك او لا يعتقدون بأهميته وضرورته (الشكل 1 في الملحق). ويدل تقارب النسب بين المؤيدين والرافضين أن مسألة تدريس اللغة المزابية في القطاع الرسمي لم تحسم بعد ولا زالت موضع نقاش وجدل في المجتمع المزابي. ونستشف ذلك من خلال أجوبة وتبريرات المبحوثين والتي يمكن ايجازها فيما يلي:

- مبررات المؤيدين لتدريس اللغة المزابية في التعليم الرسمي:

- (1) يسمح ذلك بتطور اللغة المزابية لتصبح لغة العلم والعصرنة >> للنهوض بها والارتقاء بها في شتى المجالات، ولتدخل المحافل الدولية >> (فتاة، 28 سنة، آت بنور، استاذة). وبما انها >> اية من آيات الله، لا مانع من تعليمها كأى لغة في العالم >> (طالب جامعي، 25 سنة، تاغرايت).
- (2) بفضل تعليم اللغة المزابية يتم المحافظة عليها من الزوال، وكذا >> التعرف بها وبحضارتها للآخرين >> (طالبة، 23 سنة، بريان).

¹ حميد أوجانه عمر بن محمد، المجتمع المزابي وتدريس اللغة المزابية، دراسة ميدانية في مدينة القارة بمزاب، مذكرة ليسانس في علم الاجتماع الثقافي، إشراف أ/صحراوي بوزيد، تخصص علم الاجتماع التربوي، كلية العلوم الاجتماعية قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2001-2002، ص.101.

(3) تعليم لغتنا يمكنها من الانتشار والتداول لتصبح لغة التعامل والتواصل مع غيرنا من الناطقين بالعربية >> وذلك لكي يسهل التواصل بيننا وبين العالم الآخر [المعرب] >> (أستاذة ثانوية، 25 سنة، تغردايت)، بل يمكن >> توظيفها لنشر الحضارة المزابية لدى الآخرين >> (طالبة جامعية، 23، آت ازدجن).

(4) نعم لتدريسها لكن بقيود، أولاً يجب ان تكون أولوية تعليمها للمزابيين، ثم في مرحلة اخرى لغيرهم >> لاننا أولى ان نحافظ عليها ونتعلمها >> (طالب، 22 سنة، آت مليشت). ثانياً >> يشترط تعليمها في اطار البحث العلمي في الجامعة وليس على نطاق واسع >> (طالب جامعي، 24 سنة، تادجنيث).

- مبررات الرافضين لتدريس اللغة المزابية في التعليم الرسمي:

(1) لا ضرورة لتدريس اللغة المزابية طالما انها مستعملة بيننا ومنتاقلها اب عن جد، بل >> نكتفي بتعليمها في البيت للطفل منذ ان يولد >> (طالبة، 28، قرارة)، ولأننا >> نكتسبها في البيت، فلا فائدة من تعليمها في المدارس >> (طالبة جامعية 25 سنة، آت بنور)

(2) ان اللغة العربية أولى ان تدرس لأنها لغة الدين الذي يجمعنا ولغة التواصل بيننا والآخرين، ولأن >> اللغة العربية لغة القراءان وبها تنتشر ثقافتنا وكتبنا >> (استاذ، 30 سنة، آت ازدجن)، ثم أن >> تدريس اللغة العربية أولى لاطفالنا لفهم دينهم، أما المزابية فنتكلمها في البيت >> (طالبة، 29 سنة، قرارة).

(3) يجب ان تبقى اللغة المزابية سمة لهويتنا وخصوصيتنا اللغوية التي تميزنا ولحاجة لتعليمها للآخرين، >> لأنني أرى ان تبقى وسيلة تواصل خاصة بيننا نحن المزابيين فقط >> (طالبة جامعية، 22 سنة، بريان)، بل >> لا فائدة من تعليمها للآخرين لان اللغة العربية هي التي تجمعنا >> بهم (طالب، 24 سنة، تادجنيث). ثم ان >> اللغة المزابية من خصوصياتنا وليس من الضروري ان يعرفها احد غيرنا >> (طالبة جامعية، 22 سنة، آت مليشت).

ويتضح من تحليل هذه الاجوبة والمبررات الجدل الواسع الذي تثيره مسألة التدريس الرسمي للغة المزابية في المجتمع المزابي، لاسيما بعد سلسلة الاحداث الدموية التي شهدتها وادي مزاب بين 1975-2015 والتي تعرض فيها المزابيون الى اعتداءات دموية ونهب وتخريب لاملاكهم ورموزهم الحضارية، خلقت هوة كبيرة بين السكان الناطقين بالمزابية والناطقين بالعربية. فبينما يرى المؤيدون لتدريس اللغة

المزابية الوسيلة المثلى "لإنقاذها" من الزوال المحقق بسبب ظاهرة اكتساح الكلمات الأجنبية التي جعل من اللغة المزابية خليط من التعبيرات والالفاظ، لاسيما عند الحديث في المواضيع الجديدة (خلط الشفرت)؛ يرى المعارضون لذلك وجوب المحافظة على الوضع القائم للغة المزابية، وعدم تعليمها للآخرين لأنها "خصوصية" تميز المزابيين عن غيرهم باعتبارها سمة خاصة بالجماعة المزابية، ولكونها ليست في خطر كما يدعي البعض، طالما انها مستعملة، وأن التعليم لا يزيد لها شيئا.

ثانيا: المواد البيداغوجية المتوفرة ونوعيتها

ليس بوسعنا إلا محاولة تقييم القلة القليلة مما أنتج من مواد بيداغوجية وتعليمية حول اللغة المزابية. فقد أنتج الباحثون الفرنسيون كما سلف بيانه عدة كتب تدوينية للنحو المزابي لا ترقى إلى كتب بيداغوجية للتدريس (أ). وفي خضم تجربة إدراج اللغة الامازيغية في المدرسة الجزائرية من طرف وزارة التربية الوطنية في تنوعاتها الخمسة منها المزابية، كمادة اختيارية في أقسام الامتحان في السنة الدراسية 1995-1996، أنجزت وزارة التربية الوطنية أول كتاب مدرسي تجريبي متعدد اللهجات بجزائري، ليتم استخدامه منذ السنة الدراسية 1997-1998. ويتضمن هذا الكتاب مجموعة من النصوص المزابية مترجمة إلى اللغات (المتغيرات) الامازيغية الأخرى وهي: القبائلية، الشاوية، المزابية، الشنوية، التارقية في إطار مقارنة تعليمية متعددة اللهجات (ب). وفي نفس السنة أنجز الباحث العصامي عبد السلام إبراهيم كتابه الشبه المدرسي في تعلم اللغة المزابية لفائدة مدرسي اللغة المزابية في الطور المتوسط والثانوي (ج). وبذلك يمكن اعتبار هذين الكتابين كماد بيداغوجية للتدريس في المدارس الرسمية، نحاول بحثهما فيما يلي:

(أ) المواد اللغوية المنتجة في الفترة الاستعمارية

أنتجت المدرسة الفرنسية إرثا لا يستهان به من البحوث النحوية الصرفية كما سبق ذكرها ، مثل الدراسة النحوية لاقوست مولييراس سنة 1895 حول لغة مدينة بني يزقن، والدراسة النحوية اللفظية المقارنة للغوي المتمزغ رينيه باسيه René BASSET سنة 1893 حول المتغيرات الزناتية منها المزابية، والعمل الهام حول النحو المزابي الصادر سنة 1897 لمؤلفه الباحث القبائلي أعمر نور بن سي لونيس، بالتعاون مع احد المزابيين موكا مسعود بن يحي، وبعدها دراسة ارنست فورليو GOURLIAU Ernest سنة 1898 أين حاول وضع النحو الكامل للغة المزابية. وأخيرا أعمال جون ماري داليه Jean Marie DALLET سنة 1970 و الأب جون دولور Jean DELHEURE سنة 1989 لدراسة النظام الصرفي

المزابي. وبالرغم من أهمية هذه الأعمال إلا أنها لا تعدو أن تكون أعمالا استكشافية ابتدائية للغة المزابية تشوبها الكثير من الانتقادات من حيث تأثرها بالنحو الفرنسي وعدم دقتها وتعمقها والأخطاء الموضوعية اللغوية التي تعترضها، الخ ولا ترقى إلى مستوى الأعمال البيداغوجية التعليمية للغة المزابية، وإنما يمكن أن تكون مرجعا خاما قابلا للتكملة والتصحيح لانجاز مواد بيداغوجية تعليمية للغة المزابية.

(ب) الكتاب المدرسي لمادة الامازيغية لوزارة التربية الوطنية:¹

أنجزت وزارة التربية أول كتاب مدرسي للغة الامازيغية موجه للسنة السابعة أساسي والثالثة ثانوي في الأقسام التجريبية التي أنشأتها على مستوى 16 ولاية منها ولاية غرداية منذ السنة الدراسية 1996-1997. ويمثل هذا الانجاز البرنامج التمهيدي للوزارة وفق خطة الوزارة المقررة في 7 أبريل 1997 والذي تمت تجربته في الفترة مابين أبريل إلى جويليت 1996 وتنقيحه وإجراء بعض التعديلات عليه . وقد صدر هذا الكتاب في جزأين الأول سنة 1997-1998 والثاني سنة 1998-1999². ويقوم هذا البرنامج على الأسس والخيارات التالية:³

- تعليم الامازيغية حسب مقارنة متعددة اللهجات ليشمل القبائلية، المزابية، الشاوية، الشنوية، والتاماهاق. فبالإضافة إلى تعلم التلميذ كتابة، فهم وقراءة لغته، يتعرف على المتنوعات الأربع الأخرى والفروق بينها وبين لغته. غير انه تم إلغاء المتغيرة الشنوية والتاماهاقت في الجزء الثاني الصادر في السنة الدراسية 1999-2000.
- بني البرنامج على 12 وحدة تعليمية بمعدل ثلاث ساعات أسبوعيا، تشمل 10 نصوص مختلفة المحاور مترجمة إلى المتنوعات الامازيغية الخمس، تكون مواد لأنشطة القراءة والفهم، التعبير والكتابة. إضافة إلى إدراج نص شعري في نهاية كل وحدة للاستظهار بالمتغيرات الخمس.
- اعتماد الأبجديتين اللاتينية والعربية، مع إدراج أبجدية التيفيناغ بشكل تدريجي.

¹ وزارة التربية الوطنية- تاناغلافت وُساقمي اغناو، لمَاد تامازيغت، Lmed Tamaziyt, ⵎⴰⴷⴰⵎⴰⵣⵉⵖⵜ، السنة 7 التجريبية، الفصل الأول، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 1997-1998.

² وزارة التربية الوطنية- تاناغلافت وُساقمي اغناو، لمَاد تامازيغت، Lmed Tamaziyt, ⵎⴰⴷⴰⵎⴰⵣⵉⵖⵜ، السنة 7 التجريبية، الفصل الثاني، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 1998-1999.

³ وزارة التربية الوطنية- تاناغلافت وُساقمي اغناو، البرنامج التجريبي للسنة 7 في اللغة الامازيغية، (اهيل ن تمازيغت)، جويليت 1997.

- تشمل الأهداف البيداغوجية العامة معرفة القراءة والتراكيب والصيغ، ورسم الكتابة بالأبجديات الثلاث، من خلال أنشطة الفهم والتعبير الشفوي والفهم الكتابي وإنتاج النصوص الكتابية.

ومن خلال استعمال مدرسي اللغة المزابية لهذا الكتاب المنتقد مضمونا ومنهجاً¹، لاحظنا أن ضآلة النصوص المزابية دفعهم إلى البحث عن مدونات أخرى لاستعمالها في الأنشطة البيداغوجية، بسبب أن رغبة التلاميذ تتجه أكثر إلى تعلم لغتهم كتابة وقراءة وفهما. ومن جهة أخرى تعرض هذا الكتاب إلى النقد من قبل بعض اللسانيين التعليميين . وأهم ما وجه إليه:²

- النصوص الامازيغية التي يتضمنها ليست أصيلة، إنما هي نصوص مصطنعة متأثرة في تركيبها باللغات الأخرى. كما أن ترجمتها إلى المتغيرات الامازيغية أدى إلى وضعيات غريبة بسبب الاختلاف السوسيو-لساني الثقافي البيئي والاقتصادي للمجتمعات القبائلية التارقية المزابية الشاوية والشنوية.

- إن المقاربة المتعددة اللهجات التي اعتمد عليها البرنامج البيداغوجي لم تبنى على تفكير جدي يأخذ بعين الاعتبار مواقف المدرسين والمتعلمين والعراقيل الميدانية التي يتسبب فيها فيما يتعلق بالقاعدة المعيارية للامازيغية.

- وجود تضارب كبير بين النصوص القبائلية التي تغلب عليها اتجاه الصفاء اللغوي بأن تبنت الكثير من الألفاظ الامازيغية المبتكرة les néologismes من جهة، والمتغيرات المزابية والشاوية والشنوية التي تبنت الألفاظ الدخيلة من جهة أخرى.

(ج) كتاب " قواعد الكتابة والنحو للغة المزابية":³

صدر هذا الكتاب سنة 1996 إثر تريض جوليت 1995 السالف الذكر أين كان مؤلفه الباحث العصامي إبراهيم عبد السلام من ضمن مؤطري أساتذة ولاية غرداية البالغ عددهم 21 واحد وعشرون معلما. وجاء هذا العمل بعد سنة من تدريس اللغة المزابية بأربع مدن مزابية في أقسام نموذجية من التعليم

¹) Rabah KAHLOUCHE, « L'enseignement d'une langue non aménagée, au statut indéfini : le berbère en Algérie », in *Les langues en danger, MEMOIRES DE LA SOCIETE DE LINGUISTIQUE DE PARIS*, nouvelle série, Tome III, Peeters, 2000, pp.163 et S.

²) Nora TIGZIRI, Amar NABTI, *Etude sur l'enseignement de la langue amazighe*, HCA, Alger, 2000, pp.37 et S.

³) إبراهيم عبد السلام، بكير عبد السلام، الوجيز في قواعد الكتابة والنحو للغة الامازيغية "المزابية"، مرجع سابق.

المتوسط والثانوي في السنة الدراسية 1995-1996، من طرف المدرسين الجدد الذين كانوا في حاجة ملحة إلى دليل مدرسي خاص باللغة المزابية يساعدهم في مهمتهم، مادامت الدروس التي تلقوها في هذا الترتيب القصير المدة لم تكن لتكفيهم مؤونة تدريس سنة دراسية كاملة. وبذلك نشر هذا العمل في مطلع السنة الدراسية 1996-1997 إلى جانب الكتاب المدرسي لوزارة التربية.

فمن حيث المضمون يتضمن الكتاب ثلاثة أقسام أساسية هي:

القسم الأول: قواعد الكتابة، و يشمل 8 ثمانية دروس حول الكتابة بالأبجدية اللاتينية.

القسم الثاني: ويتضمن مجموعة نصوص مزابية لاستغلالها في عملية التعليم، تنقسم إلى : قاموس صغير لمفردات مزاية قديمة وشرحها، ومجموعة أمثال مزابية، وأربع نصوص مزابية ثلاثة منها من وضع المؤلف، ومقطعين شعريين أحدهما للشاعر صالح ترشين والآخر للشاعر عبد الوها حمو فخار.

القسم الثالث: ويتضمن 22 درسا في النحو المزابي أين يقدم فيه مختلف عناصر النحو المزابي، من دون التعرض إلى الصيغ التركيبية.

ومن حيث المنهج جاءت هذه الدروس منظمة في ثلاث أطوار بيداغوجية: تقديم وشرح القاعدة أو الدرس، الأمثلة التوضيحية للشرح والفهم، ثم أخيرا ثلاث تمارين في كل درس لاختبار الفهم. ويشوب هذا العمل رغم إيجابياته عدة نقائص مصدرها هو كون صاحبه باحث عصامي غير متخصص في البيداغوجيا، أهمها:

- خلوه من أي تصور وبرنامج بيداغوجي لاستغلال المادة التعليمية التي يتضمنها، ولا على الأنشطة البيداغوجية اللازمة، وهو ما يعرف بسؤال "كيف ندرس؟" فهل يتعلق الأمر بتدريس لغة أجنبية أو لغة الأم؟. وعليه يمثل هذا العمل المادة التعليمية الخام التي يستعين بها المدرسون في تدريسهم للغة المزابية في الأطوار المختلفة من التعليم حسب البرنامج البيداغوجي لوزارة التربية الوطنية.
- اعتمد الكتاب الطريقة التقليدية لتدريس النحو مع إغفال تدريس الصيغ التركيبية. مع أن اللغة ليست جملة من المفردات وإنما هي نظام تركيبى متناسق يحدد وظيفة كل عنصر منه بالنظر إلى علاقاته مع العناصر الأخرى وفقا للمدرسة البنوية الوظيفية.

- قلة النصوص فيه بحيث لا تتعدى الخمسة، بينما تبلغ الدروس ثلاثون درسا تحتاج إلى نصوص تدور عليها الأنشطة البيداغوجية للفهم والكتابة والتعبير. كما يلاحظ أن هذه النصوص على قلتها، مصنوعة من وضع المؤلف وليست نصوصا أصيلة من التراث المزابي القديم، مثلها مثل النصوص الواردة في الكتاب المدرسي للوزارة كما سبق الذكر.

ومع ذلك يكتسي هذا الكتاب من وجهة نظر سوسيو-لسانية أهمية كبيرة من الناحية الرمزية من حيث كونه أول كتاب لتعليم اللغة المزابية، وإثباته - للمنكرين والمعارضين - أن المزابية لغة بقواعدها ونحوها وصرفها يمكن تدريسها كغيرها من اللغات، وهو ما لم يكن يعتقد به الكثير من الناطقين المزابيين. ومن حيث القيمة العلمية والبيداغوجية فإن أهمية هذا العمل -بالإضافة إلى مساهمته في تدوين المزابية كما أسلف الذكر - تأتي من كونه أول كتاب تعليمي مكرّس للغة المزابية كتابة ونحوا وصرفا يحاول وضع قواعد معيارية لكتابة اللغة المزابية بالرسم اللاتيني واستعراض عناصرها النحوية.

الفرع الثاني: المواد البيداغوجية لتدريس اللغة المزابية في التعليم الحر ومحو الأمية

لا يتوفر التعليم الاباضي الحر على أي إنتاج بيداغوجي في اللغة المزابية بسبب الغياب التام لتعليم اللغة المزابية وثقافتها عن التعليم الاباضي الحر بالرغم من التجربة الطويلة التي عرفها والتي تعود الى بداية نشأة المدن المزابية. ذلك ان المدارس الاباضية الحرة اعتبرت دائما مدارس لتدريس الدين واللغة العربية والفقہ الاباضي، ولم تظهر اية حاجة مجتمعية لتعليم اللغة المزابية (أولا). والاستثناء على هذا الواقع هو تجربة تدريس الأدب المزابي بمعهد الإصلاح بغرداية، والتي يمكن ان تبلور اتجاها جديدا لادراج اللغة والادب المزابي في التعليم الاباضي الحر، لاسيما ان الاجيال الشابة من المزابيين لا تعارض، على الاقل تعليمها، بل ويرى قسم معتبر منها أن ذلك ضرورة وجودية باعتباره وسيلة لانقاذ اللغة المزابية من الزوال(ب).

أولا: انعدام المواد البيداغوجية لتدريس اللغة المزابية في التعليم الحر ومحو الامية

تفتقر اللغة المزابية كنتيجة طبيعية لانعدام تدريسها، إلى أي إنتاج بيداغوجي من كتب ومناهج ومدونات ونصوص، الخ يسمح لها بالانتقال إلى عملية التتميط البيداغوجي وبلورة لغة مدرسية منمطة ورقية

مما يدعم مركزها السوسيو-لساني مادام أن اللغة المعترف بها هي <<اللغة المنمطة بواسطة الكتابة¹>> كما هو متعارف عليه.

ويجد هذا الواقع اللغوي تفسيره في أن المزابيين ركزوا جهودهم في المحافظة على مذهبهم وعلى التعليم الديني الإلزامي لأبنائهم منذ سن مبكرة جدا وهي سن الخامسة. وعليه يتوفر وادي مزاب على عشرات المدارس الدينية الحرة المرتبطة بحلقة اعزابن الدينية يعود تاريخ أغلبها إلى بدايات نشأة المدن المزابية بين القرن 11 و16 فيما يسمى بـ "المحاضر". ومع ظهور الحركة الإصلاحية بوادي مزاب في بداية الثلاثينيات من القرن العشرين أنشئت بالإضافة إلى المحاضر، العديد من المدارس الاباضية الحديثة بالوطن المزابي وفي المهجر على شكل جمعيات. وتتولى هذه المدارس تدريس اللغة العربية والفقهاء الاباضي للناشئة منذ السنوات الأولى بالتوازي مع المدارس الحكومية الرسمية التي تعتبر فيها اللغة العربية لغة التدريس. وبعد حوالي قرن تأسست مؤسسة الاستقامة سنة 2005 بهدف توحيد الجهود في مجال التعليم الديني الاباضي الحر، وكان من بين أهدافها توحيد مناهج التعليم السائدة في مدارس أنصار التيار الاباضي المحافظ ومدارس أنصار التيار الاباضي الإصلاحي بمختلف المدن المزابية وفي المهجر. هذه المؤسسة العلمية التابعة للجماعة المزابية استفادت بدعم مالي كبير من قبل كبار البرجوازية التجارية والصناعية المزابية لاسيما من مدينة قرارة؛ ولذلك استطاعت أن تنجز في مدة عشر سنوات (2005-2015) سلسلة كبيرة من الكتب المدرسية تشمل المستويات الثلاث للابتدائي والمتوسط والثانوي، لاستعمالها في هذه المدارس، وهي منجزة وفقا للمعايير البيداغوجية العالمية المعروفة، بفضل إشراك أكثر من 100 باحث أكاديمي وخبير بيداغوجي.² وقد تم تبني هذه الكتب المدرسية الاباضية الموجهة للمزابيين في التعليم حتى سنة 2015 من طرف أكثر من 90 مدرسة دينية اباضية في الجزائر وبلدان المهجر كفرنسا وكندا، بالإضافة إلى أماكن تواجد الاباضية الناطقين بالامازيغية في ليبيا وتونس. كما تعترزم هذه المؤسسة ترجمة أحد كتبها المدرسية الموسوم "كتاب الصلاة" إلى اللغات الانكليزية والفرنسية والصينية.³

¹) Élisabeth Bautier, « Pratiques langagières et scolarisation, Note de synthèse », *Revue Française de Pédagogie*, n° 137, octobre-novembre-décembre 2001, p.120. <<LA langue est celle qui est normée par l'écrit>>،

²) انظر اللقاء التلفزيوني مع السيد بوعصبانة سليمان عضو اللجنة العلمية لمؤسسة الاستقامة، حصة *merheba* ، القناة الامازيغية الرابعة، التلفزيون الجزائري، بتاريخ 29 أكتوبر 2015.

³) نفس المرجع.

غير أن الملفت للانتباه هنا هو الغياب التام للبعد الامازيغي في هذه الكتب الدراسية بصفة خاصة، وفي التعليم الحر الموجه للمزابيين بصفة عامة. فبالرغم من كون هذه المدارس مفتوحة خصيصا للمزابيين وتتمتع بالاستقلال الشبه الكامل من حيث البرامج والتمويل والتسيير الإداري، إلا أن مسيروها لم يفكروا يوما في تدريس اللغة المزابية وآدابها للطلبة المزابيين. ولم يتغير الأمر حتى بعد الربيع الامازيغي واعتراف الدولة بالبعد الامازيغي وتأكيد ممثلو السلطات العامة على ضرورة إدراجه بالمنظومة التربوية. والمتصفح في مضمون هذه الكتب المدرسية الاباضية يلاحظ إقصاء واضحا للغة المزابية وآدابها ورصيدا وتراثها الثقافي، كما يلاحظ خلوها من أية إشارة للانتماء الامازيغي أو للتاريخ الامازيغي الذي ينتمي إليه المزابيون.

هذا الموقف الذي اتخذه مسيروا المدارس الحرة والخاصة بعدم الحاجة الى تعليم اللغة المزابية، جاء معاكسا للاتجاه السائد لدى الاجيال الشابة. فعن سؤال ورد في استبياننا الميداني حول مدى ضرورة تدريس اللغة المزابية والحضارة الامازيغية في المدارس الحرة والخاصة (السؤال رقم 4-3) تبين أن الاغلبية الساحقة للمستجوبين بنسبة 97 % (57% منهم إناث، 43 % منهم ذكور) عبروا عن وجوب تدريس اللغة المزابية وثقافتها في هذه المدارس التابعة للجماعة المزابية. بينما لا تبلغ نسبة المعارضين لذلك إلا 3 % (الشكل 2 في الملحق). وهذا ما يعبر عن موقف يشبه الاجماع لصالح إدراج المزابية في هذه المدارس، وبديل بأن الامر لا يثير جدلا كبيرا، مثلما هو الحال بالنسبة لتدريس المزابية في المدرسة الرسمية كما سبق بيانه. ويمكن ان نلخص تبريرات الطرفين فيما يلي :

- مبررات وحجج المؤيدين لإدراج اللغة والثقافة المزابية في التعليم الحر :

1) بما ان هذه المدارس تمثل خصوصيتنا الاثنو-لسانية والمذهبية، فهي أولى بتدريس اللغة المزابية وتراثها من غيرها، طالما أن من << أهدافها حفظ الدين والهوية، واللغة المزابية من الهوية >> (استاذ، 30 سنة، تغردايت)، ثم انه << إن لم تقم هذه المدارس بذلك فلا أحد يقوم بذلك ، فلا بد من دراستها في معاهدنا كمرحلة أولى >> (طالب جامعي، 29 سنة، بريان). وهذا من الطبيعي <<لأن المدارس مدارسنا واللغة لغتنا، فلم لا يكون تدريس اللغة المزابية >> (طالبة جامعية، 29 سنة، آت إزدجن).

(2) لما تتمتع به هذه المدارس من تجربة في تدريس الثقافة المزابية ولكون >> التراث المزابي له بعده العقائدي والاجتماعي، مثل قصص الاطفال وما فيها من معاني عقائدية وتربوية << (استاذة، 25 سنة، آت مليشت).

(3) لانها تمثل >> الفضاء الافضل لتعلم أصالتنا وثقافتنا ولغتنا << (طالبة، 22 سنة، آت بنور)، طالما أن المدارس الرسمية لاتدرسها مما جعلها مهددة وبالتالي >> ستمحى إن لم ندرسها لكي يتمكن الجيل الجديد من معرفتها << (طالب، 29 سنة، بريان).

(4) لأن هذه المدارس حرة ومستقلة في تسييرها وبرامجها >> فمن البديهي والمعقول ان تقوم بتصحيح لسان اهلها لحفظه للاجيال القادمة << (جامعية، 25 سنة، آت مليشت).

- مبررات وحجج المعارضين لإدراج اللغة والثقافة المزابية في التعليم الحر :

(1) ان اللغة العربية هي اولى بالتدريس >>لأنها هي ايضا اصبحت مهددة وهي لغة القراءان وبها نفهم ديننا << (طالب، 28 سنة، تادجنيث)، بل >> ارى ذلك مضیعة للوقت، فلنهتم بما هو اهم، اتحدثها [المزابية] في البيت وكفى << (طالبة، 25 سنة، تغرايت).

(2) إن الاولى بالتدريس في هذه المدارس هو الثقافة والحضارة الامازيغيتين ، >> فأنا اعارض تدريس اللغة المزابية، لأننا نتقنها، وانما ندرس التاريخ والادب [المزابي] << (طالبة جامعية، 26 سنة، بريان). فلماذا تدرس؟ >> نحن نمارسها ونتحدث بها في البيت في كل الاوقات << (طالبة جامعية، 29 سنة، قرارة).

وبالمقارنة مع آراء المبحوثين حول التدريس الرسمي للغة المزابية، يمكن أن نستنتج ان الاتجاه الغالب لدى فئة الشباب في المجتمع المزابي هو ضرورة تعليم اللغة المزابية أولا في المدارس الحرة والخاصة التابعة للجماعة المزابية باعتبارها من معاقل الحفاظ على الخصوصيات الاثنية-لسانية للجماعة المزابية؛ ثم تعليمها في الدرجة الثانية بالمدارس الرسمية حتى يفتح لها المجال للتعميم والتطور والبحث ولتكون لغة التواصل مع الآخرين. وهذا ما يخالف ما ذهب اليه الاستاذ احمد رمضان في دراسته لوضع اللغة المزابية في منطقة قرارة بوادي مزاب، من أن سبب عدم إقبال المزابيين على تعلم اللغة المزابية، إنما يعود بالدرجة الأولى إلى الشعور بالأمن اللغوي بأن لغتهم ليست مهددة بالاندثار.¹

¹) Ahmed RAMDANI, Le berbère dans la Vallée du Mzab, sécurité/insécurité linguistique, représentation et maintien, Magister :Français, Option : Sciences du langage ; S.D. Salah

ومن جهة أخرى يعتبر المجتمع المزابي أميا باللغة المزابية بنسبة عالية جدا قد تصل الى 99.99 % من عدد الناطقين بها، بحكم التمثلات الجماعية التي ترى فيها لغة ذات طبيعة شفوية اساسا، وقد لاحظنا خلال محاضراتنا ولقاءاتنا المتعددة مع مختلف الفئات الاجتماعية أن أغلب الناطقين بالمزابية لا يتصورون ان لغتهم يمكن كتابتها ولها قواعد للرسم مثلها مثل اية لغة أخرى. إذ غالبا ما نواجه بأسئلة من عامة الناس مثل << هل للغة المزابية قواعد للكتابة ؟ >> أو حتى << هل المزابية لغة لها قواعد كتابة ؟ >>. بينما يرى آخرون ان لاضرورة لكتابتها مادامت لغته تستخدم في التواصل اليومي.

وتجب الإشارة الى فتح قسم لمحو الامية باللغة المزابية في الجزائر العاصمة في إطار برنامج المحافظة السامية للامازيغية سنة 2015-2016 كأول تجربة في هذا الصدد. ويضم هذا القسم الذي يؤطره احد المزابيين الحاصلين على الليسانس في اللغة والثقافة الامازيغية من جامعة تيزي وزو، حوالي 15 شخصا من فئات عمرية ومهنية مختلفة. غير انه في غياب كتاب تدريسي خاص بالمتغيرة المزابية، يستعين المدرس بالكتب الدراسية لمحّة الامية بالقبائلية¹ مع تكييفها مع المتغيرة المزابية.

ثانيا: المادة البيداغوجية لتدريس الأدب المزابي في معهد الإصلاح الديني بغرداية كاستثناء

تمثل تجربة تعليم الأدب المزابي في معهد الإصلاح الديني الاباضي الثانوي بغرداية التي خاضها الشاعر عبد الوهاب حمو فخار، استثناء على وضع تعليم اللغة المزابية في المدارس الحرة إضافة إلى تجربة محدودة لتعليم الأدب المزابي بمدرسة الفتح القرائية المتوسطة ببريان². بحيث بدأ الشاعر عبد الوهاب حمو فخار تعليم الأدب المزابي فيه سنة 1986 بفضل دعم أبيه الشيخ حمو فخار الذي كان مديرا عاما لمؤسسات التربية والتعليم بجمعية الإصلاح. ويرتكز هذا التعليم أساسا على تدريس التراث

Khennour , UNIVERSITE Kasdi Merbah OUARGLA, Faculté des lettres et Sciences Humaines, Département des langues étrangères. Année Universitaire 2007 – 2008,p.85.

¹) Brahim HAMEK, *Ad lemey tamaziyt tizzayrit*, Asqamu Unnig n Timmuzya, 2015.

²) خاض هذه التجربة الأستاذ لعساكر يوسف بقسم واحد من الطالبات كمادة اختيارية، لمدة ثلاث سنوات ابتداء من السنة الدراسية 2008-2009 الى 2010-2011. وتم اتخاذ قرار تدريس الأدب المزابي بعد الأحداث الدامية التي شهدتها بريان بين المزابيين والعرب. ويتضمن هذا التعليم قواعد الكتابة بالحروف العربية والتيفيناغ ودراسة بعض النصوص الادبية المزابية. لقاء مع الأستاذ لعساكر يوسف 22 فيفري 2015.

الأدبي المزابي من قصص وأشعار وأمثال وحكم وعادات وتقاليد، الخ بالإضافة إلى تعليم قواعد كتابة اللغة المزابية بالحروف العربية. وتوج الشاعر هذه التجربة الطويلة التي امتدت إلى ثلاثين سنة، بإنجاز كتاب مدرسي لتعليم اللغة والأدب المزابي، موسوم "تسلسلت ن وورغ" (سلسلة الذهب) سنة 2015.¹

وتكمن أهمية هذا الكتاب في كونه يعرض تجربة هامة لتدريس الأدب المزابي، كما تزامن مع ترقية المكانة الدستورية للغة الامازيغية إلى لغة وطنية ورسمية بموجب التعديل الدستوري لـ 6 مارس 2016،² مثلما تزامن الكتاب المدرسي الأول لمؤلفه إبراهيم عبد السلام قبل عقدين سنة 1996 مع الاعتراف بالطابع الوطني للامازيغية وانشاء المحافظة السامية للامازيغية، كما أثار نقاشا حول الأبجدية التي ينبغي على المزابيين استعمالها لكتابة وتعليم لغتهم.

فمن حيث المضمون (المحتوى البيداغوجي) ينتظم الكتاب في أربعة محاور أساسية، تتبعها بقاموس صغير للمصطلحات النحوية العربية مترجمة إلى الامازيغية وبعض المفردات المزابية القديمة:

- **المحور الأول:** يتضمن دروس في الكتابة بالأبجدية العربية.
- **المحور الثاني** "اللغة والأدب": ويتضمن شرح مفردات من اللغة المزابية القديمة مثل الأعداد والشهور والأيام والفصول، الخ.
- **المحور الثالث** "ثقافتنا والتاريخ": ويقدم فيه عناصر من التراث المزابي مركزا على صناعة الصوف وألفاظ المنسج التقليدي المزابي .
- **المحور الرابع** "بحوث في اللغة والأدب": ويتضمن نكت في اللغة والأدب المزابي ومواعظ دينية .
- **المحور الخامس** "نصوص للقراءة والتفكير": ويتضمن نصوصا نثرية وشعرية مزابية للشاعر حول مختلف الموضوعات التاريخية والسياسية المتعلقة بوادي مزاب.

غير ان هذا العمل ينتقد من حيث المضمون النصي بكون الأغلبية المطلقة للنصوص من تأليف الشاعر نفسه، باستثناء أربع نصوص قصيرة لمؤلفين آخرين تم اقتباسها من الكتاب المدرسي للامازيغية لوزارة التربية التي نشرت فيه منذ عشرين عاما مع ما يكتنفها من نقائص كما سبق بيانه. بالإضافة إلى خلوه من

¹ عبد الوهاب حمو فخار، تسلسلت ن وورغ، تسانت تمزوارت ، تعلم اللغة الامازيغية وآدابها بالمزابية. "المستوى الأول"

Almad n yiles n Tmaziyt d tsekla-s, •ll• ٨ | +C•%٤٣+ ٨ +⊕÷Kll•-⊙

مطبعة الفنون الجميلة، الجزائر، نوفمبر، 2015

² قانون رقم 01-16 المؤرخ في 6 مارس 2016، المتضمن التعديل الدستوري. الجريدة الرسمية رقم 14.

القصص المزابية القديمة التي تشكل قسما أساسيا للأدب المزابي. وبذلك يمكن اعتبار الكتاب تدريسا لأدب الشاعر نثرا وشعرا وليس للأدب المزابي.

ومن حيث الجانب التعليمي البيداغوجي (المنهج البيداغوجي)، نلاحظ بادئ ذي بدء أن هذا الكتاب المدرسي التي يمثل الجزء الأول من سلسلة ثلاث أجزاء، إنما هو مُوجه إلى الجمهور العام المتعلم ذا مستوى ما بعد الابتدائي، ولم يبنى على التدرج البيداغوجي العمري للمتعلّم، بحيث يؤكد المؤلف أن >> هذا الكتاب يخص المستوى الأول من تعلم اللغة الامازيغية وآدابها، ما بعد الطور الابتدائي. ومن الملاحظ أنني لم انسبه، لا إلى المستوى المتوسط ولا إلى الثانوي، آخذا بعين الاعتبار الظروف البشرية والمادية لكل مؤسسة تعليمية<<. كما عمد الكاتب إلى ترجمة العناوين إلى اللغة العربية، وترجمة المفردات المزابية والامازيغية إلى العربية كلما اقتضى الأمر ذلك. ويبرر ذلك أن >> الأستاذ الملم والمحِب للأدب، المؤهل لتدريس اللغة الامازيغية وآدابها، يكون في الأغلب عندنا في "مزاب"، أقرب إلى فهم المكتوب باللغة العربية الفصحى منه إلى فهم ما هو مكتوب بالفرنسية أو حتى باللغة الامازيغية، خاصة عند الإكثار من استعمال المصطلحات الامازيغية الغريبة عن المنطقة...<<

و ينقسم البناء المنهجي للدرس بصفة عامة إلى أربعة أقسام بيداغوجية:

- **اقرأ واكتب/افهم** : وفيه تقدم المادة التعليمية من خلال أمثلة باللغة المزابية غالبا ما تكون أمثالا وحكم مزابية.
- **السؤال والجواب أو الإشكالية والرد عليها**: وذلك لمساعدة الأستاذ على إشراك الطلبة في التحصيل، بحيث أن >>هذه الأسئلة، من الممكن أن يستعين بها في توجيه تمارين خاصة بالدرس. كما قصدت بذلك أيضا، إمكانية قراءة الدرس على شكل حوار بين الطلبة...<<²
- **تعلم**: وفيه يتم تثبيت القاعدة أو المادة التعليمية بشكل مختصر.
- **التمارين**: وفيه تقدم عدة تمارين لاختبار المعلومات لدى المتعلم.

ويخلو هذا الكتاب المدرسي كسابقه عن أي تصور بيداغوجي وتعليمي يبين طريقة التعليم وكيفية (كيف ندرس؟) ، والأهداف المتوخاة منه (ماهي الكفاءات المستهدفة؟). ومن جهة أخرى ليس من

⁽¹⁾ عبد الوهاب حمو فخار، تيسلسلت ن وورغ، تسانت تمزوارت ، ص.20.

⁽²⁾ نفس المرجع السابق، ص.19.

الواضح إن كان الكتاب موجهاً للأستاذ أو الطالب. فمن خلال الفقرة الثانية "السؤال والجواب" يبدو أن هذا الكتاب المدرسي موجه للأستاذ لاستعماله في تدريس الأدب المزابي، بينما أنجزت التمارين للطلاب لاختبار معارفه. وتأتي القيمة التوثيقية والتعليمية لهذا العمل لما يتضمنه من مادة أدبية ثرية حول محاور التراث المزابي الأصيل المهدد بالنسيان والاندثار لدى الأجيال الشابة من المزابيين، وما يتصل به من أدب ومفردات وألفاظ وتعبير وأمثال وحكم مثل : صناعة الزربية والأعداد والشهور والعادات والتقاليد المزابية. وبغض النظر عن النوعية البيداغوجية لهذا العمل فإنه يشكل بالنسبة للغة المزابية لبنة أخرى في سبيل تدوين الرصيد اللفظي الأدبي والقيمي والثقافي الأصيل.

ونخلص مما سبق إلى أن اللغة المزابية لا تتوفر على المواد البيداغوجية الكافية لتدريسها. فباستثناء الكتاب التجريبي لوزارة التربية الذي تضمن بعض النصوص المزابية، يعتبر الكتابين التعليميين السالف ذكرهما مواد لغوية وأدبية هامة تستجيب لسؤال "ماذا ندرس؟" لكنها لا تتضمن برامج بيداغوجية محددة الأهداف والوسائل والطرق، وتمت تجربتها في الواقع البيداغوجي، لتجيب عن سؤال "كيف ندرس؟"، ويفسر ذلك بعدم كون مؤلفيها من المختصين الأكاديميين في اللسانيات أو البيداغوجيا.

وعليه فبالنسبة إلى عامل توفر مواد التدريس ومدى وصولها للناطقين، فإن اللغة المزابية توجد في مستوى متدني لا يمكن أن يتجاوز الدرجة "2"، نظراً لوجود نصوص مكتوبة غير منشورة وغير مدرجة كمواضيع بيداغوجية للتدريس، ولا يستفيد منها إلا بعض الأشخاص الباحثين، طالما أن القراءة والكتابة باللغة المزابية غير مدرّسة للأبناء المزابيين إلا في إطار محدود جداً وظرفي.

المطلب الثالث: نطاق استخدام اللغة المزابية ومدى توسعه إلى مجالات ووسائل الإعلام الجديدة

ترتبط حيوية اللغات بمدى قدرتها على التطور مع تطور المجتمع، بحيث يتوسع استعمالها في المجالات الجديدة الناتجة عن التطور التكنولوجي دون أن تفقد مجالاتها التقليدية. وحسب كلوس Kloss وماك كونال MacConnel فإن اللغة تستمد حيويتها أساساً من تطورها وازدياد وظائفها، أكثر مما

تستمدّه من قوتها الديمغرافية.¹ ولعل أفضل مثال على ذلك اللغة الانقليزية التي لا يمثل الناطقون الأصليون بها إلا نسبة ديمغرافية ضئيلة مقارنة بالذين يستخدمونها كلغة ثانية، بحيث يتجاوز عددهم المليار نسمة، وكذا اللغة العربية التي كانت سائدة في العالم الإسلامي بسبب بعدها الديني بالرغم من قلة عدد العرب العاربة. فما هي نسبة استخدام اللغة المزابية في مختلف المجالات؟. فإن كان من المسلّم به أنها لا تستخدم في كافة المجالات ولكافة الوظائف (الدرجة "5" "دينامية")، كما انها لا تستخدم فقط في مجالات محصورة جدا (الدرجة "2" متكيفة)، فمعنى ذلك أنها تتموقع بين الدرجتين "3" و"4". ولتحديد درجة استخدام اللغة المزابية نتساءل: ما هي المجالات التي تستخدم فيها اللغة المزابية غالبا؟

وقبل محاولة الإجابة عن هذه التساؤلات يجب، في رأينا، التمييز بين نوعين من الوضعيات السوسيو-لسانية للتواصل اللغوي :

- **سياقات استخدام اللغة المزابية:** ونعني بها السياق الخارجي السوسيو- مكاني لاستعمال اللغة أو الوضعية التي تستخدم فيها اللغة، ونميزها عن مصطلح "مجالات" بعد أن لاحظنا خطأ بين المصطلحين في العديد من الأعمال السوسيو-لسانية. وتختلف تقسيم هذه السياقات، إذ يقترح مثلا برنامج الاتحاد الأوروبي CECR (الإطار الأوروبي المرجعي المشترك للغات) الذي يهدف إلى تعليم المهاجرين لغات البلدان الأوروبية التي يقيمون فيها بهدف الإدماج الفعلي لهم، أربع سياقات (مجالات كما يسميها) هي: السياق العام، السياق الخاص، السياق التربوي، السياق المهني.²
- **مجالات استخدام اللغة:** ونعني بها المواضيع أو الميادين التي تستخدم فيها اللغة. ونشير إلى أن

خبراء اليونسكو يصنفون المجالات حسب ثنائية: مجال خاص عائلي ومجال عام رسمي، غير أن هذا لا يصلح في رأينا، لحالة اللغة المزابية، بحكم أن استخدام المزابيين للغتهم إنما يرتبط بالسياق الطائفي والسياق المختلط أين يوجد أجنب غير ناطقين بالمزابية وفق ثنائية: "الوسط المزابي" و"الوسط المختلط".

¹) William F. Mackey, Art. « vitalité linguistique », in Marie-Louise MOREAU, *La sociolinguistique*, p.295. cf : Heinz KLOSS et McCONNELL Grant D. (1978-1995), *Les langues écrites du monde, relevé du degré et des modes d'utilisation*, (6 tomes), Quebec, Presses de l'université Laval.

²) David Little, « Le Cadre européen commun de référence pour les langues et l'élaboration de politiques en faveur de l'intégration des migrants adultes », in Conseil de l'Europe, Division de politiques linguistiques, Little_CEFRmigrants_FR, (S.D.), pp.4,14.

فإذا وجد المزابيون فيما بينهم فإن اللغة المزابية هي المستخدمة بصفة تلقائية في الأغلبية الساحقة من الحالات، وبمجرد وجود شخص غير ناطق بالمزابية ينتقلون إلى العربية الدارجة.

وبالنسبة إلى نطاق استخدام اللغة المزابية من حيث المجالات والسياقات فيمكن أن نميز بين حالتين: بحيث انحصر استخدام اللغة المزابية في المجالات التقليدية المتعلقة بالحاجات الأساسية للحياة البشرية والمواضيع الاجتماعية والدينية في سياق الوسط المزابي، بكل ما يميز هذا الاستخدام في إطار الازدواجية اللغوية من خلط وتداخل الشفرات (الفرع الأول)؛ غير انه ومنذ التسعينيات توسع استخدام اللغة المزابية توسعا معتبرا إلى عدة مجالات وسياقات جديدة مثل ميدان الإعلام السمعي البصري وتكنولوجيا الاتصال المعاصرة، الخ بفضل تنامي الوعي الاثنو-لساني وزوال خوف المزابين من إظهار انتمائهم اللغوي، وسياسة الدولة لإدراج اللغات الامازيغية الأخرى من غير القبائلية في وسائل الإعلام العامة منذ بداية التسعينيات، ثم تطور وسائل تكنولوجيا الاتصال (الفرع الثاني).

الفرع الأول: المجالات والسياقات التقليدية لاستخدام اللغة المزابية

تتعايش اللغة المزابية من خلال السلوكيات اللغوية للناطقين بها، في وضع تكامل وظيفي *complementarité fonctionnelle* مع اللغات العربية الفصحى والدارجة والفرنسية، طبقا لمفهوم فريكسون للازدواجية اللغوية التكاملية التي تقوم على توزيع استخدام اللغات على مجالات مختلفة¹، وبشكل خاص بمفهوم العالم السوسيو-لساني الأمريكي جوشوا هارون فيشمان Joshua Aaron Fishman (1926-2015) للازدواجية اللغوية التكاملية بين متغيرات لا تنتمي لنفس اللغة. مع الإشارة إلى ان العلاقة بين هذه اللغات ليست سلمية خالصة، لوجود صراع غير معلن بين اللغة المزابية التي استطاعت احتلال مجالات استعمال جديدة، واللغة العربية الفصحى لغة السلطة والهيمنة الدينية في المجتمع المزابي. ونلاحظ الاستخدام الشامل للغة المزابية في المجالات التقليدية المعروفة بالمستوى العامي أو الشعبي للغة (أولا)، لكن بقي استعمالها حبيس الوسط المزابي الضيق كلغة خاصة بالجماعة اللغوية المزابية (ثانيا).

¹ انظر هذا المفهوم :

Michel BENIAMINO, « complementarité fonctionnelle », in Sociolinguistique, concepts de base, op.cit., p.94.

أولاً: المجالات التقليدية لاستخدام اللغة المزابية في إطار التوزيع الوظيفي التكاملي للغات

كانت اللغة المزابية إلى وقت قريب يعود إلى السبعينيات من القرن الماضي لغة تواصل بين أفراد الجماعة المزابية في المجالات والسياقات التقليدية المنحصرة أساساً في الحياة المادية دون المجال الفني العلمي السياسي والثقافي. بحيث يمكن تصنيفها تحت المصطلح الشائع بـ "اللغة الشعبية" *langue populaire* للفئات الاجتماعية الأمية والجاهلة ، تميزاً لها عن "اللغة العالمية" *langue savante* التي تختزن رأسمال معرفي وعلمي وتميز الفئات الاجتماعية المتعلمة والراقية.¹ وإذا حاولنا تصنيفها في سلم مستويات اللغة *registres/niveaux de la langue* ، فإن اللغة المزابية كانت في المستويين الأول كلسان عائلي *langue familier* والثاني كلسان دارج *langage courant* بسيط التركيب وغير مصطنع، ولم تصل إلى درجة اللغة القوية الأدبية الراقية *langue soutenue ou littéraire*²

كأي لغة ضعيفة تستعملها الفئات الاجتماعية الهشة، كانت اللغة المزابية تستخدم في التواصل اليومي بين المزابيين في كل ما يتعلق بالمجالات المادية الضرورية دون المجال التجريدي الثقافي والأدبي والفني الذي كان في غالبه مجالا محصورا للغة العربية الفصحى التي تحتكرها نخبة رجالية محدودة من خريجي المدارس الدينية الاباضية والمعاهد الدينية الدولية المعروفة كمعهد الزيتونة بتونس والأزهر بمصر. بينما كانت بقايا الثقافة المزابية الشفوية الأصيلة مثل الأهازيج والعادات والتقاليد القديمة محفوظة في الوسط النسوي البعيد عن التعليم العربي. وبذلك كانت اللغة المزابية الأصيلة التي تقل فيها الألفاظ الدخيلة العربية والفرنسية إلى وقت قريب تنعت بأنها "كلام النساء" ، بينما تتميز " لغة الرجال" المزابيين بكثرة الدخيل اللفظي والنحوي خاصة من ألفاظ اللغة العربية الفصحى والفرنسية لأن ذلك يبرهن على معرفة المتكلم للغات العلم والسلطة والإدارة التي لها درجة أسمى في التمثلات الاجتماعية.

وترتب عن هذا التمييز اللساني-الجنسي في المخيال الجماعي أن من علامات الفحولة والرجولة التي يجب أن يتصف بها الشاب اليافع بعد بلوغه أن "يتكلم لغة الرجال" وهي لغة خليط بالعربية

¹ ساد هذا التصنيف في علم الاجتماع في فرنسا بحيث يتم التمييز بين اللغة الشعبية التي ينتقي منها العلم، واللغة العالمية وهي لغة الطبقة الراقية المثقفة. أنظر:

Jean DUBOIS et al., *Dictionnaire de la linguistique et des sciences du language*, LAROUSSE, paris, 1994, p.372.

² انظر مستويات اللغة:

Gilles SIOUFFI, .. 100 fiches pour comprendre la linguistique, pp.89,99. Jean DUBOIS, op .cit., p.324.

والفرنسية، بحيث أن حديث الرجل " لغة النساء" الأكثر أصالة وخلوا من الألفاظ العربية والفرنسية الدخيلة يعتبر في التمثلات الجماعية من سمات التخنث ويعاير بالقول << *Yessawal mettuṭi* >> أي أن فلان << يتكلم على الطريقة النسوية>> وهو أقسى نظرة تطعن في رجولته وتدفعه دفعا إلى السلوك اللغوي الرجالي، وحتى الحرص على الاستعمال الكلي للغة الدارجة . وفي القديم عادة ما ينشئ الشباب المزابي اليافع في وادي مزاب في وسط نسوي تسود فيه اللغة المزابية البعيدة عن تأثير اللغات الأخرى، وعندما يصبح يافعا ينتقل من الفلاحة إلى التجارة كما جرى العرف آنذاك. وعند سفره للتجارة في المدن الشمالية يتولى رب عمله الذي هو غالبا أبوه أو أحد أقربائه، تعليمه قواعد التجارة بالإضافة إلى "لغة الرجال"، وقد يؤدب بالضرب حتى يتكلم "على طريقة الرجال" بأن يتعلم الدارجة ولغة المهجر التي تختلط فيها الألفاظ العربية والفرنسية .

وحسب استبياننا الميداني (السؤال 2-5، والسؤال 2-2) فإن استخدام اللغات في المجتمع المزابي لا يتم وفقا للمواضيع وانما وفقا للسياق حسب التوزيع التكاملي الوظيفي التالي:

- **اللغة المزابية:** في اغلب المواضيع عند التواجد في الوسط العائلي المحلي والحميمي، مثل تهنئة العريس، وتقديم العزاء، وعند شرح اي موضوع ديني، وعند الحلم.
- **اللغة العربية الدارجة:** في المواضيع العادية عند التواصل مع الناطقين بالعربية .
- **اللغة العربية الفصحى:** في الفضاء المدرسي كالمحاضرات واللقاءات العلمية وفي التواصل مع الاساتذة ، كما تستعمل في الخطابة وفي المواقف الرسمية.
- **اللغة الفرنسية:** في الوسط المدرسي في مادة اللغة الفرنسية، وعند التواصل مع الاجانب، وفي حالات نادرة عند التحية والتهاني.

ثانيا: السياقات التقليدية لاستخدام اللغة المزابية

يجب التمييز في رأينا بين حالتين حسب الهوية الاثنو-لسانية للمتخاطبين، وهي: الوسط المزابي المغلق، والوسط المختلط بغير المزابيين. إذ نلاحظ استخدام اللغة المزابية كقاعدة عامة في كل السياقات في الوسط المزابي مع ما يميز هذا الاستخدام من خلط الشفرات وتداخلها (أ) أما في الوسط المختلط فإن

القاعدة هو استعمال الدارجة أو الفرنسية لهدف التواصل مع غير المزابيين، مع ملاحظة توسع استخدام اللغة المزابية بشكل معتبر نتيجة الاعتراف الرسمي بالبعد الامازيغي (ب).

(أ) استخدام اللغة المزابية في الوسط المزابي

تستخدم اللغة المزابية كقاعدة عامة وبشكل آلي كلغة التخاطب الدائمة بين المزابيين في كل الأحوال والسيقات الاجتماعية. إذ سجلنا ان 99 ٪ من المستجوبين صرحوا بانهم يستخدمون اللغة المزابية "دائما-غالبا" في الوسط العائلي(السؤال رقم 1-1)(الشكل 3 في الملحق). وتقل هذه النسبة الى 37 ٪ عندما يتعلق الامر بالوسط الرسمي كالاحتفالات واللقاءات العلمية والمننديات الثقافية والعلمية، أين يستخدم 63 ٪ من المستجوبين اللغة العربية الفصحى (الشكل 4 في الملحق). أما اللغة الدارجة فلا تستخدم غالبا إلا استثنائيا للتخاطب مع غير المزابيين، إلى درجة إن تكلم احدهم للآخر باللغة الدارجة اعتبر هذا الأخير ذلك عدم لياقة منه واخلالا بقواعد الاتيكيت، لأن دلالة ذلك انه اعتبره أجنبي(غير مزابي). وقد لاحظنا في كثير من حالات الشجار بين مزابيين استخدام اللغة الدارجة باعتبار الطرفين قد خرجا من الفضاء الحميمي الى الفضاء الخارجي عن الجماعة بحيث يتصرف كل منهما تجاه الآخر بقسوة كأجنبي. وان كانت اللغة المزابية على ما يبدو في حالة أمن طالما أنها تستعمل بشكل دائم في اغلب التواصلات بين الناطقين المزابيين، فإننا نطرح تساؤلات حول مدى تأثيرها بثلاث ظواهر، وهي : التنوع الكلامي بين المدن المزابية، وظاهرة خلط وتبديل الشفريات، والسلوك اللغوي في الوسط المختلط.

1. التنوع الكلامي بين المدن المزابية

تعرف اللغة المزابية تنوعا كلاميا بسيطا على المستويات اللفظية والصوتية والنحوية. وكان ذلك نتيجة للوضع الجغرافي القبلي لتوزيع المدن المزابية السبعة وقلة التزاوج بينها بحكم انحصار الزواج الداخلي l'endogamie في كل مدينة. فعلى مستوى المدن الخمسة لوادي مزاب نلاحظ ظاهرة تفخيم بعض الألفاظ في كلام آت إزدجن وتادجنييت مثل " ujar " أكثر "، " yqda " انتهى " ، بينما ترقق في كلام تاغردايت. كما توجد بعض الاختلافات اللفظية حيث تسمى القندورة المزابية للرجل في تاغردايت وآت إزدجن ticebert بينما في آت بنور فتسمى ticimt، وتسمى فوطه الرأس للمرأة في آت مليشت taxmert بينما يقال لها في آت إزدجن Imehhermet . وفي الجانب النحوي يستخدم سكان آت إزدجن الجمع العادي بالنسبة لاسم المرأة وهو timeṭṭutin "النساء"، خلاف سكان

تاغردايت الذين يستخدمون الجمع التكريسي *timeṭṭat* . ومن جهة أخرى توجد اختلافات بين كلام المدن الخمسة لوادي مزاب والمدينتين المزابيتين خارج الوادي وهي بريان البعيدة عن تاغردايت ب 45 كلم وقرارة البعيدة عنها ب 105 كلم. إذ أن أهم ما يميز كلام قرارة هو كثرة الألفاظ العربية الدخيلة فيه، ويذكر المزابيون - في سياق المزاح والتكيت - جملة شائعة في هذا الصدد نردها مع ترجمتها:

الجملة: << الإخوة كانوا جالسين في التربة يشربون اللبن بالعسل، بينما كانت البقر تطلع في الجبل >>

- كلام سكان مدينة قرارة:

<< *Lxawa reyḥen rremlet, ttetten leesel s lben, lebger yettali lejbel* >>

<< لخاوة ريحين رملت تتن لعسل س لبن، لبقر يتالي لجبل >>

- كلام سكان وادي مزاب:

<< *Tawwat qqimen aberda, tetten tamemt s uyi, tifunasin ttalinet awrir* >>

<< تاوات قيمين ابردا، تتن تاممت س اوغي، تفوناسين تالينت أورير >>

إذ نلاحظ في الكلام القراري وجود 7 سبعة ألفاظ دخيلة مستعارة من اللغة العربية ، مع أن لها مقابلات باللغة المزابية لا يزال يحافظ عليها الكلام السائد في وادي مزاب، وهي : لخاوة، ريحن، الرملت، لعسل، لبن، لبقر، لجبل. ومرادفاتها الاصلية هي كالتالي:

الإخوة: *tawwat* ، الرمل: *aberda* ، جلسوا: *qqimen* ، العسل: *tamemt* ،
" اللبن: *ayi* ، البقر: *tifunasin* ، الجبل: *awrir* .

هذا التنوع الكلامي بين المدن المزابية الذي يظهر على المستوى اللفظي وأحيانا على المستوى التركيبي، كان قد عاينه الأب جون دولور Jean DELHEUR سنة 1947، على لسان أحد المبحوثين من مدينة غرداية كان عمره آنذاك 39 عاما، حيث يقول مفتخرا بلهجة مدينته في التمييز بين كلام المدن المزابية:¹

<< *At tyerdayt ssawalen s tumzabt d aweḥdi, awal-nsen ayn d awal i yifen awal n At iyerma, amayer* :

¹) Jean DELHEUR, *Faits et dire du M'Zab*, SELAF, paris, 1986, p.31.

- *At Mlicet, awal-nsen yettemealit, ttkerkren-t*
- *At Yizğen, rennin dys iwalen yel ujenna*
- *At Bunur, awal-nsen yezza*
- *At tejnint, tkerkeren,*
- *Ai Berriyan d'At Legraça awal-nsen yexleḍ s teṛabt.>>*

>> سكان غرداية يتكلمون المزابية جيدا، وكلامهم أفضل من كلام المدن المزابية الأخرى، إذ: كلام آت مليشت سريع جدا وكأنهم يسرقونه، وكلام آت إزدجن يضيفون فيه ألفاظ متكلفة، وكلام آت بنور ثقيل، وكلام تادجنييت يسحبونه سحباً، أما كلام قرارة وبريان فتختلط فيه العربية <<

وفي الواقع لا ترقى هذه الاختلافات البسيطة إلى مستوى ظهور ما يمكن تسميته بلهجات مزابية مختلفة، وإنما انحصر في تنوعات لفظية وصوتية وأحيانا نحوية محدودة وبسيطة جدا لا يمكن بأي حال أن تعرقل التفاهم بين المزابيين من المدن المختلفة فضلا عن أن تهدد اللغة المزابية بالانقراض.

2. تداول وخط الشفرت و مدى تهديدها للغة المزابية

إن تواصل وتفاعل اللغة المزابية مع غيرها من اللغات في فضاء لغوي متعدد بحضور قوي للغتين منافستين ذات تقاليد مكتوبة: العربية ومتغيراتها والفرنسية،¹ أدى إلى ظاهرة الاستعارة اللفظية والنحوية لاسيما عند التعبير عن الموضوعات الفكرية التنظيرية أو الجديدة أو الأشياء والمدلولات المستحدثة التي أنتجها التطور الحضاري والتكنولوجي. بحيث يعرف المزابيون كغيرهم من ناطقي الامازيغية ظاهرتي الازدواية اللغوية الفردية (استعمال الفرد للغتين فاكتر بالتداول أو التداخل) والازدواجية اللغوية المجتمعية (نفس الظاهرة على مستوى المجتمع).² غير أن أهم تحدي تعرفه اللغة المزابية في رأينا، كغيرها من اللغات الامازيغية في هذا الصدد هي ظاهرتي تداول/تعاقب الشفرة وخط الشفرة³ التي هي ظواهر طبيعية لولا ان السؤال يثور حين يتزايد استخدامها وانتشارها، حول مدى تهديدها لتماسك اللغة المزابية وقوتها وحيويتها واستمرارها.

¹) Khaoula Taleb Ibrahim, « L'Algérie : coexistence et concurrence des langues », *L'Année du Maghreb*, 2006, pp.207 et s.

²) J.HARMES, M.BLANC, *Bilinguisme et bilinguisme*, p.21.

³) يقصد بتداول الشفرة استعمال الناطق أو الناطقين في عملية التواصل لغتين مختلفتين، بينما يقصد بخط الشفرة حالة الثنائية اللغوية خط عناصر من لغتين في نفس الخطاب ويظهر خصيصا في حالة الثنائية اللغوية. أنظر:

Jean DUBOIS et al., *Dictionnaire de la linguistique*, pp.30,297.

فبالنسبة لتبادل الشفرة (alternance des codes) بمعنى الانتقال بين استخدام لغتين فأكثر، فإنه يعد في رأينا ظاهرة طبيعية املتها ضرورة التواصل في وضعيات وسياقات خاصة بهدف التواصل مع جمهور مختلف اللغات، بحيث يعتمد المتكلم إلى استعمال جملة أو جمل كاملة بلغة أجنبية كالعربية والفرنسية، ثم يحاول ترجمة معانيها ترجمة عامة إلى اللغة المزابية منضبطا لقواعدها. ونلاحظ اللجوء الكبير لهذه الظاهرة لدى الوعاظ ورجال الدين للاستجابة إلى حاجة الجمهور النسوي المزابي الذي يتشكل في قسم كبير منه من نساء أحاديّات اللغة بالامازيغية، ولرغبة منهم في تقريب معاني الآيات والاحاديث النبوية إلى أذهان المستمعين. كما عاينا نفس الظاهرة في المحاضرات والمناقشات المتعلقة بالمواضيع العلمية والطبية والقانونية التي لا يمكن تناولها باللغة المزابية.

أما ظاهرة خلط الشفرات (mélange de codes) التي تعني إدخال عناصر من لغات أخرى (جمل وتراكيب) بصفة كثيفة في كل مستويات اللغة،¹ فإنها تشكل في رأينا تهديدا حقيقيا على تماسك أي لغة واستمراريتها على المدى الطويل، في حالة تكاثرها وتوسعها الكبير في الاستخدامات اللغوية كما هو الحال بالنسبة للغة المزابية. إذ عاينا انتشار ظاهرة خلط الشفرة لدى الفئات الاجتماعية المتعلمة والراقية مثل المثقفين والمتعددي اللغة لاسيما عند الحديث عن مواضيع علمية، دينية، سياسية، الخ، كطريقة حتمية لمحاولة التعبير عن هذه المواضيع من جهة، وكسلوك للتمييز عن الجمهور الأحادي اللغة المتشكل غالبا من النساء المسنات ذات المستوى التعليمي المتواضع من جهة أخرى.

ونلاحظ في حالة اللغة المزابية أن خلط الشفرات لدى الفئات المتعلمة يتم غالبا جدا مع اللغة العربية الفصحى أو الفرنسية، حسب التكوين الدراسي واللغوي للمتحدث وانتمائه إلى فئة المعربين أو المفرنسين، ولا يتم إلا نادرا مع اللغة العربية الدارجة. وقد يكون سبب خلط الشفرة مع اللغات القوية و"العلمية" هو عدم القدرة التعبيرية أو للتأكيد على التمسك باللغة العربية أو على التفتح على العصرية²، كما يعد في التمثلات الجماعية مؤشر على التعلم والإطلاع والتفوق العلمي. ونورد على سبيل المثال

¹ يجب التمييز بين مصطلحي خلط الشفرة والاستعارة لتقاربهما وتداخلهما أحيانا، فالاستعارة تعني تبني ألفاظ دخيلة من

لغات أجنبية ودمجها في اللغة، أما خلط الشفرة فيتوسع الأمر إلى التراكيب والجمل.

² وهو ما تلاحظه خولة طالب الابراهيمى، انظر:

Khola TALEB IBRAHIMI, *les algériens et leurs langues*, op. cit, pp.165 et S.

مقطعين أخذناهما من حديث شخصين مزابيين ذوا مستوى جامعي في القناة التلفزيونية الامازيغية احدهما معرب والآخر مفرنس*:

- بالنسبة للشخص المعرب:

الجملة : << اغتتمنا الفرصة لتوعية الشباب بمخاطر التدخين >>

<< نغتنم لفرصة باش انواعا الشباب سلمخاطر نتدخين >>

Neytanem	Ifurset	bac	an waææa
اغتتمنا	الفرصة	Mz.	لتوعية
ccabab	s	lmaxaṭir	n ttedxin
الشباب	Mz.	مخاطر	التدخين

- بالنسبة للشخص المفرنس:

الجملة << أعطينا الفرصة للشباب ليطوروا أنفسهم ويحاولوا إظهار مواهبهم >>

<< نوشاسن لاشانص إ ليجون أدفلوبان إمانسن، سايان ادسوفغن لمواهبنسن >>

« Nuc-asen	la cans	i lijun	addivluppan	iman-nsen	sayyan
Mz.	la	les	développent	Mz.	essayent
	chance	jeunes			
	fr.	fr.	fr.		fr.

Ad ssuffyen Lmawahib-nsen
Mz. Ar. مواهبهم

ويدل هذين المثالين ان الامر لايتعلق بالظاهرة الطبيعية التي تعرفها كل اللغات عندما تستعير الالفاظ من اللغات الاخرى وتدمجها في رصيدها اللفظي بشكل سلس، وإنما باكتساح لفظي وتغير تركيبى اصبح يهدد اللغة المزابية، إذ ان البنية التركيبية للجملتين نقلت بالكامل من لغة اجنبية مع وجود كلمتين فقط بالمزابية في كلام الشخص المعرب والمفرنس على السواء.

وبغض النظر عن الأسباب الكامنة وراء ظاهرة خلط الشفرات فإنها تعد في الحقيقة تهديدا حقيقيا للغة المزابية على المستوى التركيبى واللفظي على المدى الطويل لدى الأجيال الجديدة واللاحقة. كما تهددها بالإفقار اللفظي l'érosion lexicale إذا لم تتدخل عوامل من شأنها بعث الرصيد اللفظي

(* نشير الى اللغة المزابية بالمختصر Mz.، والفرنسية ب. fr.

الاصيل والمحافظة عليه وابتكار الالفاظ للدلالة على المدلولات الجديدة، وتثمين استخدام اللغة المزابية في أغلب المواضيع، مثل الوسائل السمعية البصرية والتعليم والاستعمال في المجالات الرسمية للدولة. ويؤكد تخوفنا هذا ما ذهب اليه اغلب المبحوثين في استبياننا الميداني. فعن سؤال حول ما إذا كانت اللغة المزابية في خطر (السؤال رقم 3-3) ذهب 78 ٪ من المستجوبين الى أنها فعلا في خطر، واستدلت الاغلبية الساحقة منهم باختلاط اللغة المزابية باللغات الاخرى بواسطة المفردات والتعابير الدخيلة. أما القائلون بأن المزابية ليست في خطر فقد برروا ذلك بكونها مستعملة من طرف اغلبية المزابيين كلغة للتواصل اليومي.

ومهما يكن فإن استخدام الالفاظ الدخيلة بشكل معتدل لسد النقص الموجود في اللغة المزابية يبقى ظاهرة طبيعية في اعتقادنا، طالما لم يؤدي الى خطر التحول اللغوي Reversing Language Shift كما يسميه فيشمان، أي ترك استخدام لغة ما والتحول الى استخدام لغة أخرى تدريجيا، وهي اكثر طرق انقراض اللغات؛ ويحدث عندما يستبدل الناطقون الفاظ لغتهم بألفاظ اللغة الاخرى طوعا لاعتقادهم بسموها. وهو ما عاينته الاستاذة سالمي كريمة بالنسبة للقبائلية في بعض احياء تيزي وزو عندما لاحظت ان <<المخبرتين لم تلجئا الى ألفاظ العربية الدارجة لسد نقص ما في القبائلية>> (....) وانما استعملت هذه الألفاظ العربية الداخلة كإبدال لألفظ القبائلية >>.¹ وهي نفس الظاهرة التي لاحظناها لدى بعض المزابيين كمحاولة لتقديم انفسهم أمهم "متعلمين" مفرنسين او معربين.

3. استعمال اللغة المزابية لدى عائلات الزواج المختلط

يثور السؤال حول استخدام اللغة المزابية لدى العائلات المزابية الناتجة عن الزيجات المختلطة بين رجال مزابيين ونساء معربات وأحيانا امازيغيات رغم نسبتها القليلة التي لا تتجاوز 1٪ كما سيأتي بيانه². وحسب ملاحظتنا الميدانية لهذه العائلات في مدينة بني يزقن، نجد انها أنتجت أربع حالات من الاستخدام اللغوي نرتبها حسب الكثرة:

¹ كريمة سالمي، إحتكاك القبائلية بالعربية الدارجة في كلام مزدوج اللغة، دراسة وصفية للتدخلات اللغوية في بعض السياقات الاجتماعية، ماجستير علوم اللغة العربية، إشراف: أ/صالح بلعيد، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة تيزي وزو، 1996، ص.165.

² حسب إحصائية غير رسمية فقد سجلت حوالي أربعة آلاف زيجة مختلطة بين رجال مزابيين ونساء غير مزابيات، وهو ما يمثل حوالي 1٪ من عدد أفراد الجماعة المزابية المقدّر بحوالي 400.000 نسمة على الاكثر.

- استخدام اللغة العربية الدارجة كلغة التخاطب الغالبة بين أفراد الأسرة كحل واقعي وسهل، سواء بناء على رغبة واتفاق صريح أو ضمني بين الأبوين. وذلك نظرا لعدم تمكن الأب المزابي من تعليم أولاده اللغة المزابية بحكم تواجده الكبير خارج المنزل من جهة، وعدم رغبة الزوجة المعربة أو عدم تمكنها من التعلم الجيد للغة المزابية بحكم بعدها عن وادي مزاب. وهذه الحالة تخص العائلات المزابية المقيمة خارج الوطن المزابي.
- استخدام اللغتين المزابية والعربية الدارجة بشكل تداولي في البيت وخارج البيت في بعض العائلات من الزواج المختلط التي استقرت في وادي مزاب واندمجت في المجتمع المزابي. هذه الحالة تنتج غالبا عن تمسك الأم المعربة وإصرارها بالحديث بالعربية الدارجة في الوسط المزابي كسمة لاثبات انتمائها العائلي، رغم إقامتها الطويلة في مزاب وتعلم الأولاد للغة المزابية واستخدامهم لها .
- استخدام الأبوين وأولادهم معا للغة المزابية كلغة تخاطب دائمة بسبب إصرار الأب على نقل لغته لأولاده كسمة للهوية المزابية *marque identitaire* إلى جانب المذهب الاباضي، مع رغبة الأم وتعاونها ومساهمتها في ذلك . وهو ما لاحظناه في العديد من العائلات من الزواج المختلط بين أب مزابي وأم معربة أو قبائلية، بل وحتى في عائلة من أب مزابي وأم فرنسية.
- استخدام الأم وأولادها وأحيانا حتى الأب المزابي للغة العربية الدارجة في الوسط المزابي بشكل دائم وبإصرار رغم معرفتهم بالمزابية وإقامتهم الطويلة بوادي مزاب أو بين العائلات المزابية في مدن الشمال التي قد تمتد لثلاث أو أربع عقود من الزمن. والهدف من ذلك كما نعتقد هو رغبة الأم المعربة إثبات انتمائها للوسط الناطق بالعربية في صراعها مع الانتماء الغالب للزوج. ويرجع سبب هذه الحالة أحيانا كثيرة لعقدة الاستعلاء التي تشعر بها هذه العائلات لانتمائها إلى *ibeldiyen* "الحضريين" وهي فئة من العائلات المزابية الناتجة عن الزيجات المختلطة والتي تحاول مخالفة بعض التقاليد المزابية الصارمة في الزواج والتميز ببعض السلوكيات في المطبخ والملبس اعتقادا بتفوقها مقارنة بالعائلات المزابية الأصيلة. ولاشك أن أصل هذه الظاهرة السوسيو-لسانية هي مدن الشمال الجزائري التي كانت تسود فيها ولا زالت حتى اليوم وإن كان بشكل أقل. بحيث تعتبر فئة *lehder* "الحضريين" الناطقة بالعربية الدارجة في التمثلات الجمعية فئة راقية ومتفوقة وتمثل الحضارة -كما يدل عليها اسمها- وكل صفات النبيل والتفوق وبالتالي تتمتع بالسلطة الرمزية، وتمارس العنف الرمزي في مواجهة فئة *ğbayliya* "سكان الجبال" الناطقة باللامازيغية التي تمثل في المخيال الشعبي التخلف والهمجية والدونية بكل ما يترتب عنها من الاحتقار والاستضعاف. وقد كانت

هذه الازدواجية السوسيو-لسانية وراء تعرّب عدد هائل من الامازيغ في المدن الشمالية كشكل من أشكال الرقي الاجتماعي والاندماج في المجتمع " المتمدن " لارتباط العربية بالتحضر والتمدن. مع أن الأمر يختلف في وادي مزاب بسبب أن المجتمع المزابي المتمدن أصلاً منذ قرون يقوم على ازدواجية سوسيو-لسانية مناقضة تماماً للأولى نستشفها في الكثير من الامثلة والقصص المزابية، إذ ترتبط صفة "المزابي" *umzab* بمعاني التحضر والمدنية المزابية والأصالة أي الانتماء للجماعة الاثو-لسانية المذهبية، بينما تحمل كلمة *aerab* "العربي/البدوي" معاني البداوة والتخلف والاحتقار وعدم معرفة طرق العيش، كما تعني الأصل الهجين والاجنبي.

ولعل أول من نبه الى ظاهرة دخول تعابير العربية الدارجة واللغة الفرنسية في اللغة المزابية من خلال هذه الفئة الاجتماعية وفئة المتعلمين المتفرنسين، هو الشاعر عبد الوهاب حمو فخار في قصيدة *a wenni i yen-jerwen tumzabt* "أيها الذي جمع لنا اللغة المزابية !" التي نظمها في أوائل الثمانينات¹. ويرى فيها "هروبا" من اللغة المزابية لدى بعض أبناء الزواج المختلط ممن أصبح اولادهم "بُكم"، وكذا المتعلمين المتفرنسين ممن تمكنت منهم عقدة التفوق. حيث يقول:

Hami ussan-u midden llubzen

لماذا ضاع الناس في هذا الزمان

rewlen f tumzabt, hami llan zwan ?

هربوا من لغتهم المزابية، لماذا انصرفوا (عنها) ؟

uḍan gaε taεrabt "nyattel" d "simuḥ"

سقطوا كلهم في العربية "نياتل" و "سي موح"

d wasi yak yeezem, yi ini d ugwaman

أما المتعلمين فهم كالأوروبيين.

batta yemlec igget uji s weylan

إذا تزوج أجنبية

iles-s ad iduyet tarwa-s d iεeggan

اندثرت لغته وأولاده بُكم

(ب) استخدام اللغة المزابية في الوسط "المختلط"²

إن القاعدة السلوكية العامة لدى المزابيين والتي ارتقت إلى قاعدة أخلاقية، هو استخدام اللغة العربية الدارجة بمجرد وجود أجنبي عن الجماعة، باعتبار أن الحديث عن لغة لا يفهمها احد

¹ عبد الوهاب حمو فخار، إمطاون ن لفرح، ص. 379

² يقصد بالوسط المختلط كما هو متعارف عليه في المنطقة، المناطق العمرانية التي يتعايش فيها المزابيون والعرب لاسيما في أحياء مدينة غرداية عاصمة الولاية أو المدارس والثانويات والورشات والجامعة المحلية والإدارات العمومية.

الحاضرين "من قلة الأدب"، لاسيما إن كان هذا الأخير ضيفا على الجماعة (1)، غير انه في الظروف والسياقات الصدامية في علاقة المزابين مع السكان العرب المحليين بوادي مزاب، يلجأ المزابيون خاصة الشباب منهم إلى الحديث باللغة المزابية رغبة في تأكيد الذات تجاه الخصم (2).

1. السياق العادي: يستخدم المزابيون اللغة العربية الدارجة في السياق العادي كقاعدة سلوكية

عامة في علاقاتهم مع المواطنين الناطقين بالعربية، مثل أن يكونوا من الجيران أو من زملاء العمل أو الأصدقاء، الخ. وهذا ما لاحظناه في حالة المزابين في المهجر أو في المناطق العمرانية المختلطة في غرداية. وهو ما تؤكدته نتائج استبياننا أيضا، إذ أن كافة المستجوبين اجابوا انهم يستخدمون اللغة العربية الدارجة بمجرد وجود شخص لا يفهم اللغة المزابية في السياق التواصل. لكن لا يكون ذلك بدافع اخفاء الهوية. فعن سؤال حول ما إذا كان الشخص يتحرج في استعمال اللغة المزابية خارج مزاب، وعما إذا كان يخفي هويته باستخدام اللغة العربية الدارجة (السؤال 3-1) كانت النتائج كالتالي (الشكل 5 في الملحق):

- أكد 91 ٪ من المستجوبين أنهم يستخدمون اللغة المزابية، منهم 67 ٪ إناث، و 33 ٪ ذكور. وقدموا عدة تفسيرات لذلك، حيث يقول احدهم << يزيدني ذلك شرفا وثقة امام الآخرين >> (طالب، 22 سنة ،تغردايت)، ونقول أخرى << لا أخشى من كوني مزابية،تكلم بلغتي اينما تواجدت >> (طالبة جامعية ، تادجنييت، 28 سنة)، ويؤكد آخر << كنت استعمل اللغة الدارجة لاختفاء هويتي اما الآن أفضل أن اتكلم اللغة المزابية وبصوت مرتفع >> (طالب، 20 سنة، بريان). بينما تقول اخرى << اتكلم المزابية ليس تعصبا ولكن لانها تعبر عن أصالتي >> (طالبة، 27، آت بنور).
- 5.5 ٪ من المستجوبين قالوا انهم يستعملون خليطا من المزابية والدارجة (25% منهم إناث و 75% منهم ذكور)، ويكون ذلك حسب الظروف والسياق الذي يوجدون فيه. حيث يقول احدهم << اتجنب المزابية احيانا نظرا للمضايقات، لكن عند سؤالي عن هويتي فأنا أفخر بالقول اني مزابي >> (طالب، 26 سنة، آت ازدجن). ويقول آخر << عندما اكون مع متطرفين لا أتكلم المزابية من أجل تجنب المشاكل فقط >> (طالب، 20 سنة، آت مليشت).
- 3.5 ٪ من المستجوبين فقط قالوا انهم يتكلمون بالدارجة خارج مزاب (67% منهم إناث، 33% ذكور). وبرر احدهم ذلك << لحفظ اسرار محادثتي حتى لايفهمها الآخرون >> (طالب، 30 سنة، تغردايت)، بينما يرى آخر أن << تميزي في أخلاقي ولباسي، أما اللغة فاستعمل تلك التي تجمع الجميع >> (استاذ، 30 سنة، آت بنور)، الخ.

لكن إن استطعنا أن نفهم هذا السلوك اللغوي في حالة وجود شخص لا يفهم المزابية له علاقة ما مع الناطقين المزابيين، مثل أن يكون ضيفا أو مرافقا في رحلة سفر أو زميلا في العمل والدراسة بنفس القسم، الخ؛ إلا أنه من غير المفهوم اتخاذ مثل هذا السلوك بالتحدث بالدارجة لمجرد تواجد شخص بجانب المتحدثين، كأن يكون في السوق أو وسيلة نقل أو في الشارع، الخ. ولاشك أن عدم استخدام اللغة المزابية في هذه الحالة الأخيرة إنما مرده إلى عقدة النقص والشعور بالخجل من لغته، كنوع من أنواع السلوكيات التي تتميز بها الأقليات الضعيفة. هذا السلوك اللغوي مرسخ في تقاليد بني مزاب في تعاملهم الحذر تجاه "الآخر"، لاسيما لدى الأجيال القديمة. إذ كانت اللغة المزابية تعتبر في الوجدان الجماعي المزابي من خصائص الجماعة المميزة لها التي يجب استخدامها في سرية بين المزابيين والمحافظة عليها في كتمان مثلها مثل المذهب الاباضي والعبادات والاعتقادات المرتبطة به. وكما عشناه في صبانا في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي في الجزائر العاصمة، كانت اللغة المزابية من بين المميزات التي تدخل في خانة السرية، بحيث لا يتكلم بها المزابيون في مدن الشمال إلا إن كانوا منعزلين وبصوت خافت، وبمجرد اقتراب أجنبي منهم يتحولون إلى اللغة الدارجة تجنباً للمضايقة وإثارة الأحقاد وحتى الاعتداء الجسدي الذي كان يتعرض له الأطفال المزابيون يوميا بسبب خصوصيتهم اللسانية والمذهبية. مع أن المزابيين المغتربين في المدن الجزائرية كانوا قد تخلوا منذ السنوات الأولى من الاستقلال عن لباسهم المميز لهم كأقلية إثنيو-لسانية و مذهبية والمتمثل في السروال المخروطي والشاشية والبزة الزرقاء (الكاشوسير) لتجنب إثارة النعرات العرقية والاضطهاد العرقي الذي غالبا ما يمارس عليهم من طرف بعض السكان العاصمين الذين كانوا يشبهونهم باليهود مع كل ما تحمل هذه التسمية من دلالات مهينة.¹

غير أن تطبيق هذه القاعدة بشكل مبالغ فيه - كما عايشناه في الواقع - أدى إلى وضعيات غريبة مثل تنشيط حفل زواج في وسط مزابي وفي وادي مزاب ولمدة ساعات كاملة باللغة العربية الفصحى، لمجرد حضور أحد الضيوف الناطقين بالعربية، بدعوى "احترم الضيف" لعدم فهمه اللغة المزابية، مع أن العكس لا يقع أبدا ولا يمكن حتى تصويره في الوسط المعرب. هذه الحالة لا تدل إلا على ضعف مركز اللغة المزابية أمام غيرها من اللغات لاسيما اللغة العربية، في التمثيل الجمعي لرجال الدين والمثقفين

¹ كان العاصميون كلما يذكر كلمة "مزابي" يعقوبونها بكلمة "حاشاكم" لما كان لهذه التسمية من مهانة، مثلها مثل كلمة "يهودي". ولاشك أن هذا الموقف سببه، بالإضافة إلى الجهل والأمية والحسد الذي كان يعاني منه المزابيون بسبب نجاحهم التجاري، هو تشابه الجماعتين من حيث نمط العيش، والتميز الديني والانعزال على أنفسهم وممارسة التجارة.

المسيرين لهذه الحفلات رغم تنامي الوعي اللغوي بالهوية الامازيغية لدى الشباب المزابي المنقف من الجنسين في السنوات الأخيرة.

2. السياق التصادمي: نقصد بالسياق التصادمي الحالات الظرفية التي قد تعيش فيها الجماعة

المزابية في أجواء الشحن الطائفي والتنافس والنزاع مع السكان الناطقين بالعربية بالمنطقة أين تكون اللغة بالإضافة إلى اللباس كعلامة للتمييز الاثنو-لساني وعنصرا أساسيا في الصراع. إذ نلاحظ تعدد المزابيين خاصة الشباب منهم بالأحياء والمناطق العمرانية المختلطة والمرافق العامة بمدينة غرداية التي تعد فضاء للصراع الاثنو-لساني المذهبي، إلى استعمال اللغة المزابية والحرص على ارتداء اللباس المزابي الاصيل وهو العباءة المزابية *ticbert*، والطاقيّة المزابية الخاصة *tcacit*، كوسيلة للتعبير عن الذات والتأكيد عليها في مواجهة استعمال السكان الناطقين بالعربية اللغة العربية الدارجة واللباس الاوروبي، بحيث تسعى كل طائفة لإثبات ذاتها وتميزها عن الطائفة الأخرى. وقد يتخذ هذا السلوك اللغوي من الجانبين أشكالا أكثر حدة في الأوساط الشبابية لاسيما في الثانويات المختلطة (تلاميذ مزابيون وعرب)، إذ يصر كلا الطرفين في تواجده مع الطرف الآخر على الاستعمال الحصري للغته الخاصة به والتي تحدد انتمائه الهوياتي رغم معرفته وحتى إتقانه للغة الطرف الآخر، كما يعتمد التلاميذ المزابيون إلى كتابة شعارات باللغة المزابية وبحروف التيفيناغ على الطاولات والألبسة تحمل شعارات حول الانتماء الهوياتي مثل "نحن امازيغ" "مزاب في القلب" "مزابي وأفتخر"، الخ وهو ما عايناه في ثانوية مفدي زكرياء ومتوسطة الشيخ عبد العزيز الثميني بآت ازدجن خلال الازمة الدامية سنوات 2013-2015.

وكحوصلة لما سبق يمكن تصنيف اللغة المزابية من حيث مؤشر نطاق الاستخدام في الدرجة "4"، طالما انها تستخدم بشكل دائم ومطلق من طرف كافة الفئات العمرية كلغة التواصل المفضلة بين المزابيين، مع انها تعيش كسائر المتغيرات الامازيغية الأخرى في وضع الازدواجية اللغوية *diglossie* كما نظر لها شارل فيرغسون Charles Ferguson (1921-1998) أحد رواد اللسانيات الاجتماعية الأمريكيين في مقاله الشهير سنة 1959، باعتبارها الحالة المستقرة التي توجد فيها لغتين بمستويين مختلفين: لغة راقية ورسمية مدعمة من السلطة والمؤسسات تستعمل في المجالات الرسمية والإدارية والعلمية والفنية، ولغة شفوية تحتل مركزا أدنى وتستخدم في المجالات العادية التواصلية لدى الفئات

الشعبية الواسعة¹؛ وهو حالة اللغة العربية الفصحى بالنسبة للنوع الأول واللغة المزابية بالنسبة للنوع الثاني. لكن يتعلق الأمر بازدواجية لغوية تكاملية *bilinguisme diglossique*² مادام يستعمل المزابيون اللغتين المزابية والعربية الفصحى في ميادين وسياقات مختلفة بصفة تكاملية بحيث تؤدي كل واحدة مهما الوظيفة التواصلية في ميادين معينة. كما تعيش اللغة المزابية - وإن كان بشكل أقل درجة - في وضعية تعددية لغوية *situation de plurilinguisme* إذا أضفنا إلى استخدامات المزابيين اللغات الأخرى في بعض السياقات المحدودة لدى فئة النخبة كما يبين البحث الميداني. وفي هذه الحالة تتصارع عدة لغات حسب ظروف وسياقات العملية التواصلية والقوة الرمزية لكل لغة في "سوق اللغات" حسب تعبير جون لويس كالفي Louis-Jean Calvet. فإلى جانب المزابية والفرنسية يمكن الحديث عن ثلاث أو أربع لغات عربية³ قد تتداخل معها.

وطبقا لنتائج استبياننا يمكن رسم التوزيع الوظيفي *la distribution fonctionnelle* لاستخدام اللغات عند المزابيين، مرتبة حسب الأهمية، كالتالي :

- **اللغة المزابية**، تستخدم بشكل آلي في التواصل بين أفراد الجماعة في الأمور العادية غير الفكرية والأدبية. كما يتداخل استخدامها مع اللغة العربية الفصحى في الكثير من المجالات والسياقات في الوسط المزابي.

¹ د. جميل حمداوي، *اللسانيات الاجتماعية*، المرجع السابق، ص. 20، 19. نقلا عن:

Charles A. Ferguson, *Diglossia*. Word 15, 1959, pp. 325-340.

² يميز هامرز وبلون HAMERS, BLANC بين ثلاث وضعيات للإزدواجية اللغوية: الحالة الأولى عند وجود جماعتين لغويتين منفصلتين إقليميا كما هو الحال في سويسرا وكندا، والحالة الثانية عند وجود لغة واحدة مهيمنة إلى جانب لغات إثنية ومحلية للدويلات كما هو الحال بالنسبة للغة الروسية ولغات شعوب الفدرالية الروسية، والحالة الثالثة عند وجود لغات عدة مستخدمة من نفس الجماعة بصفة وظيفية تكاملية. انظر:

HAMERS, BLANC, *Bilinguisme et bilinguisme*, op.cit., p. 29.

³ يميز العديد من اللسانيين العرب بين ثلاث "لغات" عربية: العربية الفصحى والعربية المعاصرة أو المدرسية، والعربية الدارجة. وهناك من يضيف لغة رابعة يسميها باللغة العربية الوسيطة أو المهذبة وتوجد بين اللغة العربية المعاصرة والدارجة وتستخدم في التعليم والصحافة. أنظر:

Khaoula TALEB IBRAHIMI, *Les algériens et leur(s) langue(s)*, *Eléments pour une approche sociolinguistique de la société algérienne*, Editions HIKMA, Alger, 1995, pp. 25-36.

Fatma KHELEF, Redouane KEBIECHE, « Évolution ethnique et dialectes du Maghreb », dans *SYNERGIES, monde arabe*, N° 8, 2011, p. 27.

- **اللغة العربية الفصحى / الأدبية (العربية المدرسية):** تستخدم بكثرة من طرف النخبة الدينية في المجال الديني والوعظ والأدعية والتدريس الديني. كما تستخدم من طرف الفئة المثقفة من الجنسين في السياقات الرسمية ونشاطات التعليم والحياة الدراسية والعلمية مثل المحاضرات والمناقشات، كما تعتبر لغة التعبير الأدبي لفئة كبيرة من المثقفين. لكن غالبا ما يتم التداول بينها وبين اللغة المزابية في السياق المزابي حين يصطدم صاحبها بعدم فهم المخاطبين بها، فيستجد باللغة المزابية لشرح الكلمات وتبيان معنى كلامه، مثلما لاحظنا ذلك غالبا في الوعظ والمحاضرات والمناقشات العامة التي تجري في الوسط المزابي بحضور عامة الشعب الذي لا يفقه اللغة العربية الفصحى.
- **اللغة الفرنسية/الانكليزية:** لا تستخدم الا نادرا من طرف النخبة المفرنسة في بعض المجالات الرسمية والخطب والمحاضرات والنقاشات العلمية. ويكون ذلك بشكل أخص في المجالات العلمية مثل الطب والفلاحة والمالية.
- **اللغة العربية الدارجة:** نادرا جدا ما تستخدم للتواصل بين المزابيين باعتبارها في التمثلات الجمعية "لغة الآخر"، انما يتم استخدامها للتواصل مع الناطقين بالعربية في السياقات المختلطة وفي المجالات العادية الغير المتعلقة بالمسائل العلمية والفكرية.

الفرع الثاني: مدى توسع استخدام اللغة المزابية إلى السياقات والمجالات ووسائل الإعلام الجديدة

بالإضافة إلى الاستخدام الدائم للغة المزابية في الوسط المزابي في المجالات التقليدية، فقد اتسع استخدامها بشكل أكثر فأكثر في السياقات الاجتماعية الجديدة، والمجالات الجديدة مثل : السياسة، الاقتصاد، المجتمع، الرياضة، العلوم المختلفة، الخ. ويرجع ذلك من جهة إلى تحول اللغة المزابية إلى لغة إعلامية تتناول كل المواضيع والمجالات، ومن جهة أخرى إلى تحسن مركز اللغة الامازيغية في المحيط الاجتماعي الجزائري بصفة عامة نتيجة إرهابات النضال من اجل القضية الامازيغية منذ أواخر الثمانينيات، كما ازداد ذلك بفعل الصراع الطائفي الذي أدى إلى بعث الوعي الاثنو-لساني لدى المزابيين، واعتبار اللغة المزابية كعنصر للتمييز الاثنو-لساني تجاه الأغلبية المعربة.

ذلك أن سقوط الطابوه الامازيغي في المجتمع الجزائري منذ مطلع التسعينيات ولاسيما بعد الاعتراف بالبعد الامازيغي للهوية الوطنية وتكريسه الدستوري والعلمي، كان من نتيجته أن أصبح استخدام

اللغة المزابية لا يجلب أي حرج أو مضايقة للمزابيين، بل إن ذلك بات وسيلة لإثبات الذات المزابية بمكوناتها الدينية اللغوية والاجتماعية، إضافة إلى أن ذلك يقربهم غالبا بالامازيغ الآخرين ويربطهم بصداقات مع قبائلين وشاوية وشنوة، الخ، بفضل مشاعر الانتماء المشترك إلى لغة وحضارة وثقافة واحدة. وقد لاحظنا ذلك جليا في الأوساط الطلابية والتجارية الشبابية على وجه الخصوص لاسيما في المدن الشمالية والمهجر. فهل وصل استخدام اللغة المزابية إلى الدرجة (4) في سلم اليونسكو -كما نعتقد- بحيث يشمل اغلب المجالات الاجتماعية والوظائف بالرغم غيابها في المجال العلمي ؟

يمكن أن نؤكد هذا التصنيف بعدما بين بحثنا أن استخدام اللغة المزابية توسع بشكل معتبر في السنوات العشر الأخيرة بفضل التحولات السوسيو-سياسية التي عرفتتها اللغة الامازيغية في الجزائر منذ أواسط التسعينيات من القرن العشرين وما لها من تأثيرات هامة على وضع اللغة المزابية، فقد توسعت مجالات وسياقات استخدام المزابيين للغتهم إلى حد معتبر (أولا)؛ كما اقتحمت اللغة المزابية مجالات ووسائل الإعلام الجديدة السمعية البصرية بفضل السياسة اللغوية للدولة من جهة وتحسن وضع اللغة المزابية السوسيو-لسانية من جهة أخرى (ثانيا).

أولا: السياقات والمجالات الجديدة لاستخدام اللغة المزابية

أ) السياقات الجديدة لاستخدام اللغة المزابية

لم تعد اللغة المزابية لغة فئوية سرية يتستر المزابيون كلما أرادوا الحديث بها، كما كان إلى وقت قريب بسبب الخطاب السياسي الوطني الوحدوي السائد الذي أنتج في تمثلات الجزائريين لاسيما المقيمين بالمدن الكبرى احتقار للخصوصيات اللغوية الثقافية والمذهبية؛ فبفضل التحولات التي عرفتتها الامازيغية أصبح المزابيون يتخاطبون بدون أي حرج باللغة المزابية عند تواجدهم في مدن الشمال حتى بحضور الأشخاص المعربين وأحيانا بتفاخر واعتزاز لإبراز تميزهم وشخصيتهم اللغوية-لسانية. ومن أهم السياقات الجديدة لاستخدام اللغة المزابية التي عايناها في الوسط المختلط هي :

1. السياق التجاري : كان بنو مزاب إلى وقت قريب يستعملون اللغة الدارجة في حوانيتهم بمجرد

وجود زيون غير مزابي بينهم، على اعتبار اللغة المزابية من المحظورات وهي لغة سرية

واستخدامها أمام المعربين يثير حساسيتهم وحتى استيائهم وعدائهم في بعض المناطق بسبب التمييز الذي كان يتعرض له المزابيون باعتبارهم أقلية مذهبية وسوسيو-لسانية، وفي أحسن الأحوال كانوا يستخدمون لغة مشفرة حتى لا يفهم المشترون حديثهم. أما اليوم فنلاحظ بصفة جلية استخدام المزابيين للغتهم بينهم داخل حوانيتهم دون أي حرج أو خوف حتى بحضور الزبائن. وأكثر من ذلك عمد العديد من المزابيين إلى تسمية دكاكينهم بأسماء أمازيغية كما سنرى.

2. الأماكن العمومية: لم يعد المزابيون يشعرون بأي حرج للتخاطب باللغة المزابية في مختلف الأماكن العمومية والشارع ووسائل النقل العمومية، بعد أن كان الآباء المزابيون في السبعينيات يطلبون من أبنائهم عند مجيئهم خلال الصيف إلى الجزائر العاصمة بالتحدث بالعربية الدارجة تجنباً لأي مضايقة واحتقار. ويعود هذا التحول إلى التقدم الكبير الذي عرفته الأمازيغية انتماء ولغة، كما شجع على تنامي هذا الموقف السلوك اللغوي للسكان القبائليون الذين يحرصون غالباً على التأكيد على خصوصيتهم الاثنو-لسانية وتميزهم في المدن الكبرى ذات الغالبية من الناطقين باللغة الدارجة بالتحدث بالقبائلية فيما بينهم.

ولعل ما يدل على خروج الجماعة المزابية من سريتها وكتمان خصوصياتها المذهبية واللغوية ورغبتها في التعبير عن ذاتها كجماعة متميزة لها مطالبها الاجتماعية السياسية والأمنية في إطار اندماجها في الجماعة الوطنية؛ هو الوقفات الاحتجاجية المتعددة التي قام بها المزابيون إبان أزمة 2013-2015 كان آخرها وقفات 8 جويلية 2015 أمام دار الصحافة طاهر جابت بالجزائر العاصمة وفي عدة مدن جزائرية. هذه الوقفات التي جمعت آلاف المزابيين بلباسهم القومي ونظمت من طرف الهيئات العرفية والاباضية كان الهدف منها إبلاغ الصحافة والرأي العام الوطني والدولي بالمأساة التي تعيشها المنطقة والأحداث الدامية التي استهدفتهم كجماعة في أرواحهم وأموالهم ورموزهم الثقافية والتاريخية، الخ ومطالبة السلطات العليا في الدولة بحمايتهم وإطفاء نار الفتنة بوادي مزاب.¹

¹) Essaid WAKLI, « Carnage de Ghardaïa/ Plusieurs rassemblements de Mozabites à travers l'Algérie », *Algérie Focus*, 8 juillet 2015.[www.algerie-focus.com].

(ب) المجالات الجديدة لاستخدام اللغة المزابية

بعد أن كانت اللغة المزابية محصورة في الحاجات الأساسية المادية للحياة وبعض المواضيع التقليدية كما رأينا، فإنها عرفت تطورا وتوسعا في استخدامها في مجالات جديدة. فبالإضافة إلى المجال الإعلامي اقتحمت اللغة المزابية مجالات جديدة أهمها:

1. المجال الشعري والغنائي: بفضل الإنتاج الشعري الذي انطلق منذ التسعينيات والذي انتقلت

بواسطته اللغة المزابية إلى الكتابة، فضلا عن بلورته للغة تعبر عن العواطف والأفكار المجردة رفعت اللغة المزابية إلى مصاف اللغات الشعرية الفكرية. وهو ما سنبحثه باستفاضة عند دراستنا لدور الشعر المزابي في حيوية اللغة المزابية في الفصل الثاني.

كما توسع مجال استخدام اللغة المزابية إلى الأغنية العصرية مع نشأة أولى الفرق الموسيقية ببريان وهي فرقة Itran "النجوم" سنة 1990، ثم فرقة Utčiden "الشباب اليافع" سنة 1991، تبعه ازدهار الأغنية المزابية العصرية التي عرفت طريقها للانتشار الواسع بفضل وسائل البث الحديثة منذ التسعينيات، كما سنرى ذلك بتفصيل في الفصل الثاني.

2. المجال المسرحي: ظهرت عدة فرق مسرحية بالتعبير الامازيغي بوادي مزاب منذ أواخر

الاربعينيات كشكل من تأثير النشاط المسرحي في الجزائر بعد الحرب العالمية الثانية، للتنشيط في الاعراس والمهرجانات الدينية والثقافية. واستطاعت من خلال المسرح الفكاهي ان تقوم بدور رائد حتى اليوم في معالجة الظواهر والآفات الاجتماعية. لعل أهم هذه الفرق فرقة عمر باجو للمسرح بمدينة قراة وفرقة إمطاون نلفرح بمدينة غرداية وفرق المسرح التابعة للجان إحياء الاعراس (الحجة) بكل مدينة، وكذا الفرق المستقلة التي تحول بعضها الى جمعيات مثل فرقة ijenwan إجنوان ببني يزقن.¹ وكان للمسرح المزابي تأثيرا في الرفع من مكانة اللغة المزابية وإخراجها من مركزها الدوني التي عانت منه.

¹ انشئت هذه الجمعية سنة 2000 وقامت بعدة نشاطات مسرحية، بحيث انتجت مسرحية "urey amellal" الذهب الابيض" سنة 2000 ومسرحية "titānik-nney" باخرتنا التيتانيك" سنة 2001، كما شاركت في

3. **المجال التجاري والصناعي:** انتشرت رغبة إحياء اللغة المزابية في بعض الأوساط التجارية والصناعية المزابية منذ أواخر الثمانينيات، ومازالت هذه الظاهرة في تطور إلى اليوم. ويظهر ذلك في الامثلة التالية:

■ **تسمية الدكاكين والمحلات التجارية:** وبدأ ذلك منذ نهاية الثمانينيات بشكل خاص في مدينة تاغردايت التي تعد من أكبر المركز التجارية في الجنوب الجزائري، من خلال تسمية الدكاكين والمحلات التجارية بأسماء مزابية غالبا ما تكون من الكلمات الامازيغية القديمة المهددة بالاندثار، وذلك بغرض إحيائها وبعثها للوجود منها على سبيل المثال لا الحصر: *tifirt* "الهدية"، *tideft* "المرتفع"، *isfaren* "الأدوية"، *tazdayt n yixes* "نخلة النواة"، *talat* "المنبع"، *tixubay* "القدر"، الخ. ولم تقتصر هذه الظاهرة على وادي مزاب بل تعدتها إلى مدن الشمال الجزائري مثل العاصمة.

■ **تسمية المنتجات الصناعية :** عمد العديد من الصناعيين المزابيين إلى تسمية منتجاتهم بأسماء امازيغية مزابية . ومهما كان الهدف من ذلك سواء كان رغبة منهم في إحيائها تثمينها أو لغرض جذب المستهلكين المزابيين. ومن أمثلة ذلك منتج الحنى الموسوم *izelwan* "الاهازيج" (لاستعمالها في الأعراس)، وعصير *takerwayt* (وهو عصير تقليدي مزابي مقوي يصنع من التوابل)، وقهوة *tayellust* (وهو الاسم المزابي القديم للقهوة الذي اندثر حاليا عن الاستعمال)، الخ. (انظر بعض النماذج في الملاحق)

3. **المجال العمراني والمرافق العامة:** عمد المقاولون المزابيون إلى تسمية الأحياء العمرانية التي أنجزوها بأسماء مزابية امازيغية كشكل من أشكال تعزيز الانتماء الامازيغي وكرد للاعتبار للغة المزابية. ومن أمثلة ذلك تسمية *tafilalt* "المضيئة" للمنطقة العمرانية الجديدة لآت ازدجن التي تحتوي على أكثر من 800 مسكن مع تسمية الشركة المنجزة لها بـ *amidul* "الحصن"¹، كما سمي حي آخر بنفس المدينة *tawenza* "الفأل الخير"². وفي مدينة قرارة

مهرجان المسرح الامازيغي ببجاية بتاريخ جوان 2001 والمهرجان الوطني الامازيغي لمسرح الهواة بتيڤزي وزو بتاريخ ديسمبر 2001. انظر: جمعية هواة المسرح إجنوان حصيلة النشاطات .

¹ مشروع عمراني رائد يحاكي مدينة آت ازدجن من حيث التخطيط والهندسة والتنظيم العمراني، من انجاز شركة اميدول التي يرأسها الدكتور احمد نوح. وقد بدأ منذ سنة 1997. ويعد نموذجا ناجحا وطنيا ودوليا.

² مشروع عمراني انطلق في بداية الألفية لصاحبه المقاول بباعمي احمد.

أنشئ أحد المقاولين مشروع عمراني مشابه سماه *ayerm tizzefriwin* " القصر العتيق"، بينما سمي المركز التجاري لعاصمة ولاية غرداية *tyawsa* "السلعة"، كما سميت العديد من الفنادق بأسماء أمازيغية مثل *aberdar* "الرمل"، *axxam* "البيت الريفي القديم"، *izuran* "الجزور"، الخ.

4. مجال الأسماء: لم يعرف المزابيون، على منوال ما حدث بمنطقة القبائل والاوراس، ظاهرة إحياء

الأسماء التي تحمل بعدا رمزيا وتاريخيا أمازيغيا. ويرجع ذلك حسب رأينا إلى طغيان البعد الاباضي للهوية المزابية بسبب الصراع المذهبي الحاد مع العالم السني. فبعد أن كانت أسماء الأنبياء والأسماء المزابية الأمازيغية القديمة هي السائدة، لاحظنا توجها قويا منذ التسعينيات إلى إحياء أسماء الشخصيات التاريخية للتاريخ الاباضي الرسمي مثل "فلاح" و"عبد الوهاب" الإمام الأول والثاني للدولة الرسمية، و"رستم" نسبة إلى هذه الدولة، الخ. غير أننا عاينا في أوساط الشباب المناضلين لاسيما في مدن بريان وقرارة وبني يزقن، بعث الأسماء الأمازيغية كشكل من أشكال إثبات الانتماء الأمازيغي تأثرا بما هو سائد بمنطقة القبائل، مثل أسماء *taziri* "القمر"، *tinhinan* "اسم الملكة الأمازيغية لدى التوارق"، *massinissa* "ماسينيسا"، *Anir* "المشعل"، الخ.

5. المجال الجمعي: ظهرت منذ نهاية الثمانينيات حركية متزايدة لإنشاء الجمعيات الثقافية

الأمازيغية المهمة بإحياء التراث اللغوي والأدبي والحضاري المزابي، وكان ذلك بشكل ملحوظ في مدن غرداية عاصمة الولاية وبريان وبني يزقن. وسبب ذلك هو تنامي الوعي بالأمازيغية بالإضافة إلى الصراع الاثنو-لساني الذي جعل من الجمعيات الأمازيغية شكلا من أشكال إثبات الذات. ونشأت هذه الحركية أساسا على أيدي الطلبة الجامعيين المزابيين بعد احتكاكهم بالمناضلين القبائليين والجمعيات الثقافية القبائلية بالجامعات لاسيما في فترة الانفتاح الديمقراطي بعد إقرار الدستور الليبرالي لسنة 1989 والاعتراف بالتعددية السياسية والثقافية. ولعب حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية RCD دورا بارزا في بث الوعي بالقضية الأمازيغية في أوساط الشباب المزابي، بسبب أن هذا الحزب الذي ضم مئات المناضلين الأوائل للقضية الأمازيغية بمنطقة القبائل، كان عند نشأته من أهم الأحزاب التي جعلت المطلب الأمازيغي محورا في برنامج عملها السياسي، وقد انضم إلى صفوفه بداية سنتي 1989-1990 العشرات من الجامعيين والموظفين من مختلف المدن المزابية. وبلغ تأثير هذا الحزب أن فاز بالأغلبية المطلقة من مقاعد المجلس الشعبي لبلدية بريان في الانتخابات البلدية سنة 2007. كما يلاحظ أن أغلب الجمعيات

الامازيغية التي نشأت في بداية التسعينيات كان ورائها المناضلون الأوائل لهذا الحزب الديمقراطي الحدائي مثل جمعية *ibergran* (الاسم القديم لمدينة بريان)، وجمعية *awegrint* "الخضراء"، وجمعية *itrans* "النجوم" للفن والغناء وجمعية *utčiden* "الشباب" للغناء، الخ. وفي مدينة آت ازدجن نشأت جمعيات ثقافية عديدة لخدمة اللغة والتراث المزابي الامازيغي بأسماء امازيغية مثل جمعية *izelwan* "mzab" "هازيغ مزاب" الناشطة في الإثناد الامازيغي، و *imunanan* "المستقلين"، و *amnir* "النجم الكبير". بل نلاحظ في هذه المدينة منذ بداية العشرية الأولى من الألفية ظهور حركة جمعوية نسوية نشيطة لبعث التراث المزابي وبأسماء أمازيغية أهمها جمعية *timekras n at izgen* "شابات بني يزقن" وجمعية *tifawt n tugyersant* "نور المرأة المزابية"، و *tirselt n weylan* "ركيزة مزاب"، الخ. وفي مدينة تادجنيث نشأت جمعية *tajemmi* "الواحة"، وجمعية *iseryi* "زحل" الفلكية، الخ.

ثانيا: درجة اقتحام اللغة المزابية لوسائل الإعلام السمعية البصرية

إن استفادة اللغات من وسائل النشر الورقية والسمعية البصرية الواسعة الانتشار كان عاملا هاما جدا في قوتها وتوسعها وحيويتها منذ أن ظهرت الكتابة ثم المطبعة ثم وسائل الإعلام الواسعة الانتشار.¹ وإن كانت الكتابة قبل اليوم تعد أهم وسيلة للتواصل اللغوي، فقد عرف العالم ثورة لغوية بظهور وانتشار الكلمة والصورة كوسائل للتواصل اللغوي السمعي البصري أكثر قوة ونفاذا وسرعة وانتشارا.² فعلى اثر الاعتراف الرسمي بالامازيغية تدعمت مكانة اللغة المزابية بفضل اقتحامها -مع اللغات الامازيغية الأخرى- مجال الإعلام السمعي البصري التقليدي بشكل معتبر لاسيما منذ التسعينيات بموجب سياسة الدولة الرامية إلى إعادة الاعتبار للامازيغية بكل متغيراتها (أ)، كما اقتحمت اللغة المزابية وسائل الاتصال الالكتروني المعاصرة مثل الانترنت والهواتف الذكية (ب)، مما أعطى لها نفسا جديدا وقوة وحيوية معتبرة أخرجتها من محيطها التقليدي الجامد.

(أ) إقتحام اللغة المزابية لوسائل الإعلام السمعية البصرية التقليدية

1. المجال الإذاعي

¹) WILLIAM F.Mackey, *Bilinguisme et contact des langues*, op.cit.,pp. 34, 35.

²) م.م. لويس، ترجمة د. تمام حسان، اللغة في المجتمع، عالم الكتب، القاهرة، 2003، ص.15.

أدرجت اللغة الامازيغية القبائلية في المجال الإذاعي في العهد الاستعماري سنة 1938 مع انشاء القناة القبائلية. أما اليوم فقد عرف هذا المسار ازدهارا كبيرا بعد إدراج ترقيتها في السياسة اللغوية للدولة، بحيث تم سنة 2012 مثلا بث 30.960 ساعة باللغات الامازيغية بمختلف تنوعاتها في 29 إذاعة وطنية وجهوية.¹ وهذا طبقا للقانون 04-14 المؤرخ ب 24 فيفري 2014 المتعلق بالنشاط السمعي البصري الذي ينص في المادة 48 المتعلقة بدفتر الشروط في الفقرتين 5 و 12 على وجوب ترقية اللغتين الوطنيتين في البرامج البث الإذاعي والثقافة الوطنية في كل تعبيراتها.

وأدرجت اللغة المزابية منذ بداية 1990 في القناة الوطنية الثانية الناطقة بالامازيغية بحصة ثقافية حول الثقافة والفن المزابي ينشطها مؤسس الأغنية المزابية عادل مزاب بعنوان *iwalen d izelwan* "كلمات وأغاني". وفي ديسمبر من نفس السنة تم إدراج نشرة إخبارية يومية باللغة المزابية موجهة إلى المزابيين المقيمين بالجزائر العاصمة وضواحيها، تلتها عدة حصص اخبارية مثل حصة *ayen idran di ssa n wussan* "ما حدث في سبعة ايام" و *isallen n weylan*: اخبار مزاب" اللتين كنا ننشطهما. ومنذ سنة 2003 تم توسعة فترة البث باللغة المزابية وغيرها من اللغات الامازيغية إلى ساعة كاملة يوميا، بإنشاء حصة *ssaet n tumzabt* "ساعة اللغة المزابية" بالتزامن مع تقوية البث الإذاعي للقناة الامازيغية الثانية لتصل إلى الولايات الأخرى منها ولاية غرداية. وبفضل هذا التوسع ظهرت عدة حصص ثقافية شعرية اجتماعية باللغة المزابية جلبت اهتمام المزيد من المستمعين المزابيين. لكن حسب ملاحظتنا فإن دخول اللغة المزابية في المجال الإذاعي في هذه الفترة من خلال الإذاعة الوطنية المركزية بالعاصمة لم يكن له إلا أثرا محدودا جدا على الناطقين المزابيين بسبب غلبة المادة المقدمة على الأخبار، والمنافسة القوية للتلفزيون والقناة الوطنية الأولى باللغة العربية لدى المستمعين والمشاهدين الناطقين باللغة المزابية.²

لكن بفضل فتح إذاعة غرداية الجهوية بتاريخ 7 جوان 2001 تم تخصيص ساعة أسبوعية باللغة المزابية، بالإضافة إلى البث اليومي المباشر للساعة المزابية المسائية وذلك منذ تاريخ 2 فيفري 2003. وساهم هذا التحول في تقوية مركز اللغة المزابية وتوسعها الإعلامي بشكل معتبر، بعد أن أصبح البث

¹) Mohmed BEDREDDINE, « La communication d'expression amazighe en Algerie : des acquis et des attentes », *Actes du Colloque International, Medias, communication, Langues et langages : où on est tamazight ?*, HCA-Ministère de la communication, Tizi Ouzou, 2014, p. 246.

²) كنتُ من أوائل الصحفيين الذين بدؤوا تقديم النشرة المزابية بتاريخ 20 ديسمبر 1990.

اليومي للساعة المزابية يتم مع ازدياد عدد المستمعين للإذاعة المحلية والساعة المزابية للإذاعة المركزية، لاسيما من المجتمع النسوي الذي يقضي أغلب أوقات يومه في البيت. والملاحظ أنه بالرغم من وجوب تغطية 40% على الأقل من البرامج باللغة الامازيغية،¹ فإن إذاعة غرداية لم تصل بعد إلى ذلك بسبب عدم وجود طلب اجتماعي وحركة نضالية امازيغية وتقاعس مسؤوليها عن تنفيذ القانون بحيث لجأ هؤلاء إلى احتساب الحصص التي ينتجها المزابيون من الصحفيين والمنتجين باللغة العربية ضمن 40% الواجب تغطيتها باللغة المزابية وفق منطق طائفي وليس تقسيم لسانی كما يلزمه القانون.

2. المجال التلفزيوني

تم إدراج أول موجز إخباري امازيغي متلفز منذ جانفي 1992 بالتلفزيون الجزائري باللغات القبائلية والشاوية لمدة خمس دقائق من دون صور بعد النشرات الرئيسية للساعة 13.00 و 23.00. ومنذ 7 جوان 1996 تم إطلاق نشرة إخبارية متلفزة مصورة باللغتين ما لبثت أن توسعت إلى اللغة المزابية بتاريخ 28 أكتوبر 1996 ثم التارقية بتاريخ 28 أكتوبر 2005 والشنوية في 28 أكتوبر 2007.² وبتاريخ 18 مارس 2009 أنشئت القناة الرابعة الامازيغية المتخصصة 4 Algérie التي عملت على إنتاج وبت كم هائل من الحصص الثقافية والحوارية والأفلام الوثائقية بمختلف اللغات الامازيغية منها المزابية.³ بحيث وصلت نسبة البث التلفزي باللغة المزابية بهذه القناة 11 % سنة 2013 بعد أن كانت 10 % سنة 2012.⁴

ولاشك أن إدراج اللغة المزابية مع مختلف اللغات الامازيغية في التلفزيون الوطني أعطى لها دفعا قويا رفع من مكانتها بين الناطقين بها وأثر تأثيرا قويا في تمثلاتهم للغتهم الخاصة بهم، لما تمثله التلفزيون

¹ تتص تعليمية صادرة من المديرية العامة للإذاعات المحلية على وجوب تغطية 40 % من برامج الإذاعات الجهوية بالامازيغية في المناطق الناطقة بها. لقاء مع السيد لعقاب العيد مدير إذاعة غرداية الجهوية بتاريخ 03 ماي 2016.

² انظر موقع القناة التلفزيونية الرابعة الناطقة بالامازيغية:

<http://www.entv.dz/tvar/dossiers/index.php?id=4&voir=6>

³ Fatma KEBBOUR, Ouiza MOHAMED-SAID, « Etude descriptive et analytique de journaux télévisés amazighophones : TV4 de l'ENTV et de la Chaîne privée Dzair TV(2014) », Actes du Colloque International, Medias, communication, Langues et langages : où on est tamazight ?, HCA-Ministère de la communication, Tizi Ouzou, 2014, pp. 217 et S.

⁴ Mohmed BEDREDDINE, La communication d'expression amazighe en Algérie : des acquis et des attentes, p. 244.

من وسائط إعلامي قوي بسبب البث الوطني الواسع المدعم بالصورة. وازداد هذا التأثير قوة بعد ظهور حصة *merhba* "مرحبا" الأسبوعية التي تستضيف مختلف وجهاء المجتمع المزابي في كل الميادين العلمية الدينية الثقافية والاجتماعية، الخ للتحديث باللغة المزابية عن مختلف القضايا المعاصرة التي تهم المجتمع المزابي. كما رافق هذه الحصة جملة من الريبورتاجات والأفلام الوثائقية المزابية حول مختلف جوانب الحضارة المزابية مثل العادات والعرمان والشخصيات التاريخية المزابية، إلخ.

وبالفعل انتجت القناة التلفزيونية الرابعة عدة اشربة وثائقية حول التراث والثقافة المزابية. أما الوعظ باللغة المزابية الذي ادرج في الاذاعة المحلية لغرداية منذ انشائها سنة 2001، فإنه لم يدخل القناة التلفزيونية الامازيغية الرابعة الا في شهر رمضان/جوان 2017، بمبادرة الاستاذ بافولولو عمر احد إدارات وزارة الشؤون الدينية، بالرغم من معارضة العروبيين المزابيين من رجال الدين منذ سنة 1998 عندما طلب منهم تعيين احد الوعاظ الاباضية لتقديم الوعظ باللغة المزابية.

3. مجال الإنتاج السمعي البصري الخاص

عرف الإنتاج السمعي البصري في القطاع الخاص باللغة المزابية نشاطا وحيوية منذ نهاية التسعينيات وبداية الألفية، إذ شهد في البداية ظاهرة انتشار الأقراص المضغوطة المتضمنة مسرحيات وأفلام درامية إضافة إلى المحاضرات والدروس والمهرجانات باللغة المزابية، وذلك لسهولة انجاز هذه المواد الإعلامية وسرعة بثها. ثم ما لبث أن تطور هذا الإنتاج بشكل كبير نتيجة تنامي الحاجة بفعل سياسة ترقية اللغة الامازيغية وإدراجها في الوسائل الإعلامية السمعية البصرية العمومية لاسيما فتح القناة التلفزيونية الرابعة الناطقة بالامازيغية سنة 2007. وأدى ذلك الى تشجيع المخرجين السينمائيين على الاستثمار في المنتج الامازيغي، لاسيما بعد تأسيس مهرجان الفيلم الامازيغي سنة 2000 الذي شارك فيه العديد من مخرجي الاشرطة باللغة المزابية، بل فازت بعض الاعمال فيها بالجوائز الاولى مثل فيلم *tirest* "البئر" لمخرجه نور الدين بكاي الذي فاز في الطبعة السادسة سنة 2007، وفيلم *tazdayt* "النخلة" للمخرج قاسم بن زكري الفانز في الطبعة الثانية عشر للمهرجان بتيزي وزو.¹ وفيلم *itrane* " نجوم المولد" لمخرجه مصطفى بوقرطاس الذي فاز في الطبعة 15 سنة 2016 ،

¹) « Le documentaire "Tazdayt" ou les balbutiements du cinéma d'expression mozabite », Algérie Presse Service, le 26 - 03 - 2012, [http://www.djazairress.com/fr/apsfr/239110].

وأخيرا فيلم *izmulen n igraren* "رموز قرارة" حول التراث الامازيغي بمدينة قرارة لمخرجه اوسامة باي الذي تحصل على جائزة الزيتونة الذهبية في الطبعة 16 سنة 2018 بتيزي وزو.¹

ومن جهة اخرى استطاعت بعض السكتشات والافلام باللغة المزابية ان تجد مكانها في القناة التلفزيونية الرابعة، مثل سكاتش *asra n wurey* "السلسلة الذهبية" وفيلما *qqelt-d yir-i* "اهتموا بي" و *tisret n imezwar* "طريق الاولين" للمخرج مصطفى بوقرطاس، الخ.

وشجع هذه التحولات على ظهور عدة شركات خاصة للأفلام أو للأقراص المضغوطة أنتجت أفلاما وأشرطة وثائقية وغنائية وتعليمية ووعظية دينية باللغة المزابية أو حول اللغة والثقافة المزابية. بحيث شكلت الأقراص على وجه الخصوص وسيلة هامة لبث اللغة والثقافة المزابية والتحسيس بالبعد الامازيغي للهوية المزابية في الأوساط الشعبية لرخص ثمنها وانتشارها الواسع. وبذل ذلك على اهية هذه الوسائط لحفظ الرصيد اللغوي والثقافي المزابي وبثه في الاوساط الشعبية.

ويمكن تصنيف هذه المواد الإعلامية باللغة المزابية إلى ثلاث أصناف نستعرض أمثلة منها في الآتي:

- **الأفلام الدرامية والفكاهية:** اهمها أفلام الفنان الكوميدي الغرداوي الشهير داديوك الحاج التي بث

البعض منها في القناة التلفزيونية الرابعة الامازيغية مثل فيلم *tiselselt n wurey* "السلسلة الذهبية"، وأفلام الممثلين اليزقنيين الفكاهيين عكاشة واعمارة في سلسلة *nniy-ač, tenni-d-i* "قلت لك، قلت لي" التي بثت في القناة الرابعة، الخ.

- **الاشربة والأقراص حول المواضيع اللغوية والتراثية:** نشرت في شكل أفلام وأقراص مضغوطة

عشرات الاشربة والمحاضرات باللغة المزابية حول مختلف المواضيع اللغوية الثقافية والتراثية الامازيغية. كما نشرت محاضرات تحسيسية حول اللغة المزابية ذاتها والتراث المزابي في أقراص مضغوطة. نذكر على سبيل المثال الأقراص المضغوطة المرفوقة بكتيب بعنوان *iles-nney* "لغتنا" للباحث عبد الرحمان حواش المتضمنة بحوثه اللفظية المختلفة التي بثها في حصة إذاعية تحمل نفس العنوان بالإذاعة

¹) Festival du film amazigh : *izmuln n'igraren*, un concentré de référents identitaire de la région d'El Guerrara, Cf : <http://www.aps.dz/culture/70397-festival-du-film-amazigh-izmuln-n-igraren-un-concentre-de-referents-identitaires-de-la-region-d-el-guerrara>.

المحلية بغرداية ما بين سنوات 2002 و 2008 ، وكذا قصيدة الشاعر عبد الوهاب حمو فخار *tawsest n tyerdayt jar idurran* "أزمة غرداية بين السطور" سنة 2015¹، الخ.² ومحاضرة الشاعر المناضل الحاج يحي احمد بعنوان "إلسنغ" لغتنا" سنة 2006³. كما أصدرت لي محاضرة بعنوان "الامازيغية،العنصر المنسي للهوية المزابية" التي ألقيتها في عدة مناسبات سنة 2014. وحول التراث الامازيغي نذكر المونولوق التحسيسى الشهير *ticbert n lleč* "عباءة اللتش" للفنان الممثل بلحاج كريم حول إشكالية اندثار التراث المزابي،⁴ ، وشريط *ayriḍ n wesli* "لباس العريس" من إنتاج شركة Belcom سنة 2014، وشريط *Imulud iyzer n mżab* "المولد النبوي بوادي مزاب" من إنتاج شركة Afnar سنة 2015 ، الخ.

- الأغاني والأنشيد المزابية الامازيغية: مثل المجموعة الغنائية التراثية في أقراص للمنشد عمر

بوسعدة *izmulen* " الرموز"⁵ ، وقرص *tanfust n weylan* "ملحمة مزاب" للمنشد المغني عمر داودي سنة 1990، وقرص (علقة) المتضمن أغاني عصرية للمغني علقة سنة 2007، وعدة أقراص للمجموعة الغنائية *utčiden* "الشباب اليافع" ، الخ.

¹ عبد الوهاب حمو فخار، تاوستت ن تغردايت جار بيدوران، *tawsest n tšerdayt jar ydurran* ، أمسية ادبية، فرقة

إمطاون ن لفرح لخدمة الادب المزابي الرفيع، الجمعة 15 أوت 2014، DVD

² عبد الرحمن بن عيسى حواش، إعداد يوسف بن عيسى الواهج، إلسنغ، لساننا *iles-n ney* ، دليل الباحث في أقراص، دار البديل، غرداية، 2010.

³ احمد بن عمر الحاج يحي، يلس-نغ، اللغة المزابية آية من آيات الله، محاضرة، آت مليشت، غرداية، (د.ت.).

⁴ يتعرض هذا المونولوق الشهير الذي جعل من عباءة "اللتش" رمزا للتراث الامازيغي المزابي، إلى إشكالية زحف مظاهر العصرية واندثار التراث القديم من لباس واواني وعادات، لما لاحظ الفنان شيوخ هذه الظاهرة في السبعينيات والثمانينيات. وعباءة اللتش هي الاسم الامازيغي لعباءة مطرزة بحروف التيفيناغ والرموز الامازيغية تصنع بالصوف يلبسها الطفل الصغير في الأفراح والأعراس. وقد اتخذها الفنان كرمز للتراث الآيل للاندثار. وبفضل هذا المونولوق عاد هذا اللباس الى التداول بشكل واسع منذ التسعينيات.

⁵ عمر ن سليمان بوسعدة، إزمولن. (د.ت.).

(ب) اقتحام اللغة المزابية لوسائل الإعلام الالكترونية الجديدة

1. شبكة الانترنت

توسع استخدام اللغة المزابية بالحرف العربي واللاتيني على السواء في صفحات الانترنت منذ سنوات. وازدادت هذه الحركية بشكل كبير في خضم الأزمة الطائفية الدامية التي راح ضحيتها المزابيين سنوات 2013 و 2015 كوسيلة لإثبات الذات والهوية الامازيغية للمزابيين، عندما تحول هذا الصراع الطائفي إلى صفحات التواصل الاجتماعي بين المزابيين والعرب المتساكنين بالمنطقة. بحيث أنشئ المزابيون مواقع انترنت خاصة باللغة المزابية لبث الأخبار والوقائع والمقالات والكتابات التاريخية الدينية الثقافية في إطار الصراع الرمزي واللغوي بين الطائفتين. ومن خلال قراءة لهذه الكتابات ولصفحات الانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي باللغة المزابية نلاحظ البعد الرمزي الهوياتي لهذه التعبيرات، بحيث لا يستخدم هؤلاء الشباب اللغة المزابية بسبب حاجتهم لها للتواصل بينهم، إذ بإمكانهم استخدام العربية أو الفرنسية، بقدر ما يهدفون من وراء ذلك إلى إثبات الذات والتأكيد على الانتماء الامازيغي لبني مزاب، كما تستخدم اللغة المزابية أحيانا بهدف التواصل الخاص كلغة مشفرة يفهمها المتخاطبون لاسيما عندما كان الصراع على أشده بين الطائفتين في فترة 2013-2015. وفي الواقع أصبح استعمال اللغة المزابية طريقة لإثبات الهوية المزابية من خلال نصوص مزابية منشورة وتغريدات على شبكة الفيسبوك وبطاقات تهنئة باللغة المزابية، إلخ. وهو ما أعطى قوة رمزية جديدة للغة المزابية وجاذبية في الأوساط الشبابية المزابية. (انظر نماذج من ذلك في الملاحق).

وان كانت الأغلبية الساحقة لرواد الانترنت من القبائليين يستخدمون الحرف اللاتيني أساسا للتواصل وحرف التيفيناغ بصفة رمزية في أحيان نادرة¹، فالملاحظ أن المزابيين يستخدمون في غالبيتهم الحرف العربي لكتابة اللغة المزابية بينما تستخدم حرف التيفيناغ في الصور والإعلانات كحروف لها بعد رمزي، مع وجود دروس لتعليم حروف التيفيناغ. ويمكن أن نميز بين أربعة أنواع من المواقع المزابية:

- **مواقع إخبارية:** وهي خاصة بالمزابيين الهدف منها بث الأخبار المتعلقة بشؤون الجماعة المزابية الى افرادها. وتأتي هذه المواقع لدرء النقص والفراغ الموجود في هذا الشأن، في وسائل الإعلام الرسمية للدولة المحلية والوطنية. ولعل أهم هذه المواقع على سبيل المثال موقع *lexbar n*

¹)Nora TIGZIRI, « L'écriture du berbère à travers internet », *Actes du symposium International : Textes en contact, Langue et écrit face à l'oralité africaine*, Zurich, 2001, p.2.

tawwat "أخبار الإخوة"، isallen n waylan "أخبار مزاب". بل ظهرت مواقع اخبارية باللغة المزابية خاصة بكل مدينة مزابية، فنجد "لخبار نات ازدجن"، و"لخبار نبريان"، "لخبار ن تغردايت"، الخ.

- **منتديات للنقاش :** وفيه تستعمل اللغة المزابية إلى جانب اللغة العربية وأهمها موقع tizefri

"غرفة الضيوف"¹ لصاحبه جمال زيطاني الذي يحتوي على "منتديات أعزام" الذي بات مجالا للنقاش الثري حول مختلف المواضيع منها موضوع اللغة المزابية وطرق تطويرها.²

- **صفحات فايسبوك للنقاش باللغة المزابية:** انشئ بعض الباحثين صفحات لهم يتناقشون فيها مع جمهور عريض باللغة المزابية وحول اللغة المزابية وآدابها وثقافتها، وفيها كان يتم النقاش باللغة المزابية حول مختلف المواضيع، لعل أهمها هو الموقع الذي كان للاستاذ المرحوم الباحث العصامي عبد الرحمان حواش³ الذي يتقاسمه جمهور عريض من الجامعيين المزابيين، أين كان يقدم تقييدات وشروحات حول الالفاظ المزابية القديمة وشرح عناصر التراث والثقافة الامازيغية (انظر نموذج لها في الملاحق).

- **مواقع علمية وتعليمية متخصصة في اللغة المزابية:** أهمها موقع atmzab.net الذي يقدم دروسا مبسطة ومصورة في قواعد كتابة اللغة المزابية بأبجدية التيفيناغ مع الشرح باللغة العربية، بالإضافة إلى مكتبة هامة حول مختلف جوانب التراث المزابي التاريخية الثقافية الاجتماعية (انظر نماذج في الملاحق).⁴ كما نذكر مواقع tumzabte "اللسان المزابي"⁵ و tjemmi n tdfi "واحة الفائدة"⁶ و tira s tumzabt "كتابة اللغة المزابية"⁷ المتخصصة في تعليم كتابة اللغة المزابية بالحرف اللاتيني وتبادل المعارف حول ألفاظها وثقافتها.

¹)http://www.tizafri.com

²) انظر مثلا موضوع: "ماذا عن لغتنا المزابية؟"، بتاريخ 11 فيفري 2012:

http://www.tizafri.com/viewtopic.php?f=6&t=1072

³) www.facebook.com/ abdarrehman houache

⁴) http://atmzab.net/benou-mzab/loghatena-wa-tifinagh

⁵) www.facebook.com/tumzabte

⁶) تاجمي ن تضيي / www.facebook.com/

⁷) http://www.tumzabt.tk/liens.html

وعرف ميدان المكتبات الرقمية الامازيغية طفرة نوعية هامة في سبيل البث الواسع للانتاج البحثي الواسع حول اللغة المزابية والامازيغية ابتداء من سنة 2016، حين أنشئت في موقع مغلق للفيسبوك مكتبة أمازيغية رقمية (Tamkerdit tumḍint tamaziyt-Bibliothèque numérique amazighe)¹ تضم العشرات من المؤلفات والبحوث المنجزة في الحقل المزابي والامازيغي بصفة عامة سواء القديمة منها او الحديثة، أغلبها يكون قابلا للتحميل بسهولة من طرف الاعضاء. بالاضافة الى الموقع الهام للمكتبة الرقمية الامازيغية الموسوم aymun.com الذي يضم العديد من المراجع الهامة في اللغة المزابية مثل المنجد المزابي الفرنسي للاب جون دولور . .

- **منتديات مزابية على شبكة الفيسبوك:** وفيها يتم النقاش باللغة المزابية اضافة الى اللغتين العربية والفرنسية. وتطورت ظاهرة المنتديات باللغة المزابية في السنوات الاخيرة بشكل كبير. وبغض النظر عما إذا كان الهدف من استعمال اللغة المزابية فيها هو التشجيع على التعامل بها والنضال من اجل جعلها لغة العصر، أم ان ذلك كان كوسيلة لحصر الدخول إليها على المزابيين ومنع غيرهم من فهم ما يقال فيها؛ فإن هذا التحول يشكل تقدما نوعيا ورمزيا هاما للغة المزابية التي استطاعت ان تكتسح الفضاء الافتراضي الى جانب اللغات الاخرى لم يكن يتصور من قبل. ولاحظنا في الازمة الطائفية التي ضربت وادي مزاب سنوات 2013-2015 وجود صراع كبير بين المزابيين والسكان الناطقين بالعربية في موقع قوقل ارث google erth حول تسميات الاماكن les toponymes ، فيعتمد المزابيون الى مراسلة إدارة الموقع لتثبيت الاسماء الامازيغية لمدن ومناطق وشوارع وادي مزاب مستنديين في ذلك الى وثائق تاريخية ودراسات اكااديمية، بينما يحاول عرب غرداية باستمرار اعطائها اسماء عربية مستنديين الى شروحات مخالفة.

2. الرسائل الهاتفية:

إلى جانب الانترنت دخلت اللغة المزابية الهاتف النقال كوسيلة للتواصل الحميمي بين الاصدقاء وافراد العائلة من خلال الرسائل القصيرة SMS منذ ظهوره وتوسع استخدامه في الجزائر في العقد الاول

¹)www.facebook.com/groupe Tamkerdit tumvint tamazi\$-Bibliothèque numérique amazighe.

من الألفية. ولاحظنا تنامي هذه الظاهرة مع التطور التكنولوجي للهواتف الذكية التي تسمح بالتسجيل الصوتي وتلقي الرسائل الصوتية.

غير ان استخدام اللغة المزابية في الانترنت والهاتف الذكي ما زال في بدايته، كما لاحظنا انحصاره غالبا في المجتمع النسوي أو في فئة النخب المتعلمة كشكل من اشكال النضال من اجل إحياء اللغة المزابية. ويتبين من أحد اسئلة الاستبيان حول مدى استخدام اللغة المزابية في الانترنت والرسائل القصيرة،(السؤال رقم 1-2)، أن نسبة 46.8 ٪ من المزابين تستخدم "دائما" أو "غالبا" أو "أحيانا" لغتها في هذه الوسائل الاتصالية الجديدة، حسبما يدل عليه هذا الجدول المفصل للاجابات ومتغيراتها:

نسبة استخدام اللغة المزابية في الانترنت والرسائل القصيرة	الإناث	النسبة المئوية	الذكور	النسبة المئوية	المجموع	النسبة المئوية
دائما	1	1.3%	0	0%	1	1.3%
غالبا	7	7.7%	2	22.2%	9	10%
أحيانا	15	16.6%	17	18.8%	32	35.5%
نادرا	8	8.8%	17	18.8%	25	27.7%
أبدا	14	15.5%	9	10%	23	25.5%
المجموع	45	50%	45	50%	90	100%

الجدول (4) نسبة استخدام اللغة المزابية في الانترنت والهاتف

ويظهر تحليل الجدول ان نسبة استخدام اللغة المزابية في الهاتف النقال والايفون مازالت محتشمة، بحيث نجد ان 46.8 ٪ من المبحوثين فقط يستخدمون اللغة المزابية "دائما" أو "غالبا" أو "أحيانا" في الهاتف والانترنت(الشكل 6 في الملحق). أما دواعي الاستخدام فتكمن فيما يلي:

- في التواصل مع الاهل والاصدقاء والاقارب للحفاظ على الحميمية في مواضيع التهنة والدرشة أو المزاح في بعض الاحيان.
- في حالات الضرورة لبعث رسائل مهمة او للتواصل مع الاشخاص الاحادي اللغة الذين لا يفهمون غير المزابية من المسنين، حيث تقول إحدى المستجوبات >> اكتب الرسائل القصيرة بالمزابية لأمي لأنها تفهمها بسهولة << (طالبة جامعية، 23 سنة، آت ازدجن).
- كوسيلة للتشفير حتى لا يفهم الآخرون كلام المعني.

ونلاحظ ان هؤلاء يستعملون الحروف اللاتينية والعربية على السواء، حيث تقول إحدى المستجوبات << استعملها بكتابتها باللغة الفرنسية (الحروف اللاتينية) لأنها بالنسبة لي سهلة التعبير >> (طالبة جامعية، 22 سنة، بريان). اما الذين لا يستخدمون لغتهم في هذه الوسائل فيمثلون 53.2 ٪. ويبرر ذلك اغلبهم بصعوبة كتابتها وقرائنها وفهمها من طرف المتلقي، كما يشكون من عدم وجود ازرار لكتابتها في لوحة مفاتيح الحاسوب والهواتف الذكية أو عدم تعودهم على ذلك.

وحوصلة القول أن دخول اللغة المزابية في المجال الإعلامي السمعي البصري أدى إلى اختراقها ولو بشكل محدود للمجال الرسمي الذي كان محتكرا من طرف اللغتين العربية والفرنسية، وهو انتصار رمزي هام جدا أعطى لها نفسا جديدا للتعبير عن مختلف قضايا المجتمع بعد أن كانت لغة للتعامل بين المزابيين في مجالات ضيقة. كما مكنها من التوسع إلى مجالات جديدة مثل السياسة والاقتصاد والرياضة ومختلف العلوم بالرغم من كون ذلك يتم بلغة مصطنعة نتيجة اعتماد الكلام الاخباري والاعلامي في هذه المواضيع على الترجمة من اللغات الأخرى. وكان لجهود الاعلاميين من الجامعيين الناطقين باللغة المزابية دورا في اثبات الوجود الرمزي للغة المزابية في وسائل الإعلام السمعية البصرية الثقيلة منذ التسعينيات، وبالتالي تحقيق انتقال نوعي في تمثيلات المزابيين والتخفيف من النائية السائدة: اللغة المزابية كلغة العامة والجهلة- اللغة العربية الفصحى كلغة العلماء والنخبة.

وانعكس هذا الولوج الإعلامي الكبير للغة المزابية على المستوى اللغوي بأن ظهرت لغة إعلامية مزابية جديدة واسعة الأفق تتناول مختلف مواضيع الساعة السياسية والاقتصادية والتاريخية والثقافية وحتى الرياضية، استطاعت مع الوقت أن تجد لها أذانا واستساغة لدى المستمعين والمشاهدين خاصة مع اقترانها بالصورة وتقنيات العمل الصحفي كالريورتاج واستجواب المواطنين والإشهار، الخ؛ لتعرف الانتشار في الأوساط الشعبية على وجه الخصوص. ثم ان جهود الصحافيين والمنتجين من الجامعيين المزابيين الذين تولوا مهمة إدراج اللغة المزابية في الإعلام العمومي أدت -امام الفراغ الرهيب للرصيد اللفظي الجديد- إلى خلق رصيد لغوي لفظي ونحوي معتبر أثرى الرصيد القديم للغة المزابية، فانتشر شيئا فشيئا في الأوساط الشعبية من خلال النقاشات والأخبار والتحليل والريورتاجات حول مختلف المسائل التاريخية الثقافية الاقتصادية والاجتماعية. وبواسطة اللسان الإعلامي الجديد أدرجت في اللغة المزابية العديد من الابتكارات اللفظية التي أنجزها الباحثون المزابيون أو القبائليون أو اقتبسوها من التنوعات الامازيغية الأخرى، نذكر على سبيل المثال: *aselway* "الرئيس"، *aneylaf* "الوزير"، *akabar* "الحزب"، *tagrawla*

"الثورة" Taneffajt، "الطائرة"، ajraw "المؤتمر"، tamescant "المظاهرة"، الخ. كما اجتهد الإعلاميون الناطقون بالمزابية في بعث عدد معتبر من الألفاظ المزابية القديمة، وأحيانا توظيفها بدلالات جديدة

مثل

"طلب/طالب"، yethata "يأمل"، tahbibect "الطوارئ"، tameğget "الفعلة" المشينة/العملية

الارهابية"، ticli "المشوار/المسيرة"، الخ.¹

وحسب احد اسئلة استبياننا (السؤال رقم 5-1) حول ما إذا كان الشخص يفهم اللغة المزابية التي يسمعها في الإذاعة والتلفزيون، تبين أن 74.4 ٪ من المستجوبين يفهمون "غالبا" هذه اللغة باستثناء "بعض المصطلحات"، بينهم 53 ٪ إناث، و 47 ٪ ذكور ؛ بينما صرح 25.6 ٪ انهم يفهمون "القليل" من هذه اللغة بسبب انها لغة قديمة لم تعد مستخدمة، بينهم 31 ٪ إناث و 69 ذكور (الشكل 7 في الملحق)، وسبب ذلك <>أنها تحتوي على كلمات صعبة لا نتداولها في الكلام العادي>> (استاذة، 28 سنة، تادجنيث)، أو <>لأنهم يتحدثون بالمزابية القديمة، ولا أرى فائدة من ذلك لأننا لا نفهم>> (طالبة جامعية، 22 ، قرارة).

وكحوصلة لهذا المطلب نخلص الى تصنيف اللغة المزابية من حيث التوسع الى المجالات الجديدة ووسائل الاعلام في الدرجة "2". ذلك انه بالرغم من التوسع المعتبر الذي عرفته اللغة المزابية الى المجالات الجديدة كالاعلام السمعي البصري، إلا ان حضورها في المجال الرسمي العام مازال محتشما حتى اليوم وفقا لقانون الازدواجية اللغوية diglossie . لكن إذا حاولنا إسقاط جدول شارل فيرغسون لاختبار مدى توسع استخدامات اللغة المزابية في ظل العلاقة التفاضلية بين اللغتين المزابية والعربية الفصحى، نلاحظ تقدما واضحا للغة المزابية مقارنة باللغة الدونية التي يحددها الجدول. إذ أصبحت تستعمل في عدة مجالات كان يعتبرها شارل فيرغسون حكرا على اللغة الراقية ، وهو ما يؤكد صحة الانتقادات الموجهة لهذا الجدول الذي يصور علاقة ثنائية جامدة وصارمة بين اللغات، بينما تتميز هذه

¹) Rachid LAIB, Chafia BOULMA, *Tumzabt face à la modernité, Etude lexicale du journal télévisé en Tmazighte (tumzabt).* op.cit.

العلاقة في الواقع بكونها علاقة تطويرية وتداخلية وتخضع لمختلف التجاذبات والسياقات والظروف¹. ونشير الى هذه المجالات الجديدة التي اقتحتها اللغة المزابية بـ(+) . كما يبين الجدول التالي:²

المجال والسياق التواصل	اللغة الراقية (العربية الفصحى)	اللغة الشعبية (اللغة المزابية)
الوعظ في المسجد او الكنيسة	x	(+)
التعليمات للخدم والعمال		x
الرسائل الشخصية	x	
الخطب السياسية	x	(+)
محاضرة في الجامعة	x	
حديث عائلي، مع الأصدقاء والزملاء		x
الإذاعة والأخبار	x	(+)
التمثيلات في الإذاعة		x
الإعلام المكتوب والصحف	x	
الشعر	x	(+)
الأدب الشعبي	(+)	x

الجدول (5) اسقاط جدول فيرغسون على استخدامات اللغة المزابية

وهكذا نلاحظ اقتحام اللغة المزابية لميادين جديدة، زاحمت فيها اللغة العربية الفصحى، وهي: الوعظ، الخطب السياسية(ابان الحملات الانتخابية)، الاذاعة والاخبار (القنوات الامازيغية السمعية البصرية)،الشعر والادب(الشعر المزابي المكتوب والملقى).

خاتمة المبحث الأول

يتبين من دراستنا التقييمية التحليلية للعوامل المتعلقة بخصائص اللغة المزابية، أن هذه اللغة تعاني من عوامل ضعف كبير بالنسبة لدرجة التوثيق وتوفر المواد البيداغوجية للتدريس لكونها لا تزال في المستوى

¹ انظر انتقادات الأستاذة خولة طالب الإبراهيمي لجدول فيرغسون لتفسير العلاقة بين اللغات في ظل الوضع السوسيو- لساني الجزائري :

Khaoula TALEB IBRAHIMI, *Les algérien et leur(s) langue(s)*, pp. 54 et S.

² انظر جدول فيرغسون: د.جميل حمداوي، اللسانيات الاجتماعية، المرجع السابق، ص.20.

Khaoula TALEB IBRAHIMI, *op .cit.*,p.53.

المتدني جدا من الشفوية، ولم تدون اللغة والثقافة المزابية إلا بنسبة قليلة، فضلا عن عدم انتقالها إلى مرحلة التثبيت والتتميط والتهيئة كمثيلتها القبائلية مثلا. بينما تتمتع بعوامل قوية فيما يتعلق بنطاق الاستخدام بفضل التزايد الكبير لمجالات استخداماتها وتوسعها في المجال الإعلامي السمعي البصري والرقمي. وبناء عليه يمكن تصنيف درجة هذه العوامل الأربع بالنسبة لوضع اللغة المزابية، وفقا لسلم اليونسكو في الجدول التالي:

عامل الحيوية	ترتيبه حسب الاهمية في سلم اليونسكو	تقييمنا لدرجته	توصيف اليونسكو لهذه الدرجة
نوع التوثيق وجودته	المرتبة التاسعة	2	"ثمة بعض القواعد اللغوية، وقائمة مفردات، ونصوص مفيدة للبحث اللغوي المحدود، غير انها ناقصة. قد تتوفر تسجيلات سمع-بصرية ذات نوعية متفاوتة، مع أو من دون تفسير."
مواد تدريس اللغة ومحو الأمية	المرتبة السادسة	2	"تتوفر النصوص المكتوبة، لكنها قد تجدي نفعا فقط لبعض أفراد المجتمع. أما بالنسبة للآخرين، فقد يكون لها قيمة رمزية. لايشكل تعليم القراءة والكتابة للغة جزءا من المناهج المدرسية."
نطاق الاستخدام (التغييرات في مجالات استخدام اللغة)	المرتبة الرابعة	4	"لنكافؤ بين اللغات: يمكن استخدام لغتين أو أكثر في معظم المجالات الاجتماعية ولمعظم الوظائف. وغالبا ما تكون لغة الأجداد نادرة في المجال العام."
مدى توسعه الى المجالات الجديدة ووسائل الاعلام (مواجهة مجالات ووسائل إعلام جديدة)	المرتبة الخامسة	2	"لغة متكيفة: تستخدم اللغة في بعض المجالات الجديدة"

الجدول (6) تقييم اللغة المزابية وفقا للعوامل المتعلقة بخصائص اللغة (التوثيق والتدريس ونطاق الاستخدام)

بالموازنة بين عاملي التدوين وتوفير مواد التدريس اللذين يساعدان على تنميط اللغة المزابية من جهة (الدرجة 2)، وعاملي نسبة الاستخدام ومدى توسعه إلى المجالات الجديدة ووسائل الاعلام من جهة اخرى (الدرجة 2 و 4)؛ نلاحظ ان هذين الأخيرين يعتبران في الواقع أكثر أهمية وحسما في حيوية اللغات نظرا للدور الهام للمجتمع والناطقين في حياة وموت اللغات مادامت اللغة كائن اجتماعي في المقام الأول. وبالفعل يؤكد فيشمان FISHMAN، منتقدا النظرة المبالغة فيها حول دور المدرسة في تنميط اللغة، على أن المدرسة لا تشكل إلا عاملا ثانويا في مسار التنميط <وهي في خدمة نظم اجتماعية أكثر عمقا وقوة؛ بحيث يجب أن يتجه المخططون اللسانيون إلى هذه النظم إذا أردوا تثبيت القاعدة النمطية بنجاح> (ترجمتنا).

¹ Joshua A. FISHMAN, « Aménagement et norme linguistiques en milieu linguistiques récemment conscientisés », *LA NORME LINGUISTIQUE*, S.D. Edith BIDARD, Jacques MAURIS, Editions LE ROBERT, paris, 1983, p.393.

المبحث الثاني:

حيوية اللغة المزابية وفقا للعوامل المتعلقة بالناطقين وبالسّياسة اللّغوية والمحيط المؤسّساتي

إن اللغة هي كائن اجتماعي تتأثر قوة وضعفها بوضع المجتمع الذي ينطقها ويستخدمها وبالعوامل الخارجية السياسية والثقافية الاقتصادية المحيطة بها. وعليه كان من البديهي أن يكون لمواقف الناطقين بها وتمثّلاتهم وسلوكياتهم اللغوية إضافة إلى سلوك المحيط المؤسّساتي أثرا بالغا في حياة وقوة وضعف وموت اللغات. وبالفعل يقول في هذا المعنى Augusto CARLI أوكيستو كارلي¹:

>> عندما نصف لغة ما بأنها " في كامل الحيوية" أو بالعكس "في طريق الزوال"، أو "الهرم"، فليست هي اللغة التي توجد في هذه الحالة، وإنما " الجماعة اللسانية" المرجعية لها. من الواضح أن اللغة هي بناء اجتماعي لا يمكن فصله عن الأفراد والمجموعات الاجتماعية <<² (ترجمتا)

وإذا حاولنا دراسة العوامل الخارجية للغة المزابية والمتعلقة بالناطقين وبالمحيط المؤسّساتي نجدها ، على عكس العوامل الداخلية التي تمثّل بعضها عناصر ضعف حقيقي كما رأينا في المبحث الأول؛ تشكل عوامل ومؤشرات قوة حقيقية تضمن استمرارية اللغة المزابية وحيويتها: فمن جهة يعتبر انتقال اللغة المزابية شرطا وجوديا لحياة الجماعة المزابية كأقلية دينية مذهبية واثنو-لسانية بفضل توفر عدة عوامل جغرافية دينية واجتماعية رغم ما يتهدد هذه الآلية من عراقيل، (المطلب الأول)؛ ومن جهة أخرى وفيما يتعلق بمواقف المزابيين من لغتهم، نجد أن أغلب الناطقين المزابيين يعترضون بلغتهم باعتبارها إرثا قوميا ولغة حميمة وعنصرا تمييزيا من هويتهم الاثنو-لسانية والمذهبية، بالرغم من الضعف الديمغرافي الكبير للجماعة المزابية، وعدم انخراطهم في النضال السياسي من اجل الاعتراف بالامازيغية وترقيتها لأسباب عدة، وبالموازاة مع ذلك نلاحظ المكانة المرموقة للغة العربية الفصحى بسبب طابعها الديني المقدس لديهم(المطلب الثاني)؛ بالإضافة إلى ذلك فإن السّياسة اللّغوية الحكومية الجديدة في الجزائر تجاه الامازيغية منذ أواسط التسعينيات والتي تسعى إلى ترقية مكانتها وتوسيع استعمالاتها، أصبحت تشكل أكثر فأكثر عنصر قوة ودعم رمزي وسياسي لمركز اللغة المزابية في المجتمع المزابي(المطلب الثالث).

¹ Augusto CARLI, "Pour une mise à jour du concept de vitalité linguistique", op cit, p.1.

² << Lorsqu'on qualifie une langue de langue « en pleine vitalité » ou au contraire « en cours d'extinction », ou encore de « obsolescente », ce n'est pas la langue elle-même qui se trouve dans cette situation, mais la « communauté linguistique » de référence. Il est notoire que la langue est une construction sociale qui ne peut pas faire abstraction des individus ainsi que des groupes sociaux. >>

المطلب الأول: انتقال اللغة المزابية عبر الأجيال وعوامله

يعتبر انتقال اللغة بين الأجيال ليس فقط من العوامل المهمة بل أهم العوامل لبقاء أي لغة، لذلك فقد صنفته منظمة اليونسكو في الدرجة الأولى في ترتيب مؤشرات حيوية اللغات، وعليه ينصح باستعماله كإجراء أولي لإحياء اللغات الآيلة للاندثار. وهو ما يؤكد عليه اللغويان قرونوبل، GRENOBLE و والي WHALEY بقولهما:¹ >> حتى تكون اللغة حيوية يجب أن تكون مستعملة بكثرة من طرف الأطفال. إن ديناميكية انتقال اللغات بين الأجيال هي ربما أكثر أهمية للفهم من أي عامل آخر لدعم الحاجة لإحياء اللغات>>² (ترجمتا)

وبالنسبة لحالة دراستنا يشكل انتقال اللغة المزابية بين الأجيال عنصر قوة للغة المزابية بسبب كونها لغة أقلية اثنو-لسانية ودينية منعزلة إلى حد معتبر عن التأثيرات الخارجية. والملاحظ أنه رغم استعمال المزابيين للغة العربية الفصحى كلغة إجبارية للتدريس الديني، فإن ذلك لم يعرضهم إلى التعريب الكثيف باللغة الدارجة، كما حصل لعدد كبير جدا من الشاوية والشنوة الذين نزحوا إلى المدن الكبرى، وكذا لعدد معتبر من الناطقين بالقبايلية الذين استقروا في الجزائر العاصمة وضواحيها منذ العهد التركي. وفي الحقيقة يجد هذا التساؤل تفسيره في عدة عوامل كانت ولا تزال ضامنا لعملية نقل اللغة المزابية بين الأجيال، يمكن إجمالها في نوعين: العوامل الجغرافية التاريخية والدينية (الفرع الأول)، والعوامل الاجتماعية التي تمثل فيها المرأة المزابية الحلقة الأساسية لمسار الانتقال الطبيعي للغة المزابية بين الأجيال، بالرغم من التهديدات الجديدة التي تواجهها والمتمثلة في الثورة الإعلامية وطريقة التعليم التحضيري للأطفال وتدريس محو الأمية بالنسبة إلى المسنين (الفرع الثاني).

¹) GRENOBLE, Lenore A. – WHALEY, Lindsay J., *Saving Languages, An introduction to language revitalization*, Cambridge, CUP, 2006, p.6 ; cité par Augusto CARLI, "Pour une mise à jour du concept de vitalité linguistique", op. cit., p.6.

²) « for a language to be vital, it must be actively used by children. The dynamics of intergenerational transmission are perhaps more important to understand than any other relevant factor in assessing the need for language revitalization ».

الفرع الأول: العوامل الجغرافية والدينية والاجتماعية الضامنة لانتقال اللغة المزابية عبر الأجيال

عندما تكون اللغة مرجعا مشتركا لأفراد جماعة ما تتميز من خلالها -بالإضافة إلى العناصر الثقافية الأخرى- عن الجماعات الأخرى، فإنها تصبح محورا للانتساب الاثنو-لساني الذي تحرص الجماعة على نقله بين الأجيال كشرط حتمي لاستمراريتها ووجودها كجماعة متجانسة. وقد عُرف المجتمع المزابي بكونه من المجتمعات المحافظة جدا على الموروث الثقافي الديني اللغوي في الجزائر. بحيث تنتقل اللغة المزابية بين الأجيال مع مجموعة من العناصر الثقافية الموروثة مثل العادات والأعراف الامازيغية والمذهب الاباضي بكل ما يتضمنه من اعتقادات وقيم وتقاليد وعبادات. وبالطبع فإن اللغة عند انتقالها تتعرض إلى تغيرات لفظية وتركيبية طفيفة تميز كل جيل، ذلك انه << في حياة اللغة فإن التغير هو القاعدة وليس الاستثناء >> (ترجمتنا)

إن تشكل بني مزاب كأقلية مذهبية ولغوية واضحة المعالم في المجتمع الجزائري جعلها تتصرف من منطق الأقليات بهدف المحافظة على وجودها كما هي تجاه الذوبان والانفصاخ في الأغلبية. وعليه فقد ترسّخت في المجتمع المزابي تقاليد ثابتة إلى اليوم لنقل الإرث اللغوي الثقافي الديني بين الأجيال عبر المرأة المزابية باعتبارها الحارسة الأمينة الضامنة للمحافظة على الهوية المزابية بكل عناصرها المميزة المذهبية اللغوية الثقافية الاجتماعية. وساعد على تحقيق هذا الهدف عدة عوامل تاريخية ودينية وجغرافية. فبالرغم من الضعف العددي لبني مزاب واحتكاكهم عبر العصور بمختلف الجماعات القبلية المعربة، وكذا موقعهم كجماعة لغوية صغيرة محاطة بأغلبية معربة إن على مستوى منطقتهم أو على المستوى الوطني؛ إلا أنهم استطاعوا الحفاظ على لغتهم وثقافتهم الامازيغية التي تشكل حتى اليوم ركنا أساسيا لهويتهم. فما هي العوامل التي كانت ولا تزال سببا في استمرارية وترسخ اللغة المزابية وانتقالها بين الأجيال ؟

توجد -في رأينا- عدة عوامل كانت ولا تزال سببا في تكوين وتشكيل بني مزاب كمجموعة اثنو-لسانية، ساهمت بصفة أساسية في الحفاظ على اللغة المزابية ونقلها بين الأجيال، وهي: العزلة الجغرافية التاريخية الاجتماعية الطويلة التي عاشها بني مزاب إلى أواخر القرن العشرين (أولا) ، والخصوصية المذهبية التي باتت أساس التماسك الاجتماعي المذهبي الثقافي للمجتمع المزابي تجاه الأغلبية (الأخر) ذات الانتماء إلى المذهب

¹) Luisa MAFFI, « Langues menacées, savoirs en péril », op.cit.,[en ligne].

المالكي؛ وأخيرا إلى الوضع الطائفي والتنافس والصراع الاثنو-لساني المذهبي مع السكان العرب النازحين إلى وادي مزاب الذين نظر إليهم كتهديد، فأدى ذلك إلى تماسك الجماعة المزابية بمكونات هويتها تجاه الآخر (ثانيا)،

أولا: العزلة الجغرافية التاريخية السياسية لبني مزاب

قد يعتقد الكثيرون أن العزلة الجغرافية للجماعات الامازيغية وعدم ارتباط لغتهم بالسلطة كان سببا في ضعف اللغة الامازيغية وزوالها من عدة مناطق، إلا أن العكس من ذلك قد يكون هو الصحيح. إذ كانت العزلة سببا في بقاء اللغات اليابانية والايرلاندية والايكوسية، إلخ.¹ كما يرى احمد بوكوس بحق أن اللغة الامازيغية إنما استطاعت أن تستمر وتقاوم الزوال، بفضل عزلة الجماعات الامازيغية في المناطق الجبلية والصحراوية وبُعدها من مراكز السلطة المركزية التي تهيمن فيها لغة السلطة والدولة، مثل جبال الأطلس والريف بالمغرب وجبل انفوسة بليبيا، وجبال القبائل ووادي مزاب والأهقار في الجنوب بالجزائر، إلخ. ذلك أن هذا الانعزال الجغرافي أدى إلى الحد من احتكاك الامازيغية -التي توجد في مركز ضعف- بلغات السلطة المركزية المهيمنة التي تتمتع بقوة وشرعية دينية وسياسية، مما يؤدي في حالة حدوثه إلى ابتلاع هذه اللغات للامازيغية واحتوائها.²

ولاشك أن العزلة الجغرافية لبني مزاب كانت من العوامل الحاسمة في الحفاظ على لغتهم الامازيغية ونظامهم الاجتماعي الديني. بل إن الدافع الاساسي لهجرة القبائل والجماعات الامازيغية الزناتية الاباضية إلى بلاد مزاب منذ أوائل القرن الحادي عشر -الذي عرف بالاضطرابات وبالغزو الهلالي للمغرب الأوسط- إنما هو المحافظة على وجودها كجماعة أمازيغية إباضية هربا من قمع الجماعات المخالفة لها.

وتقع وادي مزاب³ في الجنوب الجزائري على بعد 600 كلم عن العاصمة الجزائر في الأطلس الصحراوي بوادي قاحل تعبره السيول الموسمية، ولهذا سمي بـ"شبكة وادي مزاب". ويستقر بنو مزاب في سبعة مدن، خمسة منها في الوادي وهي تادجنينت، تاغردايت، آت ازدجن، آت بنور، آت مليشت، واثنان شمال الوادي وهي بريان التي تبعد عن غرداية بـ 45 كلم، و قرارة التي تبعد عنها بـ 110 كلم . وعليه يمكن تحديد موطن بني مزاب ما بين حاسي

¹) WILLIAM F.Mackey, *Bilinguisme et contact des langues*, op.cit.,p.36.

²) Ahmed BOUKOUS, *Revitalisation de la langue amazigh, défis enjeux et stratégies*, op.cit., p.76.

³) كانت تسمى وادي مزاب قديما حسب هنري اوكابتان "تيميزرت" وتعني المنظر الجميل انظر :

Henri Aucapitaine(Le Baron), *Les Béni-MZAB, Sahara algérien*, Chalamel Librairie éditeur, paris, 1867, p.6.

رمل شمالا ووادي متليلي جنوبا، وزلفانة شرقا إلى الصحراء الكبرى غربا . ويسمي بنو مزاب موطنهم "أغلان" أي الوطن .

وعن الانتماء القبلي لبني مزاب يحدد العلامة ابن خلدون شجرة انتساب *At mزاب* (جمع *umزاب*) على أنهم أبناء موزاب، وهم إخوة بنو توجين وبني زردال وبني عبد الواد، وهم من قبيلة بني بادين الزناتية المنحدرة من واسين ابن وارشيك ابن جانا وهو الجد الأول المفترض لزناتة¹.

لكن حتى بداية القرن الحادي عشر كان بنو مزاب على مذهب المعتزلة ، وكان نمط حياتهم شبه بدوي ويسكنون في أكواخ بسيطة. ويسقط الدولة الرستمية الاباضية سنة 914 على يدي العبيديين الشيعة والفاطميين، وملاحقة هؤلاء للاباضية ومقاتلتهم لهم، بدأت هجرة كثيفة للقبائل الامازيغية الاباضية التي كانت تشكل رعايا الدولة الرستمية نحو وادي مزاب بعدما تأكد أنه، بسبب بعده وعزلته وقسوة مناخه، بات يشكل حصنا منيعا من الأعداء. ومن أهم المناطق التي هاجر منها السكان الاباضية إلى وادي مزاب: تيهرت، آريغ ، دجربة (تونس)، اسدراتن وارجلان (ورقلة) ، انفوسة (ليبيا) ، سجماسة و تفيالنت (المغرب) ، الاوراس ، الخ. وينتمي هؤلاء السكان عموما إلى قبائل شعب زناتة مثل لماية ولواتة ، ازديجة، مدناسة، ومطماطة². وقد انصهرت كل هذه القبائل بفعل العامل الديني (المذهب الاباضي) ، والثقافي واللغوي (الامازيغية) ، والعامل السياسي (الولاء السابق للدولة الرستمية) في تنظيم سياسي قبلي جديد في إطار المدن المزابية.

وأُسست المدن المزابية واحدة تلو الأخرى، إما من طرف جماعات قبلية نازحة بقيادة شيخ اباضي، وإما تبعا لخلاف واقتتال بين العشائر داخل إحدى المدن، فيخرج الصف المهزوم من المدينة ليؤسس مدينة أخرى. وكان ذلك حسب التتابع الزمني الآتي:³

- **تادجنيونت / taġnint / العطف:** أسست سنة 1012 م من طرف الشيخ أبغور،

- **آت بنور - At bunur / بنورة :** أسست سنة 1046 م من طرف عشيرة آت مطهر النازحة من منطقة اسدراتن (ورقلة).

⁽¹⁾ العلامة عبد الرحمن بن خلدون (1332-1406)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، الطبعة الأولى، 1981، دار الفكر، بيروت، الجزء السابع، ص 82.

⁽²⁾ Emile MASQUERAY, *Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie (Kabylie de Djurdjura, Chawia de l'Aurès, Béni Mزاب)*, paris, Leroux, 1886, p.202.

⁽³⁾ هذه التواريخ تقريبية نظرا لاختلاف المصادر حولها.

- **تاغردايت - Tayerdyt / غرداية:** أسست سنة 1053م من طرف ثلاثة مشائخ يقودون عشائريهم النازحة وهم بباولجمة ، عيسى وعلوان ، وبباسعد، وانضمت إليهم عشيرتان كبيرتان هما آت آمي سعيد وآت باسليمان. وتشكل غرداية بفضل كثافتها السكانية وموقعها الجغرافي وأهميتها الاقتصادية عاصمة مزاب ، وهي اليوم مقر ولاية غرداية.

- **آت ازدجن - At izgen / بني يزقن:** وأسست سنة 1353 م بتجمع سكان ثلاث قرى حول قرية تافيلالت وهي بوكياو، آقنونا، ترشين.

- **آت مليشت - At mlicet / مليكة** وأسست سنة 1355م من طرف عشيرة قدمت من ليبيا بقيادة الشيخ ويرو بن سليمان، وهي المدينة الأصغر والأقل سكانا .

- **قراة - gerara / القراة** وأسست سنة 1630 م من طرف ثلاثة عشائر وهي آت باكة، آت نوح، وات عفاة، وهي مركز الحركة الاباضية الإصلاحية منذ بداية القرن العشرين.

- **ابرقان - Iberyan / بريان** وأسست سنة 1690م من قبل عشيرتا آت نوح وات عفاة. وتحتل موقعا استراتيجيا في الطريق الوطني رقم واحد كمعبر بين قراة ووادي مزاب .

والمأمل في المسار التاريخي لمنطقة وادي مزاب يلاحظ أن بنو مزاب لم يعرفوا منذ نشأة أولى مدنهم في بداية القرن الحادي عشر، أي احتكاك بشري سكاني لغوي وثقافي كبير مع التجمعات الأخرى المتواجدة في الصحراء فضلا عن الشمال. بحيث عاش بنو مزاب في عزلة اجتماعية وسياسية دينية ثقافية لحوالي سبعة قرون من الزمن، في شكل كونفدرالية دويلات مستقلة. مع أن المزابيين مارسوا التجارة بمختلف المدن الشمالية وشاركوا بمجموعات من المقاتلين في مختلف أعمال المقاومة ضد الاحتلال الإسباني والفرنسي سنة 1510 بجزيرة بتونس، وسنة 1518 بالجزائر العاصمة إلى جانب القائد العثماني خير الدين بربروس، وسنة 1830 بالعاصمة، وسنة 1837 في الدفاع عن قسنطينة، الخ¹.

ولعل الاتفاقية التي أبرمها المزابيون مع الدولة الجزائرية التركية سنة 1785 كانت أول اتصال سياسي يسجله التاريخ بين هذه الكونفدرالية القبلية مع إحدى الدول التي تعاقبت على المغرب الأوسط، وبموجب هذه

¹ يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، الطبعة الأولى، سنة

1992، ص. 63 إلى 65.

الاتفاقية الثنائية التزم بنو مزاب بدفع إتاوة سنوية للعثمانيين قدرها 400 سيما (400 فرنك فرنسي) مقابل التزام الدولة التركية الجزائرية باحترام سيادة مزاب وعدم التدخل في شؤونها الداخلية¹، مع التمتع بامتياز احتكار المجازر والمطاحن والحمامات والمخابز بالجزائر العاصمة². وعند وصول الفرنسيين إلى الأغواط، أبرم بنو مزاب معاهدة للحماية مع المارشال "الكومت راندون" الحاكم العام لمستعمرة الجزائر بتاريخ 24 جانفي 1853 إلترمت فرنسا بموجبها باحترام الأنظمة الادارية والقوانين المزابية وعدم التدخل في شؤونهم الداخلية، مقابل التزامهم بدفع ضريبة سنوية قدرها 45.000 فرنك فرنسي. وبذلك استمر وادي مزاب في التمتع بسيادته و استقلاله الداخلي، ولم يحدث أي احتكاك من شأنه أن يمس هذه الاستقلالية³. غير أن فرنسا نقضت ذلك العهد واحتلت وادي مزاب وضمته إليها بتاريخ 30 نوفمبر 1882 مبررة ذلك بمساعدة المزابيين للتأثرين عليها بالذخيرة و السلاح⁴. لكن بالرغم من إرساء الإدارة الاستعمارية بالمنطقة فإن فرنسا لم تر أي مصلحة لها في التدخل في الشؤون الداخلية الدينية الثقافية اللغوية للمزابيين، فاكنت إدارة الشؤون الأمنية المتعلقة بالقانون العام وتركت لهم إدارة شؤونهم الاجتماعية والاقتصادية، وقوانينهم وأعرافهم ومدارسهم الدينية⁵. ومنذ العشرينيات من القرن الماضي بدء مسار

¹ (أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 156، 157.

الشيخ حمو عيسى النوري، دور المزابيين في الحياة الدينية و السياسية و العلمية من سنة 1505 إلى 1962، دار الكروان، باريس، الطبعة الأولى 1984، الجزء الأول، ص 228.

وقبل هذا التاريخ فإن المشاركة العسكرية للمزابيين في فك الحصار الإسباني الذي ضربه "شاركان" على مدينة الجزائر سنة 1541 أدى بالسلطة المركزية التركية إلى مكافئتهم بتعيين "أمراء" يمثلونهم لدى مجلس الباي بالجزائر العاصمة، بالإضافة إلى منحهم امتيازات اقتصادية مثل التكلف ببعض المهن و الحرف، انظر النوري نفسه، ص 213.

² (يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، الطبعة الثانية مزودة ومنقحة، سنة 2006، ص 69.

³ -) انظر نص هذا التصريح :

Jean MELIA, *Ghardaïa*, Bibliothèque Charpentier, Fasquelle, Paris, 1930, pp . 60, 61.

⁴ -) بعد ثلاثة أشهر من بداية تنفيذ الاتفاقية، بعث الكومت "بريال" حاكم الأغواط المكلف بتنفيذ الاتفاقية رسالة إلى الحاكم العام للجزائر الكومت "راندون" يشتكي له فيها بمساعدة المزابيين التأثرين و يبيعهم لهم السلاح و الذخيرة. أنظر :

José GERS, *Au Mzab, désert dans le désert*, Librairie de l'œuvre saint-Charles, BRUGES, Belgique, 1936, p. 38 .

⁵ (حيث جاء في نص معاهدة الحماية :

>> تحتفظون في حدود الإمكان بجماعتكم لإدارة شؤونكم و بمشائكم الإباحية للفصل في المنازعات. و نحن نقدر بسلطة زعمائكم و نحترم قراراتهم طالما كانت عادلة، لكننا أيضا سوف نضرب كل من يخل بواجباته، سواء تجاه المحكومين، و تجاه حكومة الجمهورية الفرنسية >>. انظر :

اندماج المزابيين في البعد الوطني بشكل كبير مع محافظتهم على تميزهم وهويتهم الاثنو-لسانية والمذهبية في إطار مشروع البناء الوطني.

ثانيا: التميّز المذهبي والوضع الطائفي

يشكل التميز المذهبي الذي جعل المزابيين -بالإضافة إلى كونهم أقلية لغوية- أقلية مذهبية في الجزائر؛ عاملا هاما لمحافظتهم على لغتهم وعدم الذوبان في الأغلبية الناطقة بالعربية(1). كما أن الوضع الطائفي الذي يعيشون فيه، جعلهم يتمسكون باللغة المزابية كأحدى مقومات هويتهم في مواجهة "الآخر" (2).

1. التميز المذهبي لبني مزاب: يعتنق بنو مزاب المذهب الاباضي، ويرتبط تاريخهم بالدولة الرستمية

الاباضية الذين يعتبرون من بقاياها. وبذلك فهم يشكلون أقلية مذهبية. فما هو تأثير الخصوصية المذهبية الاباضية في الحفاظ على الهوية الاثنو-لسانية للمزابيين وانتقال اللغة المزابية بين الأجيال؟

➤ المذهب الاباضي: نشأ المذهب الاباضي في أواخر القرن الأول الهجري على يد أحد كبار التابعين

جابر بن زيد الأزدي(18هـ -93هـ).¹ وفضل جابر بن زيد العمل السري والتقية الدينية، حتى يسلم من المضايقة ومن بطش السلاطين والولاة الأمويين². ولذلك نُسب هذا المذهب منذ القرن 3هـ إلى عبد الله ابن اباض الإمام الظاهر الذي كان بمثابة الناطق الرسمي له، والمكلف بالمناظرات أمام الخوارج المتطرفين وغيرهم من المخالفين³. وظهر

Balhadj MERGHOUB, *Le développement politique en Algerie*, Fondation nationale des Sciences Politiques, Etudes Maghrebines, ARMOND COLLIN, 1972, p 53. MELIA Jean, *op cit*, p.164.

⁽¹⁾ الإمام أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي (المتوفى سنة 928هـ): *سير المشائخ*، طبعة حجرية، قسنطينة الجزائر 1301 هـ ، ص 96،70. الإمام أبو القاسم بن ابراهيم البرادي (القرن 14/8م) ، *الجواهر المنتقاة لما اخل به كتاب الطبقات*، طبعة حجرية (د ت).ص.151. تادوز لوبكي: *الإباضية*، بحث عن دائرة المعارف الإسلامية حول كلمة الإباضية، ترجمة من الفرنسية إلى العربية يحي بكوش ، 1984، ص 5.

⁽²⁾ محمد عوض خليفات، *نشأة الحركة الإباضية بالبصرة ووضعية العالم الإسلامي*، نسخة مكتبة أهل الدعوة والاستقامة الجزائر، (د. ت)، ص 10.

⁽³⁾ عوض محمد خليفات، *الأصول التاريخية للفرقة الإباضية*. الجامعة الأردنية، عمان الأردن، (د.ت)، ص1.

الإباضية إثر انفصالهم عن حزب "المحكمة"¹ والخوارج المتطرفين فسموا بـ"القعدة"²، ليشكلوا مذهباً مستقلاً معارضا للحكم الأموي الملكي الاستبدادي³. ثم انفصل الإباضية عن الصفرية واستقلوا حوالي سنة 65 هـ⁴.

➤ إنتشار المذهب الإباضي في البلاد الأمازيغية : انتشار المذهب الاباضي كحركة سياسية ومدرسة

فقهية على يد "سلمة ابن سعد" في بداية القرن 8م في منطقة طرابلس بين قبائل هواره وأنفوسة وزناتة الساخطة على الحكم الأموي⁵. وترتب عن ذلك قيام ثورة هواره بليبيا، ومحاولة تأسيس أول دولة إباضية أمازيغية بزعامة أبي الخطاب ابن السمح المعافري سنة 131 هـ. وقبل ذلك ارتحل سنة 125 هـ جماعة من أربعة أمازيغ من الاوراس وغدامس ونفزاوة إلى البصرة لتعلم المذهب الإباضي على يد الإمام أبا عبيدة⁶. ثم رجعوا سنة 140 هـ إلى البلاد

¹ (يطلق إسم "المحكمة" على أصحاب الإمام علي رضي الله عنه، الذين رفضوا التحكيم الذي اقترحه عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان، ورفعوا شعار "لا حكم إلا الله" واعتبروا قبول الإمام علي (ر) للتحكيم تنازلاً عن واجب الجهاد ضد "الفئة الباغية".
² "القعدة" هم الذين انشقوا عن الخوارج المتطرفين وحرّموا مقاتلة المسلمين المخالفين لهم في المذهب. عدم الثورة على السلطان الجائر إذا كان في ذلك فتنة وضرر، بمعنى أنهم هم المعارضين السلميين الذين رغم إيمانهم بعدم شرعية حكم الملوك الأمويين، فإنهم نبذوا استخدام العنف وفضلوا الدعوة السلمية، وسموا بالقعدة لأنهم قعدوا عن القتال ضد الملوك.

³ ففي قضية التحكيم الشهيرة اتخذ الإباضية موقفا معارضا للطرفين المتنازعين على السلطة، وهم معاوية ابن أبي سفيان وعلي بن أبي طالب، ودعوا إلى أن تكون الخلافة شورى بين المسلمين، وعندما انشقت حركة سلمية بزعامة بلال ابن مرداس التميمي عن حزب الخوارج المعارضين سميت جماعة "القعدة" لرفضها قتال المسلمين .

⁴ (البرادي، الجواهر، مرجع سابق، ص 155؛ تادوز لويكي، الإباضية، مرجع سابق، ص 2).

⁵ (حول إنتشار المذهب الإباضي بشمال إفريقيا أنظر المراجع الإباضية :

الإمام الشماخي، سير المشائخ، ص. 123.124 ؛ ابو العباس بن اسماعيل الدرجيني (المتوفى حوالي 670 هـ) ، طبقات المشائخ بالمغرب، تح ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، (د.ت.) ج(1) ، ص 12.11.

⁶ (الشماخي : سير، ص 123 ؛ الدرجيني، طبقات، ج (1) ص 11؛ الشيخ أبي الربيع سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، (د.ت.)، (د.م.)، ص 35.

الامازيغية للدعاية لمبادئ الإباضية بين القبائل الزناتية الثائرة، وسمي هؤلاء في المؤلفات الاباضية بـ"حملة العلم" وكان لهم دورا هاما في الحياة السياسية للدولة الرستمية.¹

➤ **أهم العقائد السياسية الإباضية:** تتميز العقيدة الاباضية وآراؤهم الفقهية والسياسية

بالإعتدال والواقعية، وهم أصحاب فكر سياسي ديمقراطي يركز على الشورى في الحكم والمساواة². إذ تتمثل أهم مبادئهم السياسية في اعتبار منصب الخلافة حق لجميع أفراد الأمة الإسلامية بمختلف أجناسهم وألوانهم، وليس حكرا على جنس معين أو قبيلة أو عائلة، ينتخب بالشورى، وأن طريقة التوريث بالوصية أسلوب غير شرعي ابتدعه الأمويون.³

2. أثر التميز المذهبي في التميز الاثنو-لساني للمزابيين

ساهمت الخصوصية المذهبية، إضافة إلى الانعزال الجغرافي إلى حد كبير في الحفاظ على الهوية الامازيغية. ذلك أن المذهب الاباضي اعتُبر منذ "الفتنة الكبرى" -ولا يزال حتى اليوم- من طرف فقهاء غالبية ما يسمى بـ"أهل السنة والجماعة"⁴، مذهباً لا ينتمي إلى "أهل الجماعة" أو حتى "فرقة ضالة"، كما ألصقت ببني مزاب تسمية "الخارج" وما تخفيه من جريمة قتل الإمام علي كرم الله وجهه. فترتب عن هذه الأحكام الخاطئة المستندة إلى الفتاوى التكفيرية لغلاة "أهل السنة" التي تُجل دماء الاباضية وأموالهم وأعراضهم، أن تبلورت اعتقادات ومواقف وممارسات إقصائية وعنف رمزي للأغلبية السنية تجاه المزابيين الاباضية، لكن ذلك لم يزد إلا في تماسكهم وتضامنهم وسعيهم بشراسة في

⁽¹⁾ الشماخي، سير، ص124. . الدرجيني، طبقات، ج(1) ص19. سليمان الباروني، مختصر تاريخ الإباضية، ص35؛ الشيخ عبد الله بن يحيى الباروني النفوسي، رسالة سلم العامة والمتبذئين إلى معرفة إيمة الدين، طبعة حجرية مطبعة النجاح، مصر، 1290هـ، ص5.

⁽²⁾ اوقغلان عبدالله نوح، نظرية الشورى عند الاباضية، دراسة مقارنة بين الفكر السياسي الاباضي والسني، المطبعة العربية، غرداية، 2012.

⁽³⁾ علي يحيى معمر: الإباضية ، دراسة مركزة (د.ن)، (د.م)، (د.ت)، ص52 وما بعدها.

⁽⁴⁾ جرت هذه التسمية منذ القرن السابع بسبب الصراع على الخلافة بين معاوية بن أبي سفيان وعلى بن أبي طالب، وسمي "أهل السنة" أتباع معاوية بسبب سنة لعن الإمام علي كرم الله وجهه في المنابر، ثم ما لبثت هذه التسمية أن توسعت إلى "أهل السنة والجماعة" للدلالة على المذاهب الأربعة: الشافعي، المالكي، الحنبلي، الشافعي. وهي تسمية إقصائية لأنها تعني أن المذاهب الأخرى (الشيعية والاباضية) لا تتبع السنة.

الحفاظ على الذات في مواجهة "الآخر" الذي يعتقدون انه يحاول "إقصائهم" وإلى إصرارهم على إثبات الذات كجماعة اثنو-لسانية مذهبية تقوم على ركيزتين أساسيتين :

- ✓ الاباضية كمذهب للطائفة المزابية يميزها عن غيرها من أغلبية الجزائريين التي تنتمي إلى المرجعية المالكية المتمثلة في المذهب المالكي لصاحبه مالك بن انس، وهو المذهب السائد في شمال إفريقيا منذ القرن التاسع والعاشر للميلاد بعد سقوط الممالك الاباضية والفاطمية.
- ✓ الامازيغية كلغة وثقافة مميزة للطائفة المزابية عن غيرها من العشائر المعربة التي استقرت بوادي مزاب منذ القرن الرابع عشر بعد نشأة المدن المزابية.

والمتمأمل في تماسك الجماعة المزابية يدرك أن سبب ذلك هو التفاعل المستمر بين الخصوصيتين اللغوية والمذهبية تأثيرا وتأثرا، بحيث يدعم كل منهما الآخر ويسانده في شكل تكاملي، حتى ان هاتين الخصوصيتين ارتبطتا بمرور الزمن ارتباطا وثيقا إلى حد لا يمكن معه تصور إياضي غير ناطق بالمزابية، ولا ناطق بالمزابية غير إياضي؛ بمعنى أن المذهب الاباضي ساهم إلى حد كبير في المحافظة على اللغة الامازيغية باعتبارها لغة الطائفة الاباضية. وهذا خلافا للوضع بالمناطق الامازيغية الأخرى، أين تعربت العديد من المجموعات القبلية والأسرية بفعل العامل الديني. ويتضح هذا التكامل بين الخصوصيتين المذهبية واللغوية عند بني مزاب فيما يلي :

فمن جهة تشكل الامازيغية عنصرا أساسيا لتلاحم المزابيين كجماعة اثنو-لسانية، رغم الخلافات والصراعات الدينية التي عرفها وادي مزاب نتيجة اختلاف الاجتهادات الدينية حول القضايا المستحدثة؛ ومن جهة أخرى ساعدت الخصوصية المذهبية الاباضية على الحفاظ على الامازيغية لغة وثقافة باعتبار أن الخلاف المذهبي التاريخي الحاد، الذي وصل أحيانا عدة إلى صراع دموي، إنما قام على ثنائية متصارعة: الاباضية الناطقين بالامازيغية، والمالكية الناطقين بالعربية. وهكذا أدى التلازم بين الانتماء المذهبي الاباضي والانتماء اللغوي الامازيغي إلى تشكل الهوية الاثنو-لغوية لبني مزاب باعتبارهم أقلية مذهبية ولغوية في نفس الوقت. وتبني هذه الهوية على ثلاثة عوامل للتمييز هي كالتالي:

عوامل التمييز	بني مزاب	المتساكنون الناطقون بالعربية
العامل الديمغرافي	أقلية عرقية وطنية	أكثرية عرقية وطنية
العامل المذهبي	اباضية (أقلية مذهبية وطنية وعالميا)	مالكية أكثرية عرقية وطنية
العامل اللغوي	امازيغ ناطقون باللغة المزابية (أقلية لغوية وطنية)	عرب ناطقون بالعربية أكثرية عرقية وطنية

الجدول (7) عوامل التمييز بين الناطقين باللغة المزابية والناطقين بالعربية

(ب) الوضع الطائفي

إن وضع الجماعة المزابية كأقلية سوسيو-لسانية ومذهبية وجدت نفسها في منافسة وأحيانا صراع مع السكان العرب المستقرين بالمنطقة، تمثل عنصرا لتمامها لإثبات ذاتها والحفاظ على وجودها. وتولدت هذه الوضعية بفعل التطور السياسي الديمغرافي الذي عرفه وادي مزاب بعدما استقر السكان العرب بأراضي واسعة تابعة للآعراش المزابية مثل واحة *admer* التابعة لمدينة آت مليشت وجزء منها لمدينة آت ازدجن التي نزح إليها العرب في الستينيات والسبعينيات وبنوا مساكن غير قانونية في أراضي عرش إيدر وغير اسمها إلى "ثنية المخزن" مما أثار مشادات سنة 1975. فمنذ القرن 16 استقرت في أطراف وادي مزاب عائلات عربية مالكية يعتقد أن أصلها من عرب بني هلال وبني سليم ذات نمط معيشي بدوي مثل بني مرزوق بغرداية سنة 1527 والمزابيح سنة 1586¹. كما عرفت مدينتا قراة وبريان، نزوح عشائر من الزعاطشة وأولاد نايل وأولاد السايح، الخ. ولما كان تواجد هؤلاء العرب البدو ضعيفا بوادي مزاب فقد كانوا يعيشون في انسجام وتكامل اقتصادي مع بني مزاب، فكانوا في ترحالهم يأتون بمنتجات السهوب ليبادلونها بالتمر والمنتجات الصوفية التي ينتجها المزابيون. غير أن عدد السكان الناطقين بالعربية ما لبث أن تزايد بشكل كبير بعد الاستقلال، مما أخل بهذا التوازن ونمى الشعور بالتهديد لدى الجماعة المزابية التي رأت في ذلك سياسة مقصودة "لتذويبها" في المجتمع الكبير. وزاد من هذا الاحتقان الصراع على الإدارة والسلطة المحلية والعقار، بحيث يشتكي بنو مزاب بالكثير من المظالم مثلما حدث في تطبيق قانون الثورة الزراعية، عندما طُبِّقت إجراءات التأميمات بالدرجة الأولى عليهم بتأميم أراضيهم الزراعية باعتبارهم "إقطاعيين وبورجوازية" وتوزيعها غالبا على العرب باعتبارهم من "طبقة الفلاحين الكادحين" وفقا للمفهوم الماركسي؛ كما بقي المزابيون بعيدين عن المجال الحزبي والسياسي والإدارة المحلية لترسخ تقاليد التجارة العائلية فيهم، مع التضيق على مؤسساتهم العشائرية والدينية، الخ.

ورغم أن الأمر خف مع الانفتاح الديمقراطي وإقرار اقتصاد السوق بحيث استطاع المزابيون ذووا التقاليد التجارية أن يحققوا رفاها اقتصاديا للمنطقة ويتحرروا إلى حد ما من المضايقات الحزبية والإدارية التي كانت تمارس عليهم؛ إلا أن الصراع بقي مشتدا بين الجانبين للسيطرة على الأرض والإدارة والتمثيل في المجال المنتخبة. وكان نتيجة لهذا الاحتقان فتن دموية عديدة في المناطق العمرانية المختلطة بين العرب والمزابيين، كان

⁽¹⁾ يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، الطبعة الثانية، ص. 74-75.

سببها أحيانا الصراع على العقار (أحداث 1975 بآت إزدجن، و 1985 بتاغرايت، و 2008 بآت مليشت...)، وأحيانا الرموز التاريخية (أحداث 1988 بقراره حول رفض العرب تسمية ثانوية باسم الشيخ ببيوض إبراهيم احد المشائخ الاباضية)، وأحيانا أخرى سياسية (أحداث بريان 1991 بعد فوز القائمة الحرة التابعة للمزابيين على قائمة الجبهة الإسلامية للإنقاذ التابعة للعرب، وأحداث وادي مزاب 2013-2015).¹ وكان يتكرر نفس السيناريو في كل هذه الأحداث وهو التهجم على المزابيين ونهب وحرق محلاتهم والاعتداء على مقابرهم ورموزهم الثقافية، الخ.

إن التطور الديمغرافي للسكان الناطقين بالعربية وتنامي "الأحياء العربية" يشعر المزابيون بتهديد وجودي، مما أدى إلى احتدام الصراع على الذاكرة، كما أصبحت السيطرة على العقار تمثل رهانا سياسيا وتاريخيا ورمزيا بالنسبة للطائفتين.² وبالتالي اتخذ هذا الصراع بعدا لغويا مع تحويل أسماء الأماكن التي يستقر فيها الناطقين بالعربية إلى أسماء عربية مثل *admer* التي تحولت إلى "تتية المخزن"، و *berj n karḳar* التي تحولت إلى "مراكشي"، وحتى تسمية *tayerdayt*-المدينة أو الولاية-ذات الجذر والمعنى الامازيغي "ارض زراعية مستصلحة" يعتمد الكثير من عرب المنطقة وبصرون على كتابتها ونطقها بكلمة عربية "غارداية" (غار + داية) (اسم إمراة)، الخ.

وإذا فهمنا طبيعة هذا الصراع كما حاولنا استعراضه باختصار وجيز، استطعنا أن نفهم سبب الارتباط القوي للمزابي بلغته -تماما مثل مذهبه- في مواجهة "الآخر" القوي عدديا على المستوى الوطني. وبغض النظر عن طبيعة هذا الصراع التاريخي الذي يمنع توسع اللغة المزابية وانتشارها بين المعربين، يجدر بنا التساؤل عن مدى تمزج المتساكنين العرب وتعلمهم للغة المزابية نتيجة الاحتكاك الطويل مع المزابيين لاسيما في الفترات السابقة التي ساد فيها التعايش السلمي. فقد ذكر دوتييه DOUTTE وقوتييه GAUTIER في دراستهما حول تواجد اللغة الامازيغية بالجزائر سنة 1938 أن بعض عائلات بني مرزوق العربية المستقرة بوادي مزاب "تمزغت بشكل شبه كلي".³ بينما قدما جدولا لاستعمال اللغتين المزابية والعربية الدارجة من طرف الجماعتين المزابية والعربية يظهر

¹) Brahim Benyoucef, « Le Mzab en deuil: Manifeste pour la paix », dans *Le jeune musulman*, Revue éditée par l'association des oulemas musulmans algériens, 27 décembre 2013 . Version électronique.[www.lejeunemusulman.net/]

²)Brahim CHERIFI, préface Pierre-Philippe Rey, *Le M'Zab, étude d'anthropologie historique et culturelle*, Éditions Sédia, Alger, 2015, pp. 287 et S.

³) Edmond DOUTTE, Emile-Félix GAUTIER, *Enquête sur la dispersion de la langue berbère en Algérie*, op.cit., p.130.

أن أغلبية المزابيين والعرب من الرجال ينطقون المزابية والعربية معا وتقل النسبة لدى النساء ثم الأولاد. بحيث يقدم وضعية الازدواجية اللغوية في تلك الفترة بوادي مزاب سحب ما نبينه في الجدول التالي:¹

60%	المزابيون الناطقون بالعربية والعرب المدمجون الناطقون بالمزابية
30%	النساء المزابيات الناطقات بالعربية والنساء العربيات الناطقات بالمزابية
20%	الأطفال المزابيون الناطقون بالعربية والأطفال العرب الناطقون بالمزابية

الجدول(8) استخدام اللغتين المزابية والعربية لدى سكان وادي مزاب في بداية القرن العشرين حسب دوتييه

ولا شك أن الأمر يتعلق بوصف تقريبي غير دقيق لا يتطابق مع الواقع، مصدره المعلومات التي يكون قد قدمها مكتب العرب والإدارة الاستعمارية،² ونشك انه لا يقوم على تحقيق لساني ميداني صارم. ويدل على ذلك النسب المتطابقة للناطقين باللغتين في الجماعتين المزابية والعربية وهو مستحيل واقعا. كما لم يتضح ما المقصود من مصطلح "العربية"، إن كان العربية الفصحى التي تدرس في المدارس القرائية الاباضية أم الدارجة. ومن جهة أخرى إن كان من المفهوم أن يستعمل الرجال المزابيون العربية الدارجة للضرورة التجارية فإنه من غير المعقول أن تستخدم 30 % من النساء المزابيات و 20% من الأطفال المزابيين اللغة العربية، مثلهم مثل النساء والأطفال العرب بالنسبة لاستخدام اللغة المزابية، لاسيما في تلك الحقبة التاريخية التي عاش فيها المزابيون في عزلة اجتماعية كبيرة بحيث تستعمل اللغة المزابية وحدها للتواصل بينهم. وهو ما يعاينه بيارني BIARNAY S سنة 1924 في بحثه الاثنوگرافي حول ألفاظ التمور في بريان عندما لاحظ انه ليس من السهولة لأجنبي أن يتعلم لغة المزابيين، كما أنهم يستخدمون لغة مشفرة بينهم³.

أما في الوقت الحاضر وفي غياب إحصائيات ميدانية، فإنه يمكن ملاحظة أن نسبة معتبرة من الأشخاص المسنين من العائلات العربية التي نزحت قديما إلى وادي مزاب مثل عائلات بني مرزوق والشعانة والمذابيح،

¹) Idem, p.48.

²) حيث استقى هذه المعلومات من الضابط المترجم للإدارة الفرنسية بغرداية المسمى ريمون.

³) S. BIARNAY, « Les dattiers dans l'Oasis de Berrian(Mzab) », op. cit., p.166.

تفهم اللغة المزابية إلى حد معين دون أن تستخدمها في التعامل اليومي لاعتبارها إياها لغة "الآخر" الخصم في إطار وضعية التنافس والصراع الاثنو-مذهبي-اللساني كما أسلف ذكره.

ونشير إلى الدور المحوري الذي تلعبه المرأة المزابية في عملية نقل الموروث اللغوي الامازيغي بين الاجيال، ومع ذلك فإن بعض التحولات الثقافية اللغوية المعاصرة قد تساهم بشكل جدي في إضعاف عملية انتقال اللغة المزابية لاسيما الثورة الإعلامية السمعية البصرية والتعليم التحضيري ومحو الأمية.

الفرع الثاني: العوامل الاجتماعية الضامنة لانتقال اللغة المزابية والتهديدات التي تواجهها

يمكن اختصار العوامل الاجتماعية الضامنة لعملية انتقال اللغة المزابية بين الأجيال في الدور المحوري للمرأة المزابية في هذا الصدد باعتبارها ركيزة المجتمع (أولا)، مع أن هذه العملية تعثرها تهديدات قد تعرقل من استكمالها لأهدافها على المدى البعيد (ثانيا).

أولا: الدور المحوري للمرأة المزابية كحارس للهوية وضامن لانتقال اللغة بين الأجيال

يتميز بنو مزاب بالمحافظة على نظام اجتماعي معقد تكوّن في مسار تاريخي طويل من العزلة الجغرافية الثقافية الاجتماعية يمتد إلى عشرة قرون، بحيث استطاع هذا النظام أن يتكيف إلى حد كبير مع التغيرات الثقافية السياسية الاقتصادية التي عرفتها الجزائر. وكأي أقلية إثنو-لسانية ودينية تحكمها غريزة البقاء كجماعة متماسكة ضد تهديد احتواء الأغلبية، فقد تبلورت عند بني مزاب آليات تربية اجتماعية تضمن نقل الهوية المزابية بكل مكوناتها اللغوية الدينية الثقافية الاجتماعية، أين تقوم المرأة المزابية بدور محوري في عملية نقل المنظومة القيمية والثقافية بين الأجيال.

وقد بيّنت سبيقة نوهة في دراستها الانثربولوجية حول هذا الموضوع كيف أن المرأة المزابية كانت ولا تزال محورا أساسيا في عملية نقل القيم في الأسرة المزابية المعاصرة إذ >> هي الركيزة التي تدور حولها كل عمليات المحافظة على نمط العيش<<¹ كما >> تبقى الأسرة من الأمكنة المثالية لنقل القيم لاسيما من خلال خطاب

¹) Nouha SBIGA, *Les modalités de transmission des valeurs ibadites dans la famille mزابite contemporaine, l'instruction des filles en question*, Mémoire de Magister en Anthropologie sociale et culturelle, S.Dir. Pr. Brahim SALHI, Soutenu le 13 octobre 2010, Université Mouloud MAMMERI, Tizi Ouzou, p.71.

الكبار والمسنين من الأجيال القديمة الذي ما زال يحافظ على وزن معتبر في المجتمع¹. وهو ما تؤكده نتائج استبياننا، فعن سؤال عن اللغة/اللغات التي يجب أن يتعلمها أولادك وجوبا حسب الترتيب، ولماذا (السؤال رقم 3-4)، أجب 97 ٪ من المستجوبين أن اللغة الأولى هي المزابية، الثانية هي اللغة العربية الفصحى، والثالثة هي الفرنسية/الانجليزية. ضمن هذه النسبة سجلنا 97.7 ٪ من بين الإناث، و93.3 ٪ من بين الذكور. فعند الإناث سجلنا إجابة واحدة: العربية الفصحى ثم المزابية، بينما سجلنا عند الذكور ثلاث حالات استثنائية: <<العربية الفصحى لأنها لغة القرآن، العربية الدارجة، الفرنسية>>؛ <<الفرنسية ثم المزابية>>. <<الانجليزية، الفرنسية، العربية، المزابية: لغة العلم ثم لغة القرآن ثم لغة الأم>> .

وهذا ما أكدته أيضا بحث سوهيلة خولة الحاج موسى حول عينة من 82 أم مزابية من وسط مدينة غرداية، حيث تبين أن الأغلبية المطلقة من هؤلاء يتحدثون حصريا باللغة المزابية لأولادهم باستثناء بعض حالات الزواج المختلط.² وطالما أن اللغة المزابية تعد عند المزابيين عنصرا من بين العناصر الأخرى للثقافة التقليدية، فإن الأم المزابية تتولى نقلها بأمانة وبصفة تلقائية وآلية إلى أبنائها باعتبار ذلك واجب من الواجبات الزوجية التربوية الأساسية في الثقافة والتقاليد المزابية التي تحكمها منظومة أخلاقية عرفية بالغة التنظيم والدقة تنظم فيها حياة المرأة منذ ميلادها وفق نمط يخدم تماسك الجماعة المزابية وتجانسها ويدعم قوتها العددية. وبذلك لم يكن تأثير التحولات الثقافية اللغوية والاقتصادية المعاصرة ليقضي على وظيفة المرأة المزابية كحارس للمنظومة التربوية الثقافية التقليدية ومحور لنقلها للأجيال القادمة. ولعل أهم ما ساعد على هذا الوضع هو ثلاثة عوامل ، وهي:

(أ) الزواج الداخلي كصمام أمان من الاحتواء اللغوي: يعتبر الزواج الداخلي endogamie كوسيلة

لأغلب الأقليات الإثنو-لسانية للمحافظة على الذات من احتواء الأغلبية. وهو ما نجده عند بني مزاب كقاعدة إلزامية من قواعد القانون العرفي. وبلا شك فإن الهدف من وراء ذلك في الوعي الجمعي للمزابيين إنما هو الحفاظ على النسيج الاجتماعي الديني القبلي من أي تهديد خارجي، وهو منطق كل الأقليات الذي تتخذه لمقاومة الذوبان في الكيان الأكبر بحيث يعتبر الزواج المختلط هو السبب الرئيسي لدمج الأقليات وبالتالي ضعف

¹) Ibid., p. 150.

²) Souhila Khaoula EL HADJ MOUSSA, *L'apport de la femme mozabitephone dans le maintien/transmission du Mozabite: cas de centre ville de Ghardaïa*, Mémoire Master académique, S.Dir.Fatma Zohra CHERFAOUI, Domaine : Lettres et langues étrangères, Filière : Langue française, Spécialité : Sciences du langage et Sémiologie de la communication ; UNIVERSITE Kasdi Merbah OUARGLA, Faculté des lettres et Sciences Humaines, Département des langues étrangères. Année Universitaire : 2013 /2014, p.43.

ثم زوال الكثير من اللغات المحلية في العالم بعد زحف اللغات الوافدة القوية ديمغرافيا كما حدث في القارة الأمريكية بالنسبة للغات الأصيلة للهنود الحمر¹.

(ب) عزلة المرأة المزابية كظرف مساعد على محافظتها على اللغة الامازيغية: عاشت المرأة المزابية لمدة

قرون من الزمن في عزلة تامة عن العالم الخارجي. وبالرغم من أن المزابيين بدؤوا التجارة في مدن الشمال منذ القرن السادس عشر بعد أن منحتهم الدولة التركية الجزائرية امتياز تولي بعض الحرف بالجزائر العاصمة مثلما سبق بيانه، فإن القانون العرفي المزابي منع المرأة المزابية من السفر "حفاظا على دينها وحرمتها"، ومنع التجار المزابيين من مرافقة زوجاتهم وبناتهم معهم تحت طائلة العقاب والنفي من البلاد المزابية، وذلك بموجب قرار مجلس عشائر بني يزقن المؤرخ في افريل 1899 والذي تم تعميمه على عموم المدن المزابية بموجب قرار 28 مارس 1928 الصادر عن مجلس قبائل واعيان وادي مزاب². بحيث كان الهدف من هذا القرار الصارم الذي اعتبر بمثابة << حدا محدودا، وحائطا مشيدا مرصوصا، وسدا وثيقا >> هو الحفاظ على الهوية المزابية من الاحتواء الخارجي. غير أن هجرة المزابيين للتجارة في مدن الشمال من دون زوجاتهم -بسبب هذا المنع أدى بالعديد منهم إلى الزواج من خارج الطائفة لاسيما من النساء الناطقات بالعربية، مع أن عدد هؤلاء ليس بالكثير حتى يهدد اللغة السائدة بين أبناء الطائفة، بحيث لا يتجاوز حسب أكثر التقديرات الأربع آلاف 4.000 حالة زواج مختلط، طالما أن هذا المنع كان مؤقتا إذ تم السماح بسفر المرأة المزابية منذ السبعينيات.

(ج) التمدد التقليدي للمرأة المزابية كوسيلة لنقل الموروث اللغوي الثقافي الامازيغي: استطاع المزابيون من خلال المنظومة التربوية العرفية الدينية الاباضية أن يضمنوا تدرس المرأة المزابية للاستجابة لأهداف الحفاظ

¹) LECLERC Jaques, « L'expansion des langue », *Aménagement linguistique dans le monde*, 02 septembre 2013, Québec, TLFQ, Université Laval. [http://www.tlfq.ulaval.ca/axl/europe/danemark.htm], 114 Ko

²) حيث ينص قرار مجلس عشائر بني يزقن لسنة 1899 <<... فلا يُخرج احد زوجته من أهل البلد إلى مدن التل مطلقا، كما هي عادتتا واتفاق أهل بلدنا الأولين منهم والآخرين....>>، بينما نص قرار سنة 1928 الصادر عن مجلس قبائل واعيان وادي مزاب على << لا نرضى على مزابي أن يخرج زوجته أو بنته أو حرمة مزابية مطلقا، أي يخرجها من مزاب إلى بلد من سائر البلدان مطلقا، غير إحدى القرى السبع المذكورة، فجعلنا ذلك حدا محدودا، وحائطا مشيدا مرصوصا، وسدا وثيقا، فمن تعداها فقد تعدى حدود الله، ولزمته دعوة السوء من المذهب، وعليه اللعنة والخزي في الحياة الدنيا وفي الآخرة >>. انظر: يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، الطبعة الثانية، سنة 2006، ص. 214، 215.

على المنظومة القيمية اللغوية والثقافية للجماعة. بحيث بات تدرس المرأة المزابية في المدارس الحرة التابعة للمؤسسات الدينية الاباضية من ضمن استراتيجيات بني مزاب للمحافظة على جماعتهم وهويتهم ونقل قيمهم وتراثهم في كل أبعاده.¹

ومع إنشاء الإدارة الاستعمارية للمدارس الفرنسية بوادي مزاب ما بين 1886 و 1907، لم يلتحق بها إلا القليل من أبناء المزابيين دون البنات بسبب المقاطعة والمقاومة الشرسة لرجال الدين الاباضية لها.² بينما تم مسار تدرس المرأة المزابية في المدارس الرسمية للدولة بوتيرة بطيئة جدا بعد الاستقلال، أما قبل ذلك فكانت هيئة تمسردين النسوية هي التي تتكفل بتلقين الفتيات المزابيات القرآن الكريم ومبادئ الشريعة الإسلامية على المذهب الاباضي دون العلوم الأخرى. وبفضل جهود الحركة الإصلاحية الاباضية في الأربعينات تم تطوير المناهج التعليمية للمدارس الدينية الاباضية، وأنشئت أقسام خاصة بالبنات تدرس بالطريقة الحديثة منذ سنة 1953 بمعهد الإصلاح بغرداية.³ وبحلول السبعينيات دخلت الفتاة المزابية في التعليم الرسمي الحكومي. ومع ذلك رأى رجال الدين الاباضية في المدارس الرسمية منافسة للتعليم الديني التقليدي، فتم إنشاء شبكة كبيرة من المدارس الدينية الاباضية الخاصة بالفتيات، مع تطوير المناهج التعليمية فيها بإدراج اللغة الفرنسية والمواد العلمية حرصا على التحكم في تكوين الفتاة المزابية في إطار المرجعية الاباضية والقيم والتقاليد المزابية العريقة، لضمان استمرار وظيفتها كناقل للموروث الثقافي اللغوي في المجتمع.

وبفعل هذا التعليم الموازي الذي يهدف إلى ترسيخ القيم التقليدية وعناصر الهوية المزابية، حافظت المرأة المزابية على دورها التقليدي كأم مربية للأجيال وناقلة للتقاليد. إذ بالرغم من ازدياد ولوج الفتاة المزابية إلى المدارس الرسمية للدولة بشكل كبير ودخولها المعبر إلى الجامعة منذ فتح جامعة غرداية سنة 2007، إلا أن ذلك لم يكن عائقا في عملية نقل اللغة المزابية والتراث الامازيغي، مادامت الأغلبية المطلقة من المتمدرسات المزابيات يلتحقن بالحياة الزوجية بعد تخرجهن من المدارس الحكومية والجامعات، بسبب رسوخ المنظومة القيمية القائمة على توزيع الوظائف التربوية الاجتماعية والاقتصادية بين المرأة والرجل وفقا للمفهوم الموروث. وعليه تلتحق اغلب المزابيات بعد مسارهن التعليمي الرسمي او التقليدي بالبيت العائلي، ويقبل إلى حد الانعدام ولوجها إلى الإدارة والوظائف العامة لتحديد وظيفتها من قبل المجتمع المزابي أساسا في الوظيفة التربوية المتمثلة في نقل

¹) Nouha SBIGA, *Les modalités de transmission des valeurs ibadites dans la famille mozabite contemporaine*, op.cit., pp.149 et S.

²) يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، المطبعة العربية، غرداية، الطبعة الثانية، 2006، ص. 163، 164.

³)Brahim CHERIFI, *Le M'Zab, étude d'anthropologie historique et culturelle*, op.cit. pp. 378-380.

المنظومة اللغوية الدينية والقيمية إلى الأبناء.¹ لكن بقي تدريس اللغة المزابية في هذه المدارس غائبا لعدة اسباب رغم المطالبات بذلك منذ 1996،² باستثناء تجربة تدريس الأدب المزابي بمعهد الإصلاح للبنات منذ الثمانينيات كما سبق بيانه.

وبسبب الفصل بين الجنسين بقي كلام المرأة المزابية (اللهجة النسوية) من أهم اللهجات الاجتماعية التي لا تعتبر انحيازاً أو اشتقاقاً عن اللغة الاصلية مثل اللهجات الاجتماعية الاخرى (الحرفيين، رجال الدين، الخ) كما يسود الاعتقاد،³ وإنما تمثل اللغة المزابية الاصلية التي تعرضت الى تأثيرات خارجية أقل، وحافظت بفعل العزلة على رصيد لفظي وثقافي معتبر الى اليوم. وكما سبق القول يرى الرجال بنظرة دونية الى اللهجة النسوية ولا يستساغ للرجل استعمالها لما ترمز إليه من الانوثة. ويعد ذلك عائقا هاما أمام إحياء الرصيد اللفظي القديم.

ثانيا: التهديدات الجديدة التي تكتنف عملية انتقال اللغة المزابية بين الأجيال

إن ظهور وسائل الإعلام السمعية البصرية بشكل أكثر فأكثر كثافة منذ السبعينات من القرن الماضي ، ثم الثورة الإعلامية المعاصرة، أصبح يهدد بجدية عملية انتقال الرصيد اللغوي والأدبي للغة المزابية كاملا بين الأجيال بسبب نقص التواصل الشفوي (أ) كما أن المدارس التحضيرية للأطفال وبرامج محو الأمية للمسنين التي تتم باللغة العربية قد تساهم في إضعاف عملية نقل اللغة المزابية ورصيدها الأدبي واللفظي بين الأجيال (ب).

(أ) أثر العولمة والثورة الإعلامية الجديدة على انتقال اللغة المزابية بين الأجيال

يؤكد الكثير من اللغويين على أن التواصل الإعلامي الكثيف بين لغات العالم بشكل يومي بفعل ثورة الاتصالات في "العصر الرقمي" l'ère numérique، سيؤدي على المدى البعيد إلى اندثار اغلب اللغات الضعيفة في العالم، بل إن هيمنة اللغة الانكليزية وبثها الواسع على مستوى الكرة الأرضية بشكل لم يعرفه تاريخ البشرية من

¹)Sara BENAÏSSA , femme mozabite et habitat à Guerrara(Algérie) Etude sur l'adaptation culturelle à un nouveau type d'habitation, Mémoire Master "urbanisme et territoire", Mention "urbanisme", Institut d'Urbanisme de Paris , S.D. Liliane pierre louis, 2008, p.48.

<<Comme les femmes n'i investissent pas les lieux publics, leur sociabilité s'effectue surtout à l'intérieur de la maison>>

²) تنظر رسالتنا ، عبد الله نوح، نداء للتاريخ: إلى هيئة العزابة الموقرة لآت ازجن، إلى هيئة الإدارة للمدرسة الجابرية للبنات، 15 ماي 1996 ، مجلة . IZMULEN العدد 01، 2001، ص 35 - 39.

³ د. علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، مرجع سابق، ص. 133-135.

قبل، أصبح يهدد حتى اللغات العالمية الكبرى بالتقلص والاندحار.¹ وإذا عرفنا أن اللغة الامازيغية توجد في سوق لغوية تتعرض فيها لمنافسة شديدة من قبل العربية ذات الشرعية الدينية والفرنسية الموروثة من الاستعمار كلغة العلم والتقنية في الجزائر، وأخيرا الانكليزية اللغة العالمية التي فرضتها العولمة، أدركنا درجة التهديد التي تتعرض له عملية نقل اللغة بين الأجيال في المجتمعات الامازيغية في ظل ديناميكية اللغات.²

وبالفعل لم تعد عملية انتقال اللغة المزابية بين الأجيال في المجتمع المزابي تتم كما كانت عليه بطريقة آمنة وهادئة، ليس فقط بفعل الازدواجية اللغوية التي هي واقع لغوي قديم، وإنما بسبب طغيان المجال الزمني لوسائل الاتصال والإعلام السمعية البصرية التي تبث في اغلبها باللغات العربية والفرنسية على الحياة اليومية للناطقين المزابيين لاسيما من فئة الشباب منهم. فقد ترتب عن هيمنة هذه الوسائل على المجال الزمني للمزابيين، التقليل إلى حد كبير من أوقات التواصل بين الفئات الشابة والفئات المسنة، والتي كانت تمثل لحظات هامة لانتقال اللغة والتراث بمختلف عناصره بين الأجيال. ونعائين ذلك بشكل واضح بالمقارنة مثلا بين سنوات السبعينيات من القرن الماضي من جهة والعشرية الثانية من القرن الواحد والعشرين من جهة أخرى. ففي السبعينيات كان المذياع هو الوسيلة الإعلامية الوحيدة للتواصل مع ثقافة العالم الخارجي، ولم يكن يشغل أوقات المزابيين إلا بعض الساعات من الصبيحة، فكان أفراد العائلة في اغلب الديار المزابية يجتمعون في الليالي الشتوية الطويلة للسمر في قاعة tisefri³ وتبادل أطراف الحديث. وتعتبر هذه اللقاءات العائلية بمثابة السياق الزمكاني لنقل القيم والتراث بين الأجيال، مثل الحكايات الشعبية والتاريخ الشفوي ومختلف العناصر التراثية والدينية، سواء على يد المسنات مثل الجدة والعمة والخالة، إلخ، أو المسنين مثل الأب والجد والعم، إلخ.

ومن جهة أخرى كان المنسج التقليدي azetṭa الذي لا يخلو بيت مزابي منه⁴، يشغل وقتا طويلا من الحياة اليومية للنساء المزابيات، وهو بمثابة ورشة عمل يومية تجمع في كل بيت مزابي بين النساء المسنات

¹) Rainer Enrique Hamel, *L'aménagement linguistique et la globalisation des langues du monde*, Traduit de l'espagnol, Version PDF, Telv16 n3_hamel . PDF(19-11-2015), pp.4 et S.

²) Ahmed BOUKOUS, *Revitalisation de la langue amazighe*, op.cit. pp. 13 et S.

³) tisefri هي قاعة خاصة بالبيت التقليدي المزابي، يجتمع فيها أفراد العائلة لتناول الوجبات والسمر. كما يستقبل فيها الضيوف. وهي بمثابة قاعة الأكل والاستقبال في البيت المعاصر. وعليه فقد كان مكانا للتنشئة الاجتماعية ونقل الموروث اللغوي الثقافي بين الأجيال من خلال ليالي السمر العائلي قبل ظهور التلفزة والانترنت.

⁴) كان البيت المزابي الذي يخلو من azetṭa معيب، لأنه يدل على وجود نساء كسولات غير منتجات، وبالتالي لا يقصده الخاطبون. ووجود azetṭa في البيت يمثل في التمثلات الاجتماعية للمزابيين وجود نساء أصيلات عاملات مثابرات، محافظات على الهوية المزابية.

والفتيات من مختلف الأعمار، غير أن هذه الورشة هي أيضا وضعية زمكانية هامة للتنشئة الاجتماعية والتواصل وانتقال القيم واللغة وأهازيجها وتراثها من الأمهات إلى بناتهن أمهات المستقبل.

أما في العشرية الثانية من القرن العشرين التي نحن فيها، فيلاحظ أن مختلف وسائل الإعلام الحديثة بالإضافة إلى المدرسة، شغلت حيزا كبيرا من الحياة اليومية للرجل والمرأة المزابية على السواء، مثل التلفزة بمختلف قنواتها والمذياع والانترنت والهواتف الذكية، إلخ. هذه الوسائل التي تسوق يوميا كمّا هائلا من المعلومات الثقافية العلمية الإخبارية للمستهلكين لها بلغات وقيم مختلفة، قلصت إلى حد رهيب مجال التواصل بين الأجيال عبر السياقات الزمكانية التقليدية التي كانت توفرها الحياة التقليدية في وادي مزاب.

إن كان لتفاعل المجتمع المزابي مع الفضاء السيبري الكوكبي آثارا ايجابية كما يرى البعض مثل <<تدليل العقبات الإدارية والبيروقراطية والفكرية والمادية والمكانية والزمانية في التواصل بين أبناء وبنات المنطقة وخارجها كفضاء للتبادل المتكافئ...¹>>، فإنه في الحقيقة لا يقوم البتة على "تبادل متكافئ" نظرا لطغيان اللغات والثقافات الأجنبية بشكل شبه كامل في الحيز الزمني وفي مضمون المادة الإعلامية المتوفرة والمتداولة بغزارة وبشكل مفرط السرعة والتدفق والتحكم فيها بوسائل تقنية متطورة، مقابل حضور ضئيل زمنيا ومضمونا إلى حد عدم اللغة والثقافة المزابية. وفي الواقع المزابي نلاحظ أن بث هذا الزخم الهائل من المعلومات ذات المضمون الأجنبي الغربي أساسا وبشكل يومي، ولّد بالأحرى لدى الأجيال الشابة ارتباطا بهذه الثقافات الدخيلة وتبعية مفرطة بما ينتجه العالم السيبري في عملية تتأقّف تدريجي غير واعٍ زرعت لديها انبهارا بثقافة ولغات الغير، مقابل جهل لتقافتها بسبب حضورها الضئيل في هذه الوسائل ولعدم تدريسها في المدارس الإلزامية الخاصة التي ينحصر التعليم فيها على المواد الدينية واللغة العربية وآدابها. وقد بين استبياننا النتائج الكارثية لإقصاء اللغة والثقافة الأمازيغية المزابية من المدارس المزابية الخاصة والحرّة، وانتشار الفقر الثقافي لدى الأجيال المزابية الجديدة من المولودة ما بين 1990 - 2000، أين يتم انتقال اللغة المزابية إليها كنظام للتواصل من دون موروّثها الأدبي والتراثي المرتبط بها. هذا الموروّث الذي يعد دعامة أية لغة يعيش أزمة زوال تدريجي بسبب عدم تدريسه، سرّعت منه الثقافة السيبرية الاستهلاكية الواسعة الانتشار في مجتمع الشباب.

¹ (قاسم حجاج، تق. د. إبراهيم بحاز، مزاب، رؤية مستقبلية مع مدخل إلى قضايا المستقبلات، دار العالمية، غرداية، الجزائر، الطبعة الأولى، 2006، ص. 496).

فعن سؤال عن عدد القصص المزابية *tinfusin* التي يحفظها الشخص المستجوب (السؤال رقم 4-5)، أجاب 67 ٪ من المبحوثين أنهم لا يحفظون شيئا منها، و 18 ٪ منهم أنهم يحفظون "القليل" أو "القليل جدا" بمعدل ثلاث قصص، بينما صرح 15 ٪ منهم فقط أنهم يحفظون "نسبة معتبرة"، وقد يكون في كلامهم مجاملة وتهربا من قول الحقيقة. وعن السؤال المتعلق بالأمثال والحكم المزابية (السؤال رقم 5-5) فإن نسبة 73 ٪ من الإجابات جاءت عامة وفضفاضة تفيد أن الشباب المزابي لا يحفظ منها إلا <<قليل جدا>> أو <<النزر القليل>> أو <<شيء لا يذكر>>، بينما صرح 28 ٪ أنهم يحفظون ما معدله 5 أمثال مزابية. وتدل هذه الأرقام على وضعية زوال تدريجي وخفي للموروث التراثي الثقافي المزابي لدى الأجيال الجديدة، يعد تهديدا حقيقيا لحيوية اللغة المزابية واستمرارها المستقبلي.

(ب) أثر المدارس التحضيرية للأطفال وبرامج محو الأمية للكبار في عملية انتقال اللغة المزابية

تمثل المدارس التحضيرية التي انتشرت بوادي مزاب مع فرض إجبارية التعليم التحضيري للأطفال منذ سنة 2013-2014 (1) ومدارس محو الأمية للمسنين التي ظهرت منذ بداية التسعينيات بوادي مزاب (2)، عاملان قد يعوقان بشكل جدي عملية انتقال اللغة المزابية بين الأجيال إذا لم تدرج فيهما اللغة المزابية بصفة منهجية وإجبارية كلغة للتعليم.

1. المدارس التحضيرية:

أكدت العديد من البحوث والدراسات أن انتقال الطفل في مراحله الأولى للاكتساب اللغوي من لغته الأم إلى لغة أخرى بصفة مفاجئة دون تدرج وتحضير يؤدي به إلى مواجهة اضطراب وقلق وعدم أمن لغوي،¹ بحيث أن تعليم اللغة العربية الفصحى للطفل الجزائري في مرحلة 5-7 سنوات، بينما لم يتمكن ويتقن بعد لغته الأم سواء كانت الامازيغية أو الدارجة، يشوش عليه عملية التطور المعرفي والعقلي ويجعله يواجه مشاكل في عملية التعلم.²

¹ انظر أعمال الملتقى الدولي حول تعليم اللغات الأم:

Actes du Colloque International sur l'enseignement des Langues Maternelles, Tizi-Ouzou, Les 23,24 et 25 mai 2003, S.D.Noura TIGZIRI, Université Mouloud MAMMERI de Tizi-Ouzou, édités en 2006.

²) Dalila AREZKI, « Les(en)jeux de la langue maternelle(en Algérie) sur le développement psycho-affectivo-cognitif de l'enfant », dans Actes du Colloque International sur l'enseignement des Langues Maternelles, Tizi-Ouzou, Les 23,24 et 25 mai 2003,2006, pp.242, 243.

وقد ظهر التعليم التحضيري بوادي مزاب منذ بداية التسعينيات على شكل روضات للأطفال البالغين من العمر 5 سنوات فأكثر، تقدم خدمة احتضان أطفال العائلات الأخرى في منزلها وتسليتهم من طرف نساء مزابيات خلال فترات من اليوم. وبغض النظر عن عدم توفر التكوين المتخصص لدى الفتيات والسيدات الراعيات لهذه الروضات فإن اللغة الغالبة فيها هي اللغة المزابية الأم مع تلقين الطفل بعض الكلمات والجمل العربية بالاستعانة باللغة المزابية.

غير أن الأمر ما لبث أن أصبح منذ السنة الدراسية 2013-2014 تعليما إجباريا للأطفال البالغين 5 سنوات في المدارس الابتدائية، بحيث يتم التعليم وفق البرنامج الرسمي الحكومي الإلزامي باللغة العربية الفصحى. والملاحظ أن قلة المدرسين الناطقين باللغة المزابية الذين يتولون هذا التعليم في المناطق المزابية جعل منه تعليما عربيا خالصا، مما يشوش على هؤلاء الأطفال الذين لم يرتووا بعد لغتهم المزابية الأم. ففي ابتدائية نوح عائشة للبنات ببني يزقن على سبيل المثال يوجد 4 مدرسين يتقنون المزابية من بين 14 مدرسا يتولون التعليم في التحضيري في مدرسة يشكل فيها التلاميذ الناطقين باللغة المزابية 95%، بحيث يتم التدريس باللغة العربية وفق البرنامج الرسمي لوزارة التربية الخالي من أي بعد أمازيغي.¹

ولاشك أن هذا المنهج قد يشكل تهديدا حقيقيا لعملية نقل لغة الأم، إذ بعد أن كان الطفل المزابي ذو الخمس سنوات يقضي معظم أوقاته في الوسط اللغوي المزابي، أصبح يقضي عدة ساعات في الأسبوع تشكل حيزا هاما من وقته في التعليم التحضيري باللغة العربية الفصحى بواسطة معلمات لا يتقن اللغة المزابية. وإذا أضفنا إلى ذلك الحيز الزمني الذي يستهلكه في مشاهدة الحصص التلفزيونية باللغة العربية أدركنا بالضبط الخطر الجدي الذي يحدق بعملية نقل اللغة المزابية بين الأجيال. مع أن منظمة اليونسكو أكدت في عدة توصيات لها، بناء على دراسات خبراء التعليم بمختلف الدول على أهمية استعمال لغة الأم لضمان تعليم فعال.² فقد أوصى لقاء القمة حول التعليم المنعقد في نيودلهي سنة 1993 على وجوب تشجيع <<التعليم الأولي بلغة الأم، حتى وإن كان من الضروري، في بعض الحالات، أن يكتسب الطفل فيما بعد، إتقان لغة وطنية أو لغة أخرى أكثر انتشارا، ليتمكن من المشاركة فعليا في المجتمع الذي ينتمي إليه>>³. كما أعاد لقاء عمان سنة 1996 للمنتدى الدولي

¹ لقاء مع الأستاذ نور الدين بنورة، مدير ابتدائية نوح عائشة للبنات، بني يزقن، بتاريخ 28 سبتمبر 2015.

² UNESCO, La langue maternelle ça compte !, La langue locale clé d'un apprentissage efficace, 2008, paris, p.6.
<<La recherche a aujourd'hui clairement établi que l'emploi de la langue maternelle de l'apprenant est crucial pour un apprentissage efficace.>>

³) L'UNESCO, L'EDUCATION dans un monde multilingue, Document cadre, 2003, paris, p.26.

التشاور حول التعليم للجميع، التأكيد على << الدور الجوهرى للغة الأم في مرحلة التعليم الأساسى >>. ¹ ويجزم البروفيسور جيم كومنز Jim CUMMINS في مقال له حول لغات الأم للمجموعات الاثنو-لسانية في كندا وأوروبا على أن << الأطفال الذين يبدوون مساهمهم الدراسى بقاعدة صلبة في لغتهم الأم، يطورون قدرات كبيرة لقراءة اللغة المستعملة في المدرسة >> (ترجمتنا) كما يؤكد على خطورة إقصاء لغة الأم للطفل ويعتبره إقصاء للطفل ولجزء من ذاته وهويته. ²

2. مدارس محو الأمية للنساء المزابيات الأحاديات اللغة:

إن كان المفهوم التقليدي للأمية ³ يعرف انه : هو عدم القدرة على كتابة وقراءة لغة ما، فإنه ارتبط أساسا في المخيال الجماعى للمزابيين حتى اليوم باللغة العربية وما يرتبط بها من المكانة الاجتماعية والأساطير الجمعية حول قدسيته (لغة أهل الجنة والملائكة والله) وتفوقها (أفضل اللغات وأجملها وأكثرها ثراء...)، مما يعمل على تكريس دونية اللغة المزابية، فضلا على تعارضه مع الحقائق العلمية وما يقر به علم اللسانيات حول طبيعة اللغات وقدراتها وارتباط تطورها بالمجتمعات الناطقة بها.

والواقع أن النساء المزابيات من أجيال الخمسينيات وما قبلها كن في أغليبتهن أحاديات اللغة، بسبب عدم استفادتهن المطلقة من التمدرس الذي كان محرما دينيا، مع تعليم قرءاني محدود يتعلمن فيه بعض السور الأساسية الضرورية للعبادة. ويعود لهذه الشريحة النسوية الفضل الأول في الحفاظ على اللغة المزابية وتراثها طيلة قرون من الزمن لقلة تأثرهن بالعالم الخارجى وثقافته. وكانت ولا زالت في مواجهة دائمة مع ما يأتي به الرجال من تأثيرات لغوية وثقافية خارجية مختلفة بحكم الوظيفة التجارية التي عرف بها المزابيون وانتشارهم وتنقلاتهم الكثيرة عبر أرجاء الوطن الجزائرى الواسع. وبفضل انتشار دروس محو الأمية التي انطلقت بوادي مزاب منذ

¹) Idem, p.26.

²) Jim CUMMINS, « la langue maternelle des enfants bilingues, Qu'est -ce qui est important dans leur études », *SPROGFORUM*, n°19, 2001, pp.17,19. « Les enfants qui commencent leur scolarité avec une base solide dans leur langue maternelle, développent de plus grandes capacités à lire dans la langue qui est employée à l'école. »

³) شهد مفهوم التعلم alphabétisme تطورا كبيرا نتيجة توسع المعرفة الإنسانية وتطور العلوم ، إذ لم تعد الأمية تعني فقط عدم معرفة قراءة وكتابة لغة ما، بعد أن أضيف قدرات جديدة إلى التعلم لاسيما عنصر الرقمنة *la numératie*. انظر:

UNESCO, « Alphabétisation et alphabétisme, Quelques définitions », *Rapport Mondial de Suivi sur l'Education Pour Tous*, Chapitre 6, 2006, pp.157 et S.

التسعينيات عبر المؤسسات والجمعيات الدينية، استفاد قسم واسع من هذه الشريحة بتعلم مبادئ اللغة العربية في إطار المدارس والجمعيات الدينية.

وإن كان تعلم اللغة العربية الفصحى للنساء المزابيات أحاديّات اللغة monolingues فيه إثراء لثقافتهن باعتبارها أداة للاطلاع على التراث العربي والديني والتفتح على العالم الخارجي؛ فإن الخطورة التي تمثلها هذه الدروس بالنسبة لوضع اللغة المزابية وثقافتها كما عايناها في الميدان، تكمن في الظروف التي يتم فيها هذا التعليم، حيث يتولى محو الأمية غالبا مدرسون ومدرسات من فئة "الدعاة" الدينيين المتشبعين بالنظرة الاستعلائية للغة العربية وطابعها المقدس باعتبارها "أفضل اللغات وأجملها"، وبالنظرة الدونية إلى اللغة المزابية التي يصفها أكثرهم "بلهجة محلية" بل يصرح أغلبهم أنها "لهجة وليست لغة". هؤلاء -كما لاحظنا- يعتبرون أنفسهم في مهمة مقدسة لتعريب النساء الأحاديّات اللغة، تحت مسمى "إخراج المجتمع النسوي من "الجهل" (عدم معرفة اللغة العربية الفصحى) الذي يعني صراحة وضمنا اللغة والثقافة المزابية بكل ما تحمله من دلالات الدونية والتخلف، طبقا للمفهوم السائد لديهم أن "العلم" ينحصر في معرفة الدين واللغة العربية.

وبالرغم من الاستعانة باللغة المزابية في العملية التعليمية كلغة ثانوية للتعليم لاسيما في المراحل الأولى لمحو الأمية، إلا أن المفهوم الخاطئ للأمية ومحوها لدى المدرسين -الدعاة والنساء المتعلّمات على السواء، تركز ازدواجية اللغوية غير المتكافئة، وتحول السياق التعليمي لهذه الدروس الموجهة أساسا للمجتمع النسوي المزابي الأحادي اللغة الذي يرجع إليه فضل المحافظة على الرصيد اللغوي القديم؛ إلى فضاء يتم فيه، بصفة غير واعية طبعا، تكريس التمثيلات الدونية للغة المزابية باعتبارها لغة شفوية للجهلاء والنساء والعامّة، وتثمين اللغة العربية كلغة للدين والعلم والمكانة الاجتماعية. وعليه فإن الأمر يتطلب إسناد مهمة التدريس إلى المختصين واعتماد مقارنة منهجية جديدة لمحو الأمية تشمل أيضا محو الأمية باللغة المزابية.

ولاشك أن تطوير المحافظة السامية للامازيغية لكتاب تدريسي لمحو الأمية بالامازيغية القبائلية ومستقبلا باللغات الأخرى منها المزابية، سيساعد على توفير تدريس متعدد اللغات لهذه الشريحة النسوية المحافظة على التراث اللغوي الثقافي المزابي كما تنص عليه مختلف توصيات منظمة اليونسكو، لاسيما توصية رقم 12 للجمعية العامة سنة 1999 التي أكدت على ضرورة التعليم المتعدد اللغات في العالم بهدف تكوين إنسان بلغته الأم بالإضافة إلى تفتحته على المجال الوطني والدولي.¹ وكذا المادة 22 من توصية المنظمة لسنة 1976 المتعلقة بتعليم الكبار التي أكدت بصفة خاصة على وجوب أن يكون تعليم اللغات الأقلية والضعيفة للكبار ولأولادهم بلغة

¹) L'UNESCO, L'EDUCATION dans un monde multilingue, op.cit., p.18.

الأمّ أولاً مع تشجيع تعلم اللغات الأخرى.¹ وإعلان هامبورغ للقاء الدولي الخامس حول تعليم الكبار لسنة 1997 ، حيث تنص المادة 15 على أن << حق تعليم الكبار بلغتهم الأم يجب احترامه وتطبيقه >>² ونخلص هذا المطلب بتصنيف اللغة المزابية من حيث مؤشر انتقال اللغة بين الأجيال بدون تردد في الدرجة "5"، بسبب استمرار انتقال اللغة المزابية وثقافتها بين الأجيال، نتيجة جملة من العوامل الجغرافية الدينية الاجتماعية السوسيو-لسانية الخاصة بالجماعة المزابية ومسارها التاريخي، يأتي الاعتراف بالامازيغية كلغة وطنية ورسمية من طرف الدولة ليدعم مركزها، على الرغم من ضئالة عدد الناطقين بها.

المطلب الثاني: عدد الناطقين باللغة المزابية ومواقفهم حيال لغتهم

إذا كان عدد الناطقين باللغة المزابية ضعيفا جدا مقارنة بالجماعات الامازيغية الأخرى، فإن نسبة استخدام لغتهم مرتفعة جدا، ونسبة ضياع اللغة شبه منعدمة بالنظر إلى العوامل السالفة الذكر (الفرع الأول). أما مواقف المزابيين من لغتهم فتختلف بين تأييد ترقيتها وتطويرها أو المحافظة عليها كتراث خاص بالجماعة (الفرع الثاني).

الفرع الأول: عدد الناطقين باللغة المزابية ونسبتهم

يأتي العامل الديمغرافي في الدرجة الثانية في سلم اليونسكو من حيث الأهمية لدوره الأساسي لبقاء اللغات واستمراريتها. فقد اندثرت الكثير من اللغات بعد التناقص الديمغرافي الكبير لعدد الأفراد الناطقين بها وتفرقهم في الأمصار وتزايد عدد الناطقين باللغة أو اللغات الأخرى المنافسة والمهيمنة، كما حدث للغات الهنود الحمر مع الهجرة السكانية الأوروبية الكثيفة إلى القارة الجديدة؛ كما أن حرب اللغات التي يعرفها العالم يكون الحسم والانتصار فيها غالبا للغات ذات الأغلبية السكانية حتى بات الصراع بين اللغات هو قبل كل شيء صراع ديمغرافي لما يحتله العامل الديمغرافي من أهمية بالغة من بين العوامل الأخرى، ولذلك ليس من الغريبة أن تحتل لغة الماندران السائدة في الصين الشعبية المرتبة الأولى عالميا من بين اللغات الأكثر استعمالا في عالم اليوم بمجموع 850 مليون ناطق، تليها الانكليزية ب 600 مليون ناطق، ثم الهندية والاوردو ب 420 مليون ناطق، الخ.³ كما أن من بين 6.700 لغة في العالم يوجد 80 لغة فقط تعتبر "قوية" لقوتها الديمغرافية بحيث ينطقها 10 ملايين

¹) Idem, p.25.

²)Idem, p.26.

³) Claude HEGEGE, "Langues et démographie - Paysage des langues dans le monde", *La jaune et la rouge*, Revue mensuel de l'association des anciens élèves et diplômés de l'école Polytechnique, n° 639, Novembre 2008. Cf. www.lajauneetlarouge.com

فأكثر من الناطقين أي 1,1٪، بينما لا يتجاوز عدد اللغات التي ينطقها بين مليون وعشرة ملايين شخص 3,3٪ من لغات العالم بمعنى وجود حوالي 97٪ من لغات العالم "ضعيفة جدا" لضعفها الديمغرافي¹.

غير أن العامل الديمغرافي لا يقاس فقط بمؤشري عدد الناطقين باللغة ونسبتهم في الجماعة وإنما يؤخذ بالاعتبار أيضا بجملة من المؤشرات الديمغرافية التي تقاس على ضوءها احتمالات بقاء الجماعة البشرية المستخدمة للغة واستمرارها على المدى الطويل، أهمها: نسبة الخصوبة في المجتمع ونسبة فئة الشباب المستخدم للغة المبحوثة، لارتباطها بشكل قوي بمفهوم "الحيوية الديمغرافية" للمجتمعات المعروفة في علم الديمغرافية²؛ وقدرّة اللغة على استيعاب السكان المهاجرين من لغات أخرى، و الانتشار الجغرافي للغة³. غير أن غياب الإحصائيات الديمغرافية العلمية السوسيو- لسانية الموثقة حول الجماعة المزابية يجعل من المستحيل دراسة هذه المؤشرات دراسة علمية دقيقة وموضوعية، مما جعلنا نكتفي ببحت مؤشري عدد الناطقين ونسبتهم في الجماعة المزابية بحثا تقريبا يعتمد على معرفتنا وملاحظاتنا، مع محاولة التعرض لمؤشرات معدل الخصوبة والانتشار الجغرافي والقدرة على استيعاب المهاجرين. بحيث يرى ستوارث Stewart سنة 1962 أن حيوية اللغة واكتسابها لشبكة تواصل وطنية ودولية يعود أساسا إلى قوتها الديمغرافية ودرجة الانتشار الجغرافي لأفرادها مع استعمالهم للغتهم⁴.

على الرغم من الضعف العددي للناطقين المزابيين وعدم تأثير توزيعهم الكبير بفعل التجارة في نشر لغتهم وتوسيعها بسبب الانغلاق والزواج الداخلي. وفي الواقع من الصعوبة جدا تحديد العدد المطلق للناطقين باللغة المزابية بسبب الهجرة المكثفة التي عرفها المجتمع المزابي ذات الطبيعة التجارية منذ القرن التاسع عشر إلى

¹) LECLERC Jaques, « L'expansion des langues », op.cit.

فريق خبراء اليونسكو الخاص المعني باللغات المهددة بالاندثار، **حيوية اللغات وتعرضها للاندثار**، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة اليونسكو، قسم التراث اللامادي، فرع التراث الثقافي، باريس، 2010، ص.4. انظر:

<http://www.unesco.org/culture/ich>

² ارتبط مصطلح "الحيوية الديمغرافية" *vitalité démographique* بالوفرة السكانية التي تحسب وفق مؤشرات ومعادلات حسابية رياضية لقياس شروط تعويض الأحيال، مثل تزايد نسبة النمو الديمغرافي ومعدل الخصوبة والأعمار ونسبة الشباب، إلخ. انظر: R Pr, « A propos d'un indice de vitalité démographique », Revue *POPULATION*, Année 1958 Volume 13 Numéro 3 pp. 481-487, version PDF.

³)LECLERC Jaques, « L'expansion des langue »,op.cit.

⁴)William F.Mackey, Art. « vitalité linguistique »,in Marie-Louise MOREAU, *La sociolinguistique*, p.295.

مختلف المدن الجزائرية (أولا)، بينما تعتبر نسبة الناطقين باللغة المزابية بين المزابيين مرتفعة جدا لاعتبارها عنصرا للتميز الاثنو-لساني مما مكنها من مقاومة اللغة العربية الدارجة (ثانيا).

أولا: العدد المطلق للمتحدثين باللغة المزابية

لا يمكن تحديد العدد الدقيق للناطقين باللغة المزابية في الوقت الحاضر، بسبب غياب إحصائيات موثقة. إذ لم يؤخذ في عين الاعتبار العامل اللغوي ومختلف الخصوصيات الدينية الثقافية، في أي من الإحصائيات الرسمية التي أجرتها الدولة الجزائرية منذ الاستقلال، لاعتبارها في تصور السلطة السياسية عوامل تفرقة تتناقض مع روح "الوحدة الوطنية". ومن جهة أخرى تقيم جالية كبيرة من المزابيين في المهجر ومختلف المدن الجزائرية يبلغ عددها حسب تقديرنا الشخصي ما بين 35 ٪ إلى 45 ٪ على الأقل من عددهم الإجمالي. ولكون قسم كبير منهم وُلد وسجّل في سجلات الحالة المدنية بتلك المدن رغم ارتباطه الاجتماعي الثقافي اللغوي الديني بوادي مزاب، فإنه يصعب إجراء إحصاء لهؤلاء انطلاقا من سجلات الحالة المدنية أو القوائم الانتخابية. وعليه وحسب اغلب التقديرات فإن عدد بني مزاب يتراوح بين ثلاثمائة ألف ونصف المليون فرد (300.000 – 500.000) كأقصى حد.

وإذا أخذنا بالاعتبار السائد أن اللغة تكون مهددة بالانقراض فعلا حينما يبلغ العدد الأدنى للناطقين بها (10.000) عشرة آلاف شخص فقط أو أقل، وهو حالة نصف لغات العالم اليوم البالغ عددها 6.700 لغة، وأن العدد الأدنى للناطقين الذي يجب أن تتوفر عليه لغة ما حتى نعتبرها خارج خطر الاندثار هو (100.000) مائة ألف شخص على الأقل¹؛ فإننا يمكن القول بدون تردد أن اللغة المزابية من وجهة نظر العامل الديمغرافي (عدد الناطقين) ليست حاليا في دائرة الخطر بالاندثار.

غير أن قوة اللغة كما يلاحظ ساقارت SAGART ترتبط بمحيطها، بحيث يمكن اعتبار لغة جماعة ما يتراوح عدد ناطقيها بين 500 إلى 1.000 شخص فقط لغة مستقرة وقابلة للاستمرار، إذا كانت منعزلة في إحدى جزر المحيط الهادي، بينما تعتبر نفس اللغة مهددة بالموت المحقق إذا كانت في أوروبا أو إفريقيا في تفاعل مع لغات أخرى². وهذا ما يحيلنا إلى العزلة الجغرافية التي عاشت فيها اللغة المزابية كما أسلف بيانه.

¹) LECLERC Jaques, « La mort des langue », dans *aménagement linguistique dans le monde*, 10 mai 2012, Québec, TLFQ, Université Laval, [http://www.tlfq.ulaval.ca/axl/europe/danemark.htm], 46 Ko

²) Laurent SAGART, « Les langues en danger... », *op.cit.*, p.13.

ويثور الجدل حول نسبة المزابيين في وادي مزاب مقارنة بالناطقين بالعربية بسبب عدم وجود إحصائيات سوسيو-لسانية ذات مصداقية. وتعود أهمية هذه المسألة إلى ضرورة قياس خطر الاندثار اللغوي المزابية إن كانت تعيش في محيط لغوي عربي يشكل الأغلبية، إذ بينت الأبحاث أن اللغات التي تمثل أغلبية ديمغرافية غالبا ما تتغلب على اللغات الأقل قوة ديمغرافية لاسيما إذا اقترن ذلك بالعوامل الأخرى كالقوة السياسية الدينية والاقتصادية كما حصل لعدد كبير من لغات الشعوب الأصلية في القارة الأمريكية.

ويبدو حسب ملاحظتنا أن الناطقين باللغة المزابية يشكلون أكثرية بسيطة، غير أن نسبة معتبرة منهم يقيمون خارج منطقة وادي مزاب، مما جعلهم ليس فقط أقلية لغوية وإنما أيضا أقلية سياسية أمام السكان الناطقين بالعربية بسبب أن أغلبهم مسجلون في القوائم الانتخابية للمدن الشمالية التي يقيمون فيها.¹ والمؤكد أن النزوح الكبير للسكان الناطقين بالعربية ، أدى إلى تناقص نسبة الناطقين بالمزابية اليوم إلى حوالي 60% ، بعد أن كانوا يمثلون حوالي 92 % سنة 1910 (25.000 مزابي مقابل 2.000 عربي)² . ويمكن توضيح التقسيم الجغرافي الديمو-لغوي لمنطقة وادي مزاب في الخريطين الآتيتين:

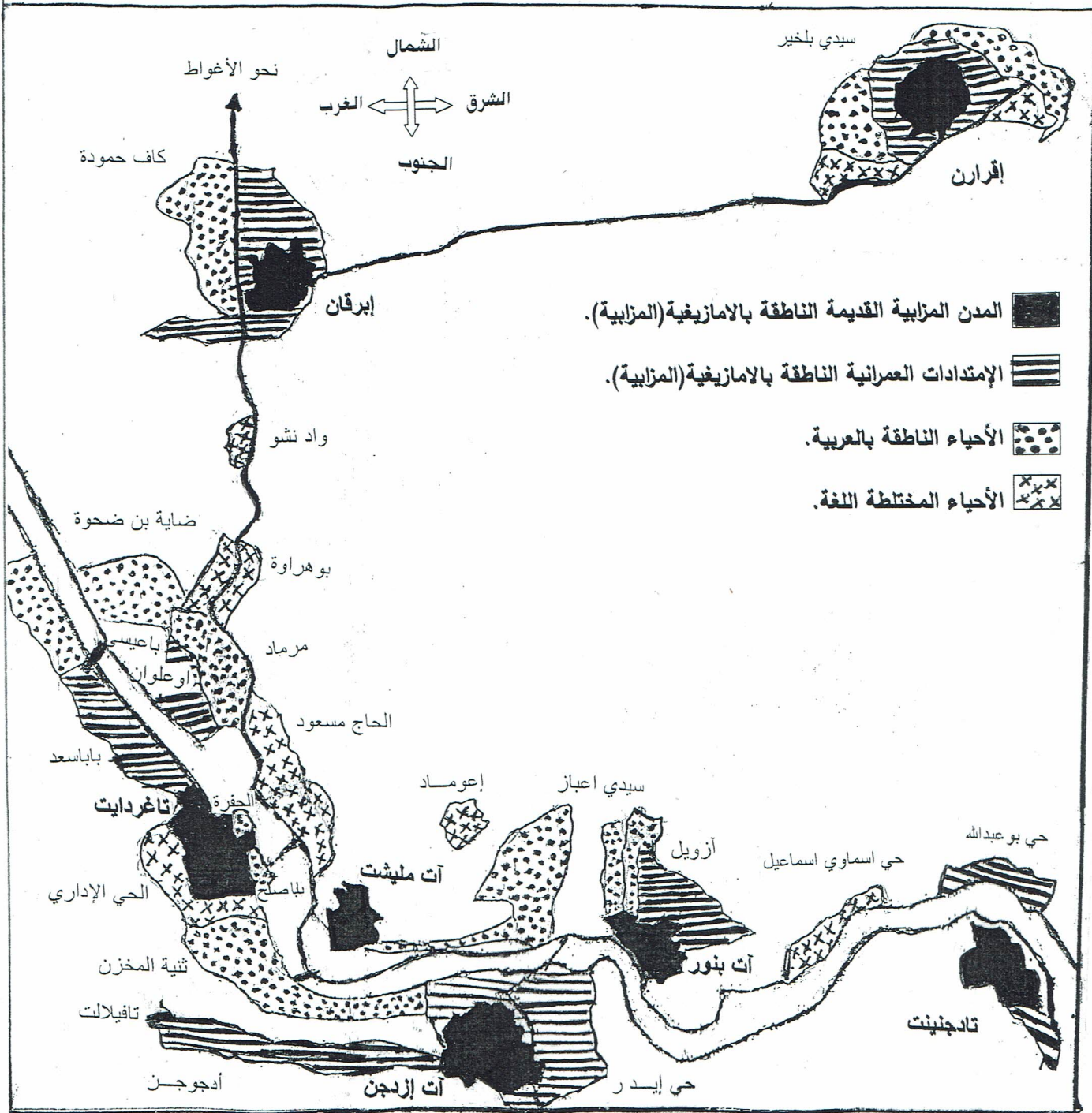
¹ ارتفع عدد سكان وادي مزاب ثلاث أضعاف مابين 1962 ب 58.327 نسمة إلى 138.995 نسمة سنة 1999 بسبب ارتفاع معدل الخصوبة وازدياد نزوح السكان الناطقين بالعربية لاسيما من الهضاب العليا، بحيث تناقصت نسبة المزابيين حسب إحصائيات 12 فيفري 1977 الى 60% فقط . انظر:

Brahim CHERIFI, *Le MZAB, Etude d'anthropologie historique et culturelle*, op.cit., pp.193, 285.

غير أن هذه النسبة تناقصت أكثر منذ 1989 حسب الإحصائيات الرسمية لعدد الناطقين التي تبين أن المزابيين يشكلون اقل من 50 % من الهيئة الانتخابية في ولاية غرداية أغلبهم يتمركزون في المدن الخمسة لوادي مزاب. أنظر القانون رقم 89-15 المؤرخ ب22-08-1989 المحدد للدوائر الانتخابية ولعدد المقاعد في المجالس الشعبية البلدية والمجالس الشعبية للولايات.

² Ernest Chantre, « Les Mozabites : esquisse ethnographique et anthropométrique », *Bulletin de la Société et de d'Anthropologie de Lyon*, n°29, 1910, p.89.





الخريطة (2): خريطة ديمو-لغوية لوادي مزاب وبريان وقرارة

ومن جهة أخرى تعد نسبة الخصوبة¹ حسب مختلف الباحثين من المؤشرات الهامة في حيوية اللغات واندثارها، إذ تعتبر نسبة 2.1 طفل لكل امرأة كأدنى حد لضمان الاستقرار السكاني² وبالتالي استمرارية اللغة. إذ أصبحت لغات عدة مهددة بالاندثار بسبب انخفاض معدل الخصوبة مثل الجماعة الاثنو-لسانية الفرنسية بالكيبك التي ستتناقص من حوالي 7 سبعة ملايين شخص حاليا إلى أقل من 5 خمسة ملايين سنة 2050 وإلى مليوني شخص فقط سنة 2080 إذا ما استمرت نسبة الخصوبة الحالية بين 1.5 و 1.7 طفل لكل امرأة.³

وفي ظل افتقارنا لإحصائيات حول الموضوع تخص الجماعة المزابية، فإننا نرجح أن نسبة الخصوبة لدى المزابيين لا يمكن أن تقل عن النسبة الوطنية التي ارتفعت سنة 2014 إلى معدل 03 طفل لكل امرأة بعد أن كانت قد وصلت سنة 2013 إلى 2.93 طفل لكل امرأة⁴. ويعتمد تقييمنا على العدد المعتبر للزيجات في المجتمع المزابي بسبب سهولة الزواج وخضوعه إلى قانون عرفي يهدف إلى تحقيق المساواة والاقتصاد في المصاريف، بالإضافة إلى الوفرة الاقتصادية والأعراس الجماعية وآليات التضامن الاجتماعي التي تسهل الزواج على الشباب وتسمح بعملية الإنجاب بنسبة طبيعية. وبالتالي يمكن الجزم أن نسبة الخصوبة لا تشكل خطرا على استمرارية اللغة المزابية.

ثانيا: نسبة المستخدمين للغة المزابية من مجموع الناطقين بها وانتشارهم

تعد اللغة المزابية، إلى جانب الانتماء المذهبي من المميزات الاثنو-لسانية للمزابيين وعنصرا جوهريا في هويتهم -كما أسلفنا الذكر-، وبفضلها يتعرفون على بعضهم البعض قبل أي عنصر آخر. ولذلك فهم يتحدثون بها في اغلب مخاطباتهم بصفة يومية وتلقائية. وباستثناء بعض السياقات الاجتماعية والوضعيات، فإن اللغة المزابية مازالت هي السائدة كلغة تواصل أولى بين المزابيين.

¹ تقاس نسبة الخصوبة بالتناسب بين عدد الأطفال والنساء القادرات على الإنجاب، أي حسب عدد الأطفال الذين تستطيع المرأة أن تلدهم في حياتها في فترة الخصوبة بمعدل طفل في كل خمس سنوات. ينظر تعريف الديوان الوطني للإحصاء:

www.ons.dz

² L'Organisation de Coopération et de Développement Économiques (OCDE) , *Taux de fécondité (indicateur)*.paris, France. [doi: 10.1787/cfd1ce95-fr] (Consulté le 14 janvier 2016).

³ LECLERC Jaques, « L'expansion des langue »,op.cit.

⁴ انظر التقرير السنوي للديوان الوطني للإحصائيات في قسم "ديمغرافيا الجزائر" لسنتي 2013، 2014: www.ons.dz

(أ) سواد استخدام اللغة المزابية كاللغة الوحيدة للتواصل بين المزابيين

أكدت نتائج استبياننا ما نعيشه في الواقع اللغوي المزابي أن الأغلبية الساحقة للمزابيين يستخدمون اللغة المزابية كلغة التخاطب والتواصل بينهم في كافة السياقات والمجالات كقاعدة سلوكية عامة في حياتهم اليومية، باعتبارها لغة حميمة تمثل في الوعي الجمعي احد عناصر الترابط والتضامن القومي، مع استخدام اللغات الأخرى كاستثناء في مجالات وسياقات معينة بناء على دوافع واعتبارات. وقد أسلف الذكر أن أغلبية 99 ٪ من المستجوبين (السؤال رقم 1-1) يستخدمون اللغة المزابية بصفة دائمة أو -على الأقل- غالبية في الوسط العائلي. مع أن أغلبهم ينتقل إلى اللغة العربية الفصحى في الفضاء الرسمي بنسبة 63 ٪ أو الدارجة للتواصل مع الناطقين بالعربية، كما سبق بيانه.

والملاحظ انه لم يطرح يوما في الوسط المزابي مشكلة لغة التخاطب كما هو الحال بالنسبة للمازيغ الشاوية والقبائليين المغتربين وحتى المقيمين في مناطقهم الأصلية. بحث نلاحظ تحول بعض الشاوية الى استخدام اللغة الدارجة كلغة تخاطب، واستخدام بعض القبائليين اللغة الدارجة المسماة *tazeddimuht*¹ أو الفرنسية، سواء لتأكيد تميزهم الاجتماعي أو لإشباع رغبة الاستعلاء والتفوق أو الظهور بمظهر التمدن والعصرية². ويفسر هذا الوضع بجملة العوامل السوسيو-لسانية السالفة الذكر خاصة العزلة الدينية الجغرافية الاجتماعية.

ويجدر بنا التساؤل عن سبب عدم تعرب المزابيين بالرغم من تعلمهم للغة العربية الفصحى واستعمالهم لها على نطاق واسع في المجال الديني والرسمي على اعتبار أن الدين كان عاملا هاما في فرض اللغة، حيث انتشرت اللاتينية واليونانية بفضل المسيحية واللغة السنسكريتية بفضل البوذية واللغة العربية بفضل الإسلام³؛ لكن يزول العجب عندما ندرك ان اللغة المزابية كانت ولا تزال اللغة المميزة للجماعة المزابية. ويمثل هذا الوضع ظاهرة طبيعية نجدها في المجتمعات الأخرى باعتبار اللغة صمام أمان للتضامن بين أفراد الجماعة اللغوية ورابطة قوية للانتماء، حيث يلاحظ قومبارز Gumperz مثلا في دراسته لاستراتيجيات إثبات الهوية في الوسط

¹ وهي اللغة العربية الدارجة لسكان المدينة العليا لتيزي وزو وبعض أحيائها مثل حي بوخالفة غرب المدينة. كما ظهرت لغة

مشابهة بالقصبة القديمة لمدينة بجاية، تسمى *tabjawit*.

² يعتبر بعض القبائليين في جيجل، بجاية أو تيزي وزو العربية الدارجة التي ينطقون بها عنصرا يعبرون به عن تميزهم السوسيو-لساني باعتبارهم "حضرين"، عن بقية القبائليين الذين يعتبرونهم "جبلين" بكل ما تحمل هذه التسمية من معاني سلبية كالانغلاق والتخلف.

³) WILLIAM F.Mackey, *Bilinguisme et contact des langues*, op.cit., p.34.

المختلط للنمسا أن الناطقين النمساويين باللغة السلوفينية يستخدمون بينهم اللغة السلوفينية، لكنهم ينتقلون آليا إلى اللغة الألمانية بمجرد اقتراب شخص أجنبي إليهم. بحيث تشكل لغتهم إطارا ثقافيا ومرجعيا للتقارب بينهم فقط، وتمثل مسافة تفصلهم عن من لا يتكلمها أو لا يفهمها.¹

ففي محاولتنا لقياس درجة حضور اللغة المزابية في حياة الفرد المزابي من خلال استخداماتها في خمس حالات (السؤال رقم 2-2)، جاءت أغلبية ردود المستجوبين حول اللغة المستخدمة على النحو التالي:

- **تهنئة العريس/العروسة وتقديم العزاء:** بالمزابية وأحيانا خليط بين المزابية والعربية. ويعود هذا إلى اختلاف بعض تعابير التهنئة والعزاء بين المدن المزابية، كما يعود إلى الزوال التدريجي للتعبير الامازيغي للعزاء لصالح التعبير العربي، بسبب ادعاء بعض رجال الدين المتطرفين أن من "البدعة" استعمال تعبير العزاء *tanemmirt tabejna* - "البركة في رأسك" المتداول منذ القديم عند المزابيين ولدى الجماعات الامازيغية الأخرى، لأنه -حسبهم- تعبير جاهلي، وأن من السنة النبوية القول "عظم الله أجركم" عوضا عنه.
- **عند شرح موضوع ديني:** بالمزابية، وأحيانا بالعربية الفصحى كلغة للوعظ والإقناع الديني، وكذا <<لاستحضار الأدلة الشرعية من القرآن والسنة والاستشهاد بها>> (أستاذ، 30 سنة، تغردايت). وأغلب المستجوبين صرحوا باستخدامهم اللغتين معا.
- **عند الحلم:** بالمزابية <<لأنها توجد في عقلنا الباطني لكثرة تحدثنا بها>> (طالبة، 20 سنة، آت مليشت). وبالنسبة لأغلب المستجوبين فإن الحلم يكون أحيانا بالعربية الفصحى <<إذا كان في المدرسة والدراسة أو لقاء أستاذ>> (طالب جامعي، 26، بريان).
- **عند الدعاء والابتهال إلى الله:** بالعربية الفصحى بالنسبة لـ 34 % من المستجوبين بسبب أن أغلب الأدعية والأذكار المأثورة التي تحفظ عن ظهر قلب مكتوبة باللغة العربية الفصحى. بينما صرح 45 % أنهم يستخدمون المزابية والعربية الفصحى معا في تواصلهم مع الله، بحيث يخلطون الأدعية المأثورة التي حفظوها بابتهالاتهم وأدعيتهم الخاصة بالمزابية، فيدعو الشخص <<بالعربية لوجود بعض الأدعية الجميلة والمزابية لسهولة التعبير>> (طالب، 30 سنة، قرارة). أما بقية المستجوبين ونسبتهم 15 % فيستخدمون اللغة المزابية لأن ذلك -حسبهم- يشعرهم بالاطمئنان والراحة أكثر، حيث صرحت إحدى

¹) John GUMPERZ, J., *Engager la conversation, introduction à la sociolinguistique interactionnelle*, Paris, Minuit, 1989, Cité par Philippe Blanchet, Cours de Master, Université Rennes 2, 2008, p.2. Version électronique : pdf_Blanchet_typo.pdf

المستجوبات >> اشعر بالراحة عندما أتكلّم بها [المزابية] مع الله سبحانه وهي تقرّني إليه>> (طالبة، 24 سنة، تدجنيت). وصرح آخر>> ارتاح فيها كثيرا وهي أكثر تعبيراً عما أريد الدّعاء به>> (أستاذ، 29 سنة، آت ازدجن). وفي الأخير يفضل 6% من المستجوبين استخدام اللغة العربية فقط "لغة القرآن وأهل الجنة، ولغة الإسلام" في الدّعاء.

• **عند الشجار والخصام الشديد:** بالمزابية مع تجاوزها الى العربية الدارجة عندما يتعلق الأمر بالألفاظ القاسية ، ويفسر ذلك بالطابع الحميمي العائلي التضامني للغة المزابية، والطابع الأجنبي الغريب الذي يلتصق بالعربية الدارجة. وحسب معاشتنا فإن الكثير من المزابين من الشباب ينتقلون في حالة الخصام الشديد والعنيف إلى استخدام العربية الدارجة للتعبير عن الخروج عن الفضاء الحميمي للوسط المزابي إلى الفضاء الخارجي الاجنبي، بحيث يعتبر الخصم "أجنبيا" يمكن إلحاق أكبر الأذى به دون مراعاة واجبات الأخوة.

وتدل هذه النتائج مما لا يدع مجالا للشك أن اللغة المزابية لازالت تحتل فضاء واسعا من حياة المزابين، وأن توظيف اللغات الأخرى لا يكون إلا على سبيل الاستثناء للتواصل في بعض الموضوعات لاعتقادهم بضعف لغتهم للتعبير عنها. فعن سؤال حول "المواضيع التي تشعر فيها أن اللغة المزابية عاجزة عن التعبير عن أفكارك"(السؤال رقم 2-3)، ذكرت الأغلبية الساحقة للمستجوبين ثلاث مجالات أساسية، هي :

- **المجال العلمي والتكنولوجي والتقنيات الحديثة، وأحيانا المجال السياسي والرياضي:** ويعود ذلك إلى تخلف اللغة المزابية عن التطور الحضاري والعلمي وصعوبة، إن لم نقل استحالة ترجمة الكم الهائل من المصطلحات في هذه المواضيع بالمزابية، مما يجعل من خلط وتداول الشفرات الوسيلة الوحيدة للتعبير عن هذه المواضيع وشرح المصطلحات الجديدة التي تكتنفها.

- **المجال الفكري:** ويشمل الفلسفة وتحليل الأفكار المجردة والتدريس واللقاءات العلمية، الخ.

- **المجال العاطفي والجنسي:** ويشمل المواضيع الرومانسية والتعابير الوجدانية والمسائل الجنسية، حيث تقول احدها >> التعبير عن المشاعر والحب، لأنها [المزابية] لغة جافة>> (طالبة، 22 سنة، بريان)، ويقول آخر >>المواضيع المتحرج من ذكرها مثل مواضيع الزواج والمواضيع الجنسية>> (طالب، 27 سنة، تغدايت) أو >>عند التعبير عن الحب>> (طالب، 24 سنة، قرارة).

ويفسر ذلك بطبيعة المجتمع المزابي المتدين، أين يسود المذهب الاباضي المعروف بصرامته الأخلاقية، ويحظر أي نقاش عام حول هذه المواضيع، كما يمنع شعر الغزل الذي يعده رجال الدين المتطرفين مسا للآداب العامة وخدشا للأخلاق السائدة في المجتمع.

وبالمقابل أجابت الأغلبية الساحقة عن سؤال حول المواضيع التي "تفضل أن تتكلم فيها باللغة المزابية لأنك تشعر بالارتياح" (السؤال رقم 2-4)، بالإشارة إلى المجالات والسياقات التالية :

- السياق العائلي الاجتماعي الحميمي عند النقاش حول مختلف المواضيع الاجتماعية التربوية السياسية، الخ.
- عند النقاش الحر المفتوح بين مزابين حول مختلف المواضيع بعيدا عن الفضاء الرسمي.
- في الحالات النفسية التي يعيشها الشخص، حيث يجيب أحدهم <<عندما أتحدث مع نفسي داخليا>> (طالب، 26 سنة، تدجنيت)، أو <<عند القلق والحزن والغضب>> (طالبة، 28 سنة، بريان). وبالطبع يجد هذا السلوك تفسيره في ارتباط اللاوعي بلغة الأم ارتباطا قويا يظهر في الأحلام والحالات العصبية النفسية المتأزمة. هذا ما يجعل من السهل التعبير عن الوجدان بلغة الأم أكثر من اللغة المكتسبة.

- مدى تهديد اللغة العربية الفصحى للغة المزابية ؟

تطرح إشكالية الأمن اللغوي بحدّة في حالة اللغة المزابية، بحكم وضعية الازدواجية اللغوية التي تعيشها مع اللغتين العربية الفصحى والدارجة. لذلك طرحنا سؤال حول مدى منافسة/تهديد اللغة العربية الفصحى للغة المزابية ولماذا (السؤال رقم 3-2)، محاولة منا لقياس درجة ثقة الناطقين المزابين في لغتهم أمام اللغة العربية الفصحى بحكم استعمالها بكثرة في المجال الديني والتجمعات الاحتفالية والوسط المدرسي، فكان أن أجاب 32% من المستجوبين أنها فعلا تنافسها/تهدها، مقابل 45% منهم لا يرون أي تهديد للغة العربية الفصحى على المزابية، بينما يذهب 14% إلى أن اللغة المزابية مهددة بالأحرى من طرف اللغة العربية الدارجة، وأخيرا فضل 9% السكوت عن الإجابة لأسباب نجهلها قد تكون لحساسية المسألة عندهم لارتباط قضية اللغة العربية دائما بالدين الإسلامي (الشكل 8 في الملحق). وقد ساق كل طرف حجج ومبررات نستعرضها باختصار فيما يلي:

- اللغة العربية الفصحى لا تهدد اللغة المزابية:

- إن لكلا اللغتين قيمتها ومكانتها ووظيفتها في المجتمع المزابي، إذ << المزابية لغتي الأم ولغة الفطرة، والعربية لغة القرآن والإسلام، واعتزr بالتكلم بهما >> (طالب ماستر، 29 سنة، تغردايت). ولا يمكن وجود عداء بينهما إذ << لا عداء أبدا بين لغتنا واللغة العربية كونها لغة القرآن >> (طالبة، 30 سنة، آت بنور).
- إن العربية الفصحى قليلة الاستعمال ولا تستخدم إلا في مجالات محدودة، بل << قل استعمال الفصحى إلى حد كبير عندنا >> (طالب، 22 سنة، بريان).
- إن العربية الفصحى تنافس المزابية لكن لا تهددها، لأنه يوجد تكامل بينهما، فهي << تنافسها نعم لكن لا تهددها، لأنها لغة ديننا >> (طالبة، 28 سنة، تادجنييت). ثم أن هذا التنافس لا يشكل خطرا لأنه << تنافس جيد في رأيي حتى تثبت اللغة المزابية وتعطي نفسا جديدا >> (طالبة، 21 سنة، تادجنييت).

- نعم، اللغة العربية الفصحى تهدد اللغة المزابية:

- لأن استخداماتها تكون على حساب اللغة المزابية، لغة المزابيين، ويعود ذلك إلى قدسية العربية الفصحى، ذلك أن << اللغة العربية هي لغة الدين، والمجتمع المزابي يقدس الدين >> (طالب، 28 سنة، آت بنور).
- لدخول الكثير من الألفاظ العربية في اللغة المزابية، حتى << أصبحت لغتنا مزيجا من المزابية والعربية >> (طالب، 30 سنة، قرارة).
- لاستخدامها من طرف النخبة المثقفة بكثرة كسمة للتفوق، حيث تم << ادخال كلمات عربية كثيرة في المزابية من طرف الطبقة المثقفة >> (طالبة، 27 سنة، آت ازدجن).

- اللغة العربية الدارجة هي التي تهدد اللغة المزابية:

- إن كلا اللغتين مهددتين من طرف اللغة الدارجة التي دخلت الكثير من ألفاظها في لغتنا. بل إن << الدارجة هي التي قد يأتي يوم لتحل محلها >> (معلمة، 29 سنة، آت بنور).
- بسبب استعمالها من طرف البعض كسمة للقوة، إذ << ترى بعض العائلات ان استعمالها مفخرة وكسمة قوة ومكانة >> (طالب، 22 سنة، آت مليشت).

- إن اغلب الكلمات الدخيلة في اللغة المزابية جاءت من اللغة الدارجة، حيث أن >> أكثر الكلمات التي نستعملها مستوحاة من العربية، والكلمات القديمة لا نكاد نفقه معانيها << (طالب، 29، قرارة).

والملاحظ أن اغلب من يرون أن اللغة المزابية مهددة من قبل اللغة العربية الفصحى يركزون حججهم على ظاهرة الألفاظ العربية الدخيلة في اللغة المزابية السائدة، ولا يشيرون إلا نادرا إلى مجالات تقلص استخداماتها في الفضاء العام الذي تهيمن عليه النخبة المعربة.

ونخلص مما سبق من دون تردد إلى أن نسبة التحدث باللغة المزابية لدى الناطقين المزابيين مرتفعة جدا بحيث لا تقل عن 99% سواء من المستقرين في الوطن المزابي أو المتواجدين في المهجر، مثلما بينت لنا نتائج استبياننا السالفة الذكر (السؤال رقم 1-1).

غير أن اعتقادنا بتمتع المزابيين بالأمن اللغوي بسبب عدم معاداتهم للغات الأخرى وعدم مطالبتهم السياسية بالتكفل باللغة الامازيغية أصبح هشا، بعد أن بينت نتائج الاستبيان (السؤال رقم 3-3) حول ما إذا كانت اللغة المزابية في خطر الزوال؟، أن أغلبية 78 % من المستجوبين لا يشعرون بأمن لغوي ويعتقدون أن لغتهم هي فعلا في خطر، مرجعين ذلك أساسا إلى اختلاطها باللغات الأخرى من خلال الاستعارة اللفظية والنحوية. أما أقلية القائلين بأن المزابية ليست في خطر (22 %) فاستدلوا باستعمالها الواسع من طرف المزابيين كلغة للتواصل اليومي (الشكل 8 في الملحق). ويعد عدم الأمن اللغوي ظاهرة صحية طالما يؤدي بالناطقين إلى الحرص على استخدام لغتهم وتقادي المبالغة في الاستعارات بإحياء الرصيد اللفظي القديم، والاستمرار في نقل لغتهم إلى الأجيال اللاحقة.

(ب) استثناءات لدى عائلات الزواج المختلط وقلة من العائلات المزابية المعربة

يجب الإشارة إلى وجود أقلية قليلة من المزابيين الذين يستخدمون اللغة العربية الدارجة لأسباب ودواع مختلفة، يمكن تصنيفهم إلى صنفين نبحثهما في التالي:

1. العائلات الناتجة عن الزواج المختلط: ونقصد بهم أبناء الزواج المختلط بين الرجال المزابيين والنساء

الناطقات بالعربية. إذ بينت بعض الإحصائيات غير الرسمية التي قامت بها المؤسسات العرفية العشائرية، أن عدد الزوجات بين المزابيين والنساء غير المزابيات بلغ حوالي أربعة آلاف حالة¹؛ فإذا افترضنا أن هؤلاء كلهم ينطقون باللغة العربية الدارجة - وذلك أمر نسبي كما سنرى - وإذا افترضنا أيضا أن عدد المزابيين هو 400.000 شخص بناء على تعددهم التقريبي كما بيّنا؛ فإن هؤلاء لا يمثلون سوى نسبة 1% من عدد السكان الناطقين باللغة المزابية، وهو عدد قليل جدا أبعد أن يكون له تأثير في الحيوية الاثنو-لسانية للغة المزابية.

وفي الواقع نلاحظ في العائلات الناتجة عن الزواج المختلط ثلاث حالات بالنسبة للوضع اللغوي:

- ✓ استعمال اللغة المزابية كقاعدة مع اللجوء إلى اللغة العربية الدارجة في بعض الوضعيات، وهو ما لاحظناه في بعض هذه العائلات المستقرة في بني يزقن بصفة دائمة.
- ✓ استعمال اللغة العربية الدارجة بصفة دائمة بسبب عدم معرفتها للغة المزابية لعدم رغبة الأم أو الوالدين معا في ذلك، وهو وضع بعض هذه العائلات المستقرة في المهجر.
- ✓ استعمال اللغة العربية الدارجة بصفة دائمة رغم معرفتها للغة المزابية وفهمها لها، ويرجع ذلك إما إلى عقدة الاستعلاء لاعتبار نفسها تنتمي إلى العائلات الحضرية القادمة من المدن الكبرى والمسماة *ibeldiyyen*؛ كما قد يكون ذلك بسبب إصرار الأم أو الأب الذي يكون أبنا لزوج مختلط، على الانتماء إلى جماعة أجنبية عن بني مزاب، مما يسمح لها بنوع من الحرية وعدم التقيد بالعادات المزابية الاجتماعية الصارمة طالما أنها عائلة هجينة.

2. **العائلات المزابية المغربية:** توجد بعض العائلات المزابية المقيمة في المهجر على قلتها تستعمل اللغة العربية الدارجة بصفة دائمة، بعد تخليها عن اللغة المزابية بشكل طوعي لأسباب عدة، قد تكون بفعل النظرة الدونية التي كونتها تجاه لغتها وتفضيلها للغة الدارجة لدواعي نفعية، أو لعدم المبالاة. وقد يكون ذلك نتيجة عقدة تكونت لدى الأب المغترب ولدت في نفسه حقدا على قومه بسبب ظلم لحق به منهم، كما قد يكون ذلك رغبة منها في التميز عن الآخرين والتحرر من الجماعة باستعمال لغة الأغلبية المسيطرة من السكان في الجزائر. وينطبق هذا التحليل تمام المطابقة على الحالات الفردية أيضا.

ومن جهة أخرى تُعرف بعض العائلات في مدينة قرارة وغرداية بالازدواجية اللغوية باستعمالها للغة العربية الدارجة أبا عن جد، إلى جانب اللغة المزابية التي تستخدمها حسب الوضعيات والسياقات الاجتماعية بحيث تمتد

¹ استقينا هذه الإحصائية من احد الأعيان المنتمين إلى مجلس عشائر مدينة غرداية.

هذه الازدواجية حتى إلى المنزل. ويرجع ذلك إلى خطاب الانتماء الذي تعتقد به والذي يُرجع أصولها التاريخية إلى السكان البدو ، لاسيما أن كلمة عربي *aerab* في اللغة المزابية تعني "البدوي". ومن هذه العائلات في غرداية العفافة والنشاشبة، وفي قرارة العائلات المعروفة بـ آت وداي *At wadday* والتي كانت لها بعض علاقات المصاهرة مع عرش أولاد نايل بالجلفة.

ولا يكفي للغة أن تتمتع بقوة ديمغرافية وبنسبة مرتفعة من الناطقين بها حتى تضمن حيويتها، وإنما يضيف جاك لوكليرك Jaques LECLERC إليهما عنصرا التمرکز الحضري *la concentration urbaine* بأن يتركز الناطقون في مدن ومراكز حضرية؛ والانتشار الجغرافي للغة *La distribution des langues dans l'espace* ، بحيث تعتبر اللغتين الانقليزية التي ينطق بها 600 مليون شخص موزعة على 57 دولة¹، والفرنسية التي ينطق بها حوالي 274 مليون في 102 دولة² ، أقوى من اللغة الصينية التي ينطق بها 885 شخص في دولة واحدة بسبب الانتشار الجغرافي لهاتين اللغتين على القارة الأرضية.³

فمن حيث توزع اللغة فإن انتشار بني مزاب على المستوى الوطني بفضل الشبكة التجارية والهجرة بمختلف المدن الشمالية لم يكن له أي اثر على انتشار اللغة المزابية بسبب الطابع الاثنو-لساني للغة المزابية التي جعلها حبيسة الجماعة باعتبارها تراثا لغويا مشتركا بين أفرادها مع عدم وجود أي رغبة لتدريسها أو نشرها بين سكان المناطق التي استقروا فيها. هذا الواقع يبطل من مفعول مؤشر الانتشار الجغرافي للغات كشرط لحيويتها بالنسبة للحالة المزابية ولكثير من الحالات المشابهة أين تكون اللغة ملکا محتكرا للجماعة الاثنو-لسانية وعنصرا ثقافيا مميزا لها عن الآخرين.

ان ظاهرة تعزُّب الكثير من الامازيغ في التاريخ الوسيط والحديث ارتبطت بتمدنهم واستقرارهم بالمدن الكبرى، وتعرض لغتهم للعنف الرمزي الذي تمارسه اللغات القوية المهيمنة والجماعات الناطقة بها باعتبارهم أقلية، مما أدى بهم إلى التخلي تدريجيا عن لغتهم⁴؛ غير أن العكس هو الذي حدث بالنسبة إلى الحالة المزابية إذ يشكل تركز المزابيون في مدن ومراكز حضرية متجانسة عاملا محافظا على اللغة المزابية بفضل النظام الاجتماعي

¹) Claude HEGEGE, "Langues et démographie - Paysage des langues dans le monde", op.cit., Cf. www.lajauneetlarouge.com

²) *La langue française dans le monde 2014*, Organisation international de la francophonie, Editions NATHAN, 2014, paris, p.5.

³) Jaques LECLERC, « L'expansion des langue », op.cit. pp.4,5.

⁴) Ahmed BOUKOUS, *Revitalisation de la langue amazigh*, pp.106, 107.

الديني الذي يوطر المزابيين في المهجر ويجعل منهم جماعة متجانسة ومتماسكة أكثر في مواجهة احتمال الاندماج.¹

أما فيما يخص مؤشر القدرة على استيعاب المهاجرين، فنلاحظ الفرق الواضح بين الحالة القبائلية والحالة المزابية: ففي منطقة القبائل، كما يلاحظ بحق الأستاذ كحلوش رابح²، تمزّعت العديد من الجماعات الناطقة بالعربية النازحة إليها رغم المركز القوي للغة العربية، بفضل القوة الديمغرافية للناطقين القبائليين، مثل المهاجرين الأندلسيين والتونسيين بداية من القرن 16، والجماعات الناطقة بالعربية التي استقرت على ضفاف وادي سيباو العالي والسفلي منذ بداية القرن 17 في "زمالات" (معسكرات مفردة زمول) مشكلة جماعات مقاتلة في خدمة الجيش التركي، وتمزيغ مدينة تيزي وزو بعد الربيع الامازيغي، الخ وهو ما يدل على قوة اللغة القبائلية الديمغرافية في استيعاب المهاجرين. أما بالنسبة للجماعة المزابية فإنه لم يحدث أن تم تمزيغ السكان العرب الذين استقروا تدريجيا بوادي مزاب بالرغم من القوة الديمغرافية لبني مزاب الذين كانوا يشكلون الأغلبية، ذلك أن بني مزاب يمثلون في آن واحد جماعة مذهبية متميزة تقتقد إلى القابلية لاستيعاب السكان المهاجرين إليها ودمجهم بسبب طبيعتها المغلقة وعدم سعيها لنشر مذهبها ولغتها وفقا لفلسفة الكتمان، إضافة إلى انعدام المصاهرة بينهم والسكان النازحين.

ومع انقلاب موازين القوى الديمغرافية شيئا فشيئا في اتجاه كون المزابيين أقلية بوادي مزاب، أضحت اللغة المزابية عاملا لمقاومة الاندماج في الآخر الذي يشكل الأغلبية المهددة لوجوده بالاحتواء اللغوي والاجتماعي وليس عاملا في دمجها في الأقلية. وطالما أن تواجد النازحين بكثرة أصبح يشكل في الوعي الجماعي للمزابيين عنفا رمزيا بل "خطرا" يهدد وجودهم كأقلية وليس قوة لهم، فإنه من الطبيعي أن يتجه سلوك المزابيين إلى الانغلاق والتمسك أكثر بلغتهم الأقلية في مواجهة لغة المهاجرين القوية ديمغرافيا وسياسيا ورمزيا.

وفي الأخير يمكن تصنيف اللغة المزابية وفقا لمؤشر العدد المطلق للناطقين في الدرجة "1"، بسبب العدد الضئيل جدا للمزابيين الذي لا يتجاوز 1٪ من عدد سكان الجزائر، أما من حيث نسبة استخدام اللغة المزابية بين المزابيين فتصنف في الدرجة "5" بسبب استخدام الغالبية المطلقة للمزابيين للغتهم بصفة دائمة في التواصل بينهم.

⁽¹⁾ ينظم المزابيون في المهجر منذ القديم وفق نظام ديني اجتماعي في كل مكان حلوا فيه. ويتكون هذا النظام من جمعية دينية لتنظيم العبادة ومقبرة مزابية، و"دار العرش" لإيواء المحتاجين، ومجلس لوجهاء المدن المزابية. وقد قيل "إن المزابي يأخذ معه مؤسساته أين ارتحل".

⁽²⁾ Rabah KAHLOUCHE, « La vitalité du berbère en Kabylie, Aperçu socio-historique », dans *Cahier de Sociolinguistique de l'Université de RENNES*, N°4, Langues du Maghreb et du sud méditerranéen, Textes recueillis par Fernande Krier et Francis MANZANO, 2004, pp.3-5.

وان كان المؤشر الديمغرافي يشكل نقطة ضعف لحيوية اللغة المزابية، رغم قوة مؤشر انتقال اللغة بين الأجيال كما سبق بيانه، فكيف يتشكل السلوك اللغوي للمزابيين تجاه لغتهم وثقافتهم الامازيغية والذي يتأثر بدوره بالمؤشرين السابقين بالإضافة إلى المؤشرات والعوامل الأخرى ؟

الفرع الثاني: مواقف الناطقين باللغة المزابية حيال لغتهم

من المنفق عليه أن الأفراد لا ينفون محايدون تجاه لغتهم الخاصة بهم. فالشخص إما أن يؤمن بلغته ويدعمها، وإما أن يكتفي باستخدامها من دون دعم أو تحمس، وإما يخجل منها ويتخلى عنها لصالح لغة أخرى.¹ ذلك أن هناك ارتباطا وثيقا بين اللغة والشخص الناطق بها، والعلاقة بين اللغة والمجتمع ليست فقط علاقة تأثير وتأثر بل هي علاقة وجودية واضطرابية، بحيث لا يمكن تصور أحدهما دون الآخر، طالما أن اللغة إنما تكتسب قيمتها ومركزها ووظائفها من المجتمع الذي توجد فيه.² فما هي مواقف المزابيين من لغتهم ؟

تعتبر اللغة المزابية في الوعي الجمعي لبني مزاب عنصرا أساسيا في هويتهم إلى جانب المذهب الاباضي يميزهم عن غيرهم. كما تعد المزابية لغة التواصل بين بني مزاب في كل الأحوال إلا في بعض السياقات كوجود أجنبي لا يفهم المزابية. ومن الناحية الرمزية تتميز المزابية بقيمة حميمة باعتبارها لغة التخاطب بين أبناء الجماعة الاباضية، بحيث يعتبر من غير اللائق في قواعد السلوك المزابي أن يخاطب احدهم الآخر بالعربية الدارجة، إذ يعتبر المخاطب ذلك جفاء من المتكلم لأنه اعتبره "أجنبي". ومع ذلك تختلف مواقف المزابيين تجاه المسألة الامازيغية ومسألة أحياء وترقية اللغة المزابية.

وبالمقارنة مع منطقة القبائل نلاحظ أن اللغة العربية الفصحى مكانة معتبرة لدى المزابيين بعد المزابية، وهي نفس المكانة التي تحتلها الفرنسية لدى القبائليين. وكما ذكرنا سابقا، يوضح الاستبيان أن أغلبية نسبية من المزابيين لا يرون في اللغة العربية تهديدا للغة المزابية، خلافا لما يمكن معاينته جليا من إقصاء للغة العربية ومعاداتها في التمثلات والمواقف السائدة بمنطقة القبائل مثلا لارتباطها بسياسة التعريب التي مارستها الدولة والنضال من أجل الاعتراف بالبعد الامازيغي.³ ويرجع موقف المزابيين إلى الاعتقاد الراسخ لديهم أن اللغة العربية هي جزء من

¹ اليونسكو، حيوية اللغات وتعرضها للاندثار، مرجع سابق، ص.12.

²) Cherif SINI, *Cours de sociolinguistique*, L'ODYSEE Editions, 2015, pp.49, 50.

³) Moussa IMARAZENE, *Attitudes et représentations linguistiques au sein de la communauté kabyle de Tizi-Ouzou : Comparaison entre deux zones (urbaine et rurale)*. 2013, version PDF.

العقيدة الدينية، وبالتالي فإن تعلمها يعتبر واجبا دينيا، وهو ما يفسر إجبارية تعليم العربية الفصحى من خلال التعليم الديني الاباضي منذ مرحلة الروضة. غير أنه وبالرغم من المكانة المرموقة التي تحتلها العربية الفصحى كلغة الدين و"لغة أهل الجنة" كما يدعي رجال الدين، فإنها لم تكن يوما هي اللغة اليومية للمزابيين، كما أن التعامل بها بقي محدودا في المجال الديني مع اضطرار رجال الدين غالبا إلى شرح مفرداتها باللامازيغية. كما أن الظاهرة التي تحتاج إلى البحث هي أن هذه العربية الفصحى لم تؤد إلى التعريب اللساني للمزابيين.

وكنتيجة للظروف التاريخية والثقافية الخاصة للجماعة الاباضية، لم يتشكل لدى المزابيين وعي سياسي باللامازيغية باعتبارها قضية نضال ضد سياسة السلطة تعني بصفة مباشرة الجماعة الاباضية. ولذلك لم تكن مشاركتهم كبيرة في النضال السياسي الطويل الذي خاضته منطقة القبائل من أجل الاعتراف بالبعد الامازيغي للهوية الوطنية، بل انحصر هذا النضال ولا يزال في فئة النخبة المثقفة أساسا باللغة الفرنسية من الجامعيين والموظفين والذين انخرط بعضهم في النشاط الحزبي والجمعوي، وقام بجهود كبيرة لبعث اللغة المزابية منذ نهاية الثمانينيات بالرغم من عدم مبالاة النخبة الدينية المعربة وحتى معاداتها أحيانا لهذه الجهود. ومن جهة أخرى ونظرا لاختلاف الظروف السياسية بين منطقتي القبائل ووادي مزاب نلاحظ ان تصور اللامازيغية لدى بني مزاب لم يبنى على إقصاء اللغة العربية الفصحى - كما هو الحال بمنطقة القبائل كرد فعل على سياسة التعريب القسري- بل على التعايش معها بحيث ينتقل المزابي في كلامه من المزابية إلى العربية الفصحى بسلاسة حسب الوضعيات والسياقات.

وإذا حاولنا دراسة موقف الناطقين المزابيين تجاه لغتهم، انطلاقا من معاشتنا الميدانية واعتمادا على تحليل الخطابات السائدة، بالاستعانة بنتائج الاستبيان في سؤال حول "واجبنا تجاه اللغة المزابي(السؤال رقم 4-1)، فيمكن إجمالها في اتجاهين وموقفين أساسيين:

- موقف لا يرى في المزابية إلا لهجة وعنصرا تراثيا ينبغي المحافظة عليه، ويعادي أي محاولة لتطويرها وإحيائها. وفي أحسن الأحوال لا يؤيد أي مجهود في هذا الاتجاه، وذلك انطلاقا من قناعات وتبريرات دينية أو مصلحة(أولا)،

- موقف يدعو إلى دعم اللغة المزابية وتوسيع استخدامها وإحياء رصيدها القديم، وتطويرها، الخ انطلاقاً من قناعة ونضال ثقافي وإيماننا بالقضية الامازيغية (ثانياً).

ونحاول تحديد الفئات الحاملة لهذه المواقف، قبل استعراض حجج ومبررات كل فريق من خلال إجابات المستجوبين من فئة الشباب الذين يشكلون عينة بحثنا.

أولاً: إتجاه الاكتفاء بالمحافظة على اللغة المزابية باعتبارها تراثاً فلكلورياً فحسب

يعتقد أصحاب هذا الاتجاه، والذين يشكلون 6.7 % من عينة بحثنا، 44 % منهم إناث و 56 % ذكور، بوجود الاكتفاء بالاحتفاظ بالمزابية - التي غالباً ما يصفونها بـ "اللهجة المحلية" - مثلها مثل عناصر التراث الأخرى، ولا يرون أي ضرورة لإحيائها وتطويرها (الشكل 9 في الملحق). وهم لا يتعاطفون أو يؤيدون من يسعى إلى ترقية اللغة المزابية، بل هم غالباً يعارضون ذلك لمختلف الأسباب مع أنهم يعترضون بالانتماء إلى الجماعة المزابية مع تغليب الانتماء المذهبي الاباضي على الانتماء الامازيغي. وتختلف الفئات الحاملة لهذا الموقف (أ) كما تختلف حجج واستراتيجيات هؤلاء حسب اختلاف فئاتهم (ب) .

(أ) الفئة الحاملة لهذا الاتجاه

حسب معرفتنا الميدانية، يمكن أن نصنف أصحاب هذا الاتجاه والموقف إلى ثلاث فئات هي كما يلي:

1. النخبة العروبية : وهم جزء من النخبة المزابية المعربة المتشبعة بالأفكار العروبية ممن درس في المدارس الدينية مع اختلاف مستواهم الدراسي والثقافي. وعرف أغلب هؤلاء احتكاك بالأوساط البعثية بالمشرق أو في شمال إفريقيا بواسطة الدراسة والملتقيات والتحالفات السياسية. لذلك فهم ينصبون عداً واضحاً لترقية اللغة المزابية بناء على خلفية إيديولوجية باعتبارهم امتداداً محلياً لحركة العروبيين البعثيين على المستوى الوطني في صراعهم مع أنصار التيار الامازيغي والمفرنسين. ولعل أفضل مثال على موقف هؤلاء ما صرح به أحد هؤلاء وهو دكتور في الأدب العربي وأستاذ جامعي في لقاء ثقافي بمدينة غرداية في صائفة 1991 : >> المزابية هي لهجة نحافظ عليها وكفى ! ولا تقولوا "نحييها" ، اللغة العربية هي لغتنا الأولى التي نعتز بها ... <<

2. قسم من النخبة الدينية المغربية: ويتمثل في فئة من رجال الدين المشتغلين في التدريس في المدارس الدينية الحرة والمدارس الخاصة المزابية بالإضافة إلى الوعظ والإفتاء، بحيث أصبحت اللغة العربية هي مصدر رزقهم وبفضلها اكتسبوا مكانة اجتماعية ومكاسب مادية، وتلتقي أفكارهم بأفكار البعثيين بصفة لا إرادية غالبا.

3. فئة المنفعيين: تعتقد فئة من الناطقين المزابيين بعدم جدوى إحياء اللغة المزابية واللامازيغية لأنها لغة متخلفة كثيرا وقد تجاوزها الزمن، وينبغي في أحسن الأحوال المحافظة عليها كتراث ولغة تواصل داخل العائلة وبين المزابيين. وقد يتخذ هؤلاء موقف غير مبالي أو حتى معادي لأي نشاط في هذا الصدد ليس على أسس ايديولوجية أو دينية، وإنما بناء على اعتبارات براغماتية وعملية تكونت لديها بضرورة ترك اللغة والثقافة المزابية كتراث فلكلوري وتركز الجهود على تعلم اللغات الحية القوية في العالم. ويتجلى ذلك في رفضهم تعليم أبنائهم اللغة والثقافة المزابية في المدارس الرسمية ومعارضتهم لتعليمها في المدارس الحرة، التي يجب أن يقتصر التعليم فيها -حسبهم- باللغات "النافعة" التي تضمن مستقبلا مهنيا لأولادهم. وهم مقتنعون بعدم الحاجة لتدريس اللغة المزابية طالما هي مستعملة في التواصل اليومي بين المزابيين. ولا ينحصر هذا الاعتقاد على فئة عمرية محددة بل يوجد حتى لدى الجيل الجديد من الشباب.

(ب) حجج ومبررات هذا الاتجاه

يبرر أصحاب هذا الاتجاه موقفهم حسب معاشتنا لهم بالإضافة إلى أجوبة الاستبيان، بالاستناد إلى جملة من الاعتبارات حسب الخطابات التالية التي انتقينا بعضها من أجوبة المستجوبين وشاهدنا أخرى من طرف المعادين للامازيغية:

- << المزابية نرضعها من الأم ولا حاجة لتعلمها أو تعليمها >> (مسير مدرسة حرة)
- << العربية أولا فهي لغة القرآن أما اللهجة المحلية فنحافظ عليها أيضا >> ، (أستاذ اللغة العربية)
- <<يراد من هذه الدعوة تحطيم العربية والإسلام>> (موظف في التربية)
- <<أجدادنا حافظوا على اللغة العربية فجاء أحفادهم بهذه الدعوات المريبة ! >> (رجل دين)
- << نعتز باللغة العربية لماذا كل هذه الضجة نحن نتكلم المزابية ولا حاجة لنا لهذا >> (تاجر أمني)
- <<لا نريد خلق ضرة للغة العربية ، المزابية نتكلمها ويكفي>> (رجل سياسة)

- <<شرفنا الله بالقرءان وباللغة العربية، هذه الدعوة ورائها الفرنكفونيون>> (مدرس في مدرسة حرة)
- <<لأنها تعتبر لغة انتماء فقط بالنسبة لي، ولا تملك دعائم تساعدنا للارتقاء لتكون لغة كالعربية والفرنسية>> (طالب، 26 سنة، بريان).
- <<لا داعي لتطويرها، هي هوية فقط، لأن اللغة العربية أولى للتطوير>> (أستاذة، 30 سنة، آت بنور).
- <<على الأقل نحافظ بما هو موجود منها، أما تطويرها فأرى ذلك شيء بعيد جدا>> (طالب، 27 سنة، تغرايت).

و نلاحظ من خلال هذه المبررات والآراء أن حجج هؤلاء تتمحور على ما يلي:

1. بالنسبة للنخبة العروبية: يقدم هؤلاء نفس الحجج والاستراتيجيات التي يقدمها ويستخدمها

أنصار التيار القومي العروبي بصفة عامة على المستوى الوطني، وتتمثل أهمها فيما يلي:

- الإدعاء أن اللغة العربية هي أفضل اللغات بما لها من "قدرات خارقة" في البيان والاشتقاق، الخ.
- الإدعاء أن اللغة العربية هي لغة توحد الجزائريين، أما البربرية¹ (يحرصون على استعمال هذا المصطلح بدل الامازيغية مع تقخيم الراء إمعانا في الإساءة) فهي لغة تفرق الشعب الجزائري.
- استخدام المعتقدات الدينية للرفع من شأن اللغة العربية-وبمفهوم المخالفة الحط من قيمة اللغات الأخرى- بالادعاء أن الله "شرف اللغة العربية بأن أنزل بها القرآن" ولكونها "لغة أهل الجنة"، إلخ.
- التشكيك في نوايا أنصار الامازيغية والإدعاء أنهم يخدمون "مخططات الاستعمار الجهنمية" التي تهدف إلى تقسيم المجتمع الجزائري. و حتى الادعاء ان هدفهم هو محاربة الاسلام.
- الاعتقاد والادعاء أن دعاة الامازيغية إنما يدافعون في الواقع عن اللغة الفرنسية لمحاولة فرضها من جديد على حساب اللغة العربية. ويستند العروبيون في ادعائهم هذا إلى تصرفات وخطابات بعض المناضلين الامازيغ بمنطقة القبائل الذين جعلوا من الامازيغية مطية لمقاومة سياسة التعريب في سنوات السبعينيات والثمانينيات، مع الاستعمال المفرط للغة الفرنسية كلغة بديلة للعربية.
- الإدعاء أن اللغة المزابية هي لهجة لم تصل إلى مستوى اللغة العربية لغة الشعر والعلم والحضارة، الخ.

¹ مصطلح البربرية -بتقخيم الراء- يعني التوحش ولهذا يحرص المعادين للامازيغية على استعماله بقصد الإهانة وتثفير المستمعين. وهي تسمية أطلقها الرومان على الامازيغ لشدتهم في المقاومة.

- الإدعاء إن اللغة المزابية ليست في خطر طالما أنها لا زالت تستخدم بين المزابيين وتنتقل بين الأجيال أبا عن جد، وأن خطاب دعاة الامازيغية فيه مبالغة وتهويل. وعليه يرى هؤلاء أنه يكفي أن نحافظ على الوضع القائم للغة المزابية ونستخدمها في المجالات المحددة التي تنحصر فيها دون توسعتها أو ترقيتها وإحيائها.
- 2. بالنسبة للنخبة الدينية المعربة: ينطلق موقف هؤلاء من منطلقات دينية ومصلحية، مع اعتقاد

قسم منهم بأطروحات العروبيين، ومن أهم حججهم:

- الإدعاء أن اللغة العربية هي لغة الإسلام التي "شرف الله بها المسلمين" بأن انزل بها قرآنا عربيا مبينا، وهي لغة أهل الجنة، ولغة الملائكة، الخ، وإن تعلمها واستخدامها واجبا مقدسا.
- نظرتهم المربية إلى دعاة إحياء اللغة الامازيغية ومنها المزابية، واتهامهم ضمنا بمحاولة استبدال اللغة العربية باللغة المزابية ضمن مخطط استعماري وضعه الكفار والمشركين. وقد آمن أكثر هؤلاء صراحة أو ضمنا بادعاءات القوميين العروبيين لتوافقها مع اعتقاداتهم الدينية المتعلقة باللغة العربية.
- شعورهم أن اللغة المزابية التي يجهلون كتابتها وتاريخها، تهدد شرعيتهم العلمية أولا وشرعيتهم الدينية الاجتماعية القائمة على معرفة اللغة العربية والتمكن منها ثانيا، وبالتالي تهدد مصالحهم المادية القائمة على الارتزاق من اللغة العربية.
- اعتقادهم مثل العروبيين أن في إحياء وتطوير اللغة المزابية تهديدا وخطرا محدقا على اللغة العربية التي يقدسونها وهي مصدر نعمتهم ورفيهم الاجتماعي.
- ربطهم بين الدفاع عن اللغة الامازيغية والدفاع عن اللاتينية التي تعني لديهم الإباحية وفتح الباب على الانحلال الخلقي والمروق الديني. وقد ساعد على هذا الاعتقاد الدعاية السياسية والإعلامية للسلطة الحاكمة والتيارات المعادية للامازيغية في فترة ما قبل الاعتراف بالامازيغية. كما رسخ هذا الاعتقاد الشائع لدى رجال الدين خطابات وتصرفات بعض مناضلي القضية الامازيغية بمنطقة القبائل ممن حاول استخدام الامازيغية في صراعه الإيديولوجي من أجل مشروع المجتمع الذي يؤمن به، بخلق ازدواجية متضادة: الامازيغية والعلمانية =//= العربية والإسلام.

3. بالنسبة للفئة البرغماتية: يقوم موقف هؤلاء على اعتبارات عملية خالية من أي بعد إيديولوجي

أو ديني، بحيث يرون في مسعى إحياء الامازيغية بصفة عامة واللغة المزابية بصفة خاصة عبثية ومضيعة للوقت وبعثرة للجهود، بسبب التأخر الكبير الذي عرفته أمام اللغات الأخرى كالعربية والفرنسية والانجليزية، مما يستحيل تداركه. كما أن الوضع الهش للامازيغية الغير مهيئة والمفتتة إلى متغيرات ولهجات، وعدم توفر اللغة

المزابية على قواميس وتقاليد للتدريس والقراءة، الخ مقارنة باللغات الأخرى العالمية الحية، يجعل من المستحيل النهوض بها مجددا للحاق باللغات القوية، لما يتطلبه ذلك من جهود عملاقة وأموالا طائلة، وقرونا طويلة، الخ.

ثانيا: اتجاه إحياء اللغة المزابية وتطويرها لتكون في مستوى اللغات الأخرى المنافسة

خلافا للرأي الأول، يذهب المزابيون من أصحاب هذا الرأي، الذين يشكلون أغلبية 93 ٪ من المستجوبين: 52 ٪ من الإناث و 48 ٪ من الذكور، أنه من الواجب بعث اللغة المزابية وإحياء ما اندثر منها، لتكون في مستوى اللغات الأخرى كالعربية والفرنسية (الشكل 9 في الملحق). وأصبح هذا الرأي يزداد قوة مع الزمن بفعل السياسة اللغوية للدولة لترقية الامازيغية، والاحتكاك بالحركة العلمية والثقافية والسياسية بمنطقة القبائل، لاسيما في الأوساط الشبابية المتحمسة للتغيير. وينبثق موقف هؤلاء من شعورهم بأن اللغة المزابية تعرضت للظلم والتهميش والاحتقار من طرف الدولة الجزائرية بفعل سياسة التعريب والأحادية اللغوية، وكذا من طرف أبنائها لعدم إدراكهم لأهمية لغتهم في الحفاظ على هويتهم .

وتتشكل الفئات الحاملة لهذا الاتجاه عموما في مناصلي القضية الامازيغية والمؤمنين بعدالتها (أولا). وتقوم مبرراتهم أساسا على قناعات فكرية وإيديولوجية (ثانيا) .

(أ) الفئات الحاملة لهذا الاتجاه:

1. المناضلون المؤمنون بالقضية الامازيغية

وهم أقلية من النخبة المفرنسة التي تسنى لها الاحتكاك بالأوساط القبائلية المناضلة من خلال الجامعات أو الخدمة الوطنية وبشكل أقل التجارة والجوار. وهم غالبا جامعيون وموظفون انخرط بعضهم في العمل السياسي لأحزاب المعارضة الديمقراطية. مع ان هناك اقلية قليلة من خريجي المدارس الدينية الحرة وعامة الناس ذووا المستوى الدراسي المتوسط من المؤمنين بهذا الطرح، لكن لم يتسنى لهم التعبير عنه بسبب غياب الأطر السياسية والجمعية التي تسمح لهم بذلك.

2. المتعاطفون الظرفيون والدائمون مع القضية الامازيغية

هم غالبا من التجار وبعض الموظفين ذوو المستوى التعليمي المتوسط والأميون. مع انه يجب التمييز بين نوعين من هذه الفئة الاجتماعية تختلف لديهم دواعي وأسباب تعاطفهم مع الامازيغية ومع مسعى إحياء اللغة والثقافة المزابية؛ وهما :

➤ **المتعاطفون الدائمون :** ويرتبط هؤلاء بالمطلب الامازيغي بناء على عوامل عاطفية نابغة من

الانتماء الغريزي للإنسان إلى هويته اللغوية والاثنية، بناء على كونها عنصرا أساسيا لهويتهم المزابية يميزهم عن غيرهم من أبناء المجتمع الجزائري؛ دون أن يكون لهم أي وعي فكري قائم على أسس وحجج عقلانية ومنطقية لهذا المطلب ، كما لا يبذلون أي جهد مادي أو فكري لتعلمها أو كتابتها وجمع التراث الامازيغي الشفوي أو تحسيس أولادهم لدراستها، أو تقديم أي نوع من الدعم للنشاط الثقافي العلمي حول اللغة الامازيغية.

والملاحظ عن هؤلاء أن تعاطفهم قد يزيد أو ينقص حسب الظروف الاجتماعية السياسية السائدة بالوطن المزابي، بحيث يزداد خطاب الهوية الامازيغية شدة مع ازدياد الاحتقان الطائفي والصراع الإثني بين المزابيين والمتساكنين العرب، وهو ما لاحظناه بشكل كبير إبان الأزمة الأمنية السياسية التي شهدتها الوطن المزابي والتي وصلت ذروتها سنوات 2013-2015.

وتجدر الإشارة إلى نقطة كان لها أثرا لا يستهان به في الوعي بالانتماء الامازيغي وتطور ترقية الامازيغية والمزابية وهو انهيار صورة العرب وازمحلال القومية العربية والايديولوجية البعثية في التمثلات الجمعية في العالم الإسلامي، وذلك بسبب مآسي العالم العربي وخيانة الأنظمة العربية لبعضها البعض.

➤ **المتعاطفون الظرفيون:** نلاحظ -كما بينا سالفًا- ان خطاب الامازيغية يشتد لدى البعض في حالة

الأزمات كوسيلة للدفاع واثبات الهوية. هذه الفئة من المزابيين ممن يثور لديهم خطاب الامازيغية في مناسبات ظرفية خاصة إبان الصراع الطائفي مع السكان العرب المالكية، مع أنهم لا يعيرون للغة المزابية وثقافتها الاهتمام الكافي في حياتهم العادية، بل إن جلهم لا يبذل أي جهد لدعم النشاطات العلمية والثقافية التي يبذلها مناضلو الامازيغية في الأحوال العادية. والثابت أن الامازيغية واللغة المزابية ارتبطت في مفهوم هؤلاء بالحمية الإثنية

العرقية والقبلية، بحيث يعني مفهوم الامازيغية لديهم سلاح ثقافي ولغوي يستخدمونه في السياق التصادمي في الصراع مع السكان العرب، كوسيلة لإثبات تجذر المزابيين وأصالتهم في الوطن الجزائري.¹

(ب) حجج ومبررات هذا الاتجاه

يبرر أصحاب هذا الاتجاه موقفهم بالخطابات السائدة المتعلقة بمظلومية الامازيغية، وضرورة النهوض بها، وهي مواقف نابعة أساسا من إيمان وروح نضالية، وليس على مصالح أو حسابات. هذه أمثلة من إجاباتهم :

- << حتى تكون لغة عالمية كغيرها من اللغات >> (طالبة، 25 سنة، بريان)
- << بما أنها عنصر من حضارتنا، فلا بد من تطويرها لنشر حضارتنا >> (طالبة، 26 سنة، قرارة)
- << نطورها مثل اللغة العربية التي فرضت علينا بالمفهوم الخاطئ للدين >> (طالب، 23 سنة، آت ازدجن)
- << لتتطور كما هو عليه الحال القبائلية وتصبح رسمية >> (طالبة، 27 سنة، آت مليشت)
- << يجب أن نخرجها من القوقعة، لتكون لغة قوية >> (طالب، 25 سنة، قرارة) .
- << لم لا ، هي آية من آيات الله كالعربية والفرنسية >> (طالبة، 22 سنة، بريان)
- << اذا لم نطورها نحن فمن يطورها، الدولة لا تريد ذلك >> (طالب، 25 سنة، آت ازدجن) .
- << للحفاظ عليها من الاندثار والضياع >> (طالبة، 23 سنة، تغردايت)، الخ

بالإضافة إلى أجوبة الاستبيان، يمكن إجمال حجج هذه الفئة وخطاباتها فيما يلي:

- اللغة المزابية هي لغة الجماعة المزابية، وهي المحور الأساسي لهويتنا قبل الاباضية؛ خلافا لما يدعيه المتدينون بالنسبة للاباضية.
- للغة المزابية قدرات لا تختلف عن أية لغة بعد أن قطعت أشواطا معتبرة في مجال الشعر والأغنية والإعلام، طالما ان كل لغة قابلة للتطور بتطور المجتمع الذي يستخدمها.
- إن العربية فرضت على المجتمع من طرف رجال الدين ولا بد من مقاومتها بواسطة الفرنسية والمزابية.

¹ تعرضت العشرات من منازل ومحلات المزابيين التجارية إلى الحرق والنهب من طرف عصابات إجرامية تنتمي الى السكان الناطقين بالعربية في أزمة 2013-2015. وفي كل مرة يكتب المعتدون في جدران هذه المنازل والمحلات عبارة "إرحل" إمعانا في الإساءة إليهم باعتبارهم إباضية ليسوا أصلاء بالمنطقة بل جاؤوا من مكان ما ؟! .

- إن اللغة العربية سبب تخلفنا لما تتضمنه من فكر غيبي، وبفضل الفرنسيين الذين دونوا المزابية وتراثها انطلقت البحوث حول لغتنا.
 - يجب المساهمة في الحركية الوطنية لترقية الامازيغية، مثلما هو الشأن لدى الجماعات الامازيغية الأخرى بمنطقة القبائل، الشلوح، الاوراس، الخ.
 - إن اعتراف الدولة بالامازيغية وترسيمها يفرض علينا العمل بجدية لتطويرها، ولا ينبغي أن نتخلف عن ركب الامازيغية.
- وهكذا يتضح غلبة الاتجاه الثاني في مواقف المزابيين تجاه لغتهم (93 ٪ من المستجوبين)، وبالتالي يمكن تصنيف اللغة المزابية وفقا لهذا المؤشر في الدرجة "4"، بسبب وجود بعض المعارضين لترقية الامازيغية وضعف تقاليد النضال من اجل اللغة المزابية. ولاشك أن الاتجاه الثاني سوف يحظى مستقبلا بظروف ملائمة بالتزامن مع دعم السياسة اللغوية للدولة للامازيغية وسعيها إلى ترقية وإدراجها في مختلف مناحي الحياة مما ينبئ بتزايد نسبتها في المجتمع المزابي مستقبلا، مع انحسار مواقف الاتجاه الأول رغم محاولاته لمقاومة التغيرات الجديدة بعرقلة النشاطات الثقافية للفئة الثانية. وكما تؤكد اليونسكو فإن هناك تفاعل وتلازم بين السياسات اللغوية للدولة والضغوط الاجتماعية ومواقف الأفراد الناطقين للغة ما سواء كانت إيجابية أو سلبية أو غير مبالية.¹ فقبل الاعتراف الرسمي باللغة الامازيغية، كان الاتجاه الأول هو الاتجاه الغالب بوادي مزاب لاستناده إلى دعم السلطة السياسية المعادية للمطالب اللغوية الامازيغية، غير انه ومنذ الاعتراف بشرعية المطلب الامازيغي سنة 1995، ثم ترسيم اللغة الامازيغية سنوات 2002 و 2016، ازداد أنصار الاتجاه الثاني قوة بعد أن تحطمت أطروحات الاتجاه الأول. ويثور تساؤل في هذا الصدد نحاول الإجابة عليه في المطلب الثالث وهو: كيف تطور وضع اللغة المزابية في ظل السياسة اللغوية للدولة الجزائرية ؟.

¹ منظمة اليونسكو، حيوية اللغات وتعرضها للاندثار، مرجع سابق، ص.15.

المطلب الثالث: السياسات اللغوية الحكومية وسلوك المؤسسات الرسمية وآثارها على وضع اللغة المزابية

إن لدور الدولة في التعامل مع اللغة أثرا حاسما في قوتها وضعفها، إذ اللغة التي يتم اعتمادها من طرف الدولة تتحول إلى أداة في خدمة السلطة وتكتسب بذلك قوة سياسية وقانونية تعطي لها مركزا مهيمنًا. وأفضل مثال على ذلك تطور اللغات الأوروبية وتوحيدها مع ظهور الدولة-الامة في فرنسا وألمانيا وإيطاليا عندما أصبحت اللغة رهانا سياسيا في الدولة - الأمة الحديثة في أوروبا بحكم السياسة اللغوية في القرن 19 و 20 ومن بعدها الدول الأفرو-آسيوية المستقلة حديثا.¹

فبالنسبة للغة الامازيغية بالجزائر تطورت السياسة اللغوية للدولة الجزائرية وسلوكيات المؤسسات الرسمية من النفي والتهميش والتجاهل لمدة ثلاثين سنة بعد الاستقلال، إلى الاعتراف السياسي ثم التكريس القانوني الدستوري والترقية منذ أواسط التسعينيات من القرن الماضي. وعلى المستوى المحلي، تعرضت اللغة المزابية إلى التهميش من طرف الدولة والنظرة الدونية من طرف أبنائها، إبان فترة التعريب في العقود الثلاثة من الاستقلال لاعتبار الدولة المطلب الامازيغي كعامل تفرقة وانفصال ومس بوحدة الشعب الجزائري. غير انه ما لبثت اللغة والثقافة المزابية أن استفادت من الدعم والترقية هامة بفضل توفير الاعتراف القانوني بها.

ولمعالجة مؤشر المحيط المؤسسي كعامل لحيوية اللغة المزابية، نحاول تقديم استعراض مختصر للسياسات اللغوية للدولة وسلوكياتها، قبل محاولة تحديد آثار هذه السياسات على الوضع السوسيو-لساني للغة المزابية. ويمكن التمييز في هذا الصدد بين فترتين مفصليتين: فترة ما قبل الاعتراف السياسي القانوني بالامازيغية أين عرفت اللغة المزابية - والامازيغية بصفة عامة- تهميشا وتحقيرا إن من طرف السلطات أو من طرف النخبة الدينية المعربة الحاكمة في المجتمع المزابي (الفرع الأول)؛ وفترة ما بعد الاعتراف السياسي القانوني بها أين عرفت اللغة المزابية تثمينا وترقية لمركزها الاجتماعي لدى الجماعة المزابية تبعا لسياسة الدولة (الفرع الثاني).

¹) Lionel CORDIER, *La langue comme outil de puissance : L'exemple de l'esperanto dans les jeux de pouvoir linguistique européen*, Mémoire soutenu le 2 septembre 2012, Dir. Albane GESLIN, Master Relations Internationales, parcours Enjeux de la Globalisation, Université LYON2, p.21 .

الفرع الأول: السياسة اللغوية للدولة الجزائرية وسلوكياتها قبل الاعتراف بالامازيغية وآثارها على وضع اللغة المزابية

قامت السياسة اللغوية الرسمية للدولة الجزائرية منذ الاستقلال الوطني على الأحادية اللغوية باعتبار العربية اللغة الوطنية والرسمية الوحيدة، متجاهلة تجاهلا تاما اللغة الامازيغية التي تعرضت لسلوكيات مؤسساتية معادية ولمضايقات عدة أثرت على وضعها السوسيو-لساني وتمثلات ومواقف الناطقين بها (أولا)، غير انه ومنذ أواسط التسعينيات انفتحت السياسة اللغوية في الجزائر على اللغة الامازيغية بتكريس طبيعتها الوطنية والرسمية وإدراجها في المنظومة التربوية والإعلامية بكل "تنوعاتها اللهجية"، فكان ذلك عاملا مشجعا لإحياء اللغة المزابية وتناقص السلوكيات المعادية تجاهها من طرف المؤسسات الرسمية والعرفية (ثانيا).

أولا: سياسة التعريب والأحادية اللغوية وآثارها على وضع اللغة المزابية

(أ) سياسة التعريب في إطار الأحادية اللغوية:

كانت اللغة الفرنسية هي لغة النخبة الجزائرية المفرنسة التي صنعت الحركة الوطنية وناضلت من أجل الاستقلال الوطني منذ بدايات القرن العشرين ثم فجرت الثورة التحريرية المسلحة، ومع ذلك فإن النخبة المعربة المنضوية تحت لواء جمعية العلماء المسلمين والمتكونة من خريجي المدارس الدينية التقليدية والإصلاحية، جعلت من اللغة العربية والدين الإسلامي عناصر مقاومة ثقافية ضد سياسة الاستعمار الاندماجية، وانطلاقا من ذلك أرادت أن تجعل منها ركيزة الهوية الوطنية وفقا لمقولة عبد الحميد بن باديس >> الإسلام ديننا، العربية لغتنا، والجزائر وطننا <<. وجاء استقلال الجزائر في فترة كان فيها الخطاب القومي العربي البعثي في أشده، وكان لكل من جمعية العلماء المسلمين ولجماعة الطلبة الذين بعثتهم جبهة التحرير الوطني إلى القاهرة وتونس المتشبعين بالإيديولوجية العربية القومية، أثرا بالغا في توجهات الدولة الجزائرية الحديثة والسياسية اللغوية والاقتصادية بسبب الدعم-التأثير المصري عليها؛ وظهر ذلك بشكل جلي منذ وثيقة طرابلس سنة 1962¹ والمواثيق الوطنية التي صدرت بعدها، والتي أسست الدولة الجزائرية على ركيزتين هما: الاشتراكية والتعريب.

¹ (نصت وثيقة طرابلس الصادرة عن المجلس الوطني للثورة الجزائرية في جوان 1962 على وجوب ترقية اللغة العربية كلغة للعلم وللمستقبل بواسطة إعطائها كل الوسائل المادية اللازمة. انظر:

Annuaire de l'Afrique du Nord, « Charte de Tripoli » N°1, CNRS, 1962, p.696.

وبذلك قرر الرئيس احمد بن بلة ذات التوجه اليساري الناصري المعروف بموالاته للرئيس المصري جمال عبد الناصر، المضي في سياسة لتعريب الجزائر كشكل من أشكال " استرجاع السيادة الوطنية" والقطيعة مع الدولة الاستعمارية، أما اللغة والحضارة الامازيغية فقد كانت تعتبر في منطق البعثيين العربيين الذين يحلمون بوطن عربي واحد وبلغة واحدة، من اللهجات المحلية ومخلفات الحضارات القديمة التي ستزول مع الوقت لصالح ظهور "أمة عربية" واحدة. ولم ينتظر احمد بن بلة استقلال الجزائر ليطلق من تونس عبارته الشهيرة التي استقرت دعاء الامازيغية بتاريخ 04 أفريل 1962 << نحن عرب، نحن عرب، نحن عرب >> تعبيرا عن إرادته القوية لتعريب الجزائر¹. وأكد بن بلة هذا الخيار بعد استيلاء "جماعة وجدة" وجيش الحدود على الحكم إثر السيطرة العسكرية على الجزائر العاصمة وتوليه رئاسة الجزائر في خطاب له سنة 1963 بأن << الاشتراكية لا تكتمل من دون التعريب >>. وبات التعريب تحت مسمى " استرجاع اللغة الوطنية" هو السياسة اللغوية الرسمية التي فُرضت بقوة القانون والسيادة في إطار منطق إقصائي للغة الامازيغية والفرنسية معا، باعتبار الأولى عامل تفرقة وجهوية واعتبار الثانية لغة الاستعمار.

وارتكزت سياسة الأحادية اللغوية unilinguisme التي انتهجتها الدولة الجزائرية في ظل الأحادية الحزبية والسلطة الديكتاتورية على استعمال الدين الإسلامي لخدمة الفكرة العروبية القومية، وذلك باستغلال الرصيد التاريخي الديني العاطفي للغة العربية الفصحى باعتبارها لغة << تحيل أساسا إلى الإسلام، وإلى ماضي تاريخي، إلى هوية توجد في الماضي (...). إلى عالم الآخرة، وهو موضوع العقيدة والعبادة >>². كما يبرر منظرو هذه السياسة اللغوية على كون اللغة العربية الفصحى، بالإضافة إلى بعدها الديني، عاملا مؤجدا وضروريا لبناء الإيديولوجية الوطنية، بينما يؤدي الاعتراف بالتعددية اللغوية إلى عرقلة ظهور وعي وطني، مع أن هذا الطرح لا يستقيم البتة إذ يمكن بناء هوية متعددة وثرية³.

وبعد استيلاء الكولونيل هواري بومدين على السلطة بموجب انقلاب 19 جوان 1965 بدء في سياسة تعريب مست كل القطاعات التربوية الإدارية والمؤسسية، أصبحت نهجا وخيارا للدولة الجزائرية من بعده. وفي عهده تم استكمال تعريب الإدارة والقضاء والتعليم الأساسي والجامعي فيما يتعلق بالعلوم الإنسانية، كما صدر سنة 1973

¹ حدث ذلك عند استقباله من طرف الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة بمطار تونس عند رجوعه من القاهرة ليُحضّر نفسه لتولي الحكم بالجزائر مع احتدام الصراع على السلطة بين الحكومة الجزائرية المؤقتة وجيش الحدود الذي ينتمي إليه بن بلة.

²) Gilbert GRANDGUILLAUME, *Arabisation et politique linguistique au Maghreb*, Editions G-P, MAISONNEUVE et LAROSE, paris, 1983, p.41. [ترجمتا]

³)Idem, p.42.

قرارا بإلغاء دروس الامازيغية التي كان يلقيها الأستاذ مولود معمري بالجامعة المركزية.¹ وفي إطار "الثورة الثقافية" تم خفض ساعات بث القناة الامازيغية القبائلية من 16 ساعة إلى 9 ساعات ونصف في اليوم مع إدراج دروس في اللغة العربية، إلخ.²

ولم يختلف عن هذا المسار باقي الرؤساء الذين جاؤوا من بعده كون التعريب خيارا لغويا استراتيجيا للدولة باعتبار اللغة العربية من الثوابت الوطنية التي لا يجوز الحياد عنها، في منطق اقصائي ضمني للغات الامازيغية. وبذلك اصدر الرئيس الشاذلي بن جديد جملة من التشريعات بالتزامن مع تنامي الحركة المطلبية الامازيغية في الثمانينيات ختمها بقانون 91-05 لتعميم استعمال اللغة العربية. وهو نفس الرئيس الذي صرح سنة 1984 في جريدة باري مانش الفرنسية أن << (اللغة) البربرية لا وجود لها لأنها تتضمن كلمات عربية >>³ ، كما ساهم سنة 1989 في إنشاء اتحاد بين الدول المغاربية الخمس سُمي باتحاد المغرب "العربي" وحُدّد من جملة أهدافه في المجال الثقافي << حماية الهوية الوطنية العربية >>⁴.

وفي خضم الأزمة السياسية الأمنية التي عرفت الجزائر منذ 1992 وقع الرئيس علي كافي على المرسوم 92-02 الذي نص على تجميد تطبيق قانون التعريب <<إلى حين توفر الظروف المناسبة>>، غير أن الرئيس ليامين زروال ما لبث أن اصدر الأمر 96-30 المؤرخ في 21 ديسمبر 1996 الذي يقضي بتعميم استعمال اللغة العربية وحدها تحت طائلة العقوبات وبشكل واسع وشامل. هذا الامر يتضمن تناقضا قانونيا صارخا مع النصوص التي وقعها نفس الرئيس والمتعلقة بإنشاء المحافظة السامية للامازيغية ووظائفها والتي لم يكن قد مر على صدورها سنة واحدة، وكذا مع مختلف القرارات الهادفة إلى ترقية اللغة الامازيغية وإدراجها في منظومات التعليم والمحيط والإعلام. وقد علق الأستاذ سالم شاكّر على هذا الامر آنذاك بالقول أن السياسة اللغوية للدولة الجزائرية لم تتغير -حتى بعد إنشاء المحافظة السامية للامازيغية- بحيث لازالت تعتبر الهوية الوطنية تقوم على الأساس

¹) Amar Ouerdane, *La question berbère dans le mouvement nationale algérien, 1926-1980*, éditions EPIGRAPE-Dar El IJTIHAD, ALGER, 1993, p. 167.

²)Ibidem, p. 186 .

³)Mohand MAHARZI, *Tamazigh face à son destin*, Tira éditions, Bejaia,2013,p. 45 .

⁴) المادة 1 والمادة 3 فقرة 5 من اتفاقية الاتحاد الموقعة بتاريخ 17 فيفري 1989 .انظر:

العربي-الإسلامي، أما الامازيغية فلا تعدو أن تكون واقعا تاريخيا يعود إلى الماضي وتراثا شعبيا ينبغي المحافظة عليه.¹

ان سياسة التعريب المتسارعة والإجبارية التي صيغت في الدوائر المغلقة للسلطة الديكتاتورية دون أي نقاش ديمقراطي أو مناظرات أكاديمية، اعتبرت استفزازا من طرف الحركة المطالبة الامازيغية من جهة ولمطالب النخبة الفرنكفونية بالإبقاء على اللغة الفرنسية باعتبارها لغة العلوم التقنية والعصرية و"غنيمة حرب" من جهة أخرى. ونتيجة لذلك لم تؤد قوانين التعريب إلا إلى صب الزيت على نار الصراع اللغوي في الجزائر وازدياد شوكة الحركة المطالبة الامازيغية والفرنكفونية وحدتها وقدرتها على التعبئة. وترتب عن تحالف هاتين القوتين ومقاومتهما المستمرة والشرسة للسياسة اللغوية للدولة الى ترسيخ صراع سياسي لغوي ثنائي مازالت تعيشه الجزائر إلى اليوم.

(ب) المنظومة القانونية للتعريب

تم تكريس خيار الأحادية اللغوية والتعريب بموجب مختلف الدساتير.² ولتجسيد هذا الخيار صدرت جملة من التشريعات في الفترة ما بين 1972 إلى 1996 سعت إلى تعريب الحياة العامة والتدريس والإدارة بلغت حوالي عشر نصوص لتعميم استعمال اللغة العربية وفرضها في كل القطاعات على حساب اللغة الامازيغية أهمها:

1. تعريب التعليم: بمجرد استرجاع الاستقلال الوطني قررت الحكومة إتباع خطة لتعريب التعليم في مسار يهدف إلى تعويض اللغة الفرنسية ابتداء من الطور الابتدائي، وبحلول الثمانينات وصلت عملية التعريب إلى المستويات العليا بتعريب العلوم الإنسانية في الجامعات، باعتبارها اللغة الوطنية الوحيدة للجزائريين، ولكونها اللغة التي يستطيع أن يتفاهم بها الجزائريون مع إخوانهم المشاركة.³ وهذا في ظل التجاهل التام لوجود اللغة الامازيغية بل ومنع دروس اللغة الامازيغية للأستاذ مولود معمري في جامعة الجزائر منذ مطلع السبعينيات واضطهاد المناضلين الامازيغيين بتهمة الانفصالية وبث التفرقة الجهوية. ومع اشتداد الصراع اللغوي في الثمانينيات أنشئ المجمع

¹) Salem CHAKER, « La langue berbère dans le champ politique maghrébin. Le cas algérien : rupture ou continuité ? », *Langue et pouvoir, De l'Afrique du Nord à l'Extrême-Orient*, Edité par Salem CHAKER, EDISUD, Aix-en-Provence, 1998, p.33.

²) انظر المادة 3 من دستور 09 سبتمبر 1963، ودستور 22 نوفمبر 1976، ثم دستور 28 فيفري 1989، ودستور 28 نوفمبر 1996، واخيرا المادة 3 من دستور 7 مارس 2016.

³) Mohand MAHARZI, *Tamazigh face à son destin*, op.cit.,p. 39 .

الجزائري للغة العربية بموجب قانون 86-10 المؤرخ في 19 أوت 1986 والذي من جملة أهدافه >>البحث عن جميع الوسائل الكفيلة بتمكين اللغة العربية من الاضطلاع بوظيفتها العلمية والحضارية واستعادة دورها العالمي...<< حسب المادة 6 فقرة 13

2. تعريب الإدارة والمحيط: عرفت الجزائر منذ بداية السبعينيات حملة واسعة لتعريب الإدارة والمحيط والحياة العامة على حساب اللغتين الامازيغية والفرنسية. بحيث تم تحريف أسماء الأماكن بتحويلها إلى أسماء عربية، بينما تم فرض قائمة للأسماء العربية في الحالة المدنية أقصيت منها الأسماء المرتبطة بالتاريخ الامازيغي ومنع تسمية المولودين بها. وبدء تعريب الحالة المدنية بموجب الأمر 70-20 المؤرخ في 19 فيفري 1970 الذي تنص المادة 64 فقرة 3 منه >> تمنع جميع الأسماء غير المخصصة في الاستعمال أو العادة<<، بينما تم إعداد قاموس وطني لأسماء الأشخاص باللغة العربية بموجب المرسوم 81-26 المؤرخ في 7 مارس 1981، وهو ما أدى إلى منع الأسماء الامازيغية التي يتم إحيائها كطريقة من طرق إثبات الهوية الامازيغية من طرف المناضلين الامازيغيين.

أما تعريب المحيط فقد تم أساسا بموجب مرسوم 36-81 المؤرخ في 14 مارس 1981 الذي ينص على كتابة كل الإشارات والعناوين والتسميات باللغة العربية، ومرسوم 81-27 المؤرخ في 7 مارس 1981 المتضمن إعداد قاموس وطني لأسماء المدن والقرى والأماكن الأخرى.

3. التعريب الشامل: مع مطلع التسعينيات صدر قانون 91-05 المؤرخ في 16 جانفي 1991 المتضمن تعميم استعمال اللغة العربية بهدف فرض استعمال اللغة العربية "وحدها" في كل القطاعات وهي : الإدارات والجمعيات بمختلف أنواعها (المادة 4)، الإشهار بمختلف أنواعه (المادة 9)، والتربية والتعليم في كل القطاعات والمستويات (المادة 15)، مع فرض غرامات قد تصل إلى 100.000 دينار على المخالفين (المادة 29 وما بعدها). وبعد تجميده من طرف الرئيس علي كافي، أصدر الرئيس ليامين زروال أمر 96-30 المعدل والمتمم للقانون السابق لإعادة تفعيله وإضافة مواد فيه مثل المادة 19 منه التي تفرض أن >> تكون جميع التصريحات والتدخلات والندوات وكل الحصص المتلفزة باللغة العربية<<، والمادة 36 فقرة 3 التي تأمر أن >> يتم التدريس باللغة العربية بصفة شاملة ونهائية في كل مؤسسات التعليم العالي والمعاهد العليا في أجل أقصاه 5 جويليت 2000 مع مراعاة أحكام 23 أعلام<< أي بعد موافقة مجمع اللغة العربية .

هذه القوانين والتشريعات استقرت المناضلين الامازيغيين والفرنكفونيين واشعلت الغضب والمقاومة في اوساطهم. إذ بالرغم من عدم تعرضها بصريح العبارة الى منع استعمال اللغة الامازيغية، إلا أنها تمنع ضمناً وبشكل جازم من خلال الصيغة الأمرية والحصرية "وحدها"، من استعمال أي لغة أخرى غير اللغة العربية الفصحى ، مع اقتران ذلك بغرامات مالية. وبذلك اعتبرت هذه التشريعات آنذاك حرباً حقيقية على اللغة الامازيغية لغة أكثر من ثلث الشعب الجزائري على اقل تقدير.

ثانياً: آثار هذه السياسة اللغوية على وضع اللغة المزابية

(أ) بالنسبة لسلوك المؤسسات الرسمية

كان لسياسة التعريب والتضييق على الامازيغية أثراً سيئاً على اللغة المزابية على الرغم من أن المزابيين لم ينلهم من القمع ما نال المناضلين القبائليين الذين رفعوا المطلب الامازيغي كمطلب سياسي وطني في مواجهة السلطة السياسية منذ الثمانينيات، بسبب أن هذا المطلب لم يظهر لدى المزابيين بنفس الشكل الذي ظهر به بمنطقة القبائل. غير ان المزابيين كثيراً ما اعتبروا سياسة الدولة التي انتهجها الرئيس هواري بومدين خطراً وجودياً عليهم. طالما انها تهدف الى بناء "الرجل الجزائري الجديد" ذا لغة واحدة ودين واحد وايدولوجية واحدة هي الاشتراكية، وبالتالي محو الخصوصيات المحلية والجهوية باعتبارها عراقيل أمام "الاندماج الوطني"؛ لذلك حرصوا على التمسك بهويتهم المزابية المركبة بكل أبعادها اللسانية الامازيغية والمذهبية الاباضية والاجتماعية.

فمن جهة حظيت الجمعيات الثقافية التي تخدم اللغة العربية التي نشأت العشرات منها بوادي مزاب منذ الاستقلال بكل الدعم المادي القانوني والسياسي من السلطات المحلية البلدية والولائية والحزبية والسلطات المركزية، ومن جهة أخرى طالت سياسة القمع كل من يحمل المطلب الامازيغي من المزابيين بل وامتدت هذه السياسة إلى ما بعد الاعتراف بالبعد الامازيغي أواسط التسعينيات كما سنرى. والدليل على قمع الامازيغية آنذاك منع أجهزة الشرطة السياسية كل تواصل أو تأثير للحركة المطالبة القبائلية في وادي مزاب¹، بالإضافة إلى منع الغناء باللغة المزابية في أفواج الكشافة المزابية ومنع اللباس المزابي (الشاشية والسروال المزابي) لاعتبارها من طرف السلطات كإشارات للتمييز الجهوي والعرقي، مثلما تعرض بعض التجار المزابيون في أواسط الثمانينيات إلى مسائلات من طرف السلطات الأمنية بسبب تسمية محلاتهم التجارية بأسماء امازيغية مزابية، مما اعتبر

¹ مثال ذلك اعتقال وتعذيب طلبة مزابيين من متوسطة غرداية بسبب تداولهم لحروف التيفيناغ سنة 1986، واستجواب فرقة البلابل الرسمية الإنشادية المزابية في مطار الجزائر عند رجوعها بعد المشاركة في مهرجان للأغنية الامازيغية بمرسيليا سنة 1984.

إثارة للنعرات الجهوية والطائفية. كما تعرضت أسماء الأماكن بوادي مزاب إلى عملية تحريف ممنهجة لإعطائها شكلا عربيا بمساهمة من أجهزة الحزب المحلية التي سيطر عليها أغلبية من السكان الشعانبة العرب. ولعل أفضل مثال على ذلك هو تسميات المدن المزابية الثمانية التي تم تحريفها بموجب مرسوم 81-27 المتعلق بأسماء المدن السالف الذكر والقانون رقم 84-09 المؤرخ في 4 فيفري 1984 المعلق بالتقسيم الإقليمي كالتالي:

1. بني يزقن عوضا عن آت إزدجن - At izğen
2. غرداية عوضا عن تاغريدت - Tyerdayt
3. العطف عوضا عن تادجنيث - Tağnint
4. بنورة عوضا عن آت بنور - At bunur
5. مليكة عوضا عن آت مليشت - At Mlicet
6. بريان عوضا عن إبريان - Berreyyan
7. القرارة عوضا عن اقرارن - Igerraren
8. ورقلة عوضا عن واروجلان - Wareğlan

وبما أن الامازيغية ظهرت بوادي مزاب في شكل نشاط فردي وجماعي لإحياء اللغة المزابية والاعتناء بها لدى بعض الأفراد من النخبة المزوجة اللغة عموما، فإنها لم تعرف مواجهة وقمع صريح من السلطات العامة بقدر ما تعرضت للمضايقة والمنع والإنكار من طرف النخبة العروبية الدينية المهيمنة على المؤسسات التقليدية في المجتمع المزابي.

ومع ذلك كانت قسّمات الحزب الحاكم جبهة التحرير الوطني بوادي مزاب بمثابة أجهزة رقابية قمعية لا يمكن القيام بأي نشاط ثقافي من دون موافقتها. وكانت غالبا ما ترفض أي نشاط باللغة المزابية أو يظهر الخصوصية المزابية في إطار توصيات الحزب وسياسته في محاربة " كل أشكال الجهوية والقبلية..." التي يقصد بها الخصوصيات الاثنية-لغوية والثقافية المحلية. وعلى ذلك تم منذ سنة 1963 منع اللباس المزابي التقليدي في أفواج الكشافة الاسلامية بوادي مزاب لما يرمز له من خصوصية، وتوحيده من خلال اللباس الأوروبي وفقا لتعليمات صدرت عن الرئيس احمد بن بلة آنذاك، وكان ذلك استفزازا للشباب المزابي الذي رأى فيه محاولة لمحو شخصيته وخصوصياته الثقافية. وبسبب منع قسمة الحزب لكل نشاط ثقافي باللغة المزابية، عمد المزابيون الذين ينظمون هذه النشاطات مثل المسرحيات والأوبرات والقصائد، إلى كتابة عناوين البرامج التي تقدم للقسمة باللغة العربية، وبعد الحصول على الموافقة يتم أدائها باللغة المزابية خفية، وهو ما حدث مع اوبرات حول الثورة

التحريرية من تنظيم الشاعر عبد الوهاب فخار سنة 1988.¹ وللدرد على الحملة التشويهية التي مارستها أجهزة الحزب المحلية ذات الأغلبية العربية والادعاء بعدم مشاركة المزابيين في الحرب التحريرية كسلاح يبرر إقصائهم من مراكز القرار والمسؤولية في ولاية غرداية جادت قريحة الشاعر باويرات مزدوجة اللغة مزابية-عربية موسومة <<مزاب يحييك يا نوفمبر ! >> وهي عبارة عن ملحمة تمتزج فيها مقاطع من إلياذة الجزائر واللهب المقدس لشاعر الثورة مفدي زكريا، ومقاطع من قصيدة *irkasen* "الشطحات" التي يدافع فيها عن المزابيين. هذه الملحمة انجزها الشاعر سنة 1984 بمناسبة الذكرى العشرون للثورة وأقيمت بقاعة "سينما مزاب" في جو من التوتر بين بني مزاب والعرب.

ومن أمثلة قمع قسمة الحزب لغرداية للثقافة الامازيغية اجتماعاتها سنة 1986 لدراسة مسألة صدور ديوان *imeṭṭawen n lferh* "دموع الفرح" للشاعر عبد الوهاب فخار باللغة المزابية، أين جرت مناقشة حول إمكانية مصادرة الكتاب، فلما علم الشاعر بذلك بواسطة احد المناضلين المزابيين في الحزب، لجأ إلى إخفاء النسخ المسحوبة في مكان آمن. وقد صدر بعد ذلك قرارا بطرد الشاعر من الحزب بعد تريض دام 6 سنوات.² وبالطبع كان صدور أول ديوان شعري باللغة المزابية سنة 1985 مخاضا عسيرا في فترة كانت سياسة التعريب التي تخوضها الدولة والحزب في أوجها، وفي مجتمع مزدوج اللغة تهيمن فيه اللغة العربية على المجال الأدبي والديني بأخطر أنواع الهيمنة وهي الهيمنة الدينية التي تعتمد على التقديس الإلهي وترهب رجال الدين المتطرفين لكل من يعارض هذا الاعتقاد بقداية اللغة العربية وقدراتها الأسطورية الخرافية باعتبارها أولا " لغة القرآن وأهل الجنة والملايكة..."، وللاعتقاد ثانيا أنها أجمل اللغات وأفضلها للتعبير عن المشاعر والأحاسيس، وفرضها ثالثا- بمدينة قرارة على الخصوص- كلغة للاستعمال في الحفلات والمحاضرات والخطب الرسمية .

ولا أدل على هذه الولادة العسيرة لأول كتاب أمازيغي في تاريخ وادي مزاب من مقدمته التي وضعها الأستاذ صالح باجو ناظم أول قصيدة باللغة المزابية سنة 1946 كما سيأتي بيانه، والتي جاءت في شكل مرافعة حقيقية سعى فيها جاهدا إلى دفع كل التهم الجاهزة التي ستلصق لا محالة بالشاعر، وتقديم كل المبررات الدينية والعقلية الممكنة لإصدار مثل هذا العمل غير العادي "بلغة بربرية" والذي كان بلا شك تحديا حقيقيا لهذه الهيمنة اللغوية التي سلطت على المجتمع المزابي لمدة قرون طويلة من الزمن. ففي محاولة رد استباقي على

¹ لقاء مع الأستاذ عبد الوهاب فخار ، غرداية بتاريخ 02 سبتمبر 2015.

² نفس المرجع.

الهجمات التي ستوجه ضد الشاعر، خاصة أنه ابن الشيخ حمو فخار أحد قادة رجال الدين الإصلاحيين، يقول الأستاذ صالح باجو في مقدمة الكتاب منبها إلى الاتهامات والأحكام الجاهزة المتوقع صدورها من هؤلاء العروبيين المتعصبين المتواجدين سواء في حزب الدولة الحاكم أو في المؤسسات العرفية المزابية، خاصة تهم "البربرية" و"عرقلة التعريب"¹:

>> وأود أن الفت النظر إلى نقطة حساسة قد يسيء البعض فهمها، وقد يتخذها البعض الآخر ماء عكرا ليصطاد فيه، تلکم هي صدور هذا الديوان بلغة بربرية. فقد يتوهم هؤلاء وأولئك أن هذه دعوة إلى البربرية أو على الأقل هي حجرة عثرة في طريق التعريب. <<

ثم يقدم الأجوبة والحجج في وجه هذه الاتهامات المتوقعة من العروبيين المتعصبين حتى يُقبل هذا المولود دون عراقيل قائلا: >> كلا ومعاذ الله أن يكون هذا [الدعوة إلى البربرية] أو ذاك [عرقلة التعريب]، فإن الأدب البربري-بغير ممارسة- أدب جزائري أصيل لا سبيل إلى إنكاره...<< ويستدل في نهاية مرافعته على اعتبار الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية أدبا جزائريا أصيلا، قائلا:

>> لمن العدل والإنصاف أن نعتبر الأدب المكتوب بالبربرية أدبا جزائريا أصيلا من أولى وأحرى، وذلك لاعتبارين أساسيين : أ- أن اللغة البربرية لهجة محلية جزائرية أصيلة ولا يصح قياسها بالفرنسية إطلاقا. ب- أن الموضوعات التي تناولها هذا النوع من الأدب موضوعات جزائرية مستمدة من الواقع الجزائري...<<.

وأخيرا يطمئن الأستاذ هؤلاء، بوفائه للغة العربية رغم اهتمامه باللغة الامازيغية، قائلا : >> لا ينبغي أن يجربنا الاعتزاز بهذا النوع من تراثنا الجزائري الأصيل إلى الإعراض عن لغتنا العربية...<<.

والمفارقة أنه بعد عشر سنوات من هذه الولادة العسيرة لأول ديوان شعري باللغة المزابية، التي لم تكن لتتم دون عناء لولا هذه المرافعة القوية الصادرة عن أحد رجال الدين وشعراء اللغة العربية المعروفين، لتكون بمثابة تركية شرعية له تشفع له لدى العروبيين ورجال الدين؛ جاءت مقدمة ديوان ul-inu للشاعر صالح ترشين سنة 1995 التي وضعها الباحث عبد الرحمن حواش أكثر أريحية، بل بمثابة دعوة صريحة إلى البربرية بفضل انتصارات القضية الامازيغية آنذاك حيث يقول فيها:

¹ (عبد الوهاب حمو فخار، إمطاون نلفرح، مرجع سابق، ص. 11، 12، 13).

>> كي يدرك المثقفون من خلال هذا الديوان الذي ستتبعه دواوين إن شاء الله، أن لديهم كنزا دفيناً
ولغة لا تزال كاللؤلؤ والمرجان في أصدافه - سيفخرون بها ويعتزون بها أكثر إذا أولوها الأهمية التي
تستحقها، وأعادوا لها اعتبارها، وصعدوا بها إلى المقام الرفيع الذي يليق أن تتربع عليه ...!<

(ب) بالنسبة لسلوك المؤسسات العرفية

نتيجة لنظرة تقديس اللغة العربية الفصحى والنظرة الدونية للغة المزابية، لم تحظ هذه الأخيرة بأية ترقية
وتطوير ونشر منذ القرون الأولى لظهور الجماعة المزابية، وي طرح السؤال بأكثر حدة بالنسبة لعصر النهضة مع
مطلع القرن العشرين عندما ظهرت الحركة الإصلاحية البيوضية ومعها الحركة الجمعوية ووسائل النشر. فبالرغم
من كون الشيخ أبي اليقظان إبراهيم الملقب "أبو الصحافة الجزائرية" لنضالة الصحافي الطويل إبان الاستعمار،
أمازيغي مزابي فإنه لم يكتب في كامل صحفه السبعة جملة باللغة المزابية أو دفاعا عن اللغة الامازيغية، وإنما
كرس كل صحفه لخدمة اللغة العربية الفصحى والدفاع عنها باعتبارها لغة الهوية الجزائرية في عصر كانت
القومية العربية في أوج عزتها، بالرغم من تكريس حياته الصحفية والنضالية للدفاع عن قضايا الجماعة المزابية
بخصوصياتها الاثنية-لسانية والمذهبية بالإضافة الى القضايا الوطنية والإسلامية.

ولم تكن النخبة الدينية المعربة المتحكمة في المؤسسات الدينية والعشائرية والمدارس المزابية الحرة تؤمن
بقيمة اللغة المزابية، بل كان قسما منها معاديا لكل محاولة لإحيائها وتطويرها اعتقادا منه، تبعا للخطاب الدعائي
للسلطة السياسية والأوساط العروبية البعثية آنذاك، أن أية محاولة لإحياء اللغة الامازيغية وتطويرها هي دعوة
لمحاربة اللغة العربية، وهو إنما يكون على حساب اللغة العربية الفصحى "لغة القراء ولغة أهل الجنة". ولذلك
لم يكن للغة المزابية أية مكانة في التعليم الحر رغم وجود حوالي 50 مدرسة ومعهد للتعليم الديني العربي الحر
موزعة بين المدن المزابية والمدن الجزائرية والمهجر، ومسيرة من طرف رجال الدين الاباضية والنخبة المعربة
التي تدير أموالا ضخمة في خدمة التعليم العربي والديني بدعم من البورجوازية التجارية.

¹ (صالح ترشين، أول إنو، مرجع سابق، ص.7).

والملاحظ أن النخبة الدينية العروبية بوادي مزاب كانت ولا تزال تمثل -عن وعي أو عن غير وعي- امتدادا لحركة العروبيين البعثيين على المستوى الوطني والدولي التي قاومت الحركة المطلبية الامازيغية لمناقضتها لمشروع الدولة-الامة، بالاعتماد على السياسة اللغوية الأحادية والإيديولوجية الأحادية للسلطة، واستغلال الإسلام (العاطفة الدينية) والوطنية (العاطفة الوطنية). إذ بالرغم من وجود اختلاف في الرؤية إلى اللغة العربية بين العروبيين الدينين الذين تركز أطروحتهم على قدسية اللغة العربية إلى حد اعتبارها جزءا من الدين، والعروبيين البعثيين - وأغلبهم لا دينيين - الذين تقوم أطروحتهم على فلسفة الأمة التي نشأت في أوروبا المبنية على وحدة لغة "الأمة العربية" بغض النظر عن الفروق الدينية (مسلمون، مسيحيون، دروز، إلخ) والاثنو-لغوية الثقافية (عرب، أمازيغ، أكرد، أرمن، إلخ)؛ إلا أن هذين التيارين الإيديولوجيين المتضاربين يتحالفان في معارضة أي مطالب لغوية للجماعات الاثنولسانية في العالم العربي.

وبسبب هذا الوضع الذي عانت منه اللغة المزابية فإن المطلب الامازيغي لم يظهر في حركة منظمة على شاكلة ما هو عليه بمنطقة القبائل، بسبب بعدها الجغرافي عن مركز السلطة وعدم انخراط نخبتها في الحياة الحزبية والنقابية والسياسية الوطنية بشكل كبير، رغم التعاطف الذي حازته الحركة المطلبية الامازيغية بمنطقة القبائل إثر الربيع الامازيغي لسنة 1980 في أوساط بعض النخب المزابية؛ وإنما كانت البوادر الأولى لهذا المطلب في خطاب نخبة من المثقفين والجامعيين المزابيين ممن احتكوا بالحركة المطلبية الامازيغية القبائلية لاسيما من خلال الجامعات، ثم ما لبث أن تطور في مرحلة متقدمة وعلى وجه التحديد مع الانفتاح الديمقراطي الذي عرفته الجزائر ما بين 1989-1992، بفضل النشاط الحزبي للأحزاب السياسية المعارضة الحاملة لهذا المطلب وهي حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية RCD وجبهة القوى الاشتراكية FFS، بأن خرج إلى العلانية وأصبح هدفا للجمعيات الساعية إلى إحياء اللغة والثقافة المزابية.

ورغم هذا التحول الديمقراطي التعددي استمرت النخبة الدينية المعربة في الوقوف بالمرصاد في وجه كل محاولات ترقية اللغة المزابية وإحيائها، حيث تم مثلا إلغاء قصيدة باللغة المزابية للشاعر عبد الوهاب فخار من برنامج الملتقى الوطني حول فكر الشيخ بيوض بالجزائر العاصمة سنة 1992 بسبب الرفض المطلق لأحد الشيوخ العروبيين استعمال اللغة المزابية في هذا الملتقى.

لكن منذ أواسط التسعينيات بدء المطلب الامازيغي يحظى بنوع من الاهتمام من فئة الأعيان الممثلين للمؤسسات العرفية المزابية التي توجه الرأي العام السياسي في المجتمع المزابي. وزاد من ذلك رغبة السلطة في إشراك الجماعة المزابية في حل المسألة الامازيغية على إثر "إضراب المحفظة" بمنطقة القبائل سنة 1994-1995 الذي قام به حوالي مليون تلميذ بمقاطعة الدراسة للمطالبة بإدراج الامازيغية في المدرسة. حيث تفاعل الأعيان المزابيون وساهموا في مساعي السلطة لإيجاد مخرج للزمة بعد أن وصلت إلى طريق مسدود، فأصدر المجلس الأعلى لقبائل وعشائر بني مزاب في 24 أكتوبر 1994 بيانا معترفا بمطالب الحركة الثقافية البربرية بإدراج اللغة الامازيغية في المنظومة التعليمية مع الدعوة إلى الحوار والتعقل،¹ كما شارك بممثلين عنه في المجلس الوطني للامازيغية الذي اقترحه رئيس الحكومة مقداد سيفي بداية سنة 1995 والذي قاطعته مختلف الحركات الامازيغية، ثم في المفاوضات التي جمعت رئاسة الجمهورية والحركات الامازيغية سنة 1994 والتي توجت باتفاقية 22 افريل 1995 بين رئاسة الجمهورية والحركات البربرية المطالبة، بحيث ذكر فيه "مزاب" كطرف مشارك إلى جانب الحركات الأخرى.² وبإنشاء المحافظة السامية للامازيغية تم تمثيل وادي مزاب بثلاث أعضاء احدهما عضو بمجلس أعيان وعشائر وادي مزاب واثنين من أساتذة اللغة المزابية بالإضافة إلى تمثيل منطقة الاوراس بسبعة أعضاء.

الفرع الثاني: السياسة اللغوية للدولة وسلوكياتها بعد الاعتراف بالامازيغية وآثارها على اللغة المزابية

أولا: سياسة الاعتراف بالبعد الامازيغي وترقية اللغة لامازيغية

بدء المطلب الامازيغي يعرف الاستجابة المؤسساتية من طرف الدولة الجزائرية منذ مطلع التسعينيات بالتزامن مع الانفتاح على التعددية السياسية واللغوية في إطار النظام الديمقراطي الليبرالي الذي اقره دستور 23 فيفري 1989. واستمر هذا المسار لمدة ثلاث عقود إلى أن تم الاعتراف باللغة الامازيغية كلغة رسمية والإقرار

¹ م.ع.، المجلس الأعلى لقبائل بني مزاب ، بيان 23 أكتوبر 1994، الامسيبيون يتجمعون في حرشة والميزاب يكسرون الصمت، إختلاف في الطروحات واتفاق حول المبدأ، جريدة الخبر، 24 أكتوبر 1994.

² شاركت شخصا في هذه المفاوضات والاتفاقية التي صدرت منها باعتباري مدرس اللغة المزابية بقسم اللغة والثقافة الامازيغية بكلية اللغات جامعة تيزي وزو وممثل الحركة الجمعوية بوادي مزاب ورئيس جمعية ازوران ن وغلان بالجزائر العاصمة.

بإنشاء أكاديمية لخدمتها في دستور 6 مارس 2016. ويمكن التذكير باختصار وجيز بأهم محطات هذا المسار الذي كان له أثرا معتبرا على وضعية اللغة المزابية، فيما يلي:

- ديسمبر 1990 إدراج موجز إخباري باللغة الامازيغية القبائلية في التلفزة الجزائرية. ثم إدراج مواجيز إخبارية باللغات المزابية الشنوية والشاوية بالقناة الثانية.
- 1990 إنشاء قسم للغة والثقافة الامازيغية بجامعة تيزي وزو، ثم سنة 1991 بجامعة بجاية، ثم بجامعة البويرة سنة 2010، فجامعة باتنة سنة 2012، وأخيرا بمعهد تكوين الأساتذة ببوزريعة سنة 2015.
- إبرام اتفاقية سياسية عرفت باتفاقية 22 افريل بين رئاسة الجمهورية والحركات الامازيغية منها حركة مزاب تقرر بموجبها الدولة بشرعية المطلب الامازيغي وتلتزم بترقية الامازيغية وإدراجها في منظومة التعليم والإعلام والمحيط، تم على إثرها إنشاء المحافظة السامية للامازيغية بموجب المرسوم الرئاسي 147/99 والتي كان من بين أعضائها ثلاثة أعضاء من منطقة وادي مزاب¹.
- إنشاء المركز الوطني البيداغوجي واللساني لتعليم اللغة الامازيغية². الخ

وبالاعتراف بشرعية المطلب الامازيغي منذ 1995، ثم التكريس القانوني التدريجي للغة الامازيغية كلغة وطنية ورسمية ثانية للدولة الجزائرية بموجب التعديلات الدستورية لسنة 2002 و 2016؛ تم إحداث قطيعة مع الأحادية اللغوية التي أصبحت في عالم اليوم أسطورة حتى في البلاد ذات اللغة الواحدة بسبب التعدد اللغوي، بحيث توجد 6.000 جماعة اثنو-لسانية تعيش داخل 200 بلد في عالم اليوم الذي لم يعد يسمح بقمع اللغات الضعيفة بل ينادي بحق الجماعات في استعمال لغاتها³.

وبالرغم من التحول الذي عرفته السياسة اللغوية للدولة الجزائرية بإعادة النظر في مبدأ الأحادية اللغوية الذي ساد لأكثر من أربعين سنة، باعترافها بالطابع الرسمي والوطني للامازيغية، نلاحظ عدم وجود تصور واضح

¹ (المرسوم الرئاسي 95-147 المؤرخ في 27 ماي 1995 المتضمن إنشاء المحافظة السامية للامازيغية المكلفة بإعادة الاعتبار للامازيغية وترقية اللغة الامازيغية).

² (المرسوم التنفيذي 03-470 المؤرخ في 2 ديسمبر 2003 المتضمن إنشاء وتنظيم وعمل المركز الوطني البيداغوجي واللساني لتعليم اللغة الامازيغية).

³) Rainer Enrique Hamel, *L'aménagement linguistique et la globalisation des langues du monde*, op.cit.p.4.

لتعامل الدولة مع الوضع اللغوي في الجزائر المتميز بتعددية لسانية ولغوية كبيرة أين توجد ثلاثة عشرة لغة في مهددة،¹ مما يتطلب سياسة لغوية واضحة المعالم تحدد التوزيع الوظيفي للغات والمكانة القانونية لكل منها. وبالنسبة للامازيغية ذات الطابع التعددي فإن الأمر يتطلب تخطيطا لغويا على المدى البعيد يقوم على خيارات استراتيجية للوصول إلى تحديد ماهية "اللغة الامازيغية" التي ترتقي إلى لغة رسمية. ويتوقف الأمر على النصوص القانونية التي ستصدر تطبيقا للمادة 4-2 من التعديل الدستوري لسنة 2016.

ثانيا: آثار هذه السياسة على وضع اللغة المزابية

استفادت اللغة المزابية بشكل كبير من اعتراف الدولة بشرعية المطلب الامازيغي ثم سعيها إلى إدراجها في المنظومة التعليمية والإعلامية مما رقى من مكانتها المؤسساتية والاجتماعية في المجتمع المزابي (أ)؛ ومع ذلك لا زالت تعاني على المستوى المحلي من السلوكيات المعادية والمعرّقة، إن من بعض المؤسسات الرسمية للدولة أو من بعض المؤسسات العرفية وممثليها (ب).

(أ) ترقية مكانة اللغة المزابية المؤسساتية والاجتماعية

1. ترقية المكانة² المؤسساتية للغة المزابية

بعد أن كانت اللغة المزابية تمثل لغة الجماعة المزابية ذات الاستعمال المحدود بين أفرادها بما يمكن وصفه بـ "اللغة الطائفية" البعيدة عن المجال المؤسساتي للدولة والمنحصرة في المجال العائلي المحدود، أصبحت منذ

¹) « Atlas de l'Unesco : 13 langues algériennes menacées de disparition », 27/04/2014, in EL WATAN. Voir aussi : [http://www.vitamedz.org/atlas-de-l-unesco-13-langues-algeriennes-menacees-de-dispa/Articles_682_2733419_0_1.html]

²) يعتبر البعض مثل الأستاذة فضيلة لارول أن "مكانة" اللغة أو "مركزها" الذي يعني موقعها وصورتها في تمثيلات الجماعة اللغوية، هو عامل لحيويتها. غير أننا نرى أن مكانة أو مركز لغة ما ليست عاملا لحيويتها، وإنما هي بالأحرى نتيجة لجملة من عوامل حيوية اللغات السالفة الذكر، فتضعف وتقوى مكانة اللغة حسب قوة وضعف عوامل حيويتها. انظر :

Leroul Fadhila, « Vitalité linguistique », Campus, Revue scientifique trimestrielle de l'Université Mouloud MAMMERI de Tizi-Ouzou, N°12, Décembre 2012, p. 59.

التسعينيات مع تحسن مركزها لغة ترتبط على المستوى الرمزي بقوة الدولة وهيتها مثلها مثل اللغتين العربية والفرنسية، فأعطى لها ذلك قوة رمزية كان لها الأثر البعيد في نفوس الناطقين بها وغير الناطقين بها على السواء. وتتمثل اهم عوامل ومظاهر هذه الترقية فيما يلي:

- دخول اللغة المزابية في المجال الإعلامي السمعي والبصري من خلال الوسائل الإعلامية الثقيلة للدولة كالتلفزة الوطنية والإذاعة المركزية (القناة الثانية) وإذاعة غرداية الجهوية.
- الاعتراف السياسي للدولة بشرعية المطلب الامازيغي كان حافزا للجمعيات والناشطين الثقافيين لبعث الموروث اللغوي والثقافي الامازيغي في إطار القانون.
- دخول اللغة المزابية في التعليم الرسمي والجامعي: من خلال تدريس اللغة المزابية في التعليم الرسمي للدولة على المستوى الاساسي، وإدراج تعليم اللغة المزابية في برنامج الليسانس اللغة والثقافة الامازيغية بجامعة تيزي وزو، بجاية، البويرة وباتنة، كما سلف بيلانه.

ومع هذا التطور الهام في سياسة الدولة الجزائرية اللغوية، ظهر توجه منتقد لسياسة الدولة الامازيغية، من خلال المحافظة السامية للامازيغية التي ركزت جهودها على ترقية اللغة القبائلية وحدها تحت مسمى "الامازيغية" كلغة رسمية للدولة ، رغم نص الدستور على خلاف ذلك (المادة 4-2 من دستور 6 مارس 2016). ويمثل هذا الاتجاه بعض الوجوه الثقافية بوادي مزاب منها الأستاذ حواش عمر الخبير السوسيو-اقتصادي والروائي المزابي المستقر في كندا، الذي عبر عنه من خلال مؤلفه حول القضية اللغوية في الجزائر، مرافعا من اجل ترقية اللغة العربية الدارجة -بدل الامازيغية المشتتة إلى "لهجات" حسب- كلغة مشتركة للجزائريين واللغة الوحيدة التي توحد الجزائريين.¹

2. ترقية المكانة الاجتماعية للغة المزابية

أدى ولوج اللغة المزابية إلى المجال المؤسساتي الرسمي بفضل الاعتراف الدستوري ومن خلال سياسة الدولة لترقيتها، إلى كسر طابوه الامازيغية الذي طالما جثم على النفوس بكل ما يحمل من الدلالات السلبية مثل "الجهوية" و"العنصرية" و"الفرقة" والوصف التقزيمي لها باعتبارها "لهجة محلية". فاكسبت بذلك قوة رمزية كان لها أثرا مباشرا على التمثلات الفردية والجماعية للناطقين بها. إذ بعد أن كان المزابيون عند انتقالهم إلى المدن

¹)Omar HOUACHE, *Citoyen, quel langue parles-tu ?, Je parle algérien !*, Editions Essai Sedia, Alger, 2015, pp.51 et S.

الشمالية الناطقة بالعربية يتحدثون بلغتهم خفية وبصوت منخفض حتى لا يثيروا استقزاز الآخرين، أصبحوا اليوم يستخدمونها دون أي حرج كلغة للتواصل بل وحتى لإثبات وإظهار هويتهم.

وان كانت مكانة اللغة المزابية تحسنت في تمثيلات المزبيين كما تدل على ذلك إجابات المستجوبين السالفة الذكر، فإن نتائج الاستبيان الميداني الذي أجريناه جاءت عكس ما كنا نعتقد بتمتع المزبيين بأمن لغوي جعلهم لا يخطرطن في مسار النضال لإحياء اللغة المزابية . وكما سلف بيانه تدل نتائج الاستبيان عن سؤال حول ما "إذا كانت اللغة المزابية في خطر؟ ولماذا؟" (السؤال رقم 3-3) أن 78 ٪ من المستجوبين صرحوا أنها فعلا في خطر، مقابل 22٪ فقط قالوا أنها ليست كذلك(الشكل 10). وتمثلت حجج كل فريق فيما يلي:

- اللغة المزابية في خطر:
- نظرا لاختلاطها باللغات الأخرى بواسطة المفردات والتعابير الدخيلة، حيث <<أن الكلمات الاصلية تزول وتعوّض بمفردات بلغات أخرى>> وهي أكثر استعمالا (طالب جامعي ،24سنة، آت ازدجن)، و<<لأننا نستعمل لغات مختلفة في كلامنا >> (طالب/26سنة،بريان) ، أو <<لان ابنائنا اليوم لا يتحدثون اللغة المزابية كما كان يتحدث بها أجدادهم>> (طالبة،26سنة،تغردايت)
- لعدم اهتمام المزبيين بتطوير لغتهم وإحيائها كما هو الحال بمنطقة القبائل، << لان معظمنا لا يولي لها الاهتمام الكافي>> (طالبة،27سنة، آت بنور)، و نظرا << لتأثر الكثير من أولادنا بالعولمة والتخلي عن الأصالة والتراث >> (طالبة،29 سنة،آت بنور)
- لعم وجود إنتاج مدون بها، حيث تنعدم الكتب بها و << لا ترتبط بالعلوم والسياسة وغيرها،بل نتكلمها في المنزل فقط>> (أستاذ، 29سنة،تغردايت)، ولأنها << مازالت شفوية، ولانتعلمها أو تكتبها كاللغات الأخرى>> (طالب،29سنة،قرارة).

- اللغة المزابية ليست في خطر:
- لأنها تستخدم عند المزبيين في حياتهم اليومية، مادام << الناس يستعملونها ويحسنونها أكثر من العربية عندنا>> (أستاذ،29سنة،آت مليشت)،بل أنها << لا زالت اللغة الأكثر استعمالا في أوساطنا>> (طالبة جامعية،28سنة،بريان).
- رغم اكتساحها بالكلمات الدخيلة إلا أنها باقية كلغة خاصة بالمزبيين،ولها أناشيد وكتب،إذ << رغم دخول الكلمات العربية لكن حافظت على تركيب الجمل بالمزابية>>(طالب،28سنة،قرارة).

- لوجود حركة للاهتمام بها وتطويرها، حيث >> توجد جمعيات للاهتمام بها، وهناك وعي ثقافي جديد لإحيائها >> (طالبة جامعية، 27 سنة، آت ازدجن)، ولأن >> بعدما قدر الله لمزاب من الفتنة، أصبح الاهتمام أكثر باللغة المزابية والتشبث بها >> (طالب، 25 سنة، تغردايت).

وهكذا يلاحظ أن أصحاب الاعتقاد الأول بوجود اللغة المزابية في خطر يستدلون، في أغلبهم، على ظاهرة الدخيل اللفظي التي يعتبرونها تهديدا لها، مقارنة باللغة المزابية "الأصيلة" المدعمة التي يسمعونها من خلال الشعر المزابي. أما القائلون بأن المزابية ليست في خطر فيستدلون على ذلك أساسا بكونها مستعملة من طرف أغلبية المزابيين كلغة للتواصل اليومي.

(ب) استمرار بعض السلوكيات المؤسسية المعادية للغة المزابية

1. السلوكيات المعادية الصادرة عن مؤسسات الدولة المحلية

بالرغم من التطور الذي عرفته الامازيغية على المستوى الوطني، فإن مؤسسات الدولة المحلية تعاملت ولازالت تتعامل في أحيانا كثيرة مع اللغة المزابية بالمنع لاعتبارها إياها عنصرا لإذكاء الصراع الطائفي، في إطار تسيير التنافس والصراع الطائفي بين الجماعة المزابية والعربية بوادي مزاب. وازدادت هذه السياسة مع الازمة الأمنية والأحداث الدامية التي عرفها وادي مزاب سنوات 2013-2015 وما تبعها من حالة الطوارئ وتضييق على الحريات. وبالفعل سجلت عدة تجاوزات وعراقيل في سبيل ترقية اللغة المزابية وتطويرها منذ التسعينيات، حتى بعد الاعتراف السياسي بها سنة 1995. يمكن أن نذكر على سبيل المثال لا الحصر الوقائع التالية:

- التضييق على إنشاء الجمعيات الثقافية الامازيغية ونشاطها، مثل منع جمعية *bergan* من تنظيم أسبوع ثقافي امازيغي سنة 1997 بالرغم من حصولها على ترخيص البلدية، ورفض مصالح ولاية غرداية إعطاء الترخيص والاعتماد لتنسيقية *ssa n iyerma* "المدن السبعة" الثقافية التي نشأت سنة 1998 لتضم أربعة عشر جمعية تراثية وثقافية من مختلف المدن المزابية لهدف توحيد الجهود لخدمة اللغة والثقافة والتراث المزابي. وكذا حل جمعية *imunan* الثقافية الامازيغية لمدينة آت ازدجن من طرف السلطات سنة 1999 لأسباب مجهولة. وكانت إحدى الجمعيتين اللتين تم حلها بكافة ولاية غرداية، الخ.
- وجود نسبة قليلة من البث الإذاعي باللغة المزابية لا تتعدى 30 % بسبب تماطل مسؤوليها على تطبيق التعليمات التي تقضي بتخصيص على الأقل 40 % من الإنتاج باللغة الامازيغية في المناطق الناطقة بها، بدعوى عدم وجود مطالب اجتماعية في هذا الشأن.

- منع الاحتفال برأس السنة الامازيغية "ينار" بتاريخ افريل 2016 من طرف السلطات المحلية في إطار إجراءات حالة الطوارئ. بحيث اعتبر ضمنا أي نشاط حول الامازيغية "استفزازا" للسكان العرب، وعاملا مثيرا للصراع الطائفي، الخ.

2. السلوكيات المعادية الصادرة عن بعض ممثلي المؤسسات العرفية

لم تقتصر العراقيل التي تتعرض لها النشاط الثقافي الامازيغي على المؤسسات الرسمية، وإنما تعدته إلى ممثلي بعض المؤسسات العرفية الدينية على وجه الخصوص، بسبب أن النخبة العروبية الدينية المسيطرة على القرار في المجتمع المزابي لازالت في معظمها ترى بعين الريبة إلى كل نشاط لإحياء اللغة المزابية وتعتبره موجها أساسا إلى تحطيم اللغة العربية.

ولا تزال هذه النخب تعمل لعرقلة أي مشروع لترقية اللغة المزابية وبعث النشاط الثقافي الامازيغي، بمبررات دينية أحيانا وسياسية أحيانا أخرى، لاعتقادها أن ذلك إنما يتم في إطار حملة معادية للغة العربية والإسلام، وان "الأطروحة البربرية" تقدم كبديل للثقافة العربية الإسلامية. وفي هذا الصدد، يمكن أن نذكر على سبيل المثال:

1. رفض تدريس اللغة المزابية وآدابها في التعليم الديني الحر والتعليم الخاص، وعدم الاستجابة للمطالب التي رفعت في هذا الشأن منذ التسعينيات، لاسيما بالنسبة للمدرسة الجابرية ببني يزقن¹ والمدارس الحرة بغرداية².

2. رفض الإشراف وحتى المشاركة في التظاهرات الامازيغية التي تقيمها الجمعيات الثقافية مثلما حدث في مدينة بني يزقن سنة 2016 ، عندما رفضت حلقة العزابة المشاركة أو مباركة إحياء حفل رأس السنة الامازيغية

¹ وجعنا رسالة إلى مجلس عزابة آت إزدجن بتاريخ 15 ماي 1996 بعنوان "نداء للتاريخ" ، طالبنا فيها بإدراج اللغة والثقافة المزابية في برامج التدريس بالمعهد الجابري للبنات، وبعد اجتماعنا وكوكبة من الباحثين في اللغة والتراث المزابي والمناضلين مع إدارة المعهد في سبتمبر من نفس السنة، عبّر المدير عن قبوله لهذا المطلب، غير انه أشار إلى أن القرار النهائي يبقى في يد العزابة. ومنذ ذلك التاريخ لم يصدر أي قرار في هذا الشأن من طرف العزابة لا بالقبول ولا بالرفض. انظر نص الرسالة في: *Izmulen, Revue.... op.cit., pp. 35-40.*

² وجه الأستاذ إبراهيم عبد السلام، باحث عصامي ومدرس اللغة المزابية، برسالة في هذا الصدد بتاريخ 28 جوان 2014 / 2964 إلى هيئة ايمصوردان التي تشرف على النظام العرفي بمدينة غرداية تحمل عنوان بعنوان "تيراسي مزي : نه، أستاف ن يلس : وهو" ، مطالبا إياها بإدراج تعليم اللغة المزابية في المدارس الحرة ، دون أن تلقى هذه الرسالة أية استجابة.

yennar المنظم من طرف جمعية izelwan n mزاب ، مثلما رفضت جمعية التثقيف الشعبي التابعة لنفس الحلقة المشاركة في يوم دراسي حول اللغة المزابية سنة 2014.¹ كما لاحظنا مواقف معادية لمهرجان الأغنية المزابية في غرداية في طبعته الثالثة سنة 2011 من طرف بعض رجال الدين المتطرفين، بسبب استعمال الموسيقى وقدموا "الإنشاد الإسلامي" كبديل للأغنية الامازيغية.² وهذا يترجم مواقف هؤلاء المشككة في عملية ترقية الامازيغية بصفة عامة التي يرون فيها "مؤامرة ضد اللغة العربية" كما صرح لنا بعضهم. وفي أحسن الأحوال دعوتهم إلى ترقية اللغة المزابية "في إطار المبادئ والقيم الإسلامية". وهي مواقف تعبر عن ردة فعل على الخطاب المعادي للغة العربية والدين الإسلامي السائد لدى بعض الأوساط النضالية بمنطقة القبائل.

3. عدم تحسيس الطلبة الحاصلين على البكالوريا على التكوين في اللغة الامازيغية في الجامعات، من طرف مجالس الأعيان في برامج التوجيه الجامعي التي تنظمها سنويا بالمدن المزابية.

4. مواقف بعض الأعيان والقادة التقليديين العلنية المعادية لأي ترقية للامازيغية وتركها في وضع "اللهجة المحلية". نذكر على سبيل المثال، قول أحدهم وهو مناضل في حزب FLN الحاكم سنة 1995 بمناسبة تنصيب لجنة الامازيغية التي عرفت بـ "لجنة سيفي" (نسبة الى رئيس الحكومة مقداد سيفي) لحل معضلة إضراب المحافظة بمنطقة القبائل، << اللغة العربية لغتنا و لن نرضى عنها بديلا >> إشارة منه إلى أن دعاة الامازيغية إنما يريدون استبدال العربية بالامازيغية؛ كما صرح الشيخ ع.ب. الذي كان يحتل رئاسة مجلس آمي سعيد الفقهي بمناسبة افتتاح مهرجان الإمام الشيخ بيوض إبراهيم بقاعة ابن زيدون بالجزائر العاصمة في أول جويلية سنة 1996: << إننا نكلم أحد [المحاضرين أو المنشطين على منصة العرض] اللغة المزابية فسأغادر القاعة ! >>؛ بل ذهب هذا الشيخ الى أبعد من ذلك سنة 1998 عندما ألقى دعوة السوء وبراءة الجماعة على من يشتغل بالامازيغية بتصريحه << أن كل من يشتغل بهذا الأمر (الامازيغية) فقد أخذ دعوة السوء مني >> مما أدى بأغلب مدرسي اللغة المزابية بمدينة قراة إلى مغادرة مناصبهم. ومرة أخرى رفض نفس الشخص دعوة وزير الشؤون الدينية له - باعتبار منصبه - لتعيين احد رجال الدين الاباضية لإلقاء الأحاديث الدينية بالتلفزة الوطنية باللغة المزابية حيث تفاجأ الوزير برد قاطع وعنيف من هذا الاخير. وقد أشاد د.عبد الرزاق قسوم رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بهذا الموقف في مقال له قائلا :

¹ (وتوفر على الرفض الكتابي لهاتين الهيئتين.

² (حمو اوجانة، جريدة أخبار اليوم، مهرجان الأغنية الميزابية يشير جدلا كبيرا، الأحد 11 ديسمبر 2011. أنظر:

>> ... ماذا يريد أصحاب الربيع البربري في جزائر التوحيد والوحدة؟ ماذا يريدون وقد أصابوا شعبنا بأكبر نكبة، وأخطر وخذه؟ (...) نحن مع الميزابية عندما تتخذ أداة للإشادة بالعروية والإسلام كحضنين دافئين للهجة الميزابية (...) وهل لنا أن نذكر في هذا المقام، باسم الوفاء، موقف الطيب الذكر والمغفور له بإذن الله الشيخ عدون عندما رد على مبعوث من مسؤول كبير، طلب منه أن يعين له من يقدم الحديث الديني بالميزابية، قائلا له فيما معناه: قل للسيد المسؤول إن الإسلام عندنا هو القداسة بحيث لا يقدم إلا باللغة العربية، أما الميزابية فهي لهجة محلية للتخاطب وقضاء الحاجات اليومية، ولا ترقى إلى مستوى تقديم حديث في مستوى الحديث الديني...>>¹.

ويعبر هذا الخطاب بصدق عن تمثيلات النخبة العروبية الوطنية والمزابية على السواء من اللغة الامازيغية في علاقتها باللغة العربية الفصحى كما سلف ببيانها. وفي لقائنا سنة 2017 بإحدى المناسبات مع احد رجال السياسة (سيناتور الثلث الرئاسي في مجلس الأمة من حزب الارندي، وكان قبلها مديرا لمتوسطة بغرداية انطلقت بها أولى الأقسام التجريبية لتدريس اللغة المزابية سنة 1995)، صرح لنا هذا الأخير بنبرة التحدي والغضب >> نعم ! أنا عرقلت تدريس اللغة المزابية آنذاك(1995)، لأنكم تدرسونها بالفرنسية[الحروف اللاتينية]!<<. وتعتبر هذه الأمثلة - وهي غيض من فيض - عن مدى العدائية التي يلاقيها مسار ترقية الامازيغية بوادي مزاب من طرف بعض الأعيان ورجال السلطة المحليين النافذين الذين يمثلون الدولة، مخالفين في ذلك حتى سياسة السلطات العليا للدولة في هذا المجال.

وخلاصة القول ان اللغة المزابية توجد -حسب تقييمنا- من حيث مؤشر السياسة اللغوية والسلوك المؤسساتي في مرتبة متوسطة تصنف في الدرجة "3"، أي حسب وصف اليونسكو في حالة "التلقي السلبي assimilation passive"، بسبب انعدام سياسة واضحة لترقية الامازيغية -منها المزابية- حتى اليوم، وعدم تجسيد الدولة بصفة فعلية للاعتراف الدستوري والقانوني بها كلغة وطنية ورسمية "بترقيتها بجميع متغيراتها" في الواقع العملي المحلي للغة المزابية وتركيز كل جهود المحافظة السامية للامازيغية على ترقية اللغة القبائلية.

¹ (د. عبد الرزاق قسوم، " الخريف الوطني في الربيع البربري"، جريد الشروق اليومي، 29 افريل 2009، العدد 2597، ص.14.

خاتمة المبحث الثاني:

تمثل العوامل المتعلقة بالناطقين والسياسة اللغوية والمحيط، عناصر حيوية هامة للغة المزابية بالرغم من وضعهم كأقلية ديمغرافية منكشمة. إذ كانت ولا تزال مجموعة العوامل الجغرافية الدينية السياسية الاجتماعية المعقدة المترابكة التي تميز بني مزاب، سببا وضامنا قويا لعملية انتقال اللغة المزابية عبر الأجيال في إطار تقاليد المحافظة على نظامهم الاجتماعي السياسي الديني واللغوي الثقافي، بالرغم من التحولات السياسية الثقافية الاقتصادية العميقة التي عرفها المجتمع الجزائري والمزابي التي تهدد الانتقال الجيلي للغة. وتلعب المرأة المزابية دورا محوريا في هذه العملية بفضل المنظومة التقليدية لتكوينها وتربيتها.

ولم يمنع الوضع السوسيو-لساني والديني للمزابيين كأقلية ديمغرافية أمام الأغلبية السكانية الناطقة بالعربية الداريجة والتي بصدد أن تصبح أغلبية محلية أيضا، من المحافظة على لغتهم. بل كان ذلك عاملا دفعهم لمقاومة قانون التثاقف الذي تفرضه اللغات القوية على اللغات الضعيفة والأقلية، وذلك بواسطة منطق الانكماش على الذات كما جرت عليه الأقليات بمختلف المجتمعات. لكن الانتشار الواسع لبني مزاب بحكم الشبكة التجارية التي يسيرونها، لم يؤدي إلى نشر لغتهم التي بقيت سمة اثنو-لسانية خاصة بهم. وخلافا للغة القبائلية التي استطاعت بفعل هيمنتها الديمغرافية أن تنتشر لدى السكان الناطقين بالعربية بوادي سيباو استجابة لموازين القوى الديمغرافية والاقتصادية، فإن اتجاه موازين القوى الديمغرافية بوادي مزاب جعل اللغة المزابية لغة مقاومة للتثاقف اللغوي الناتج عن هذا الوضع الجديد. على أن الاعتراف الدستوري بالامازيغية ودعمها وترقيتها من طرف الدولة، إضافة إلى استخدام اللغة المزابية من طرف أغلبية الناطقين بها لا يزالان يشكلان معطين ايجابيين لحيوية اللغة المزابية والمحافظة عليها، وتدارك عوامل الضعف فيها السالفة الذكر.

ويمكن حوصلة تقييم العوامل الخمسة لحيوية اللغات، بالنسبة للغة المزابية، في الجدول التالي :

عوامل الحيوية	ترتيبها حسب الأهمية في سلم اليونسكو	تقييمنا لدرجته	توصيف اليونسكو لهذه الدرجة
- انتقال اللغة عبر الأجيال	المرتبة الأولى	5	"لغة آمنة: تتحدث كافة الأجيال اللغة. إن انتقال اللغة عبر الأجيال مستمر ولا ينقطع. تستخدم اللغة كافة الفئات العمرية، بما فيهم الأولاد"
- العدد المطلق للناطقين	المرتبة الثانية	1	مجموعة لغوية صغيرة: إمكانية الاندماج "بسهولة"

مع مجموعة محببة، فتتخلّى عن لغتها وثقافتها".			
" لغة آمنة: الجميع يتكلم اللغة"	5	المرتبة الثالثة	- نسبة عدد الناطقين من إجمالي عدد المجموعة
" يدعم معظم الأفراد عملية صون [المحافظة على] اللغة".	4	المرتبة الثامنة	- مواقف أفراد المجتمع حيال لغتهم الخاصة
"التلقي السلبي: لا تتوفر سياسة صريحة للغات الأقلية، وتسود اللغة السائدة في المجال العام".	3	المرتبة السابعة	- السلوك والسياسات اللغوية الحكومية والمؤسسية

الجدول (9) تقييم اللغة المزابية وفقا للعوامل المتعلقة بالناطقين والسياسة اللغوية والمحيط

ونلاحظ من خلال الجدول التقييمي تمتع اللغة المزابية بأعلى درجة حيوية فيما يتعلق بانتقالها بين الأجيال ونسبة الناطقين بها من بين أفراد المجموعة (الدرجة 5) بمعنى أنها لغة آمنة من حيث استمرار نقلها بين الأجيال واستخدام كامل أفراد المجموعة لها. وهي عوامل هامة توجد في المراتب الأولى لسلم اليونسكو (المرتبة الأولى والثالثة)؛ يليها عامل مواقف أفراد المجموعة من لغتهم الذين نجد أغليبيتهم يساندون وجوب المحافظة على اللغة المزابية وتطويرها (الدرجة 4).

خاتمة الفصل الأول

أهم ما يمكن استخلاصه من دراستنا المستفيضة لمعايير حيوية اللغة المزابية على ضوء المؤشرات التسعة للنظام التقييمي لليونسكو، أن عناصر الضعف في اللغة المزابية تكمن في العوامل المتعلقة بالخصائص الذاتية للغة، بينما تكمن عناصر قوتها في العوامل المتعلقة بالناطقين والسياسة اللغوية والمحيط المؤسسي. مع أن تقييم حيوية اللغات لا يتم إلا بناء على مجمل هذه العوامل والمؤشرات لما يوجد بينها من علاقات ترابط وتداخل وتفاعل مستمرة. ويمكن حوصلة هذا التقييم في الآتي:

ففيما يخص عناصر الحيوية الداخلية المتعلقة بخصائص اللغة المزابية واستخداماتها، نلاحظ ضعفا كبيرا ناتجا عن تخلف اللغة المزابية عن ركب التطور فيما يتعلق بدرجة التدوين والانتقال إلى الكتابة ونوعية التراث اللغوي المزابي المدون (الدرجة 2)، وكذا ضآلة في الأعمال التعليمية والبيداغوجية والقواميس والكتب المدرسية التي تسمح لها بالانتقال إلى التنميط البيداغوجي (الدرجة 2). والسبب الرئيسي لهذه

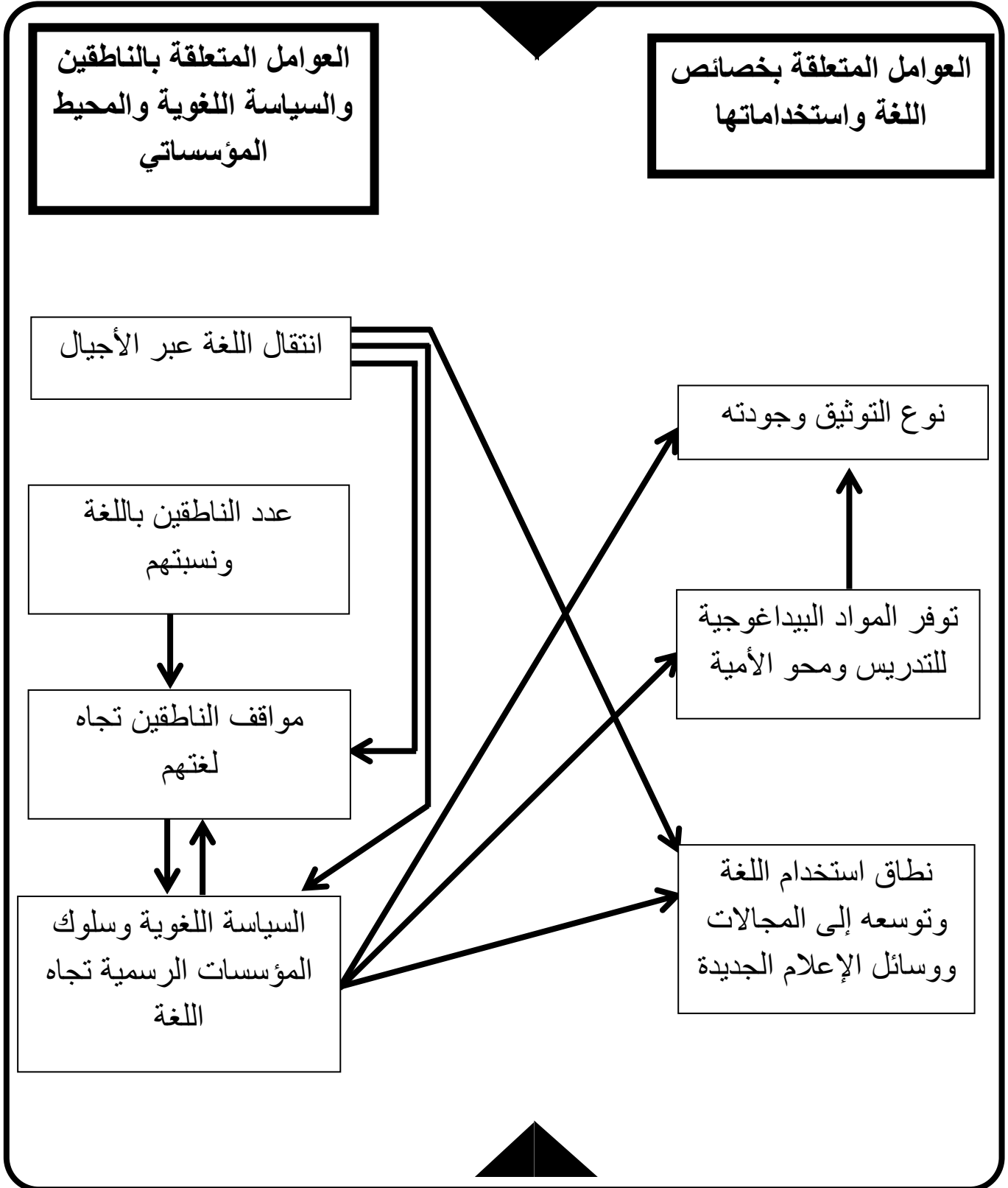
الوضعية هو انعدام تعليم اللغة المزابية وضعف البحث العلمي فيها وتأخره الكبير، وغياب أي برامج لمحو الأمية باللغة المزابية، مما ولد شبه انعدام للمقروئية لدى المزابيين للغتهم مقارنة باللغة العربية، بحيث نلاحظ أن المزابيين لا يزالون يفضلون سماع الشعر المزابي من قراءته بحكم التقاليد الشفوية المترسخة والتمثلات الجمعية حول اللغة المزابية.

ومع ذلك تتمتع اللغة المزابية بمؤشرات قوية تتمثل ليس فقط في استمرار استخدامها الغالب من طرف الناطقين بها كسمة أساسية لهويتهم الاثنو-لسانية، وإنما أيضا في توسع هذا الاستخدام إلى نطاقات جديدة مثل المجال السياسي الإخباري، والمجال الرياضي، والمجال الاقتصادي والثقافي والفني، الخ.

لكن يجب الإشارة الى ان الاعتراف بالطابع الوطني والرسمي لأي لغة لا يكفي البتة لإنقاذها من الموت إذا لم تتوفر العوامل الأخرى السالفة الذكر، حيث يرى البروفيسور عبد الرزاق دوراري بحق أن >> الرسمية تمنع السلطة المركزية وامتداداتها من الاعتداء على اللغة، لكنها لا تعطي أي قدرة إضافية لمنافسة اللغات القوية المستقرة في السوق اللغوي و اعتياد الناس¹ << (ترجمتا)

وفيما يتعلق بالمؤشرات الخاصة بالناطقين نلاحظ تمتع اللغة المزابية بقوة متزايدة فيما يخص استمرار تقليد انتقالها بين الأجيال بالرغم من التهديدات المعاصرة التي تكتنفها، بالإضافة إلى المواقف الايجابية الغالبة للناطقين بها، وانعدام أي مطالبة أو سلوك لغوي يهدف إلى استبدالها بلغة أخرى. وقد تزداد قوة هذه المؤشرات بفضل السياسة اللغوية الجديدة للدولة الجزائرية لصالح ترقية اللغة الامازيغية وإدراجها في منظومات التربية والإعلام والمحيط. مع أننا توصلنا في دراستنا إلى قناعة مفادها وجود ارتباط وثيق وعلاقات تفاعلية وتطور اضطراري بين مجموع المؤشرات، يمكن أن نوضحها من خلال الجدول التالي:

¹) Abderrezak DOURARI, «Le Zénète, une langue en voie de disparition», *El Watan*, 31 mars 2014, [https://www.elwatan.com/edition/actualite/le-zenete-une-langue-en-voie-de-disparition-31-03-2014]



جدول (10) التفاعل والتأثير المتبادل بين عوامل حيوية اللغات

فمن قراءة هذا الشكل البياني الذي انجزناه تتبين لنا العلاقة الجدلية القوية بين مختلف هذه المؤشرات قوة وضعفاً، بحيث لا يمكن بأي حال دراسة كل منها منفصلاً عن الآخر. ونستخلص أن أهم المؤشرات على الإطلاق لحيوية اللغات وحمائيتها من الاندثار وأكثرها فاعلية في رأينا، هي تلك المرتبطة بالناطقين لهذه اللغة، على وجه الخصوص مؤشرات الانتقال بين الأجيال ومجالات الاستخدام. وتأتي في الدرجة الثانية العوامل الخارجية، الناتجة غالباً من السياسة اللغوية للدولة. وبالفعل يتبين من الجدول السابق أن الانتقال الجيلي للغة واستخدامها من طرف كل الفئات العمرية يؤثر بشكل مباشر في مواقف الناطقين من لغتهم، ونطاق استخداماتها، بل وحتى في السياسة اللغوية للدولة وسلوكها تجاه اللغة إذا ارتبط بحركة مطالبة بالاعتراف باللغة وترقيتها. وبالمقابل من ذلك تؤثر الدولة صاحبة السيادة والسلطة الرمزية من خلال سياستها اللغوية وما تتمتع به من أجهزة (الإدارة، والتعليم والقضاء)، بشكل كبير في خصائص اللغة الداخلية كدرجة التدوين والإنتاج البيداغوجي والتدريس، وعلى نطاق استخداماتها وتوسعه إلى المجالات الجديدة.

وفي الأخير يواجهنا تساؤل مهم، هو مدى كفاية حزمة مؤشرات اليونسكو لتقييم حيوية اللغات بصفة عامة واللغة المزابية بصفة خاصة. وبالطبع، لا يكون الجواب عليه في رأينا إلا سلباً، إذ لا تكفي هذه المؤشرات وحدها لتقييم حيوية اللغات كما اشرنا إلى ذلك في الإطار المنهجي، لوجود عوامل لا تقل أهمية أشار إليها الباحثون مثل الدين والعامل السياسي والاقتصادي والتطور التكنولوجي، الخ. ويشكل الأدب والإنتاج الأدبي كوعاء لأي لغة ومظهرها راقياً لها أهم هذه العوامل الذي يدعم اللغة أو يضعفها في تعايشها وصراعها مع اللغات الأخرى. وضمن الأدب يحتل الشعر المكانة الأولى لانتشاره وتطوره وازدهاره بالنسبة للغات الشفوية مثل الامازيغية. والواقع أن تاريخ المجتمعات الامازيغية بشمال إفريقيا، لاسيما بمنطقة القبائل والمناطق الامازيغية الشلحية والريفية بالمغرب، يبين لنا أن الشعر والإنتاج الأدبي الشعري كان ولا يزال العامل المحرك لحيوية اللغة الامازيغية، سمح لها بمقاومة كل عناصر الفناء والهيمنة اللغوية الأجنبية.

بالفعل، ألم تكن قصيدة *a baba n yuba* التي أداها المغني القبائلي إيدير سنة 1973 محركاً لنهضة شعرية وغنائية هائلة بمنطقة القبائل لازالت المحرك الاساسي لجهود المحافظة وترقية الامازيغية؟¹ وألم تنطلق أيضاً الانتفاضة السلمية الثقافية للربيع الامازيغي المرجع التاريخي المفصلي للحركة المطلوبة

¹) Moh CHERBI, Arezki KHOUAS, *Chanson kabyle et Identité berbère, l'œuvre d'Ait Menguellet*, EDIF, paris, 2000, pp. 47 et S.

الامازيغية في الجزائر، بعد منع محاضرة حول الشعر القبائلي القديم سنة 1980، لأن السلطة آنذاك كانت تدرك جيدا أن في إحياء الشعر الامازيغي القديم إحياء للغة الامازيغية باعتبارها-حسبها- " تنافس العربية" التي أرادت لها اللغة الوطنية والرسمية الوحيدة والمهيمنة للشعب الجزائري؟. ولإدراكها أن في الشعر يكمن الرصيد الأدبي الأكثر شعبية لأي لغة، وأن الشعر سمة قوية للانتماء التي تبني هوية الجماعة والأفراد، بل ظل الشعر دوما وسيلة مقاومة للغات المستضعفة في مواجهة اللغات المهيمنة بمختلف الأزمنة والأمكنة في العالم.

وإذا كان الأمر كذلك، فما هو دور الشعر المزابي في حيوية اللغة المزابية؟، وما هي العوامل السوسيو-لسانية التي مكنته من هذا الدور الريادي، وفيما تتمثل مظاهر ازدهاره التي أثرت إيجابا على مركز اللغة المزابية وعلى الوعي الاثنو-لساني للمزابيين؟ وكيف انعكست ترقيته الأسلوبية على اللغة المزابية؟، وكيف تطورت أغراضه واتسعت ميادينه ليعبر عن قضايا المجتمع المزابي ويشكل دعما لغويا وأدبيا للغة المزابية؟.

الفصل الثاني

مساهمة إزلوان- الشعر المزابي

في حيوية اللغة المزابية

إن الشعر أهم وعاء من أوعية اللغة، بل إنه >> هو روح اللّغة، [...] إنه يجدد شباب اللّغة ويزوّدها بتقنيات حديثة للتعبير¹ << وفضل الشعر في تنمية قدرات اللغة التعبيرية لا خلاف فيه، >> لذا كان مادة أساسية لتعليم اللغة، وتنمية الملكة الإبداعية، وتفصيح اللسان>>². وبناء على ما أثبتته العديد من الدراسات حول أهمية الشعر في دعم حيوية اللغات، تؤكد منظمة اليونسكو على أن الشعر كان ولا يزال من العوامل الهامة لبقاء واستمرارية اللغات وانقائها من الاندثار، بل إنها قررت منذ سنة 1999 تأسيس يوم 21 مارس من كل سنة كـ"يوم عالمي للشعر"³.

إن أهمية الشعر بالنسبة للغة تكمن في كونه لغة انحيازية تسمو عن اللغة العادية بفضل جمالياتها وممتعتها ووظيفتها الشعرية⁴، باعتبارها >> إنجازا فنيا>> ينظر إليه في حد ذاته.⁵ فتعطي لها الجاذبية وتؤثر في المستمعين من الناطقين بها، مما يحبيهم اللغة التي نظم بها ويرفع من مكانتها في تمثلاتهم ومخيالهم الجمعي، كما يستدل به الخطباء لإقناع مستمعيهم وإيصال أفكارهم إلى وجدان وعقول المخاطبين. وبالإضافة إلى كونه لغة انحيازية مُنمقة يتذوقها ويستسيغها المستمعون، فتحفظه الذاكرة ويرسخ في أذهان المحبين له؛ فإن الشعر قد يضع له الفنانون اللحن الجميل الذي يتناسب مع موضوعه فرحا كان أو حزنا أو حكمة للتغني به وإطراب المستمعين، فيجمعون بذلك بين حكمة المعاني وجمال التعبير من جهة، وعذوبة الألحان وإيقاعاتها من جهة أخرى، فيتعلق به المستمعون أكثر ويرتبطون عاطفيا باللغة التي صيغت به.

(¹) البروفيسور عاطف حميد عواد، وظيفة الشعر في تكريس منظومة القيم الثقافية، مجلة أطلالة جبيلية، العدد 24-

25، أيلول 2016، لبنان، ص.1، الرابط الإلكتروني:

<http://www.etlalabyblos.com/item.php?item=164&sec=3>

(²) د. فضل الله، وظيفة الشعر عند النقاد العرب القدامى، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور -باكستان، العدد الثامن عشر، 2011 م، ص.169.

(³) انظر قرار منظمة اليونسكو بتاريخ 21 مارس 1999 في دورتها الثلاثين بباريس حول أهمية الشعر لدعم التنوع الثقافي وحماية اللغات المهددة بالاندثار:

www.unesco.org/ar/home/ar-single-view/news/21/

(⁴) د. صفوت علي صالح، محاضرات في علم اللغة، د.ن.، 2014، ص. 31.

(⁵) Jean dubois, Dictionnaire de linguistique..., pp.205,368.

هذه الخصائص الجمالية والوظيفية للشعر هي التي تؤدي بصفة مباشرة الى خدمة اللغة التي نُظِمَّ بها بإعطائها الجاذبية لدى الناطقين بها وتوسيع مجالات التعبير بها وتطوير تقنياته، وترقية مكانتها في الوعي الفردي ثم التمثيل الجمعي للناطقين بتلك اللغة، وفي النهاية الى إعطاء حيوية قوية لتلك اللغة ما يضمن استمراريته وحمايته من الاندثار. حتى إن الفضل في بقاء العديد من اللغات الشفوية إنما يعود إلى ازدهار شعرها وتمكنه من وجدان الناطقين بها وذاكرتهم، ولعل "سوق عكاظ" بالنسبة للغة العربية لأفضل مثال على ذلك. وغالبا ما كان الشعر -في غياب التدوين- مرجعا لغويا وتاريخيا واجتماعيا أساسيا لتلك اللغات حفظها من الاندثار، حتى قيل بالنسبة للغة العربية مثلا "إن الشعر ديوان العرب".

بالإضافة إلى الوظيفة اللغوية والجمالية للشعر -وهي التي تهمننا في مقاربتنا للسانية-، فإن للشعر أيضا منفعة، إذ يقوم بالوظيفتين التعليمية والفلسفية ويشكل إحدى وسائل التغيير الاجتماعي¹. فباعتبار الشعر واقعة لغوية ترتبط بالوضع السوسيو-لساني لأي لغة، فإنه - كما يؤكد اليوت سنة 1956 -يقوم بدور أساسي في بناء الوعي الجمعي، كما يعتبر في الكثير من السياقات >> كشكل محدد للاستخدام اللغوي في المحافظة على الوجود القومي والمحلي في اطر الزمان والمكان المغلفين للوجود الجمعي للأمة ، <<².

وفي هذا المعنى اصبح الشعر المزابي الامازيغي منذ السبعينيات ولا يزال الوسيلة الأساسية لدعم الوعي الاثنو-لساني للمزابيين كجماعة لغوية - مذهبية متميزة، وأداة لسانية فعالة لبعث حيوية اللغة المزابية من جهة، والتعبير عن انشغالات وآلام المجتمع المزابي والأنا الجمعي للمزابيين من جهة أخرى. وذلك في غياب وسائل التوعية والدعم الأخرى مثل الحركة الثقافية المطالبية والجمعيات الامازيغية النضالية ومراكز البحث والتعليم ووسائل الإعلام والأحزاب السياسية كما هو الحال بمنطقة القبائل.

وبالفعل، فقد شكّل الشعر المزابي المعروف في اللغة المزابية بـ *izelwan* بأنواعه المختلفة منذ السبعينيات، المحور الذي تدور حوله حركية بعث التراث واللغة المزابية ودعم الوعي الاثنو-لساني لدى المزابيين، حتى بات القاطرة التي قادت مسار ترقية اللغة المزابية ورفع مكانتها الاجتماعية في سياق

¹ د. دريد يحيى الخواجة، "وظيفة الشعر الجمالية بين قطبي المنفعة والمتعة"، الرافد- مجلة ثقافية جامعة، العدد 157 سبتمبر 2010، دائرة الثقافة والاعلام، حكومة الشارقة، ص 1 وما بعدها.

² عبد العزيز الحيدر، "الوظيفة الاجتماعية للشعر عند أليوت"، موقع الحوار المتمدن-العدد: 9، 3602/1/2012، ص.3. <http://www.ahewar.org/deb>.

سوسيو-لساني يتميز بالازدواجية اللغوية بين: اللغة العربية الفصحى لغة الدين والسلطة الدينية ونخبها المعربة "الطوبلة"، واللغة الامازيغية لغة "العوام" أي العامة من الجاهلين بعلوم الدين ولغته وفقا لتقسيم السلطة في المجتمع الاباضي المزابي. وتشكل تجربة الشاعرين عبد الوهاب حمو فخار وصالح ترشين على وجه الخصوص مثالا لهذه الحركية التي ساهمت في دعم اللغة المزابية إن من حيث مكانتها السوسيو-لسانية أو تطورها اللفظي والموضوعاتي.

ويمكن التمييز بين نوعين من الشعر المزابي -تم تقسيم هذا الفصل على ضوءهما- يختلفان في الميادين والخصائص والسياق التاريخي: الشعر المزابي القديم، والشعر المزابي الحديث. ففي الفترة التي سبقت الأربعينيات من القرن العشرين انحصر الشعر المزابي في مجموعة من الأهازيج التراثية النسوبة المحدودة المواضيع، باعتباره شعرا شعبيا تراثيا بكل ما يحمله هذا الوصف من خصائص ووظائف، مثل طابعها الجمعي والشفوي والشعبي إضافة إلى ارتباطه بالمجتمع النسوي. هذه الخصائص جعلته في مركز الدونية في سياق سادت فيه هيمنة اللغة العربية والشعر العربي الفصيح كلغة مدونة تعبر عن النخبة الدينية "الراقية" الحاكمة في المجتمع والدليل على التفوق في العلم وبالتالي الارتقاء إلى السلطة. ومع ذلك شكل هذا الشعر ذخرا لغويا وثقافيا شعبيا لأغلبية المزابيين قاوم هيمنة اللغة العربية للنخبة، وكان مصدرا لنهضة الشعر المزابي الحديث (المبحث الأول)؛

ومنذ أواسط القرن العشرين بدأ ظهور الشعر المزابي الحديث على يد مجموعة من المثقفين مضاهيا الشعر العربي الفصيح في أغراضه، لكنه مستلهما الأهازيج الامازيغية الشعبية. إذ كانت الأهازيج الشفوية، التي استطاعت على قلتها أن تقاوم الاندثار، اللبنة الأساسية التي ألهمت بعبدها التاريخي الاجتماعي والرمزي رواد الشعر المزابي الحديث بنوعيه المدون والغنائي. هؤلاء جعلوا من الشعر الامازيغي المزابي محور حركية إحياء اللغة المزابية وبرهانها على قدراتها وتفوقها وجمالها وحيويتها، فكان ذلك دعما هاما للوعي الاثنو-لساني للمزابيين بأهمية لغتهم. وساعد على هذا التحول الذي عرفه الشعر واللغة المزابية مجموعة من العوامل السوسيو-تاريخية واللسانية محليا ووطنيا من جهة، والتوسع الكبير للغة الشعرية المزابية لتشمل ميادين عديدة من الانشغالات الحياتية للمجتمع المزابي من جهة أخرى (المبحث الثاني).

المبحث الأول: مدى مساهمة الشعر المزابي القديم في الحفاظ على حيوية اللغة المزابية

يمثل الشعر المزابي القديم واجهة عنصرا أساسيا للرصيد اللغوي الثقافي الأمازيغي عند بني مزاب، بالرغم من موقع الضعف الذي عانى منه في ظل الازدواجية اللغوية التفاصلية أمام الشعر العربي الفصيح الذي يمثل اللغة العربية القوية رمزيا، وكما لغزارة إنتاجها الأدبي والمعرفي بوادي مزاب آنذاك.

ويتمثل الشعر المزابي القديم مجموعة الأهازيج والأشعار التراثية القديمة المتداولة التي تحفظها الذاكرة الجماعية ويجهل مؤلفوها وتم تدوين قسم منها من طرف الكتاب الفرنسيين. وهي في أغلبها أهازيج غنائية تراثية ترتبط بالحنان أمازيغي الإيقاع وتتشابه وتتقارب مع الأهازيج السائدة بمنطقة القبائل، مع وجود بعض الأشعار التي دونها الفرنسيون اندثرت ألحانها لعدم تكرار استعمالها وعدم ارتباطها بعادات اجتماعية. وعليه نرى بدون تردد تصنيف هذا الشعر في فئة "الشعر التقليدي" لتوفره على سمات الشعر التقليدي القبائلي كما ينظر لها الاستاذ محمد جلاوي، من حيث الزمن (القدم) والموضوعات والأغراض، والأدوار والوظائف، والطابع الشفوي.¹ كما يمكن إطلاق وصف "الشعبي" عليه حسب المفهوم السائد في الدراسات اللسانية والأدبية رغم عدم دقة هذا المصطلح²، أو حتى تصنيفه في خانة الفلكلور³ باعتباره من بقايا الثقافة الشعبية القديمة التي تنتقل شفويا، تشكل نوعا من الإبداعات الأدبية الشفوية وعنصرا من التراث الشعبي⁴ للجماعة المزابية.

وأهم المميزات والخصائص التي تميز الشعر المزابي القديم ثلاث هي:

¹ د. محمد جلاوي، تطور الشعر القبائلي وخصائصه، (بين التقليد والحداثة)، الجزء الأول: الشعر التقليدي، المحافظة السامية للأمازيغية، الجزائر، 2009، ص. 40 وما بعدها.

² يرتبط مصطلح "الشعبي" بالشفوية بمعنى الانتقال بالطرق التقليدية الشفوية الجماعية التي تمثل آليات الحفاظ على الذاكرة الجماعية للمجتمع، كما يرتبط بالطبقات الشعبية الدنيا. لكن تعرض هذا المصطلح إلى الانتقاد لما يكتنفه من الغموض والضبابية، إذ أصبح يرتبط أيضا بمصطلح الشهرة والانتشار، فقد تحول مثلا قصيدة معاصرة لشاعر معروف إلى قصيدة "شعبية" بفعل الانتشار الواسع لها في الأوساط الشعبية. انظر هذا المصطلح في :

Jacques DEMOUGIN (S.D.), « populaire », dans *Dictionnaire des littératures françaises et étrangères*, LAROUSSE, paris, 1987, pp. 1239-1240.

³ فوزي العنتيل، الفولكلور ما هو ؟ دراسات في التراث الشعبي، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1965، ص. 35 وما بعدها.

⁴ نفضل التعريف الشائع للتراث أنه >> العناصر الثقافية التي تلقاها جيل عن جيل، أو التي انتقلت من جيل إلى جيل << آخر >>، نفس المرجع السابق، ص. 77.

أولاً: انه شعر شفوي غير مكتوب تتناقله الذاكرة الجماعية عبر الأجيال ولا يعرف تاريخ ظهوره على وجه الدقة، مقارنة بالشعر المدون الذي كتب وصدر في مؤلفات وكتب منشورة ، ويكون محدد التاريخ والمكان.

ثانياً: انه شعر جمعي غير معروف المؤلف، من إبداع الشعب يعبر عن ثقافته ومعتقداته ووجدانه وتاريخه، ومن المحتمل جدا تعرضه إلى تحسينات وتغييرات على مر العصور وحسب الأمكنة؛ بخلاف الشعر الفردي الذي ينتجه شعراء يُعرفون به من خلال أسلوب كل واحد منهم وأفكاره، ويكون ثابتا بفعل التدوين ولا يتعرض للتغيير.

ثالثاً: انه شعر الفئات الشعبية الدنيا من الأميين والغلبة الذين ينقلونه بالذاكرة والتكرار، ويتميز بالعفوية وبساطة الأسلوب والاهتمام بواقع الناس العاديين؛ مقارنة بالشعر المكتوب الذي تنتجه النخبة المتعلمة الارستقراطية الراقية غالبا والذي يهتم بالمترفين ويتميز بالمثالية¹.

غير أن طبيعة بحثنا السوسيو-لساني الذي لا يعتد بالخصائص الادبية للشعر المزابي القديم بقدر ما يهتم بعلاقته بوضع اللغة المزابية في تواجدتها مع اللغة العربية الفصحى، تفرض علينا تساؤلات محورية حول إحدى أهم الخصائص المميزة لهذا الشعر، باعتباره واجهة للغة المزابية، وهو محدودية مواضيعه وانكماش اغراضه وارتباطها أساسا بالمجتمع النسوي وطوقسه الاجتماعية (**المطلب الاول**). كما نتساءل عن سبب اندثار الشعر المزابي القديم وضآلته بالرغم من قيمته اللغوية وأهميته في الحفاظ على الخصوصية السوسيو-لسانية للمزابيين، وعلاقة ذلك بوضعية الازدواجية اللغوية التي تعيشها اللغة المزابية (**المطلب الثاني**). ثم كيف استطاع الشعر المزابي القديم، رغم كل هذه العوائق، ان يبقى لبنة لغوية وذخرا ثقافيا رمزيا ساهم الى حد ما في حيوية اللغة المزابية، وساعد على نهضة الشعر المزابي الحديث (**المطلب الثالث**).

¹ يعود مصطلح الأدب الشعبي إلى الفرنسيين ليون لومونيه و اندريه تيريف الذين جعلوا منه مذهباً ادبياً سنة 1924 عني خاصة بالرواية التي تهتم بنقل الواقع الحياتي للناس العاديين بأسلوب بسيط ، كحركة مناقضة للأدب الذي جعل من الطبقة البورجوازية موضوعه الاساسي. انظر: جبور عبد النور، **المعجم الأدبي**، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، 1949، ص.148.

المطلب الأول : انكماش ميادين الشعر المزابي القديم كانعكاس للمكانة الدونية للغة المزابية

إن ما أثار انتباهنا في الأهازيج المزابية القديمة التي سادت كالشكل الوحيد للتعبير الشعري الامازيغي بوادي مزاب قبل ظهور أولى قصائد الشعر المزابي الحديث في الاربعينيات، هو انحصار مواضيعها في مجالات الحياة النسوية المتعلقة بالاحتفالات والحياة الاسرية والتربوية والغربة والنسيج، بينما كان يغطي الشعر العربي الفصيح ميادين الحياة المعاصرة آنذاك مما أعطى له حيوية ومكانة في التمثيل الجمعي للمجتمع المزابي زادتته القوة الرمزية للغة العربية الفصحى باعتبارها لغة الدين والسلطة والمجتمع الرجالي المتعلم. وبما أن الشعر هو لسان المجتمع فإن عدم مواكبته من حيث الأغراض للتطور الاجتماعي التاريخي والثقافي التي يعرفه المجتمع، وانحصاره في إحياء العادات والطقوس الاجتماعية للمجتمع النسوي يفقده دوره الريادي في تطوير اللغة ودعم حيويتها لدى الناطقين بها.

غير أن القناعة الراسخة لدينا هو أن هذه الأهازيج إنما تمثل بقايا موروث شعري هام كان قد اندثر بفعل عدة عوامل، مع أن بحثنا الحثيث في التقاليد الشفوية والمصادر المكتوبة لم يمكننا من جمع إلا النسر القليل جدا من هذا الشعر. كما لم نعثر على أي أثر لشعراء اللغة المزابية في القرون العشرة التي عرفت فيها الحضارة المزابية منذ بناء أولى المدن في بداية القرن الحادي عشر وهي *tagnint* سنة 1012م. وأغلب الظن لدينا هو وجود شعراء وشاعرات باللغة المزابية في هذه الفترة قياسا بالمجتمعات الامازيغية الأخرى، لكن يبدو أن الطابع الشفوي لشعرهم وطغيان مركز اللغة العربية الفصحى أديا إلى اندثار وضياح أشعارهم. وما يؤيد هذا القول أن قبائل زناتة الاباضية التي ينحدر أغلب المزابيين منها كما تؤكد الخصائص اللسانية للغة المزابية، عرفت إبان الدولة الرستمية بتقاليدها الشعرية، وكان لها على الأقل ثلاث شعراء باللغة الامازيغية لهم دواوين مكتوبة: الشاعر أبا سهل النفوسي، والشاعرة زيديت *zidit* من قبيلة ملوشة، والشاعرة منزو *menzu* من قبيلة مزاتة كما سبق الذكر. والمؤكد ضياع الكثير من الأهازيج والأشعار المزابية القديمة بفعل الشفوية والتحولات التاريخية ومركز الدونية التي كانت تعاني منها اللغة المزابية وآدابها، بينما لم تبق إلا الأهازيج المزابية النسوية القديمة التي ترسخت في الذاكرة الجماعية بفعل دورها الطقسي والاجتماعي، تتعلق باغراض محدودة شملت فقط الحياة النسوية والعائلية بما يدعم فرضية كونها من نظم النساء.

ولبحث ميادين التعبير الشعري المزابي القديم نستعرض نماذج من هذه الأهازيج التي توصلنا إلى جمعها من مصادر مدونة وشفوية،¹ بتصنيفها إلى أربعة ميادين أساسية على التوالي: الأهازيج الاحتفالية وأهازيج النسيج والأهازيج الاجتماعية، وحافظ أغلبها على اللحن الأمازيغي الأصيل (الفرع الأول)، أهازيج العائلة والأولاد وأهازيج الألعاب (الفرع الثاني)، أهازيج النسيج والغربة والغزل (الفرع الثالث).

الفرع الأول: الأهازيج الاحتفالية وأهازيج النسيج والأهازيج الاجتماعية

تعد الأهازيج الاحتفالية أهم الأهازيج المزابية القديمة التي قاومت الاندثار بفضل عنصري التكرار والارتباط بالطقوس الاحتفالية. وبقيت تؤدي دورا ثقافيا هاما دعم وظيفة اللغة المزابية كلغة حية تتفاعل مع الأحداث والعادات الاجتماعية، كما تمثل الشعر المزابي القديم إن من حيث الشكل والمضمون أو الإيقاع الموسيقي الأصيل. وترتبط هذه الأهازيج ببعض العادات الاجتماعية المتداولة لاسيما احتفالات وأفراح الزواج والختان والولادة والعادات الاجتماعية. وتتمثل فيما يلي:

أولا: الأهازيج الاحتفالية وأهازيج النسيج

(أ) الأهازيج الاحتفالية :

1. حفل الزواج: تعتبر أمزوجة *siwed a wi ssawaden* ² "بلغ ايها الذي يبلغ (الاماني)" من

أهم الأهازيج الغنائية التي تؤدي في الاعراس بوادي مزاب حتى اليوم . وتبدأ بالمقطع التالي:

Ssiwed a wi ssawaden

بلغ أيها الذي يبلغ (الأماني)³

Lemni n (flan) yiwed.

لقد وصلت أمنية .. (فلان)

Lemni n mamma-s yiwed.....

أمنية أمه وصلت.....

¹ في ترجمتنا للمقاطع الشعرية المستغلة الى اللغة العربية كامثلة حاولنا اعتماد ترجمة المعاني وتقادي الترجمة الحرفية. أما ما يتعلق بالشعر المزابي الحديث فقد اعتمدنا على الترجمة التي قام بها الشاعران لأشعارهم، مع التصرف فيها، إذا رأينا ذلك لضرورة أداء المعنى.

²) Jean Marie DALLET, «Læers », in *Fond et Documentation Berbère*, n° 10, Fort National, février, 1947, p.307.

³ المقصود به الله عز وجل.

2. حفل الختان: تعد أزوجه *KRED AMZUR*¹ "امشطى خصلة الشعر (الطفل)" التي بقيت إلى

اليوم مصدر وحي للعديد من الفنانين، من أجمل الأهازيج المزابية القديمة في معانيها وأعمقها من حيث اللحن. إذ هي أقرب إلى صنف "إشويقن" بمنطقة القبائل. وتؤدي هذه الأزوجة في طقس نسوي خاص ينظم بعد عملية ختان الطفل.

ويقول المقطع الاول للأزوجة:

A memm-i, a yur, a tifawt n yidan

يا ابني ، أيها القمر ، يا إشراقه في الظلمات !

Rebb ad ac-yeğğ d talwit n yimuḍan

جعلك الله فرجا للمرضى!

*A midden init mēaya : Rebbi ad ismell
ussan.*

أيها الناس (الحاضرون) قولوا معي: اللهم اجعل

الأيام بيضاء!

ولازالت هاتان الأزوجتان في مضمونهما ولحنهما شائعتان في الأوساط الشعبية لما تمثلهما من تراث قديم يعبر عنه باللغة المزابية *akbur* "القديم جدا"، يحن إليه كل مزابي معتز بهويته الاثنو-لسانية كإحساس ورغبة للعودة إلى الأصالة من خلال التراث الشعري الامازيغي. ولاشك أن سر بقاء هاتين الأزوجتين يعود إلى دورهما الوظيفي في إحياء التقاليد الشعبية، حيث تخلد الأزوجة الأولى طريقة الاحتفال بالعرس منذ القديم، بينما تخلد الأزوجة الثانية إحدى التقاليد النسوية العريقة، حتى أنه يمكن معه القول أن حفل الختان التقليدي ما كان ليبقى ويُحافظ عليه لولا هذه الأزوجة الشعبية المرتبطة به التي ذاعت شهرتها في الأوساط الشعبية.

ومن جهة أخرى تمثل هاتين الأزوجتين من الناحية الموسيقية والفنية اللحن المزابي المميز الذي يعبر عن الطبع الموسيقي المزابي الأصيل أو "الهوية الموسيقية المزابية" المرتبطة بالانتماء اللغوي والثقافي الامازيغي والذي يميزه عن الطبوع الموسيقية للمناطق الامازيغية الاخرى، مما شكل مصدر إلهام للعديد من المغنيين والفرق الإنشادية بوادي مزاب منذ التسعينيات. ولذلك عمد العديد من المغنيين المعاصرين إلى أدائها بلحنها المزابي الأصيل في شكل موسيقي مثل عادل مزاب سنة 1990 وفرقة

⁽¹⁾ أزوجة شعبية معروفة تناقلتها الأجيال دون تغيير فيها.

أوتشيدان سنة 1993 والفرق الانشادية المزابية العديدة التي تنشط الأعراس بوادي مزاب حتى اليوم فأعادوا أدائهما الغنائي.

(ب) أهازيج النسيج:

كانت المرأة المزابية تقضي اغلب يومها في صناعة الزرابي المعقدة الرسوم والأشكال والألوان وكأنها ترسم بأناملها لوحات فنية بديعة تعبر من خلالها عما يختلج قلبها من شجون وأمنيات ورسائل، وفي الوقت نفسه كانت تبذل ألحانا وأشعارا أمازيغية أصيلة تتغنى بها للتعبير عن همومها وآمالها. لذلك نجد قسما معتبرا من الشعر المزابي النسوي القديم هو أهازيج كانت ترددها المرأة وهي تعمل في المنسج التقليدي. فالمنسج التقليدي *azetta* هو أساس كل منزل عامر ودليل على وجود امرأة صالحة عاملة فيه تنتج إلى جانب الرجل ولا تضع أوقاتها في الفراغ. إذ كان يوجد تقسيم واضح لمجال كل من الرجل والمرأة ووظيفتهما في المجتمع، فمجال الرجل الفلاحة والتجارة، ومجال المرأة إدارة شؤون البيت والنسيج لإنتاج الزرابي ومختلف الملابس، بحيث كان الاقتصاد المزابي يقوم على ثروتين: إنتاج النخيل، وإنتاج الزرابي، طبقا للمثل المزابي الشهير :

Aylan yebna yef sennet tersal : tirselt n tirest, d terselt n u azetta

"حضارة مزاب قامت على ركيزتين: ركيزة البئر (الفلاحة)، وركيزة المنسج (إنتاج الزرابي)"

وعليه فليس من الغرابة أن أحيط المنسج *azetta* بهالة من التقديس والتشخيص، وأصبح وكأنه عضو في العائلة تحدته المرأة بمكنوناتها- كما سنرى عند استعراض أهازيج الغربة-. وكان تركيب المنسج وصناعة الزربية وتقطيعها مشروعا جماعيا يتم بالتعاون بين نساء العائلة الواسعة ونساء الحي . ولأهمية المنسج باعتباره رأسمال العائلة فقد أنتجت حوله عدة أشعار لاستجلاب الفأل بنجاحه ولإبعاد عين الحساد عنه بالابتهالات وذكر كلمة الله تعالى ورسوله الكريم عليه في كل مرحلة من مراحل انجازه، هذه بعض منها:¹

1. ما يقال عند إعداد المنسج:

¹ (وردت اغلب الاهازيج النسوية التي تقال عند صناعة النسيج والزرابي المزابية في المؤلف القيم للاب دولور : Madleine ALAIN, Jean DELHEUR, « Le travail de la laine à Ghardaia », op.cit., pp.9 et S.

- ما يغنى قبل تمشيط الصوف:¹ بعد غسل وتجفيف الصوف، تأخذ المرأة عصا صغيرة وتضرب بها الصوف وتتغنى أهازيج تقائلية طلبا أن يكون فيها بركة :

<i>Zzka w lbaraka</i>	الزكاة والبركة
<i>W am-rgben ad yekneε,</i>	من يراك فإنه يمتلئ قناعة
<i>W am-irɗen ad yehma,</i>	من يلبسك يدفأ
<i>W am-xedmen ad yay arrazen,</i>	من يصنعك يتلقى الحسنات
<i>A dɗuft n Rebbi !</i>	يا صوف الله

- ما يغنى عند عملية **assiseɣ** "تليين الصوف ونزع الشوائب منه":²

<i>Lukan , a Rebbi ul nexliq,</i>	لو لم تُخلق يا إلهي
<i>Lukan , a Rebbi ul nellul,</i>	لو لم نولد يا إلهي
<i>Ddunnit-u an ufejjaj i yirɗen s wustu,</i>	هذه الدنيا مثل نزع المنسج الذي يلبس الصوف
<i>Yireɗ wu, yereεa wu,</i>	يلبس شخصا، ويعري آخر
<i>Laxert-nsen wessren ay snin</i>	كلاهما يصبح شيئا في آخر أيامهما

2. ما يقال عند نسج الزربية³: عند بدء نسج زربية العروس المسماة **tnacra** (نوع من الزرابي المزابي وهو طويل ذا رسومات بسيطة) ، أهمية كبيرة لأنها تفرش بها غرفة الزوجية ومنها تعتبر رمز الحياة الزوجية. وعليه فعند بداية نسج هذه الزربية يؤتى بامرأة "مزهورة" أي ذات نجاح وحظ في الحياة تبركا بها، فتضع بيدها الخيط الأول الذي يدهن بالزيت والجبس والبسباس والحنى، وهي تغني :

<i>Ha lkamla n teyziwin ! ha lkamla wa ddellala !</i>	أيتها الفتاة الكاملة (الأوصاف)
<i>Yeğğ-am baba-nnem tnacra n uziza d</i>	جعلك أبوك "تناشرا" الزرقاء والخضراء

¹ نفس المرجع، ص.13.

² نفس المرجع، ص.29.

³ نفس المرجع، ص.47.

udal.

Yeğğ-am baba-nnem leeli leali jar
ikumařen.

Ha yeğğ-am leeli-nnes s lehnabel d
yiktifen.

جعلك أبوك في الغرفة الأعلى بين الأفواس

جعلك في الغرفة العليا مع زرابي "لحنابل"

و"اكتيفن"

Ha yessu-yam tiħşirin, ha yeccel-am timnirin.

وفرش لك الأفرشة وأشعل لك القناديل

Ha cceyca n tziwin, ha mmwa Lalla w Lalla ! أيتها المشهورة بين الفتيات، يا أم، يا سيدة وحقا سيدة !

3. ما يقال عند الانتهاء من الزربية: عندما تصل الزربية الى خيط الصوف الأخير، تقوم المرأة برفع tacca "أداة النسج" والضرب الخفيف على tijebbadin "الحبال الأربعة التي تربط الزربية بأعمدة المنسج" وتتغني:¹

Azal-č, ay azeṭṭa-kw, d azal n tiyya

قيمتك، يا منسجي، كقيمة الأمة

Azal-č, ay azeṭṭa-kw, d azal n teslet

قيمتك، يا منسجي، كقيمة العريس

Lħerm-č ay azeṭṭa-kw d lħerm n teslet.

حرمتك، يا منسجي، كحرمة العريس

Lħerm-č ay azeṭṭa-kw d lħerm n wezyar
uyerm.

حرمتك، يا منسجي، كحرمة خارج سور

المدينة (كحرمة المدينة المزابية)

ثانيا: الهازيج الاجتماعية

(أ) أهازيج الفأل بالأولاد والاعتداد بهم

توجد اهازيج نسوية جميلة تعبر عن مشاعر الامومة السامية، بعضها يحمل مشاعر الفأل بالمستقبل تغنى للمرأة العاقر لتجاوز واقعها الاجتماعي الأليم، وأخرى في الاعتداد بالأولاد والفخر بهم ، هذه امثلة منها:

1. أهزوجة الأم التي ترغب في الذرية: لم نعرف على وجه التحديد السياق الاجتماعي الذي

تغنى فيه هذه الأزوجة الجميلة المعبرة عن محبة الأمومة لفلذة كبدها، نظرا لعدم ارتباطها بطقس اجتماعي خاص. فقد يكون في هذه الأزوجة تغني الأم حول مناقب ابنها العزيز عليها والافتخار به أمام

¹ (نفس المرجع، ص.31.

قريناتها، كما يحتمل أن تكون قد قيلت هذه الأزوجة من طرف امرأة ترغب في الذرية وتتخيل أن لديها ابن بهذه الأوصاف الكاملة، حسبما دونتها الكاتبة قوانشون من جملة ما دونت من الأشعار والأهازيج النسوية القديمة التي لم تبق في التداول إلا قليلا. ومما تقول:¹

<i>Lliy imaru tmanniy, tellebey Rebbi</i>	إنني الآن أتمنى، واطلب الله
<i>Tmanniy di leɛraf d nnewwaɣ azegway</i>	اجعل الفأل في فروع الورود الحمراء
<i>Mi yejmed ɛeɛf-ikw, ad as-ḥemdey i baba-kw</i>	فإن ضاع فرعي، استدعي أبي
<i>Iwtta-d aylad-u</i>	أقبل (ابني) في هذا الشارع
<i>Zuj lebranes lektaf-s</i>	(يرتدي) برونسين على كتفه
<i>Xems qsur itlaga-yas</i>	يستقبله (سكان) الخمسة مدن (المزابية)
<i>Memmi-i, taxelluft-ikw n deffer</i>	ابني، هو ظفيري
<i>Memmi-ikw d adella-ikw dani n wurey</i>	ابني، هو إنائي الذي أضع فيه الذهب
<i>Wi cethan timeɛdar</i>	هو من تشتهي النساء الحوامل
<i>ismeɛday bekri</i>	كالفاكهة الأولى التي نتذوقها
<i>iwammas n uziwa</i>	كالتمر التي نقطفها من وسط العرجون

2. أزوجة الفأل التي تغني للمرأة العاقر: كانت المرأة المزابية ولا تزال تلجأ إلى مختلف

الأساليب لاستجلاب الفأل وتجاوز محنتها في عدم الزواج أو العقم . وأهم ما عرف في هذا الصدد تنظيم حفل خاص على شرف المرأة العاقر، أين يتم ترديد أزوجة *ay anuji* " أيها الضيف"،² وفيها تعبير الرجاء والفأل بمولود قادم وترحيب به ، وتمنيات له بالمستقبل المشرق السعيد. هذه الأزوجة التي تخلق إحدى العادات النسوية العريقة، تصور لنا الحياة الاجتماعية المزابية القديمة، كما تحمل لحنا مزابيا أصيلا ومميزا، مما جعل المغني عادل مزاب ينتجها في شكل موسيقي سنة 1990 بأن أضاف لها مقاطع جديدة

¹) A.M.GOINCHON, *La vie feminine au M'Zab, Etude de sociologie musulmane*, Appendice X, pp. 288,289.

²) أزوجة معروفة ومشتهرة في الأوساط الشعبية.

من الشعر الغنائي فيها مدح وثناء للمولود الجديد، حتى أصبحت وكأنها أغنية على شرف المرأة النفساء، فيها ترحيب بالمولود الجديد وتمنيات له بحياة ناجحة في المستقبل القريب والبعيد. فألقت رواجاً شعبياً واسعاً في التسعينيات. هذا مقطع منها :

Ayanuji A yuc Rebbi, s ay ad ay-lal أيها الضيف، يا الله ربي، عندما يولد لي (ولد)
taɾu memm-is d ambarec d amimun يولد لها ولدا مبارك وميمون

a wi teẓden imendi s ay ad ay-lal أيها الذي يرحي القمح، عندما يولد لي (ولد)
taɾu memm-is d ambarec d aεezzab يولد لها ولدا مبارك وعزّاب (رجل دين الاباضي)

a wi teẓden lwizat s ay ad ay-lal أيها الذي يرحي قطع الذهب (لويس 14)، عندما
يولد لي (ولد)
taɾu memm-is d ambarec d amimun يولد لها ولدا مبارك وميمون

3. الاعتداد بالأولاد والدعوة لهم بالحفظ من كل سوء: تنقل لنا قوانشون أهزوجتين ،

بلسان أمّ تمدح أولادها، وترد على الألسنة السيئة للحاسدين التي تتعرض لهم بالسوء والمعايرة :

الأولى: وهي الأهزوجة المعروفة في الأوساط الشعبية بـ *nnan-i midden* " قال لي الناس"، وفيها ترد إحدى الأمهات على الحاسدين والمتشفين الذين يعايرونها في ولدها وفي خلقته، بشكل يؤكد حبها لفلة كبدتها وتقبلها له مهما كان شكله وفصله حمداً لله على رزقه . غير أن هذا الاعتقاد الشائع حول غرض الأهزوجة قد يكون خاطئاً ومردد الرقابة الدينية والأخلاقية على شعر الغزل وحظره، وقد يكون هذا التفسير ظهر في وقت متأخر لإخفاء الموضوع الحقيقي للأهزوجة ، نتيجة حظر رجال الدين لشعر الغزل في المجتمع المزابي. واغلب الظن أن هذه الأهزوجة تدخل في مجال الغزل، وإن الأمر يتعلق في الحقيقة بفتاة ترد على الحاسدين والمعايرين لها في خطيبها المحبوب بمدح صفاته الخلقية

والتأكيد على حبها له وتقبلها له مهما كانت صفاته الخلقية ما دام على حسن الخلق. ومما تقول
الأهزوجة: ¹ (يقرأ من اليسار إلى اليمين)

Nnan-i d amellal

قالوا لي: انه ابيض

Nniy-as : d bab n lmal

قلت لهم: انه صاحب ثروة

Nnan-i d abercan

قالوا لي: انه اسود

Nniy-as : d bab n wencan

قلت لهم: انه صاحب مكانة

Nnan-i d agezzul

قالوا لي: انه قصير القامة

Nniy-as : i berrem leqful

قلت لهم: يفتح الأبواب

Nnan-i d azeğraṛ

قالوا لي: انه طويل القامة

Nniy-as : yetwaṭṭa lerkab

قلت لهم: ينزل من البهائم

Nnan-i d acetṭar

قالوا لي: انه بدين

Nniy-as : ad as-yuc sṣeḥhet

قلت لهم: فليهب له الله الصحة

Nnan-i d azeggway

قالوا لي: انه احمر

Nniy-as : ulwerd isefteḥ

قلت لهم: انه الورد المتفتح

Nnan-i isyada

قالوا لي: انه يصمت

Nniy-as : itxemm d ṛray (.....)

قلت لهم: انه صاحب تفكير وراي

الثانية: وهي الأهزوجة المعروفة بـ *lalla nasra* "السيدة المحظوظة". وفي هذه الأهزوجة الطويلة تغدق الأم على ابنتها العزيزة بالإطراء والمدح، وتتمناها بنتا راقية ذات حسب ونسب، تتوفر على كل الصفات الحميدة والحسن والجمال الجذاب، الخ حتى راح يتزاحم عليها الخطاب للزواج بها، فتشترط مهرا غاليا لها. وتغنى هذه الأهزوجة التفائلية في القديم من طرف الأمهات عند هدهدة الطفلة لتنام في الليل. ومما جاء فيها: ²

Necci d Lalla Nasra

أنا السيدة ناصرة!

¹) A.M.GOINCHON, *La vie feminine au M'Zab*, Appendice XII, pp.294, 295.

²) *Idem*, Appendice XIII, pp. 296 à 302.

<i>Wi qeşden Lalla Naşra</i>	من يقصد السيدة ناصرة (الخطوبة)
<i>Icawer mamma-s taddart</i>	فليشاور أمه في البيت
<i>Icawer baba-s tazzirt</i>	ثم يشاور أبوه في الجماعة
<i>Yawi-d aæbbun n lwiz</i>	ثم يأتي بحمل من أقراط الذهب (من فئة لويس 14)
<i>şiwed a Rebbi şiwed,</i>	بلغ ياربي بلغ!
<i>Ad tawed Lalla Naşra</i>	فلتبلى السيدة ناصرة
<i>Ad teqqim jar ikumař</i>	فلتجلس في اكومار (موقع جلوس العروس)
<i>D tnast-s axemmal-s</i>	ومفتاحها في حجرها
<i>Lalla laeziza d tmutit yenkel baba-s tajemmi</i>	سيدتي العزيزة ! هي نخلة غرسها أبوها في الواحة
<i>Lalla laeziza, yuc-am Rebbi issebha-yam.....</i>	سيدتي العزيزة ! اعطى لك الله (نعمه) وجعلك جميلة....

(ب) الهازيج العائلية:

1. الملاسنة بين الزوجة وحماتها¹ : تتقل هذه الأزوجة ملاسنة بين حماة وزوجة ابنها كصورة

من صور المناظرات الشعرية التي كانت تتم بين النساء في القديم. فعندما كانت الحماة تنسج في النسيج طوال اليوم ثقل عليها العمل وتعبت، لأن زوجة ابنها لا تعرف أن تنسج وضيعت يوما كاملا من دون أن تستطيع إكمال العمل، فوبختها قائلة:

<i>Tineşrifin n tyuyal, ney tecmid, a taderyalt !</i>	إنها خطوط (المنسج) مغلوطه لمن لا يعرف، أم انك عمياء !
<i>ybecca yeşbeh, jař tzilla iwđent.</i>	أصبح الصباح، ووصل بنا الظهر
<i>Ha dex ad awđent tagwzin.</i>	وسيجل بنا العصر
<i>Wel nenniđ, wel nesbunned.</i>	ونحن لم تلف جذع المنسج (لم ننجز شيئا) !

¹)Alaine MADLEIN., Le travail de la laine à Ghardaïa, p.43.

لكن ما لبثت زوجة الابن أن انتفضت أمام هذا التوبيخ وخرجت مكامن صدرها، وردت عليها شاكية
متذمرة من بخلها وقسوة معاملتها لها:

(نعم) لم نلف جذع المنسج (ولم ننجز شيئا)
(لكن) لم نتلق عوضا عن الغذاء شيئا
ولم نتناول الغذاء
الله يا ربي!
ضاق قلبي يا لهولي!
Wel nenniḍ, wel nesbunned
Wel nuyi d ayejjar s cṛa
Wel necci d ayejjar - nney
Llah, ya Rebbi !
lḍaq wul-inu, maggwani !

2. عشرة أخوات الزوج والريبب : يصف لنا مقطع أزوجة قديمة احتقار إحدى الزوجات لأخوات
الزوج بسبب انتقاداتهن المتكررة لأعمالها وشكوائهن من كل ما تحضر من غذاء وعشاء. حيث تقول في
هجائهن مشبهة لهن بالقطط المذلولة اللائي لا يرضين بما يقدم لهن من مأكولات:

أخوات الزوج كالقطة
حين اعدنا جفنة الكسكس الرافي، (اشتكين) لماذا؟
حين اعدنا الكسكس المتواضع (اشتكين) لماذا؟
الحكمة منعدمة، منعدمة!
Tilewsin an tmuccin
Nemmud tazuda mimi?
Nemmud aḥebbi mimi?
Tamella laci laci !

وفي مقطع من أزوجة أخرى¹ نجد ذم وهجاء للريبب بأوصاف الاحتقار والتحذير منه²، لكونه
عديم الفائدة ولا يجب الاعتماد عليه. ويشهد هذا المقطع على الصراع الذي يقع غالبا بين امرأة الأب أو
زوج الأم من جهة، والابن أو البنت الريبية من جهة أخرى. هؤلاء تكون لهم غالبا علاقات متوترة مع
الولي الجديد وأبنائه. ويبدو أن الأمر يتعلق بإحدى الأمهات التي تهجو ربيبها لها، حيث تقول :

الريبب يرى حتى في أولاده
الريبب كالعرجون الخاوي
الريبب مثل بقايا الصوف
Aṛbib rban-as ula i taṛwa-s
Aṛbib d acemrux n uziwa
D taymert n tmira

¹) A.M.GOINCHON, *La vie feminine au M'Zab*, Appendice XVII - 309

²) أخطأت الكاتبة في ترجمة معنى المقطع حيث ترى في هذا المقطع ذم للزواج من الفتيات المتبنيات. والواقع أن الضمير
في المقطع للمذكر وليس للمؤنث.

Dinjan ayellus

الريب مثل بقايا التمر في قاع الخابية

3. أهازيج الألعاب: يتضمن الشعر المزابي القديم العديد من الأهازيج المرتبطة بالألعاب التي تمارسها الفتيات والنسوة والأطفال، بحيث تؤدي هذه الأهازيج كجزء من هذه الألعاب. ونستعرض هنا بعضها مما استطعنا جمعه من مختلف المصادر الشفوية والمكتوبة، بالتميز بين أهازيج النساء وأهازيج الأطفال:

- ألعاب النساء:¹ تعتبر أهزوجة *Lalla hebbik n tuffa* " سيدتي - كلمة غير مفهومة -

سعة النخل " من أشهر أهازيج الألعاب النسوية. وتؤدي في لعبة جمع سعة النخل من طرف الفتيات. والملاحظ وجود بعض الاختلاف في هذه الأهزوجة من مدينة مزابية إلى أخرى، لاسيما بين النص السائد في مدينة بني يزقن والنص السائد بمدينة غرداية.² ونضع المقاطع الموجودة في النص المتداول بغرداية بين قوسين.

ففي هذه اللعبة-الأهزوجة يخرج جمع كبير من فتيات الحي لتحضير طبق جماعي من الكسكس صدقة لكل العابرين والحاضرين. ولإيقاد النار لابد من سعة النخل، فيخرجن في جولة في المدينة ويدقن باب كل دار طلبا لسعة النخل، منشادات إنشادا جماعيا لهذه الأهزوجة التي فيها من الدعابة والمرح ما يجعلها احتفالا طفوليا. فإذا ألقى أهل الدار عليهم سعة من النخل شكرته ودعون له، وإلا هجينه على شحه. وعندما يجمعن ما يلزم من الأغصان والسعة يُقمن الوليمة ويوزعن ما طبخن على الجميع. حيث تنشد الفتيات عند دق باب أي دار طلبا للمعونة:

Lalla hebbik n tuffa

الله (كلمة غير معروفة المعنى) سعة النخل

Azetta-nwem, abinaya

منسجكم الصوفي ، يا أبينا

Tyawsa-nwem, abinaya

أمركم، يا أبينا

Tzallit-nwem, abinaya

صلاتكم، يا أبينا

¹ A.M.GOINCHON, op.cit., appendice VI, pp. 379,380.

² النص السائد في مدينة بني يزقن هو الذي جمعناه، بينما النص السائد بمدينة غرداية هو الذي جمعه ونقله الاستاذ الباحث علواني مصطفى.

Tarwa-nwem, abinaya

أولادكم، يا أبينا

Yerz baba eeffu

انكسر (بابا عفو كلمة غير معروفة المعنى)

Ad işleḥ Rebbi tameṭṭut-nwem.

فليصلح الله إمرأتكم، يا أبينا

Abinaynec,

tarumt adefli

فليكن لكم ولدا

Teğgem-as isem n Baba ṣaleḥ

تسمونه بابا صالح

lead d bab n teddart tameqrant.

سيصبح صاحب بيت/عائلة كبيرة

Rezem-as a baba-nney tiwira n ljenet

افتح له يا ربنا ابواب الجنة

Batta ad ayen-tucem init-aney !

إن أردتم إعطائنا (سعف النخيل) بلغونا !

Batta ul yen-tticcem init-aney

وان لم تريدوا بلغونا !

had ddar lxiṛ, فإذا ألقى أصحاب البيت سعة أو سعف النخيل للفتيات شكره بالإنشاد:

lxiṛ ! "هذه الدار للخير للخير"؛ أما إذا لم يعطوا لهم السعف هجينه بالإنشاد: had ddar cceṛ !

cceṛ ! "هذه الدار للشر للشر".

- ألعاب الأطفال:

أ- اهزوجة ابيانو الطفولية بعاشوراء: يحتفل المزابيون في عاشوراء بجملة من الطقوس.

فبالإضافة إلى العادات التي يحييها الكبار، فإن أهم ما يتميز به هذا العيد الإسلامي هو عادة *abyannu* "ابيانو"، وتتمثل في استدعاء أطفال الحي من طرف كل عائلة ليصعدون إلى الطابق الأول في المنزل المزابي المسمى *ammas n nnej* "وسط الطابق الأول"، ثم تعطى لهم كميات من خليط الفول السوداني والحلوى والتين واليابس والتمر، فيلقونها جماعيا من فتحة السطح الكبيرة في وسط الدار وهم يرددون اهزوجة *abyannu*، ثم ينزلون إلى وسط الدار ويجمعون هذا الخليط وتعطى لهم أكياس منه ليحملونها إلى ديارهم. وتحرص كل عائلة على إحياء هذا الطقس في منزلها خلال أيام عاشوراء (عاشوراء والسبعة أيام التي تسبقها) تبركا بهذا اليوم. والملاحظ أنه لا يوجد معنى واضح متفق عليه لكلمات هذه الأهزوجة. ويبدو أن لها دلالات دينية تتعلق ببدء الخليقة، إذ حسب الأسطورة السائدة فإنه مع رسو سفينة سيدنا نوح على الأرض بعد الفيضان العظيم الذي شهدته الأرض، قام الناجون في السفينة بجمع كل ما تبقى من البذور والمؤونة والقوه من أعلى السفينة على الأرض

مرددين "أبينا نوح"، لتنبث من هذه البذور حياة جديدة على الأرض. وتفسر هذه الأسطورة كلمة *abyannu* بـ"أبينا نوح"، غير أن الأمر قد يتعلق بعادة ضاربة في القدم. وتقول هذه الأزوجة القصيرة جدا ذات الثلاث مقاطع :

Abya hannu nnu, آبيا نو
Lalla nnu (عبارة غير معروفة المعنى)
Sadaqa llahu wa tella. صدق الله وتعالى

أما في مدينة غرداية فيحتفل بها بطريقة أخرى حيث يجمع الأطفال أشواك النخل ويقصدون المنازل وهم يرددون هذه الأزوجة طلبا للقول الذي يتم غليه في كل دار بهذه المناسبة، فيشدون القول الذي يوزع عليهم في تلك الأشواك. وتختلف كلمات الأزوجة في غرداية حيث تقول:¹

Abyannu, abyannu آبيا نو
hemaldik uc-aney أعطونا من فضلكم
Tininnu, tininnu (tadriwin) هذه، هذه (أشواك النخلة)
Sadaqa llahu el εađim. صدق الله العظيم

ب-أزوجة هدهدة الطفل للنوم²: تغنى أزوجة *rara ririyya* للأطفال الصغار عند هدهدتهم لجلب النوم. وهي خليط من المزابية والدارجة. وتقول³ :

Rara ririyya ريري ريريا
U lmeεza hwiriya والمعزة الحمراء
Mlagiy iđes aylad إلتقيت النوم في الطريق
Nniy-as mani tezwid قلت له: إلى أين أنت ذاهب؟

¹ حسب الاستاذ مصطفى علواني ، باحث في التراث المزابي.

² نفس المرجع السابق.

³ استوحى عدة شعراء معاصرين هذه الأزوجة فوضعوا قصائد في نفس المعنى لتصوير حالة الركود والنوم التي يعيش فيها المجتمع المزابي. ومن جملة هؤلاء نذكر الشاعر صالح ترشين و مصطفى علواني ومحمد بوسعدة.

Yann-yi lliy zwiṯ

قال لي: إنني ذاهب..

Ad as-sekley εina-s / tiṭṭawin-s i flan.

لأغمض عين (فلان)

ج- لعبة ssa ya busisi "من هنا يا عصفور بوسيسي"¹ وهي لعبة تتم بالأيدي بين

شخصين وينشد فيها هذه الهازجة التي تتضمن لغة مشفرة بخليط من كلمات مزابية ودارجة بعبارات غير مفهومة، هذا مقطعها الأول:

Ssa ya busisi

من هنا يا بوسيسي (نوع من العصافير)

Wa ḥjeṛ, wa tmeṛ

الحجر والتمر.....

الفرع الثاني: أهازيج الغربية والغزل

أولا: أهازيج الغربية

بقيت عدة أهازيج نسوية تراثية مزابية حول الغربية في التداول في الأوساط النسوية، وكان لها الأثر في إلهام عدة شعراء محدثين للكتابة في هذا الموضوع الذي يلزم المجتمع المزابي المتميز بأنه مجتمع تجاري يغترب اغلب أفرادها من اجل التجارة حتى اليوم. ذلك أن قساوة الغربية على الرجل والمرأة على السواء ألهمت النساء أشعار في غاية الجمال والعمق الدلالي والفلسفي. فعند اغتراب الزوج لمدة طويلة في مدن الشمال كانت الزوجة المزابية تقضي معظم وقتها في نسج الزرابي، فبينما هي تقطع خيوط الصوف، كانت تقطع الأشعار والكلمات للتعبير عما يختلج صدرها من معاناة وآلام. وكانت تبدع شعرا مع إبداع أناملها في صياغة الزرابي وتتغني بهذه الأهازيج للتخفيف من معاناتها من غربة زوجها.

وأهم عمل دون بعض الأهازيج والأشعار النسوية المتعلقة بالغربة هو الذي أنجزه الاب جون دولور السالف الذكر حول شعر النسيج، لذلك فقد سماها المؤلف باهازيج المُنسِجات *chants de tisseuses* مع أنها تتعلق بالغربة. وبالإضافة إلى ذلك فقد دوت الباحثة قواشون بعض الأشعار الأخرى المتعلقة بالغربة لا تقل أهمية من حيث كونها من النصوص الشعرية المزابية القديمة النادرة حول هذا الموضوع .

¹ (الاستاذ احمد نوح مفنون، باحث جامعي في اللغة والتراث المزابي.

ويمكن استعراض نماذج من أهازيج الغربية، بتصنيفها إلى ثلاث مجموعات فيما يلي:

(أ) المعاناة من الغربية

1. أهزوجة Izelwan an lquran "الشعر المزابي مثل القرآن":

تعد هذه القصيدة الأهزوجة من أهم ما عرف من الشعر المزابي القديم في ميدان المعاناة من الغربية من طرف المرأة المزابية . وقد تم حفظها بفضل تدوين الأب جون ماري داليه ثم الأب جون دولور في مصدرين : الأول للأب جون ماري داليه في دفاتر الأرشيف البربري (FDB) سنة 1948 بعنوان in-as i yemma (قل لأمي !)، وهو بداية المقطع الرابع¹ ؛ أما الثاني فيتمثل في الدراسة القيمة حول أهازيج وأشعار النسيج المزابية السالفة الذكر المنشورة سنة 1979 ، حيث وردت القصيدة بعنوان izelwan an lquran (اشعار مثل القرآن)²، وهو ما عرفت به بعد انتشارها بفضل المغنيين المزابيين المعاصرين³. غير أن النسخة التي نشرت سنة 1979 هي أكثر اكتمالا من النسخة الأولى، فالنسخة الأولى لجون ماري داليه كانت تتكون من ستة مقاطع وفيها بعض الأخطاء الكتابية، بينما تتكون النسخة الأخيرة من عشرة مقاطع، كما تم تصحيح تلك الأخطاء الواردة في النسخة الأولى (نشير إلى تلك الأخطاء في النص الأول بوضعها بين قوسين) ، لكن يبدو أن الكاتبة مادلين آلان Madleine ALLAIN هي التي دونت القصيدة سنة 1947، ثم قام الأب جون دولور بتصحيحها وترجمتها في السبعينات وهو ما يشير إليه المؤلف عند تقديم عمله⁴.

وتتميز هذه القصيدة المشهورة التي صاغتها شاعرة مزابية مجهولة، بعمق المعاني وأصالتها وجمال التعبير ورونقه، والصدق في التعبير عن المعانات والآلام التي كانت تعاني منها هذه المرأة التي هجرها الجميع : زوجها وأبوها وأُمها.... فلم تجد غير أدوات المنسج التقليدي لتتحدث معها وتحكي لها

¹) Jean Marie DALLET, « chants de tisseuses », *Fond et Documentations Berberes*, Fort National, 1948, pp.141,142.

²) Jean DELHEUR, Madleine ALLAIN, « Le travail de la laine à Ghardaia », pp.43 et S.

³) لاسيما المنشد والمغني داودي عمر .

⁴) حيث يشير الاب جون دولور الى ان هذه الاشعار تم جمعها من طرف الان مادلين، وتمت مراجعتها وتدوينها وترجمتها من طرفه.

معاناتها وظلم الدهر عليها، ولتؤنب زوجها الذي هجرها من دون سبب وكأنها اقترفت الجرائم والخطايا.
حيث تقول مقاطع من هذه الأزوجة الطويلة : ¹

*Izelwan an lquran, hiyyan
sseddaren
qqimey wehdi, an leyriba, a baba-
inu !,
ula w aya ad negdeε s
weylad, yanna : flana tella da.*

أهازيج مثل القرآن، تحيي وتحيي

بقيت وحدي كالغريبة، يا ابانا الله

(ليس هناك) حتى شخص يمر من الشارع ويقول

(يتفكر) إنني هنا

*Ğğiy tajebbadt d xalt-i, Mawal d
εemm-i,
ğğiy tihermelt n s aggwed şşur ;*

جعلت حبل المنسج كخالتي، وعصا المنسج كعمي

كأنني الحرمة التي تنبث في قاع السور

*ğğiy buεud n εemmi Brahim d
dadd-inu.*

جعلت عصفور مقبرة عمي إبراهيم كأخي الأكبر

*In-as i yemma: izi ul-d-iress
taddart-ikw*

قل لأمي: ولا ذبابة تحط في بيتي

*zzadey tasirt, zzadey, zzaden
leeđam-ikw.*

(عندما كنت) اطحن، كانت عظامي تُطحن أيضا

*Yuđen wul-inu, tuđen tsa jaj n
yedmaren ;*

مرض قلبي، ومرض كبدي الذي هو داخل أحشائي

*nney a yewwwa, nnan-ač : neṭṭef-tt
ttaker tiyemrin ?*

(لماذا هذا الجفاء؟) أم قالوا لك قبضناها تسرق

الزرايبي البذيئة !

*yegdeε muherrem, yegdeε lmulud d
wabyannu ;*

مضى شهر محرم، ثم مضى المولد، ثم

ابيانو (عاشوراء)

*ul tezdids ujeddu n waman, a ya
lgađeε !*

(لكنك) لم تربط (حتى) علاقة الرحم (بيننا) ولو

بكأس من الماء، يا قاطع (الرحم) !

2. أزوجة "لالة جنانة" : Lalla Jennana ²

أثناء غياب زوجها عنها لمدة طويلة، كانت امرأة مزابية وهي في منسجها تنشد أشعارا تعبر فيها عن شوقها له، وتتكهن أين هو في تلك اللحظات في بلاد الغربة البعيدة، وتستجد في كل ذلك ب "لالة

¹) Jean DELHEUR, op.cit., pp.41 et s.

²) Idem, pp.39-41.

جنانة" احدى الوليات الصالحات حتى ترجع لها زوجها من الغربة¹. ففي هذه الأهلوجة الطويلة التي نقلها لنا جون دولور والآن مادلين، مناجاة امرأة مزابية لإرجاع زوجها من الغربة ، وهي تتسائل عن أحوال زوجها وتترجاه أن يبعث لها برسالة، ثم تترجى رجوعه غانما سالما ونجاحه الباهر في الحياة، لتنتهي إلى التوسل إلى الولية الصالحة لالة جنانة حتى ترجع لها زوجها من الغربة المشئومة. هذه مقاطع من الأهلوجة حسب الترتيب الذي جاءت به :

- التوسل إلى لالة جنانة:

*Lalla Jennana, yi walla, Lalla
Jennana
Lalla Jennana, ssalam elik, a lyani,
Llah, Llah !.....*

يا لالة جنانة، ارجعي يا لالة جنانة
لالة جنانة، السلام عليك، يا ايها الغني الله الله

- التسائل عن احوال الزوج:

*Ba yella imaṛu ? yella yeznuzu,
yessay
Ba yella imaṛu ? yella iwṭṭa yel
udayen.
Ad yeqda sys ṣṣenduq n wurey.....*

أين هو الآن؟ انه يبيع ويشتري
اين هو الآن؟ انه ذاهب عند اليهود
يشتري منه صندوق من الذهب....

- التوسل للزوج أن يبعث لها برسالة:

*Azen-yi-d igget tkirḍa, ad
yetwattes dḍiq n wul-ikw.
Azen-iyi-d igget lwizet, ad asyey
sys ayṛum i lwelyan.....*

ابعث لي برسالة، يُرفع الضيق من قلبي
ابعث لي قطعة ذهب اشتري بها الخبز للأولياء
الصالحين

- الرجاء المؤكد بعودة الزوج:

*Yella yiwi-d leḥmal yeyleb, yella
yiweḍ-d taddart-s.
Yessu tiḥṣir̄in, yecceel timnirin.*

انه يحمل اثقال كثيرة (من المؤونة)، انه وصل بيته
افرش الحصائر، وأشعل الأضواء

*Yeccec at eemmi-s, yutef yel
tzeqqa-s.*

ضيّفَ ابناء عمومته، ودخل غرفته

¹ في وادي مزاب كل الاولياء الصالحين هم من الرجال، ولم يعرف ضريح "لالة جنانة" اين يوجد، ولم يرد اسمها الا في هذه الأهلوجة.

le ad an uyur n řbatac.....

اصبح كالقمر في ليلة الرابع عشر من الشهر

- الزوج ياتي بالخيرات ودعوة السوء على الحساد :

yiwi-d şşarmiya, ad şermen adan n leedu.

اشترى لي "الصارميا"¹، فلتصرم أحشاء العدو

Yiwi-yi-d tiseynas, yensen iysan n leedu !

اشترى لي "تسغناس"² فلتُذك عظام العدو

Yiwi-yi-d azegway, zewyent tiřřawin n leedu !

اشترى لي "ازوفاغ"³ فلتحمرّ عيون العدو

Yiwi-yi-d axemři, bercenen ussan n leedu !

اشترى لي "اخمري"⁴ فلتسود ايام العدو

- الزوجان يستقلان بمنزلهما :

Yesy-d ufric d acetřari tiddar n yiman.

اشترى الكباش السمين لبيوتنا المستقلة

Tařmist n bulab i tiddar n leeyal.....

قطعة اللحم الكبيرة لديار الأولاد الكثيرين

- التوسل إلى لالة جنانة لارجاع الزوج من الغربة :

Lalla Jennana, ssalam elik, a lyani, Llah, Llah !

لالة جنانة، السلام عليك، يا أيها الغني الله الله

Lakiy řřelbey-am, a Lalla Jennan, cemmi d lejmařet-nnem.

إنني أتوسل إليك يا لالة جنانة، أنت وجماعتك،

A wa yi-ttawi arřaz-ikwyel tmura !

لا تأخذي زوجي مني الى البلاد البعيدة

(ب) ذم الغربة ومعاتبة الزوج المغترب

لم تتوقف المرأة المزابية القديمة عند التعبير عن ما يختلج في صدرها من الآم وجراح من جراء غربة الزوج وتتكسر الأحباب، بل وصلت إلى ذم هذه الغربة التي أصبحت وبالا على حياتها ، وحتى النقد

⁽¹⁾ نوع من الاساور الذهبية التي تلبسها المرأة المزابية .

⁽²⁾ مسآك من الذهب يمسك به ثوب المرأة .

⁽³⁾ ملحفة حمراء ذات الطراز الممتاز ترتديها المرأة المزابية في المناسبات الهامة.

⁽⁴⁾ ملحفة سوداء.

اللاذع للمغتربين الذين لا يأتون إلا بالأموال والخيرات بعد الغياب الطويل والسنوات العجاف، والتحذير من الزواج بالمغتربين . ففي المقطع الأخير من أزوجة *Izelwan an lquran* السالفة الذكر والمشهورة في الأوساط النسوية، تعبر سيدة مزابية عن سخطها البالغ على المغتربين ولسان حالها يقول : << لست بحاجة إلى أموالكم، فالقليل هنا خير مما تأتون به >> ، وتقول متحدية - رداً على أمها - : << حزمة من البصل، خير من مائة من الجزائر، يا أمي ! >> . وتصف غربة الزوج ومضاره على حياتها طارحة أسئلة حول مغزى الغربة التي ترى فيها عبثاً لا مبرر له، حيث جاء في هذه الأزوجة : ¹

- هجاء الغربة وذمها:

r̥rebtet n uẓaliml tif mya n at zayer, حزمة من البصل، خير من مائة من (اهلنا)
ay amma
 مغتربي الجزائر، يا أمي!
isiw uxmiren yif mya n at zayer, حفنة من التمر اليابس، خير من مائة من (اهلنا)
ay amma
 مغتربي الجزائر، يا أمي!
aḥa, yus-d!, aḥa, yexs ad iṛuḥ, هاهو آت ! هاهو يريد الذهاب، يا أمي!
ay amma
yiwi-d i kiraden, yecc-in, ad iṛuḥ, جاء ببعض الأوراق النقدية، أكلها، سيذهب، يا
ay amma.....
 أمي!

وفي هذا المعنى أيضا عُرِفَت الأزوجة الشهيرة *muc n Biqira* "قُطُّ بيقيرة" التي تعبر بأسلوب بيداغوجي ومنطقي على عبثية الغربة إلى تونس أين كان المزابيون يغتربون للتجارة حسب مضمون هذه الأزوجة. وتحاول هذه الأزوجة التي بنيت على تساؤلات مستمرة، أن تقول أن الغربة بكل ما تسببه من معاناة وأهوال هي في نهاية المطاف عبث في عبث ولا تستحق كل هذه التضحيات والتعب والكد، لأن هدفها الأخير هو جمع المال (الدهن). وهو من الكماليات التي لا تغير شيئا من حياتنا، بل ويمكن الحصول عليها بالعمل هنا في وادي مزاب واقتصاد كل هذه الجهود. حيث يقول مقطع منها:

Muc n Biqira قُطُّ "بيقيرة"
Yenna-yas: mani Qira قال له: أين توجد بيقيرة ؟
Yenna-yas: Qira Tunes أجابه: توجد في تونس

¹ Jean DELHEUR..., « Le travail de la laine à Ghardaia », op.cit, p. 39.

Yenna-yas:i batta Tunes ?

قال له: ولماذا تونس؟

Yenna-yas:ad nexdem ryal

أجابه: لنجمع المال

Yenna-yas:i batta ryal?.(....)

قال له: ولماذا المال؟ (....)

Yenna-yas:ad nneğ udi

أجابه: حتى يكون لنا الدهن¹

-الشكوى من معاناة الفراق،ومن رغبة الزوج في العودة إلى "بلاده": تعبر هذه الأهزوجة

عن تذمر الزوجة من رغبة زوجها العودة إلى بلاد الغربية التي أصبحت "بلاده" في نظرها، وعن حسراتها وآهاتها والمرارة التي تشعر بها من هذا الوضع الذي طال أمده ولم يتبدل،حيث تقول:

*Llah a Rebbi, iḍaq ul-
ikw,meggwani, ay amma*

الله يا رب، ضاق قلبي،ياحسرتي، يا أمي

*Meggwani,sessey aman meā
midden, ay amma*

ياحسرتي،(لازلت مع ذلك) اشرب الماء مع الناس،

يا أمي

*İdaq, iḍeyyeq, yexs ticli yel lblad-
ines, ay amma*

(زوجي) قلق وضاق قلبه، يريد الذهاب إلى بلاده،

يا أمي

*Lblad, ya lblad,siwet at εemmi
tiweḥḍiyin, ay amma*

بلاد يا بلاد، (اسمعيني) يا بنات عمي الطيبات! ، يا

أمي

(ج) سفر وعودة المغترب

1. أهزوجة وداع المغترب المسافر: تعد اهزوجة *yna-t a Rebbi*² "أغنه يا رب" من

الأهازيج الشعبية التي تغنى حتى اليوم للعريس يوم زفافه قبل ان ينطلق في موكب العرس إلى بيت الزوجية أين تنتظره العروس. غير أن هذه الأهزوجة وضعت في الأصل لتشجيع المسافرين المزابيين قديما الذين كانوا يتغربون لمدة سنين طويلة في مدن التل الجزائري من أجل الاسترزاق في التجارة، متحملين أهوال الطريق ومعاناة الفراق. وتتضمن دعاء له بالغنى والسلامة في الطريق، إذ لم يكن يرجع من

¹ السمن كناية عن المال والثروة والمكانة الاجتماعية.

² GOINCHON, *La vie feminine au Mzab*, Appendice VII, p.282.

الغربة غانما سالما إلا من ساعفه الحظ، ولم يسلب ماله ويقتل في الطريق من طرف قطاع الطرق.
وتقول هذه الأزوجة مما تقوله:

<i>ynat a Rebbi, a wenni ynan lebher s waman</i>	اغنه يارب، أنت الذي أغنى البحر بالمياه
<i>ynat a Rebbi, a wenni ynan ajenna s yitran</i>	اغنه يارب، أنت الذي أغنى السماء بالنجوم
<i>ynat a Rebbi, a wenni ynan ccix s weczam.....</i>	اغنه يارب، أنت الذي أغنى الشيخ بالعلم....
<i>ruh beslama ad telgid ussan d imellalen</i>	اذهب بالسلامة، ستجد الأيام البيضاء
<i>ruh beslama, ya baba-kw,εukba yel dessat</i>	اذهب بالسلامة، ياأبي، فليكن المزيد لك مستقبلا

2. عودة المغترب : كانت عودة المغتربين حدثا هاما تقام له حفلات البارود ، وكانت قوافل

المغتربين المزابيين ممن يصل سالما غانما وينجو من قطاع الطرق،تستقبل في مخارج المدن المزابية بالترحاب من طرف الاهل والاقارب في حفلات ضخمة. ومما تبقى من شعر الترحاب بعودة المغتربين المزابيين في الشعر المزابي القديم ، الازوجتين التاليتين:

-قصيدة *yeqqes Ibarud azwil* "انطلق البارود في - منطقة-آزويل"¹، وفيها تهليل وفرح بعودة الأب المغترب سالما محملا بالخيرات التي أتى بها من بلاد الشمال. ومما تقول :

<i>Yeqqes Ibarud azwil</i>	انطلق البارود في "آزويل"
<i>Nnan-l larbea usin-d, baba-inu tiyallin</i>	اخبروني أن "لاربعا" ² قد وصلوا، وأبي على
	ظهر الفرسان
<i>Xemsin hemel d irden</i>	خمسون حملا من القمح
<i>Settin hmel timzin....</i>	ستون حملا من الشعير
<i>lhbes ul-ikw d armun</i>	توقف قلبي كالرمان

¹)Idem, Appendice XIV, p.302.

²) لاربعا هم إحدى العشائر البدوية الهلالية التي كان المزابيون يستاجرون افرادا منها لتأمين قوافلهم التجارية بين الشمال والجنوب ضد قطاع الطرق التي كانوا يترصدون بها ويقتلون ويسلبون من فيها.

Læzz I Rebbi læalamin

العز لله رب العالمين

-أهزوجة *Tameddit n ljumuea* ، وفيها تتغنى إحدى الأمهات بعودة ابنها العزيز من الغربة سالما غانما بل مليئا بالغنائم، فتفتح له أبواب المدينة وأسوارها مرحبة به. ثم تتوسع له أرجاء البيت لتحتضنه احتضاناً. وتقول مما تقول مادحة لابنها ¹:

Nnan-i memm-i yus-d

قالوا لي: ابنك عاد من السفر

Wesseen-as lbiban, yatef-d

توسّعت له ابواب المدينة، فدخل

ceçen-as leşwar

انفتحت له اسوار المدينة

Werrkent tihejwin, iqqim ajertil

توسعت له سقيفة البيت، فجلس في الحصيرة

An uyur n ṛbaṭac

مثل البدر ليلة الاربع عشر

a Lalla, memm-i d aḥba deg weḥba

ياسيديتي، ابني صندوق داخل صندوق

ثانياً: أهازيج الغزل

لم نجد في مدونة الشعر المزابي القديم قصائد خاصة بالغزل بنفس الشهرة والشعبية التي نجدها في المجتمعات الأمازيغية الأخرى. وليس في ذلك غرابة إذا علمنا ما يتميز به المذهب الاباضي السائد في المجتمع المزابي من صرامة أخلاقية وسلوكية مفرطة تقوم على الزهد والابتعاد على ملاذ الحياة وبهرجها، وتمنع كل مظاهر الرفاهية والفن وتعتبرها عوامل للانحطاط الأخلاقي الذي تهدد الأمم بالانهيار، ومرجعها في ذلك -في الخطاب الجمعي- هو انهيار الدولة الرستمية الاباضية؛ ومع أننا لم نعثر على أي فتوى واضحة للاباضية في تحريم الغزل إلا أن التقاليد الصارمة منعت من ظهور مثل هذا الشعر. غير أن الأهازيج المزابية القديمة لا تخلو من مقاطع في مدح جمال المرأة ومفاتنها لم نعرف كيف استطاعت أن تفلت من أيدي الرقابة الدينية والاجتماعية القوية، ولم ينقذها من الاندثار سوى تدوينها من طرف الكتاب الفرنسيين. هذه المقاطع تتراوح بين الغزل الفاضح والغزل العفيف.

¹) GOINCHON, *La vie feminine au Mzab*, Appendice XV, pp.304 à 307.

(أ) الغزل الفاضح:

ينقل لنا الأب جون دولور مناظرة شعرية مشفرة دارت في لقاء بين رجل كان قد حفر بئرا، وفتاة جاءت لتسقي الماء منه. وتتضمن هذه المناظرة التي جاءت بلغة مجازية وصفا فاضحا للعلاقة الجنسية في أدق تفاصيلها البيولوجية، وتعبير كل منهما عن رغبته في هذه العلاقة. ومما جاء فيه:¹

yir-i yur an netta

الفتاة: لدي قمر كالبحر

yir-i tacerraft ad taden yur an netta

الرجل: لدي أمواج تغطي هذا القمر

Idammen-ikw d amdun, iffan d tteffah

الفتاة: دمائي كالصخرة، ثديي كالتفاح

yir-i ufric ine ddeh, ad irrez tteffah, ad yeqqim dinni

الرجل: عندي كبش ينطح، سيكسر التفاح، ويبقى هناك.

(ب) الغزل العفيف:

ورد مقطع جميل للغزل العفيف في أزوجة *lalla nasra* ، والمفارقة أن هذا الغزل لم يصدر من رجل في خصوص امرأة كما هو المعتاد، وإنما جاء من أم تصف جمال ابنتها العزيزة عليها مادحة مفاتنها. وعليه فلا يستبعد أن يكون هذا المقطع الشعري من إبداع رجل مغرم بجمال امرأة ويتغنى بمفاتنها، فتم تحويله ونسبته إلى أم تمدح جمال ابنتها، حتى يفلت من الرقابة ويلقى القبول الاجتماعي ، كما يحصل غالبا في المجتمعات المحافظة. ويقول هذا المقطع:²

Tamellalt d taħemmařit

(ابنتي) بيضاء تميل إلى الحمرة

tazuı-s d tawerdanit

حمرتها وردية

Taceřřit-s d taricanit

خصلة شعرها كالريش

řit-s d tabeřřanit

عينها كالبحر

lgedd-s d arecuwaji

قدّھا متمایل

¹)Jean DELHEUR, *Faits et dire du mzab*, op.cit., pp.317,318.

²) *Idem*, p. 299.

ومن جهة أخرى نجد في الأشعار الاحتفالية بالزواج مثل أهزوجة *siwed a wi ssawaden* كلمات مجازية تشير بصفة محتشمة إلى جمال المرأة، مثل كلمة *lxux* "الخوخ" وتشير إلى وجنتي العروس المحمرتين الورديتين، وكلمة *rremman* "الرمان" التي تشير إلى ثديي المرأة، وعبارة *tajemmi n tyat* "رأس العنزة" تشير إلى الوجه الجميل المحكم المثلث، وتعبير *tajemmi n* *udil* "واحة العنب" ويشير إلى الخصوبة، الخ.

نلاحظ من خلال هذه النماذج كيف حافظ الشعر المزابي القديم، مع محدودية مجالاته، على رصيد لغوي وتراثي وموضوعاتي معتبر للغة المزابية، بالإضافة إلى كونه يمثل ذاكرة المجتمع المزابي القديم لما يتضمنه من معلومات فريدة عن الحياة الفكرية الاجتماعية الثقافية الدينية للمزابيين، في غياب أي تدوين للتاريخ الثقافي المزابي. وفي إطار دراستنا السوسيو-لسانية لدور الشعر المزابي وعلاقته باللغة المزابية، نثير جملة من التساؤلات حول علاقة ضعف الشعر المزابي القديم بضعف مكانة اللغة المزابية، نحاول الإجابة عنها في المطلب التالي، أهمها: هل سبب محدودية أغراض الشعر المزابي القديم وضآلته وضياح الشعر الرجالي يكمن في طابعه الشفوي وارتباطه بالمجتمع النسوي، أم أن لذلك علاقة بالمكانة السوسيو-لسانية للغة المزابية في علاقتها بالعربية الفصحى في وضعية الازدواجية اللغوية التفاضلية التي توجد فيه؟.

المطلب الثاني: العوامل السوسيو-لسانية لضآلة وانكماش الشعر المزابي القديم كواجهة للغة المزابية

يرى بيار بورديو Pierre BOURDIEU في تحليله لـ "اللغة المشروعة" التي تتمتع بالقوة الرمزية والسلطة، أن الأدب هو حقل لعلاقات الصراع والهيمنة اللغوية من خلال التفاوت بين الأساليب. فاللغة العادية تملك رأسمال لساني ضعيف، مقارنة باللغة "المشروعة" التي تحوز على رأسمال تعبيرى كبير وكتب ونحو وأدب وقواميس، الخ بحيث يمكن أن تنتج بها خطابا أدبيا يمنح للذي يستخدمه سلطة على اللغة وعلى الذين يستعملونها.¹ وهو ما ينطبق على علاقات اللغتين العربية الفصحى والمزابية في حالة الازدواجية اللغوية التي كان عاشها المجتمع المزابي لمدة قرون طويلة ولا يزال، بحيث تتمتع اللغة العربية

¹) Pierre BOURDIEU, *Ce que parler veut dire, L'économie des échanges linguistiques*, Editions Fayard, paris, 1982, pp. 46,47.

الفصحى بشرعية وسلطة رمزية باعتبارها لغة الادب والعلم بالاضافة الى قدسيته كلغة القرآن مقارنة باللغة المزابية التي ينظر اليها أنها لغة الشعب العامي التي تؤدي الوظيفة التواصلية اليومية برأسمال لساني أقل ثراء وتنوعا. وبالطبع فإن اعتماد اللغة العربية كاللغة الوحيدة للدولة الوطنية بعد الاستقلال دعم هذه الازدواجية غير المتكافئة إن على مستوى التعبير المؤسساتي الرسمي أو التعبير الادبي في الفضاءات العامة والاطراف النخبوية المتعلمة إذ >> في ظروف تكوين الدولة ينشئ السوق اللغوي الموحد الذي تهيمن عليه اللغة الرسمية << (ترجمتا) ¹ .

وبالفعل لا يمكن فهم واقع الشعر المزابي القديم إلا في ظل وضعية الازدواجية اللغوية التي يعيش فيها المزابيون من خلال علاقة اللغة المزابية لغة عامة الشعب مع اللغة العربية الفصحى لغة السلطة والمعرفة الدينية. وكان للمجتمع المزابي كغيره من المجتمعات الأمازيغية رصيدا شعريا ثريا باللغة الأمازيغية على اعتبار أن اللغة الأمازيغية الزناتية هي التي كانت سائدة منذ بدايات نشأة المدن المزابية في بداية القرن 11. إذ أن اغلب الجماعات النازحة إلى وادي مزاب بعد سقوط الدولة الرستمية جاءت من مناطق تواجد قبيلة زناتة في المغرب الأوسط والتي كانت تشكل رعايا هذه الدولة مثل سجلماسة، وادي آريغ ورقلة، الأوراس، تافيلالت، إلخ. ² كما تذكر المصادر التاريخية وجود شعراء معروفين إبان الدولة الرستمية الإباضية (777-914) التي ينحدر أغلب سكان وادي مزاب منها، مثل الشاعر أبو سهل النفوسي والشاعرتان زيديت ومنزو كما سلف الذكر. بل استمر هذا التقليد حتى عند بني مزاب بعد نشأة المدن المزابية، إذ يذكر الشيخ آمتياز محمد، أشعارا نسوية مترجمة من اللغة المزابية الى العربية يعود تاريخها الى ما قبل بناء مدينة بني يزقن سنة 1353 م من دون أن يصل لنا النص الاصيلي للأسف. ³

والمفارقة أن بني مزاب دونوا تراثا شعريا معتبر باللغة العربية الفصحى أغلبه شعر ديني في الزهد والفقه وعلم الكلام ، ومن جهة أخرى فإن الصراع المذهبي الذي فرض عليهم مواجهة عقيدة فقهية حامية

¹) Idem, p.27.

²)Emile MASQUERAY, *Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie*, op.cit., p.202.

³(الشيخ آمتياز محمد، تاريخ وادي مزاب، مخطوط، خزانة الشيخ بني يزقن.

الوطيس مع خصومهم المذهبيين من المالكية كُرس بمؤلفات غزيرة في مختلف العلوم الدينية للدفاع عن مذهبهم؛ بينما لم يبق من الشعر المزابي القديم إلا القليل مما تناقلته ذاكرة الأجيال، كما لم نجد أثرا يذكر للشعراء الشفويين القدامى باللغة المزابية، مثلما هو الحال بالمناطق الاخرى الناطقة بالأمازيغية كمنطقة القبائل مثلا. وأغلب الظن أن هذا الشعر اختفى تدريجيا وتضاءل إنتاجه إلى حد كبير في مدة زمنية طويلة قد تمتد إلى قرون، ليحل محله الشعر العربي.

وفي بحثنا عن عوامل ركود الشعر المزابي الامازيغي القديم وضآلته، يواجهنا غياب المراجع والدراسات، إذ بسبب شفويته الغالبة فإن << ماضي الأدب الامازيغي كله وبالصورة المكونة او المفترضة عنه حتى الآن على طوله بامتداد قراءته لثلاث آلاف سنة، إنما هو صورة تقوم أساسا على التخيل والافتراض والتقدير والإستنتاج >>. وفي تصورنا فإن ركود الشعر المزابي الامازيغي القديم يعود الى عاملين اساسيين: أولها هو طابعه الشفوي والنسوي باعتبارهما عاملان ينقصان من المكانة الاجتماعية للغة في التصور الجمعي للناطقين بها في مجتمع رجولي، مما تسبب في ضياع واندثار قسم معتبر منه (الفرع الاول)؛ أما العامل الثاني فهو وضعية الازدواجية اللغوية diglossie التي كانت تميز العلاقة بين الوضع السوسيو-لساني للغة العربية الفصحى لغة النخبة الراقية واللغة الأمازيغية لغة العامة الدونية الامية في المجتمع المزابي وتطور مركز كل منها، والذي أدى الى ازدهار الشعر العربي الفصيح عند بني مزاب على حساب الشعر الامازيغي في فترة طويلة من الزمن وبالتالي انتكاسة الشعر المزابي القديم (الفرع الثاني).

الفرع الاول: الطابع الشفوي والنسوي للشعر المزابي القديم وارتباطه بلغة دونية

ارتبطت الشفوية دوما باللغات الضعيفة والمغلوبة تجاه اللغات المكتوبة، وعليه كانت سببا في زوال قسم معتبر من الشعر المزابي القديم (أولا) كما كان ارتباط هذا الشعر بالنساء وهي الفئة الاجتماعية الضعيفة ساهم في ضعفه وخموده، وأثر في مركز اللغة المزابية التي نظم بها (ثانيا).

¹ الفرقاني محمد الحبيب، سمات... وخصائص، وظواهر عامة للأدب الأمازيغي، اعمال الملتقى الاول للادب الامازيغي- تاسكلا ن تمازيغيت، مدخل للادب الامازيغي، الدار البيضاء 17-18 ماي 1991، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي. ص.33.

أولاً: الطابع الشفوي للشعر المزابي القديم

إن الطابع الشفوي الذي ميز الثقافة الأمازيغية منذ التاريخ القديم كان سببا في ضياع واندثار الكثير من الإنتاج الفكري الثقافي والحضاري الأمازيغي. ذلك ان الشفوية ارتبطت دوما بالدونية في صراع اللغات وتنافسها، بحيث تكون اللغة والادب الشفوي في نظر الناطقين أقل قيمة من اللغة والادب المكتوب، ومحنة الادب الامازيغي كما يرى بحق محمد المسعودي وبوشتي ذكي تتمثل في كونه >> يهمل وينظر اليه على انه في الدرجة الثانية بعد الادب المدون المكتوب، ومن ثم، يشكك في قيمته الجمالية وبلاغة أسلوبه، ومصدقية مضامينه، وهذا التهميش لا يقتصر على الادب، بل يمتد الى مبدعيه ومستهلكيه¹ << ومن جهتها ترى الباحثة تاسعديت ياسين ان من سوء حظ الثقافة الامازيغية عبر العصور كون أهم ما ميزها هو طابعها الشفوي في مواجهة الكثير من اللغات والثقافات الدخيلة ذات تقاليد الكتابة، لذلك ظل الشعر الشفوي الامازيغي دوما في وضعية الهامش والدونية امام هذه الثقافات التي احتكرت المشروعية لارتباطها بالسلطة السياسية المركزية المهيمنة. لكن بالرغم من ذلك فإن حيوية صلابة *vitalité tenace* سمحت لهذا الشعر بالبقاء بالرغم من الاعتداءات المتكررة عليه.²

والملاحظ ان الأمازيغ اعتمدوا لتدوين افكارهم الى جانب حروف الثيفيناغ على الحرف الفينيقي ثم العربي واللاتيني تبعا لتبنيهم للغة المحتلين، مع أن ذلك كان في إطار محدود يتمثل في الإدارة والجيش، بينما بقيت لغتهم وثقافتهم في مستوى الشفوية باستثناء بعض النصوص التي سجلت بالحرف العربي. ولم تنتقل الأمازيغية إلى الكتابة بشكل أكثر كثافة وغزارة إلا بعد الاحتكاك مع المستعمر الفرنسي في بداية القرن 19، الذي دون كتابه قسما معتبرا من الأدب الامازيغي بالرسم اللاتيني.

ولاشك أن الشعر الأمازيغي المزابي كان موجودا وحيا بحيوية الثقافة الشعبية المتأصلة في المجتمع، وقياسا مع ما كان سائدا لدى الجماعات الأمازيغية الأخرى، وعليه فإن الاحتمال الاكيد لاندثار قسم كبير من هذا الشعر، يجعلنا نقف لنتساءل عن أسباب ذلك، خاصة وأن هذا الواقع هو خاصية ارتبطت بالشعر المزابي وحده، دون الشعر القبائلي والشاوي والتارقي، الخ أين حافظت الذاكرة الشعبية على قسم معتبر منه حتى اليوم. إذ نلاحظ باستغراب كيف أن الكتابة والتدوين هو تقليد راسخ في المجتمع المزابي الذي هو

¹ محمد المسعودي، بوشتي ذكي، الشعر الغنائي الامازيغي، (الاطلس المتوسط نمونجا)، سلسلة شراع، العدد 59، جولييت

1999، وكالة شراع لخدمات الاعلام والاتصال، طنجة، المغرب، ص.9.

² Tssadit YACINE, *Poésie berbère et identité, Qasi Udifella, heraut des At Sidi Brahim*, Editions Alpha, Alger, 2008, p.198.

مجتمع حضري مستقر منذ عشرة قرون على الأقل، وتتوفر كل عشيرة تقريبا على مكتبه عامرة بالمخطوطات ، ومع ذلك انحصر هذا التقليد في اللغة العربية، دون أن يتعداها إلى اللغة الأمازيغية التي بقيت دوما في طابعها الشفوي. ولعل سبب ذلك يرجع الى عدم ظهور الحاجة لدى الناطقين بها أو الضرورة لكتابتها مادامت مغلوبة على أمرها. والمثير للانتباه أن تدوين وثبيت ما بقي من الشعر المزابي القديم، إنما تم أساسا على أيدي الكتاب والباحثين الفرنسيين لأغراض استيطانية خلال مسعى استكشافهم لوادي مزاب منذ منتصف القرن 19، كما سبق ذكره سالفا لينقذوه بذلك من الضياع ؛ بينما لم يفكر المزابيون في تدوين التراث الشعري الأمازيغي بالرغم من رسوخ تقليد الكتابة لديهم وتآليفهم الغزيرة في الشعر العربي الديني.

وأغلب الظن - في تقديرنا - أن الشعر المزابي الرجالي وجد لفترة طويلة تمتد خلال القرون العديدة لتعمير وادي مزاب، إذ من غير المعقول ان يبقى مجتمع ناطق بالأمازيغية في اغلبيته الساحقة، ولا يتقن فيه اللغة العربية الفصحى الا أقلية قليلة من النخبة الدينية، بدون شعر ينطق بلسانه ويعبر عن احواله الاجتماعية السياسية الاقتصادية والدينية، طالما إن الشعر في المجتمعات الشفوية هو الناطق الرسمي عن وجدانها الجماعي. ولا أدل على ذلك من الرصيد المتبقى منه الذي استعرضنا نماذج منه فيما سبق والذي لا يمكن الا إن يمثل " الشجرة التي تخفي الغابة". وبدل هذا الوضع على الآثار المدمرة للشفوية على اللغات والثقافات في تعايشها واحتكاكها مع لغة مكتوبة تتمتع بمركز راقي ومقدس.

ولاشك ان الشعر المزابي القديم كان يشمل، مثلما هو الحال في الجماعات الأمازيغية الاخرى، أغراضا وميادين عدة ترتبط بالحياة الاجتماعية لاسيما:

- الشعر الحماسي التي كانت وظيفته بث الروح القتالية في الحروب التي عرفها المزابيون الاباضية منذ استقرارهم بوادي مزاب في القرن الحادي عشر، ضد اعدائهم الكثيرين من القبائل والجماعات الدينية الخصمة. ولعل أهم ما تبقى من هذا الغرض الشعري القصيدة الحماسية التي تمجد وادي مزاب والمزابيين، هذا مقطع منها:

*At tejnint d At bunur d At mlicet d
zur-nney*

أهل تادجنينت وآن بنور هم جذورنا !

*At tyerdayt d At izjen d At Bergan d
zur-nney*

أهل تاغردايت وآت إزجن وبريان هم

جنورنا!

*Igraṛren d At wareḡlen d At weylan d
zur-nney.....*

قرارة وورقلة ومزاب هم جنورنا !

*Cared iyezran hedren qqaren leeẓ i
yAt weylan*

ثلاث وديان متدفقة المياه اعطت فخر مزاب

*L Ntisa d Wezwilen tticcen aman i
lebduεat.....*

(وديان) أنتيسا وإزويلن يعطون الماء للوحدات

*yak aylan d aẓerm n wurey necnin dys
d ijeldan*

اسمع مزاب هي بلاد الذهب، نحن فيه أسود!

*mi d-yusu leεdu yerney ad t-nerr s
tyerḍin-nney*

عندما يقبل العدو نرده بأكتافنا !

- الشعر الاجتماعي المتعلق بمختلف الظواهر الكامنة في الحياة الاجتماعية والنسوية كما تدل على ذلك النماذج العديدة التي استعرضنا بعضها منها سالفًا.
- الشعر العاطفي المتعلق بالتعبير عن الحب ومعاناته كما هو سائد في كل المجتمعات البشرية. إذ يبدو أن الحظر الديني وما رافقه من قمع ومحو لكل أثر لهذه الأشعار بدعوى معارضتها للحياء والأخلاق الإسلامية، أدى -بالإضافة إلى طابعها الشفوي- إلى اختفاء عدد كبير منها مع مر العصور.
- الشعر الديني، المتعلق بالمجادلات العقائدية والفقهية للرد على الخصوم المذهبيين الذين يتجهمون على المذهب الإباضي. وقد رأينا كيف كان الشعر الديني الأمازيغي أبان الدولة الرستمية سلاحاً في مواجهة ادعاءات المخالفين المذهبيين وتهجماتهم، ولانظن إن الأمر توقف بعد انهيار هذه الدولة وهجرة قسم معتبر من رعاياها إلى وادي مزاب.

وفي غياب أي شواهد تاريخية فإنه لا يمكن تفسير اشكالية اختفاء قسم كبير من الشعر المزابي القديم وعدم بقاء أي أثر له -بالإضافة إلى عامل الشفوية-، إلا على ضوء معطيات الواقع السوسيو لساني لكلا اللغتين الأمازيغية والعربية في المجتمع المزابي وتطوره في ظل الازدواجية اللغوية التي

رسخت في الازدهان الاعتقاد الخاطئ والغير العلمي بأن اللغة العربية الفصحى هي "لغة العلم والعلماء"، واللغة المزابية الامازيغية هي لغة الشعب والاميين والجهلة. وبالطبع يخالف ذلك ما يقرره علم اللسانيات من أن كل اللغات تتمتع بنفس القدرة على التطور ولا وجود للغة أفضل من الاخرى بفضل خصائصها الداخلية ، وانما ترتبط قوتها بمسارها التاريخي ووضعها السياسي، وكل ما في الامر أن >> بعض اللغات، لكونها لغات السلطة، استطاعت أن تتأقلم مع احتياجات التواصل العلمي والتقني (حتى بسبب احتكارها لهذا النوع من التعبير) << (ترجمتا) ¹

ثانيا: الطابع النسوي للشعر المزابي القديم

إن أهم ما لفت انتباهنا هو ارتباط الأهازيج المزابية التراثية القديمة دوما بالمجتمع النسوي. وما يفسر هذا الواقع هو تسمية هذه الهازيج نفسها ب *izelwan* جمع *izli* ، وهي تعني في الاصطلاح الادبي في أغلب المناطق الامازيغية الاخرى مثل منطقة القبائل بالجزائر والريف والاطلس بالمغرب، الشعر النسوي المتعلق غالبا بالحياة العاطفية والغزل. ففي منطقة القبائل يعني *izli* وجمعه *izlan* الشعر النسوي الذي تنظمه النسوة ويغنيهن بينهن دون حضور الرجال او حتى دون معرفتهم وفي خفية عنهم، بحيث تتعلق موضوعاته غالبا بالحب. ذلك أن هذا الصنف من الشعر القبائلي يعد المجال الافضل للنساء للتعبير عن معاناتهن العاطفية ووجدتهن وظروفهن الحميمة. وينشد بين النساء في تجمعاتهن في تقيّة، وهو يختلف عن الشعر المعروف في المجال العام مما يفسر عدم معرفة منظمه. ² وفي منطقة الريف نجد لمصطلح *izri* جمعه *izran* نفس معنى الشعر المتعلق بالحياة العاطفية والافراح والطقوس، كما لا يختلف معنى مصطلح *izli* وجمعه *izlan* في الشلحية عما هو في القبائلية سواء من حيث تشكيله اللساني او من حيث المضمون؛ بينما تدل لفظة *izli* في تمازيغت الاطلس على مقطع شعري غنائي أو مجموعة الاشعار الغنائية بغض النظر عن موضوعاتها، او المقطع المنفرد او البيت وجمعه *izlan* وهي القصيدة الشعرية ³.

¹) Salem CHAKER, « De quelques constantes du discours dominant sur les langues populaires en Algerie : de la marginalisation à l'exclusion », *Anuaire de l'Afrique du Nord*, 1981, p. 452. [http://aan.mmsh.univ-aix.fr/Pdf/AAN-1981-20_54.pdf].

²) Tassadit YACINE, *L'Izli ou l'amour chnté en kabylie*, Bouchene- awal, Alger, 1990, pp. 26,95.

³) Abdallah BOUNFOUR, Amar AMEZIANE, *Anthologie de la poésie berbère traditionnelle (Tachelhit, taqbaylit, tarifit, tamazight)*, l'Harmattan/INALCO, paris, 2010. pp.119,167.

مع أن للفظـة izli دلالة أخرى وهي الغناء كما هو الحال عند امازيغ أنفوسة بليبيا، كما اثبتت البحوث الميدانية التي قام بها مولود معمري وهنري باسيه ومهنا محفوفي وفريدة آيت فروخ أن izli يعني في عدة أماكن بمنطقة القبائل القصيدة المغناة أو الشعر الغنائي والذي يتميز في بنيته بقطع شعرية قصيرة بغض النظر عن موضوعاته.¹ وأغلب الظن أن المعنى الاول لجذر لفظـة izli هو المقطع أو الجزء قبل أن يتوسع مجاله الدلالي ليرتبط بالشعر الغنائي.²

وإن شكل الطابع النسوي للاهازيج المزابية القديمة عنصر قوة للغة المزابية بفضل نقل المرأة المزابية للموروث الشعري بين الاجيال بفضل المنظومة التربوية، وبالتالي المحافظة على رصيد هام من اللغة المزابية؛ فإنه من جهة يمثل عنصر ضعف لها بحكم مكانة المرأة الدونية التي جعلت من هذه الـاهازيج "شعر نساء" أقل قيمة من الشعر العربي الفصيح الذي احتكرته لمدة قرون من الزمن نخبة دينية رجالية، فاعتبر أهم مؤشر للترقية الاجتماعية لمؤلفه لكونه دليل على تمكنه من اللغة المسيطرة والمشروعة. ويضاهي ذلك وضع الشعر النسوي القبائلي حيث ينتقد محند اكلي صالحي النظرة الدونية الى الشعر النسوي التي تسود -حسبه- في الارث المعرفي الذي انجزه مختلف الباحثين حول الشعر القبائلي ، حيث يرى الى الشعر النسوي كشعر قاصر *poésie mineure* ويوصف بـ"الشعر القروي" لأنه يقتصر على التعبير عن واقع الفرد وسعادته أو إحباطاته العاطفية، بينما يهتم الشعر القبائلي "الجاد" بعالم القيم وما ينبغي ان يكون.³

والمؤلف في الأمر هو وجود نوع من التقسيم الوظيفي في الميدان الشعري والأدبي في المجتمع المزابي، بحيث ظلت أهازيج *izelwan* خصوصية نسوية يقابلها الشعر العربي الذي بات خصوصية رجالية. إذ لم تكن تُؤدَّى هذه الأهازيج في القديم إلا من طرف النساء من دون الرجال، بينما تُؤدَّى الأناشيد الدينية باللغة العربية من طرف الرجال من طلبة المدارس الدينية الاباضية. ولم تبدأ الفرق الصوتية الإنشادية الرجالية في أداء الأهازيج الامازيغية كما يبدو إلا في وقت متأخر. ومن جهة أخرى

⁽¹⁾ د.محمد جلاوي، تطور الشعر القبائلي وخصائصه، المرجع السابق، ص.382-384

⁽²⁾ للفظـة izli في امازيغية الريف دالتين: izli (بتريق الزاي) تعني مقاطع السوار او قطع اللحم المصفوفة للشواء، و

izli (بتفخيم الزاي) وتعني فرع الشجرة، وتصغيره *tazelyt*. *Idem*, tt.168.

وفي اللغة المزابية تعني لفظـة *tazellyt* السطر الذي يرسم بعد تقسيم شعر رأس المرأة الى قسمين ايمن وايسر .

⁽³⁾ Mohand Akli SALHI, *Poésie traditionnelle féminine de Kabylie, typologie et textes*, ENAG, Alger, 2011, p.12.

وانطلاقاً من مضامين هذه الأهازيج التي تدور أغلبها حول الحياة النسوية، فإن ناظموها هم أغلب الظن من النساء وليس من الرجال. لكن عندما ندرك أن المرأة المزابية، خلافاً للرجل المزابي، هي التي حافظت على الرصيد اللغوي والثقافي الأمازيغي بسبب انعزالها وبعدها عن التأثيرات اللغوية الثقافية الدخيلة لمدة قرون من الزمن ؛ فإن تساؤلاتنا حول غياب الشعر الرجالي قد تجد إجابة كافية له. لكن أغلب الظن أن الرجال أيضاً كان لهم في القرون الماضية منذ استقرارهم بمنطقة مزاب في بداية القرن 11، شعراً أمازيغياً ثرياً في كافة الأغراض والميادين، إلى جانب الشعر النسوي، مثلهم مثل باقي الجماعات الأمازيغية الأخرى. ويدل على ذلك المقاطع الشعرية المزابية القديمة المتبقية حتى اليوم بفضل الذاكرة الجماعية أو بسبب تدوينها من قبل الباحثين الفرنسيين. لكن في فترة متقدمة يكون قد اندثر الجزء الأكبر من هذا الشعر بسبب هيمنة الشعر العربي الفصيح وتفوق وسيطرة اللغة العربية على المجال الثقافي الديني الاجتماعي لما تتمتع به من قدسية وقوة رمزية . وبمجرد أن فقد وظيفته كمعبر عن الأنا الجمعي تخلت عنه الذاكرة الجماعية ولم يتم تسجيله عند قدوم المستعمرين الفرنسيين، لأنه قد يكون اندثر في فترة بعيدة قبل ذلك.

ومهما يكن فإنه يستحيل علينا، في غياب التدوين، الإجابة عن جملة من الأسئلة الجوهرية التي يطرحها هذا الواقع لاسيما : هل وجد شعراء رجال بالامازيغية في القرون الماضية بوادي مزاب ؟. وإن وجدوا، لماذا لم يصل لنا منهم -على الأقل- بعض أشعارهم؟. وبأي لغة كانت تنشد الأشعار التي تخلد الأحداث الكبرى، مثل أشعار الحماسة التي يفترض أنها تُردّد في الحروب التي وقعت في وادي مزاب مع مختلف القبائل والجماعات المسلحة الغازية منذ استقرار الاباضية بالوادي في أوائل القرن الحادي عشر؟. وبما أن أغلبية الشعب من العامة لم يكونوا يتقنون اللغة العربية، فكيف كانوا يعبرون عن مشاعرهم وآمالهم وأفراحهم، إن لم يكن بلغتهم الأم؟ وإن كان الأمر كذلك فكيف اندثرت كل هذه الأشعار بهذا الشكل ولم يبق منها إلا هذا القدر اليسير ؟ ، الخ.

ولاشك أن انحصار الشعر الأمازيغي في المجتمع النسوي الضعيف في علاقته مع المجتمع الرجالي، كان قد انعكس على قيمة هذه الأشعار وبالتالي اللغة التي نظمت فيها في تمثيلات المزابيين. ففي مجتمع تسود فيه السيطرة الرجالية ويحتكر فيه الرجل القرار في كل مجالات الحياة، وتحرم فيه المرأة من تعلم اللغة العربية الفصحى لغة العلوم الدينية والسلطة آنذاك؛ لا يمكن للشعر الأمازيغي النسوي ذات الطبيعة الشفوية إلا أن يحتل مكانة دنيا تعبر عن الشريحة الاجتماعية المستضعفة، أمام الشعر العربي الفصيح

المعبر عن النخبة المعربة من الرجال المحتكرين للسلطة الدينية في المجتمع التقليدي. وبترسخ هذه الازدواجية غير المتكافئة بين اللغتين المزابية والعربية باتت اللغة المزابية الأصلية التي تقل فيها الألفاظ والتراكيب الدخيلة "لغة النساء" التي لا يليق بالرجل أن يستعملها. وبالطبع كانت النتيجة هي انحصار الشعر المزابي القديم في ميادين محددة ترتبط أساسا بالمجتمع النسوي وطوقسه الاحتفالية.

وبالفعل كان للادب العربي في المجتمع المزابي الى وقت قريب مكانة الأدب الراقي المنتمي للفئة المتعلمة باللغة العربية من رجال الدين التقليديين أو من خريجي جامعات المشرق العربي، مقابل المركز الدوني للادب المزابي الشفوي المعبر عن الفئات المستضعفة من النساء وبقية الفئات الشعبية الامية. وكنتيجة لهذه الثنائية بالاضافة الى الحظر الديني لكل الفنون باعتبارها عند التفسير المتشدد للمذهب الاباضي "ملاهي الشيطان" تشغل الناس عن العبادة؛ فقد كان الغناء والرقص يترك للفئات الاجتماعية المهمشة مثل السكان السود ذووا الاصول الافريقية او العائلات الدخيلة التي لا تنتمي للعائلات المزابية النبيلة المؤسسة للمدن المزابية، واخيرا النساء باعتبارها الفئة الهشة في المجتمع، وهو ما كان سائدا ايضا في المجتمع القبائلي القديم حيث كان المغنون والمغنيات من منبوذي المجتمع والضعفاء، أما المرأة التي تجرأ على الغناء وتخرج صوتها الى الفضاء العام فكأنما ارتكبت ذنبا وتوصف بقلة الحياء.¹

الفرع الثاني: ازدهار الشعر العربي لبني مزاب على حساب الشعر الامازيغي كانعكاس

للازدواجية اللغوية

من الواضح أن أحد أهم العوامل التي أدت إلى ضالة الشعر المزابي الامازيغي وانحسار دوره في القرون السابقة، يتمثل في الازدواجية اللغوية التي كانت تسود المجتمع المزابي، حسب مفهوم شارل فيركسون السالف بيانه، بوجود لغة عليا وهي اللغة العربية الفصحى بمركز قوي كلغة العلم والسلطة والشرعية الدينية المرتبطة بالمجتمع الرجالي، ولغة سفلى هي اللغة المزابية بمركز دوني كلغة العامة والجهل والمجتمع النسوي وفقا لازدواجية لغوية فتوية وجنسية (أولا). هذا الوضع أدى الى ارتفاع شأن الشعر العربي الفصيح كبرهان على التفوق العلمي والسلطة، وازدهاره أمام الشعر المزابي الذي بقي حبيس الفئة النسوية الامية والجاهلة بعلوم الدين (ثانيا).

¹)Hassina KHERDOUSI, *La chanteuse kabyle,vois,texte,itinéraire*, Editions Akili mohammed,Tizi ouzou, 2001,p.21.

أولاً: الازدواجية اللغوية الفئوية والجنسية في المجتمع المزابي القديم

لم يكن ضعف الشعر المزابي امام الشعر العربي الفصيح الا انعكاسا لوضع الازدواجية اللغوية غير المتكافئة¹ التي يعرفها المجتمع المزابي بين اللغة العربية الفصحى التي تملك رأسمالاً رمزياً² واللغة المزابية التي تفتقد لذلك. والحقيقة ان هذا الطابع الدوني إنما أعطي لـ "اللغة والثقافة الشعبية" من طرف حاملي اللغة والثقافة المهيمنة (العربية) في إطار صراع القوة³. هذه الازدواجية وجدناها تتخذ في المجتمع المزابي ثنائيتين متلازمتين تمثلان نفس الظاهرة :

- ازدواجية لغوية فئوية قائمة على المعرفة الدينية العربية والسلطة الدينية المرتبطة بها (أ)
- ازدواجية لغوية قائمة على التمييز الجنسي -الذي ارتبط بالتمييز الفئوي- بين الرجال اصحاب السلطة، والنساء الحاملات للاحادية اللغوية بالمزابية واللائي يعكسن الفئة الضعيفة في المجتمع المزابي (ب).

(أ) الازدواجية اللغوية الفئوية بين اعزاب (رجال الدين) والعوام (عامة الشعب)

تقوم البنية الاجتماعية للمجتمع المزابي الاباضي على ازدواجية تكاملية تجسد التصور الاباضي للسلطة والإمامة، وتقوم على نوعين من المؤسسات: مؤسسات دينية تقوم بالوظيفة الدينية ويتولاها رجال الدين الاباضية "إعزّاب" (الذين عزبوا عن ملذات الحياة)؛ ومؤسسات قبلية تقوم بالنسيير الإداري للشؤون العامة ويتولاها ممثلي الجماعات القرابية (العوام). وتتقاسم هاتين الفئتين السلطة في المدن المزابية بشكل متكامل رغم الصراع الذي يشوب بينهما من فترة إلى أخرى. وتنعكس هذه الثنائية المؤسسية ازدواجية لغوية قائمة على المعرفة الدينية واللغوية. وتتمثل التركيبة التنظيمية اللغوية للمجتمع المزابي في فئتين:

1. فئة اعزّاب Ieazzaben (الطوبلة): وهم رجال الدين بمختلف درجاتهم ممن اكتسب

¹ انظر مفهوم الازدواجية اللغوية في الاطار المنهجي.

² يتمثل الرأسمال الرمزي في مفهوم بيار بورديو الذي ابتكر المصطلح في تراكم قيم الاعتبار والفخر والنبيل التي تعطى لشيء او امر ما: <<accumulation du prestige et des honneurs>> انظر:

Pierre BOURDIEU, *Langage et pouvoir symbolique*, Editions FAYARD, 1982-2001, p.27.

³ Claude Grignon, Jean-Claude Passeron, *Le savant et le populaire, Misérabilisme et populisme en sociologie et en littérature*, GALLIMARD LE SEUIL, paris, 1989, pp.22,23.

المعرفة الدينية التي تستلزم أول ما تستلزم معرفة اللغة العربية الفصحى، مع أن هؤلاء لا يمثلون فئة إجتماعية قرابية أو إثنية متميزة كما هو الحال بالنسبة لـ"إمزابضن" أو الشرفاء أو النبلاء، إلخ بالمناطق الأخرى، وإنما هم ينتمون إلى كل مختلف العائلات والعشائر والأعراش ولا يستمدون مشروعيتهم إلا بكفاءتهم الدينية.

ويسود هذه الفئة منذ القديم تقليد الكتابة باللغة العربية لاعتبار ذلك من القدرات والكفاءات التي يجب أن يبرهن رجل الدين على إتقانها ليعترف له بصفة التعلم والتفقه في الدين، وبالتالي الإرتقاء في سلم السلطة الدينية، إذ كلما أتقن الطالب اللغة العربية الفصحى كلما وكتابة كلما كان له باع أطول من التفقه في الدين، وفتح له باب الترقية العلمية والاجتماعية في الهرم الديني والاجتماعي. ويتشكل الهرم الديني الإباضي كالتالي:

- **هيئة إيروان:** وتتشكل من الطلبة الحافظين للقرآن والمستعرضين له على يد العزابة. وتعتبر هذه الهيئة أولى درجات الارتقاء في سلم العزابة. ويلتزم من يقبل في الهيئة بقانون صارم للسلوك وبخدمة العزابة و أمور المسجد.
- **هيئة إيمصوردان:** وهم قدماء إيروان الذين يثبتون تفانيهم في خدمة المؤسسة الدينية للعزابة، ويرتقون إليها بعد حصولهم على تعليم ديني في "المحاضر"(مدارس لتحفيظ القرآن والفقه الإباضي) على يد المشائخ المعروفين.
- **هيئة العزابة:** ولا يقبل فيها إلا من بلغ درجة من الزهد والأقدمية في خدمة الدين والقيام بالعبادات. ولا يكون الدخول إلى هذه الهيئة بطلب من المعني، وإنما بترشيح سري من قدماء العزابة ومتابعة سرية لسلوك المرشح، فإذا ثبت قابليته لهذه المهمة استدعي وعُرض عليه الأمر.

وقد لاحظنا كيف أن رجال الدين الإباضية من الوعاظ يتنافسون في إثبات إتقانهم للغة العربية الفصحى، وتجنب استخدام اللغة المزابية - لغة العامة والأميين - قدر الامكان إلا للضرورة التي يقتضيها إيصال أفكارهم، حتى يثبتوا للمستمعين الذين يجهل أغلبهم التعابير المجازية والمعقدة للغة العربية، مدى قدرتهم وتحكمهم وتعمقهم في لغة السلطة الدينية ولغة المعرفة الدينية، طالما أن مشروعيتهم ترتبط،بالإضافة إلى الشروط القاسية الأخرى، على إتقان لغة القرآن.

2. فئة العوام (عامة الشعب): وهم عامة الناس من غير المحيطين بالمعرفة الدينية، وتتميز ثقافتهم عموما بالطابع الشفوي. إذ قبل أن تظهر المدارس الحديثة كان أغلب هؤلاء أميين باللغة العربية الفصحى، لكنهم يحافظون على الرصيد اللغوي والثقافي الأمازيغي رغم انعدام تقليد التدوين لديهم.

إن ارتباط اللغة العربية الفصحى بالسلطة الدينية من جهة، وبالمعرفة والتعلم - وهي سمة تكسب صاحبها مكانة اجتماعية متميزة- من جهة أخرى، جعل منها لغة تحتل مركزا راقيا باعتبارها لغة النخبة ممن أسعفته الظروف للتعلم، بينما اعتبرت اللغة المزابية في التصور اللساني للمجتمع Imaginaire linguistique¹، كلغة العوام من الأميين وهي ذات درجة دنيا، طالما أنها لا تتوفر على المزايا التي اكتسبتها اللغة العربية بفعل ارتباطها بالدين الإسلامي. فأدى تباين مركز كل من اللغتين في المجتمع المزابي في إطار ازدواجية لغوية غير متكافئة زيادة الى عامل الشفوية، الى انحطاط مركز اللغة المزابية سببا رئيسيا في اندثار قسم كبير من الشعر المزابي، بينما تم الحفاظ على تراث معتبر من الشعر العربي الديني المدعم في الكتب الدينية الإباضية لما يمثله من القوة الرمزية لصاحبها. وقد ساهم في الحفاظ على هذا الشعر طابع القداسة التي تتمتع بها اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن ومنع تدنيس أو تقطيع أي ورقة مكتوبة بهذه اللغة مهما كان مضمونها، للإعتقاد السائد في القديم بوجود الحفاظ على أي شيء مكتوب بهذه اللغة المقدسة وبالإثم الذي يصيب كل من يخالف ذلك. وكما يلاحظ السوسيو-لسانيون فإن الفرد ينجذب نحو اللغة القوية ويكتب إبداعاته بها حتى وإن كانت لغته الثانية لأهداف مصلحية لما تضمنه له من المركز السلطوي من جهة ولضمان انتشار كتاباته من جهة أخرى، وهذا ما حدث في أوروبا قبل عصر النهضة أين انتج أغلب الكتاب إبداعاتهم العلمية والأدبية باللغة اللاتينية لغتهم الثانية وليس بلغاتهم الأوروبية الأصلية، كما انتج الأدباء والفلاسفة والفقهاء المسلمون الفرس والامازيغ والروم مؤلفاتهم باللغة العربية المسيطرة والمتمتعة بالقداسة الدينية، وفقا لمقولة "منطق الأقوى هو دائما الأفضل".²

¹ يقصد بهذا المصطلح الذي يمكن ترجمته ب "التصور اللغوي" موقف أو احساس الشخص تجاه لغة ما ، بمعنى مكانة أو تصور الشخص لهذه اللغة. فقد يكون تصويره لها مضخما من شأنها أو منقصا من قيمتها أو محايدا ، الخ حول نظرية "التصور اللغوي" Imaginaire linguistique انظر :

Anne – Marie Houdebine, « imaginaire linguistique », Sociolinguistique, Concepts de base, Marie-Louie Moreau (S. Dir.), MARDAGA EDITIONS , 1997, p.165.

²) WILLIAM F.MACKEY, Bilinguisme et contact des langues, op.cit., pp.20, 21.

بالإضافة الى وضع اللغة المزابية القائم على عاملي الشفوية والدونية فقد ركزت الحركة الإصلاحية الإباضية بوادي مزاب نشاطها منذ انشاء مدرسة "الحياة" سنة 1925 على توسيع تعليم اللغة العربية إلى الفئات الشعبية الواسعة بعد أن كانت هذه اللغة حبيسة نخبة دينية محددة. وإن كان ذلك لا يهدد اللغة المزابية بشكل مباشر إلا أن تعميم تعليم اللغة العربية دون المزابية على المجتمع النسوي - حارس التراث اللغوي والادبي الامازيغي- بمعهد الإصلاح بغرداية منذ سنة 1950¹، ساهم في دعم هذا الوضع الهش للغة المزابية. فقد سعى الإصلاحيون منذ سنة 1914² إلى توسيع النخبة الدينية المعربة بإرسال "بعثات علمية" متكونة من المزابين من كافة المدن المزابية السبع إلى جامع الزيتونة بتونس للتكوين في اللغة العربية وعلومها. وكان لرجوع هؤلاء الطلبة أثرا هاما في الحياة السوسيو-لغوية للمجتمع المزابي، فبعد أن كانت اللغة العربية حكرا على النخبة الدينية التقليدية المحدودة عدديا، أصبحت لغة فئة معتبرة من المثقفين الذين بدؤوا يحتلون مراكز مرموقة في المؤسسات العشائرية والدينية. كما ساهموا في الصراع الديني بين التيار الإباضي المحافظ والتيار الإباضي الإصلاحي. إلا أن هؤلاء الزيتونيين تأثروا من جملة ما تأثروا، بموجه الإيديولوجية القومية العربية التي نشأت وترعرت بالمشرق العربي والتي تسعى إلى تشكيل "وطن عربي واحد" وإنشاء "أمة عربية" على شاكلة الأمة الفرنسية، والألمانية، والإيطالية، الخ مع تجاهل الخصوصيات الإثنية واللغوية في هذه الدول بل وازدائها والسعي إلى محوها على المدى البعيد لأنها تشكل في رايها عوامل تفرقة.

هذه الأفكار القومية العروبية التي تمكنت من نخبه واسعة من المزابيين من خريجي الزيتونة والجامعات المشرقية منذ الاربعينيات والخمسينيات ولاسيما غداة الإستقلال، أدت إلى تطوير خطاب إستعلائي معادي للغة والثقافة الأمازيغية التي اعتبرت "لهجة" و "ثقافة شعبية" تنسب إلى العامة من الأميين والجهلة والغوغاء، أمام اللغة العربية التي ازدادت قوة على قوة، إذ بالإضافة إلى ارتباطها بالدين وتمتعها نتيجة لذلك بالقدسية، أصبحت لغة المثقفين الجدد، ولغة الدولة الجزائرية الوطنية والرسمية.

¹)Brahim cherifi , Le M'Zab, Etude d'anthropologie historique et culturelle, op.cit.,p. 378.

²) كان ذلك على يد الشيخ الصحفي ابراهيم ابو اليقظان احد دعاة اللغة العربية والمدافعين الشرسين على تعليمها. فبعد ان اغلقت السلطات الفرنسية الاستعمارية المدرسة العربية الاباضية الحرة بمنطقة حمانة بتبسة، قرر الشيخ ابو اليقظان بعثة من الطلبة المزابيين للدراسة بتونس وجوامعها.

(ب) الازدواجية اللغوية الجنسية بين مجتمع الرجال ومجتمع النساء

كان للمجتمع النسوي المزابي ولا يزال دورا أساسيا في الحفاظ على الموروث الثقافي واللغوي ونقله إلى الأجيال اللاحقة ومنه الشعر المزابي القديم، لاسيما في ظل العزلة الكبيرة التي عاشتها المرأة المزابية بعيدا عن التأثيرات الخارجية كما رأينا في الباب الأول. فالرجل المزابي بدء الهجرة إلى مدن الشمال منذ أواخر القرن 15 للعمل في التجارة والمهن بعد الصعوبات التي عرفتتها الفلاحة بوادي مراب بسبب موجة الجفاف الذي ضربته، بينما منع القانون العرفي المزابي منعا باتا سفر المرأة المزابية تحت طائلة عقوبة العزل والبراءة ودعوة السوء،¹ ولم يسمح لها بذلك إلا أواخر السبعينيات من القرن العشرين.² فكان الرجل يبقى لعدة سنوات بمدن الشمال للتجارة ويخضع خلال ذلك لمختلف التأثيرات الثقافية واللغوية، بينما تبقى المرأة المزابية الحارس الأمين على الموروث اللغوي الثقافي والديني للمجتمع. ولعل من حسن القول أن انتشار الأمية النسوية باللغة العربية في المجتمع المزابي كان رحمة على التراث الأمازيغي الذي تم المحافظة عليه كشكل من أشكال المقاومة الثقافية اللغوية تجاه الثقافة الإستعمارية للنخبة المعربة من رجال الدين ونظرتهم الدونية إلى الأمازيغية، بل وحتى من عامة المجتمع الرجالي، بعد الانتشار المكثف للتعليم باللغة العربية بفعل الحركة الإصلاحية لكون التعليم الديني في المدارس والمحاضر الإباضية كان مقتصرًا إلى وقت قريب على الرجال دون النساء.

¹ يخضع المجتمع المزابي إلى قانون عرفي يحكم مختلف الميادين لاسيما ما يتعلق بالسلوك الأخلاقي للأفراد. وتسلب عقوبات صارمة على كل من يخالفه تتمثل في عزل الشخص وعدم التعامل معه إلى أن يتوب أمام حلقة العزابة في المسجد أمام الناس. أما الجرائم الخطيرة فكان يعاقب عليها بالنفي المؤقت أو المؤبد. وقد تم تقليص نفوذ القانون العرفي المزابي سنة 1882.

² اصدر مجلس آمي سعيد الديني الذي يمثل عزابة سبع مدن مزابية قرار بتاريخ 28 مارس 1928 جاء فيه : <<لا نرضى على مزابي أن يخرج زوجته أو بنته أو حرمة مزابية مطلقا>> (.....) غير إحدى القرى السبع المذكورة، فجعلنا ذلك حدا محدودا، وحائط مشيدا مرصوصا، وسدا وثيقا، فمن تعداه فقد تعدى حدود الله، ولزمه دعوة السوء من المذهب، وعليه اللعنة والخزي في الحياة الدنيا وفي الآخرة>>. انظر: يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، الطبعة الثانية، 2006، ص 215، 214.

وبالمقابل من ذلك، يتميز المجتمع الرجالي المزابي منذ القديم بحركية كبيرة للهجرة عبر الوطن الجزائري بفعل التجارة التي تعد المهنة الأساسية لكسب الرزق منذ قرون، مما يسمح له بالتنقل الكبير بين أرجاء الوطن وبالتالي الاتصال الواسع بمختلف المجتمعات والثقافات واللهجات. وبالرغم من التأثيرات التي عرفتتها التغيرات الكلامية والثقافية عند الرجال المزابيين المغتربين بمختلف المناطق، كما لاحظنا في تجربتنا الميدانية، إلا أن المرأة المزابية تتجح في كل مرة في ضبطها وإدماجها في عجينة اللغة المزابية التي تحافظ عليها بقوة كعنصر للهوية الاثنو-لسانية المذهبية للمزابيين.

وترتب عن تمكن رجال الدين والمتمدرسين في المحاضر من اللغة العربية من دون جمهور النساء اللاتي بقين أحاديات اللغة Monolingues ؛ وضع ثنائي تكاملي أحيانا وتصادمي أحيانا أخرى يجسد ثنائية لغوية مبنية حسب الجنس. ويؤكد ما نقوله ما جاء في قصيدة *qqimey wehdi* "جلست لوحدي" التي تحكي معاناة امرأة مزابية من غربة زوجها ووحدتها وانعزالها، حيث يتضمن مطلعها مناظرة شعرية وقعت بينها وبين رجل دين استهزأ من شعرها لكونه باللغة المزابية، فما كان منها إلا أن ردت عليه متحدية استعلائه ومؤكدة أن شعرها (ولغتها) ليست أقل جمالا من اللغة التي يفخر بها هو (لغة القراء كما يدعي)، في التالي :¹

- رجل الدين:

izelwan ul shiyyin, ul sseddiren هذه أشعار لا تحيي، ولا تحيي (مترادفان)

- المرأة:

Izelwan an lquran (إنما هي) أشعار مثل القراء (في فصاحتها وجمال تعبيرها)
shiyyan sseddaren.... تحيي (بالعربية)، وتحيي (بالمزابية) ...²

¹)Jean MARIE DALLET, *Chants de tisseuses*, op.cit., Partie 1, p.1.

²) يكون استعمال اللفظة أو الجملة بمترادفين في اللغة المزابية كصيغة للتأكيد واللاحاح على الفكرة . وفي مثالنا :
shiyyan ومرادفها *sseddaren* ، وكذا قولنا *ul rgibey, ul zziy* "لم أرى". وقولنا :
Ul ixeddem ul igeddem "لا يعمل"، الخ.

وهكذا يتضح هذا الوضع الازدواجي اللغوي في المجتمع المزابي بين رجال الدين المعربين وعامة الناس (الجاهلين للعربية والدين) المستعملين للغة المزابية، ثم بين الرجال المعربين والنساء أحادييات اللغة بالمزابية، وهو ما يمكن توضيحه في الجدول التالي:

العوامل المؤثرة في اللغة	اللغة العربية الفصحى وشعرها	اللغة المزابية وشعرها
الناطقون بها ومستعملوها	- رجال الدين - الرجال المتمدرسون	- النساء بصفة عامة - غالبية الرجال الأميون
التصور للمزابيين	- لغة مقدسة (قوة رمزية) - لغة السلطة الدينية (قوة رمزية) - لغة المعرفة الدينية (قوة رمزية)	- لغة العامة من الشعب - لغة المعارضة القبلية (العوام) - لغة عاجزة عن استيعاب "العلم" المعرفة الدينية (دوني)
الدعم المؤسسي والمجتمعي.	- لغة مدرّسة إجباريا منذ الصغر كواجب ديني. - لغة مدونة (الكتابة)	- لغة لا تدرس حتى اليوم - لغة شفوية ضئيلة التدوين.

جدول (11) مقارنة العوامل المؤثرة في الوضع السوسيو-لساني للفتين المزابية والعربية الفصحى

وأدت هذه التطورات السوسيو- لغوية التي ترتب عنها تثمين اللغة العربية الفصحى وشعرها إلى ازدهار الشعر العربي لدى بني مزاب، بينما بقي الشعر المزابي حبيس الأهازيج الفلكلورية النسوية المتجذرة في الأوساط الشعبية والمرتبطة بالمناسبات. ويعكس هذا الواقع وضعية ثنائية لغوية بين شفرة متطورة code élaboré وشفرة محدودة code restreint حسب ما يصفها برنستن Bernstein كالتالي:¹

✓ اللغة المتطورة وتتمتع بإمكانيات نحوية تركيبية هائلة يستطيع المتكلم استخدامها في الدلالات، وهي شفرة تساعدنا على تجريد افكارنا وتجاربنا وتنظيرها. وتطبق هذه الخصائص على اللغة العربية الفصحى في مركزها الراقى .

¹)Basil BERNSTEIN, *Langage et classes sociales, codes socio-linguistiques et cotrole social*, Les Editions de MINUIT, paris, 1975, pp.129 ,223.

✓ اللغة المحدودة لا يكون لمستعملها إلا عددا محدودا جدا من الاختيارات للتعبير عن افكاره، وهي اللغة الحميمة المستعملة في إطار ضيق مع العائلة والاقارب وبما انها تحمل شحنة رمزية فوظيفتها تتجاوز مجرد التواصل.

ويمكن ان نبين الوضع السوسي-لساني للغتين المزابية والعربية الفصحى في الجدول التالي:

الخصائص	اللغة العربية الفصحى	اللغة المزابية
التدوين	لغة مكتوبة	لغة شفوية
الفئات التي تستخدمها غالبا	لغة النخبة المعربة	لغة عامة الشعب
المشروعية	لغة القراءان و"لغة اهل الجنة"	لغة بني مزاب
الخصائص اللغوية	شفرة متطورة	شفرة محدودة

جدول (12) الوضع السوسي-لساني للغتين المزابية والعربية الفصحى

ثانيا: ازدهار الشعر العربي الفصيح عند بني مزاب على حساب الشعر الامازيغي

وجد الشعر العربي الفصيح كجزء من الثقافة الدينية الاباضية السائدة وارتبط بالنخب المزابية المعربة. وبسبب هذا المركز السلطوي الذي يتمتع به، كما اسلفنا البيان، فقد عرف هذا الشعر تطورا وازدهارا كبيرين من حيث وظائفه الاجتماعية وميادينية، فالى جانب الشعر العربي الديني التقليدي الذي انحصرت موضوعاته في المسائل الفقهية والعقائدية التعليمية والزهد، وهو ذو وظيفة تعليمية (أ) ظهر نوع جديد من الشعر العربي على يد المتقنين المعربين المزابيين شملت موضوعاته القضايا الوطنية لاسيما النضال التحرري من أجل الاستقلال (ب) .

(أ) الشعر العربي القديم عند بني مزاب

أنتج علماء الدين الإباضية من الفقهاء شعرا عربيا ينتشر في أمهات الكتب الإباضية العقيدية والفقهية والتفسيرية والتعليمية، وارتبط هذا الشعر بالمكانة الاجتماعية والسياسية للغة العربية باعتبارها لغة

مقدسة ترتبط بالدين، وأكثر من ذلك لغة التعليم الديني في المحاضر الاباضية.¹ إذ أن ضرورة التفوق العلمي تستلزم على الكاتب حيازة القدرة على صياغة الشعر العربي، وحتى يثبت الفقيه تمكنه من هذه اللغة المقدسة التي لا يتقنها إلا نخبة المجتمع من القلائل، فإنه يجهد نفسه على إنجاز أبيات وقصائد شعرية، وكلما كانت القصيدة طويلة كلما شهد ذلك على طول باعة في اللغة العربية.

والملاحظ أن الوظيفة الأساسية للشعر العربي القديم عند من مزاب هي وظيفة تعليمية، وعليه فقد انجزت منظومات عدة في الفقه العقيدة والعبادات الاباضية، مع وجود عدد معتبر من قصائد في مختلف المواضيع كالزهد والتاريخ والرياء والجدل الديني، الخ وعليه يمكن تصنيف هذا الشعر الى مجموعتين: المنظومات الدينية التعليمية(1) والشعر العربي المتعلق بمختلف المواضيع(2).

1. المنظومات التعليمية والاشعار الانشادية: على غرار ما كان سائدا في العالم

الإسلامي حتى أواخر القرن التاسع عشر، أي الفترة التي أعقبت سقوط الدولة العثمانية وظهور موجة الاستعمار والتي اصطلح على تسميتها بعصر الضعف؛ انتشر الشعر الديني التعليمي في المدارس الدينية والمحاضر الاباضية، بعد أن تم تحويل أمهات الكتب الفقهية والعقيدة واللغوية إلى منظومات يجب على الطلبة حفظها عن ظهر قلب لتسهيل إستيعابهم للعلوم الدينية كالعقيدة والميراث والعبادات، إلخ. إذ كانت المنظومة التعليمية الدينية في "المحاضر" الاباضية قائمة على مبدأ "إحفظ المباني تأتيك المعاني"، بحيث يجب على الطالب المتعلم في مرحلة أولى حفظ هذه المنظومات التعليمية عن ظهر قلب واستظهارها مثل القرآن، ومع تكرارها المستمر تتبين له معاني هذه الابيات شيئا فشيئا ليتفقه في الدين. وعليه كان لهذا النوع من الشعر الذي نظمته مختلف المشائخ بوادي مزاب هدفا تعليميا بحثا.²

وكان أول من نظم في هذا المجال الشيخ ابو مهدي عيسى بن اسماعيل المصعبي المليكي (الملقب بالشيخ سيدي عيسى) المتوفي سنة 1560، بمنظومته "موازين القسط"؛ تبعه في ذلك الشيخ بلقاسم حمو

⁽¹⁾ "المحضرة" و"المحاضر" عند اباضية وادي مزاب هي عبارة عن قاعات ملتصقة بالمساجد أو بالمقابر يتم فيها تدريس القرآن والفقه على يد المشائخ والعرفاء، وهو ما يعرف عند المالكية بـ "الكتاتيب".

⁽²⁾ يعود ظهور الشعر التعليمي poésie didactique الى اقدم العصور، ويقوم على الاعتقاد ان >> انزال المعرفة، او النصيحة في بيت من الشعر الموزون كفيل بترسيخها في الالذان، وغن كان اصحابها من الاميين<<. انظر: جبور عبد النور، المعجم الادبي، ص.151.

ولحاج اليزجني بمنظومته النونية في مدح المذهب الاباضي ونسبة الدين. واشتهر القرن الثامن عشر والتاسع عشر بظهور عدة منظومات في مختلف فنون المعرفة الدينية، كالفقه والعقيدة والفلك واللغة والميراث، الخ على يد عدة مشايخ مثل الشيخ يوسف بن حمو بن عدون اليدري، الشيخ صالح لعللي، والشيخ ابراهيم بن بحمان، لاسيما الشيخ قطب الايمة محمد بن يوسف آطفيش الذي نظم في كل مجالات العلوم الدينية، وكذا محمد اوسليمان بن دريسو الذي نظم كتاب النيل وشفاء العليل وهو مرجع الاباضية في الفقه، في قصيدة بثلاثة آلاف بيت. ويمكن أن نذكر كمثال على هذه المنظومات التي كانت من المقررات الدراسية الاجبارية على طلبة المحاضر بوادي مزاب : "وصية معشر الشبان" في الوعظ للشيخ سيدي عيسى المليكي، و"خلاصة المراقي" في الفقه للشيخ صالح لعللي، ومنظومات الشيخ ابو نصر فتح بن نوح الملوشتائي النفوسي، وهي الحائية في تحريض الطلبة على العلم، والنونية في اصول الدين، والرائية في احكام الصلاة.¹

بالاضافة الى المنظومات التعليمية التي كانت تحفظ عن ظهر قلب في المدارس الاباضية، ظهرت منذ الاربعينيات في خضم الحركة الاصلاحية قصائد واشعار بالعربية الفصحى تنشد في الاعراس والاحتفالات التي يشرف عليها رجال الدين والطولبة. هذ القصائد لشعراء مشاركة قدامى و محدثين وتكون احيانا مجهولة المؤلف، تدور عامة حول مواضيع حب الوطن والطبيعة والغزل والتربية، وتنشد بالحنان عربية مشرقية.² وأغلب الظن أن هذه الاشعار التي عرفت شهرة كبيرة غي الاوساط المعربة عند المزابيين كانت قد وفدت مع "البعثات العلمية" للطلبة المزابيين الى تونس والقاهرة.

2. الشعر العربي المتعدد المواضيع: يتضمن التراث المزابي المخطوط العديد من

القصائد الرثائية وقصائد الزهد التي كتبها فقهاء معروفون للتعبير عن ما يختلج صدورهم من أحاسيس وتساؤلات دينية وغيبية، أو لثناء شيخ من المشايخ الكبار كتعبير عن الوفاء له، وأحيانا قليلة لتخليد أحداث معينة. ولم تكن هذه القصائد تلقى في التجمعات أو تنشر، وإنما كانت تدون غالبا في المخطوطات مع البحوث الفقهية التي ينجزونها. وقد اشتهر في هذا المجال الشيخ ابراهيم بن بحمان في القرن الثامن عشر حيث يعتبر ديوان شعره بمثابة توثيق للاحداث والاضاع التاريخية لعصره، كما نظم

⁽¹⁾ لقاء مع الاستاذ يحي بوراس ،مؤرخ ومختص في المخطوطات والتراث الديني، بني يزقن بتاريخ 14 فيفري 2015.

⁽²⁾ تم جمع اغلب هذه القصائد المتداولة في الأعراس بوادي مزاب في كتاب: باحمد بن عيسى بوكرموش، روائع شعرية ومدائح دينية بالأحان الشجية، منشورات مكتبة المسجد العتيق، تغردايت، 2017.

الشيخ بلقاسم حمو ولحاج قصيدة حول فتنة بن جلاب في النصف الثاني من القرن السابع عشر، بينما دور اغلب القصائد الأخرى حول رثاء بعض المشائخ .

(ب) الشعر العربي الحديث عند بني مزاب:

ظهر الشعر العربي الحديث في وادي مزاب منذ بدايات القرن العشرين، ويعد ذلك من تأثيرات الحركة الإصلاحية من جهة، وحركة القومية العربية من جهد أخرى. ففي بدايات العشرينيات من القرن العشرين، ظهرت الحركة الإصلاحية الإباضية بقيادة الشيخ إبراهيم بيوض الذي كان من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين. ولا يخفى ما قامت به هذه الحركة من نشر اللغة العربية وتوسيع تعليمها إلى الطبقات الشعبية بعد أن كانت لغة النخبة الدينية، من خلال شبكة من المدارس الحرة التي أسستها، وفاء لشعار جمعية العلماء المسلمين "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا".

ومن جهة أخرى استطاع أقطاب الحركة الإصلاحية ودعاة القومية العربية جعل اللغة العربية عنصرا من عناصر المقاومة ضد لغة وثقافة المستعمر الفرنسي، فأصبحت ركنا أساسيا في برنامج الحركة الوطنية المطالبة بالاستقلال التي انخرط فيها العديد من وجوه النخبة المزابية رغم بقاء اللغة الفرنسية لغة العمل في ادبيات الحركة الوطنية .

فقد أسس الشيخ إبراهيم بيوض -أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين ورفاق عبد الحميد بن باديس- مع ثلة من دعاة الحركة الإصلاحية "مدرسة الحياة" بالقراره سنة 1924 فكان لها أثرا بالغا في نشر وتوسيع التعليم باللغة العربية في المجتمع المزابي، وربط هذا المجتمع بهوم المقاومة الوطنية ضد الثقافة الاستعمارية، وتزامن ذلك مع إرسال بعثات للطلبة المزابيين للتكوين في جامع الزيتونة بتونس بما يعرف بـ"البعثات العلمية". وكان من نتيجة ذلك ظهور نخبة معربة جديدة في المجتمع المزابي لها اهتمامات وانشغالات وطنية وإسلامية وافقا ثقافيا عربيا واسعا. وكان لهذه النخبة منذ الثلاثينات إنتاجا شعريا معتبرا باللغة العربية نشر أغلبه في الصحف الإصلاحية. ولعل أهم هؤلاء الشيخ أبو اليقظان إبراهيم الملقب بابي الصحافة الجزائرية، والشاعر رمضان حمود. غير أن أهم من انتجتهم هذه النخبة هو الشاعر الكبير مفدي زكرياء شاعر المغرب الكبير المشهود له بالتفوق الذي بات شاعر الثورة الجزائرية، وواضع النشيد الوطني رمز السيادة الوطنية، بل والمؤرخ لمسيرتها من خلال "إلياذة الجزائر". مع أن أول قصيدة كان قد وضعها في صباه كانت باللغة المزابية. إذ بدأ الفتى زكريا آت الشيخ(الاسم الاصلي له)

في نظم الشعر بلغته الام الامازيغية المزابية عندما كان عمره لايتجاوز العشر سنوات في بداية الثلاثينيات، كيف لا وقد تشبع باللغة والثقافة المزابية الاصلية التي رضعها منذ صغره في مجتمع أحادي اللغة بالامازيغية في اغلييته، و قد رثى في هذه القصيدة كبش العيد الذي تم ذبحه بعد إن ارتبط به وألفه لمدة أيام في بيته العائلي ببني يزقن.¹

والملاحظ في الشعر العربي الحديث الذي ألفه المزابيون، ارتباطه بالقضايا الوطنية والإسلامية العامة وابتعاده عن الانشغالات المحلية وآمال وآلام الجماعة المزابية. إذ يمكن اعتباره من جهة محاولة للتعبير عن انخراط الجماعة المزابية في القضايا الوطنية والإسلامية والعربية، وهو من جهة أخرى محاولات لتحسيس المزابيين، وهم جماعة إثنو- لسانية ومذهبية منعزلة، بالقضايا الوطنية والإسلامية.

مع الإشارة إلى أن بعض الشعراء المزابيين باللغة العربية من المعاصرين ، مع قلتهم ومحدودية تأثيرهم على الساحة الثقافية المزابية، مثل سليمان دواق ويوسف لعساكر والمرحوم احمد امين حاولوا توجيه اهتمامهم إلى الساحة المحلية والتعبير عن قضايا الجماعة المزابية. اذ يتميز الانتاج الشعري لسليمان دواق² على الخصوص بالغزارة والتنوع والتفاعل مع مختلف والقضايا المحلية والوطنية والدولية الاجتماعية السياسية، حتى انه تفوق عدديا على ما انتجه الشاعران صالح ترشين وعبد الوهاب فخار معا باللغة المزابية، حيث انتج في العقدين الاخيرين حوالي عشرة دواوين شعرية في مختلف الاغراض والمواضيع،³ حتى ان مدونته يمكن اعتبارها مصدرا تاريخيا للحياة السياسية الثقافية لمنطقة وادي مزاب.

¹ حسب المصادر العائلية للشاعر .

² الاستاذ دواق سليمان بن عمر، من مواليد بني يزقن سنة 1944، خريج مدرسة ومعهد الحياة الاصلاحية الاباضي بالقرارة سنة 1965، متحصل على شهادة الليسانس في العلوم الاجتماعية من جامعة الجزائر سنة 1970، ثم المدرسة العليا للاستاذة بالقبة سنة 1971. اشتغل بالتعليم مدة 42 سنة (1964- 2006) بمختلف مدن وادي مزاب والمنيع، عنابة، وهران، الجزائر، ورقلة. وقد عُرف بغزارة شعره وتعدد اغراضه كما ادت اشعاره مختلف المجموعات الصوتية والانشادية المزابية في الاعراس والحفلات والمناسبات الرسمية والعائلية.

³ تتمثل هذه الدواوين في التالي : ديوان انعام الوفاء سنة 2004 حول القضايا الوطنية والعربية وتخليدا لشاعر الثورة مفدي زكرياء، ديوان " نفحات ولفحات" سنة 2009، حول مختلف الاحداث والازمات التي عرفها وادي مزاب في العشرية الاولى للقرن الواحد والعشرين، ديوان "في دائرة الطباشير" سنة 2010 وتضمن مجموعة كبيرة من القصائد المناسباتية والتابينية للشاعر ولغيره من الشعراء المبتدئين منها قصيدة باللغة المزابية للشاعر صالح ترشين بعنوان "عمّ سليمان" اهداها للشاعر سليمان دواق في حفل اقيم له بتاريخ 14 جانفي 2002، ديوان "من وحي الجابرية" سنة 2010 وخصصه لاحوال المدرسة الجابرية الاباضية ببني يزقن التي درّس فيها، ديوان "سقوط قمم ومهازل امم" سنة 2013 وخصصه

ويتبين من خلال هذا العرض الوجيز أن تطور الشعر العربي عند بني مزاب ارتبط بالمركز السوسيو- لسانی والسیاسي للغة العربية الذي ازداد قوة بفعل ظهور النخبة المعربة الجديدة إلى جانب النخبة الدينية التقليدية، لكن ذلك ساهم في ظهور نظرة دونية إلى اللغة الأمازيغية وثقافتها، باعتبارها لغة بقية الشعب من الأميين، فالإضافة إلى شفويتها، يعتبر وجود اللغة الأمازيغية أصلا يخالف ويناقض حلم النخبة المعربة من الإصلاحيين والقوميين بـ "دين واحد، ولغة واحدة، ووطن واحد".

ولا شك أن هذه العوامل كلها لاسيما النظرة الإستعلائية للمعربين للغة العربية للاعتقاد بقدسيته، وتمتعها بالتعليم والكتابة والنشر، وماترتب عنها من نظرة دونية للأمازيغية بسبب شفويتها وارتباطها بالأمية والمجتمع النسوي المستضعف في تصور الناطقين المزابيين، وحرمانها من التعليم؛ ساهم في اندحار كبير للشعر المزابي بالرغم من حيويته وتجذره في سلوك المجتمع ودعمه لهويته الإثنو- لسانیة.

وبعد ان بيّنا كيف كانت الازدواجية اللغوية بين اللغة العربية الفصحى كلغة عليا بكل ما تحمله من ثقل رمزي وشرعية دينية، واللغة المزابية كلغة دنيا، بما تتميز به من الشفوية ولغة "الجهلة" والدھماء؛ سببا في انكماش الشعر المزابي القديم واندثار الشعر الرجالي بصفة خاصة؛ يجدر بنا ان نتساءل : كيف استطاع الشعر النسوي الغنائي ان يقاوم الزوال؟. وما هو سر قوته الرمزية التي جعلته ينتقل عبر الأجيال، رغم انتمائه إلى لغة "دنيا" مقارنة بالشعر العربي الفصيح؛ ليشكل بعد ذلك لبنة للغة والثقافة الامازيغية ألهمت النخبة المعربة في اواسط القرن الماضي لبعث حركية جديدة للشعر المزابي الامازيغي ومن ورائه اللغة المزابية

المطلب الثالث: دعم الأهازيج المزابية لحيوية اللغة المزابية، بفضل شفويتها ولدورها الوظيفي وقيمتها التراثية واللغوية

لأحداث ما سمي بـ "الربيع العربي"، ديوان "في ظلال نفس سوية" سنة 2014 وتضمن قصائد دينية وتاملية، ديوان "توادر تربوية ومشاعر حميمة" سنة 2014، وفيه مجموعة من الشعر الفكاهي والتربوي، ديوان "النور لا يخشى الظلام" سنة 2014 وخصصه للأحداث الدامية التي شهدتها وادي مزاب ، ومحاولة نثرية موسومة "يعجبني ولا يعجبني" سنة 2015، أخيرا ديوان "ميزاب رب يحميه، حسب الله ونعم الوكيل" سنة 2015 وكرّسه للدفاع عن المزابيين والتتديد بالمجازر والاعتداءات التي لحقتهم.

يمكن في الحقيقة اعتبار مؤشرات الضعف التي ميزت الشعر المزابي القديم كما بينها سالفاً ، والتي تعكس مكانة اللغة المزابية في ظل الازدواجية اللغوية؛ بالاحرى عوامل قوة للغة المزابية، إذا رأينا إليها من زاوية دورها المحوري في المحافظة على الرصيد الشعري اللغوي المزابي على قلتة العديدة بسبب ندرة الاهازيج التي وصلتنا. ذلك أن الرصيد الشعري الأمازيغي التراثي بوادي مزاب تمكن من البقاء بفضل الذاكرة الجماعية التي تناقلته عبر الأجيال، وأكثر من ذلك استمر في أداء وظيفته السوسيو-لغوية في تنشيط الطقوس الشعبية لما يمثله من قوة رمزية ووجدانية لدى الناطقين باللغة المزابية.

فمن جهة، شكلت الشفوية والدور الوظيفي والطابع التراثي والغنائي عناصر قوة يعود إليها الفضل في انتقال الاهازيج المزابية القديمة إلينا (الفرع الاول)؛ ومن جهة أخرى، تمثل الاهازيج المزابية القديمة من الناحية اللسانية لبنة لغوية اعتمد عليها الشعراء الجدد لبعث الشعر المزابي وإحياء الرصيد اللفظي المنذر في اللغة الشعرية الجديدة (الفرع الثاني).

الفرع الأول: حيوية الأهازيج المزابية بفضل شفويتها ودورها الوظيفي وقيمتها التراثية والموسيقية

تكمن قوة الأدب الشعبي من كونه ينبع من الوعي الجمعي للجماعة ولا يمثل، مثل الأدب الرسمي المدون، النخبة الاقلية المتعلمة ونظرتها الارستقراطية المتعالية. إذ تعبر الاهازيج المزابية عن الوجدان الشعبي الأصيل المقاوم للمركز الاستعلائي للنخبة الدينية المعربة، الذي تحفظه الذاكرة الشعبية وتنقله بأمانة الى الاجيال القادمة. هذه الخصائص جعلت منه عامل حفظ وحيوية للغة المزابية رغم ما يشوبها من نقائص وسلبيات.

وبالفعل يعود الفضل في حفظ وانتقال الأهازيج المزابية إلينا الى عاملين أساسيين هما: التكرار والشفوية اللذين يساعدان الذاكرة الجماعية على حفظ ونقل الارث اللغوي والادبي لأي لغة. بحيث لا يمكن حصر فضل الحفاظ على الرصيد الشعري المزابي القديم إلى أعمال التدوين التي قام بها الباحثون الفرنسيون وحدها، والتي لم تأت إلا في الفترة الإستعمارية ليدعم الذاكرة الشعبية ويساعدها (اولاً)؛ كما

شكلت الأهازيج المزابية المرتبطة باللحن المزابي الاصيل ولا تزال، عاملا هاما في ربط الناطقين المزابيين بلغتهم وهويتهم الإثنو- لسانية وتثمينها في مواجهة التصور الدوني للنخبة المعربة المزابية تجاهها (ثانيا).

اولا: شفوية الأهازيج المزابية ودورها الوظيفي في طقوس المجتمع النسوي

عمل الطابع الشفوي المعتمد على الذاكرة الجماعية على الحفاظ على الاهازيج المزابية (أ) بفضل الوظيفة التي تؤديها في طقوس المجتمع النسوي المتكررة والمستمرة (ب).

(أ) قوة الشفوية كعامل للحفاظ على التراث اللغوي والأدبي المزابي

إن كانت الشفوية من وجهة نظر المحافظة على اللغة- مسؤولة عن اندثار الرصيد اللغوي والأدبي للكثير من اللغات، وبالتالي هي عامل ضعف للغة والادب بسبب اعتمادها على الذاكرة الجماعية وما تؤدي اليه من عدم الدقة وخطر الاندثار وارتباطها بمجتمع امي غير متعلم وبالتالي فقير ثقافيا وفكريا؛ فإنها من ناحية أخرى كانت في الحقيقة ولا تزال عنصر قوة وحيوية للعديد من اللغات الاخرى استطاعت ان تحافظ على استمرارها، لكونها سمة القاعدة الشعبية الغالبة غير المتعلمة والتي تغيب عندها تقاليد الكتابة. وبالفعل اثبتت التجربة أن الشفوية قد تكون عنصر قوة لنقل اللغة بين الأجيال، كما توجد الكثير من اللغات المكتوبة التي اندثرت بفعل عوامل عدة.

ذلك أن الشفوية في العالم الامازيغي هي طريقة لا تقل أهمية عن الكتابة للنقل الحي للغة transmission vivante لكون اللغة الشفوية تمارس في سياق جواربي بين المتكلم والمتلقي يستعمل فيها النحو الإيقاعي واللغة الحركية، الخ. بل يعتبر البعض أن << قوة التراث الشفوي لدى الأفراد هو أكبر ضمان لديمومة اللغة من القواميس >> والادب هو وعاء من أوعية اللغة الاساسية إذ << تعيش اللغات في الأغاني والأمثال والاساطير >>، التي تحفظها المجتمعات الشفوية لما تتوفر عليه من << آليات خاصة بها تقوم بواسطتها على تخزين المعارف المكتسبة ونقلها... >> ، وبالنظر للدور الهام الذي تقوم به الشفوية في الحفاظ على اللغات واستمراريتها فإن << حماية اللغات يعني أيضا حماية الشفوية والتقاليد الشفوية >> ¹ (ترجمتا)

¹) Mostafa BEN-ABBAS, *Oralité et tradition orale*, in Actes du 2eme Colloque international sur LA LANGUE AMAZIGHE DE LA TRADITION ORALE AU CHAMP DE LA PRODUCTION ECRITE

ومن ذلك تتبين قوة الشفوية ودورها المحوري في حفظ التراث الادبي واللغوي في المجتمعات، لارتباطها بالسياق الزمكاني للتواصل اللساني بكل ما يشمل من لغات كالاشارة والنظرة والايحاء والسياق منجهة، وبفضل تعبئة الذاكرة الجماعية لنقله بين الاجيال بطريقة آلية باعتباره سمة قوية للانتماء لهوية الجماعة اللغوية والدينية والحفاظ على استمرارية منظومتها اللغوية والثقافية والاجتماعية. وتبرز قوة الشفوية إذا علمنا أن أغلب اللغات كانت قبل ظهور الطباعة والتدوين الواسع لغات شفوية تم انتقالها بين الاجيال بفضل الذاكرة الجماعية. ويدعم ذلك أن تراثا ضخما من الادب الشفوي الامازيغي تمكن من مقاومة الضياع وانتقل إلينا محفوظا مصونا بفضل حفظ الذاكرة الجماعية له باعتباره يعبر عن ثقافة الجماعة ووعيا وتجاربا. فالشاعر القبائلي الكبير سي محند اومحمد إلترم بعدم تكرار أي قصيدة asefru ألقاها امام الناس حتى يتلقف شعره المستمعون ويحفظونه للتو، لأنه حسب قوله << لا يوجد شيء يكرر إلا القراءان >> haca luqran ig ttuεwaden ، ومع ذلك حفظت الذاكرة الجماعية للمجتمع القبائلي المئات من أشعاره. ويطرح الاستاذ يوسف نسيب السؤال: << كيف يمكن حفظ شعر يلقي مرة واحدة؟ >> ويجيب << يكمن الجواب في التطور الهائل للذاكرة في الثقافة التقليدية أين كان يجب حفظ الكلمات التي تبدو ذات أهمية قصوى دون الاستعانة بقلم او مسجلة >> (ترجمتا)¹. وعليه لا يمكن اعتبار الشفوية إلا طريقة من طرق التدوين مثلها مثل الكتابة، ومن الخطأ الخلط بين الشفوية والامية أو الجهل لأن << الشفوية لاتعني الامية التي تعتبر نقصا مجردا من القيم الخاصة بالصوت ووظائفه الاجتماعية الايجابية >>² (ترجمتا)

والشعر الامازيغي الذي وجد في وضعية ثنائية صراعية بين الثقافة المهيمنة للنخبة والثقافة الدونية لعامة الناس، لا يمكن إلا ان يقوم بوظيفته الاجتماعية كأفضل وسيلة للتعبير عن روح ووجدان الجماعة وفلسفتها تاريخها.³ ونلاحظ أن إشكالية الصراع بين الشعر الشفوي والشعر المكتوب ظاهرة بوضوح في الحوار السالف الذكر بين المرأة المزابية ورجل الدين بما يحمله من دلالات رمزية عميقة. إذ

(Parcours et défis), 17 et 18 avril 2013, Université Akli Mohand Olhadj, Bouira, Faculté des lettres et des langues, Département de langue et culture amazighes, p.37.

¹)Youssef NACIB, *Aspects du conte et du proverbe amazighs*, ZYRIAB Editions, Alger, 2016, pp.54,55.

²) Paul ZUMTHOR, *Introduction à la poésie orale*, Editions du Seuil, paris, 1983, p.26. << oralité ne signifie pas analphabetisme, lequel est perçu comme un manque, dépouillé des valeurs propre de la voix et de tout fonction sociale positive >>

³) A. AKOUAOU, « Poésie orale berbère : statut, formes et fonctions », In *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n°44, 1987. Berbères, une identité en construction, p.71.

تواجه هذه الشاعرة المزابية احتقار رجل الدين للاهازيج الامازيغية بقولها محاولة دفع هذه النظرة الدونية الى الشعر الشفوي الامازيغي: " izelwa n an lquran dren sseddaren " إن إزلوان أشعار كالقرآن (الذي تفتخر بلغته)، إنها حية وتحيي!! ". وبالفعل يمكن اعتبار الاهازيج المزابية وسيلة لمقاومة المرأة المزابية لهيمنة الرجال التي يمارسونها بفعل مركزهم الذكوري واحتكارهم للغة العربية والشعر العربي.

وفي الحقيقة لا تقتصر أهمية الشفوية على العصور السابقة، عندما كانت شفوية بحتة او بدائية oralité pure/ primaire بدون أي كتابة، أو شفوية خليطة oralité mixte تتأثر بالكتابة وتتعايش معها؛ بل إن الشفوية الاعلامية المعاصرة oralité mediatisée¹ التي تستعين بالصوت والصورة باتت من افضل وسائل التدوين اللغوي والادبي لما تتيحه من الانتشار الواسع لدى الفئات الشعبية، والدقة والأمانة في التسجيل والحفظ. بل إنها باتت افضل وسيلة لتدوين الانتاج اللغوي والثقافي والحضاري لاي شعب وإعادة بثه والمحافظة عليه على المدى الطويل. وكما يرى بول زومتور Paul ZUMTHOR فإنه في حالة الشفوية البدائية تكون للكلام سطوة كبيرة رغم ما يعاب عليها من خطر الاندثار وعدم الدقة، وفي حالة الشفوية الخليطة فإن الكتابة تعالج ضعف الشفوية واختلالاتها، أما الشفوية الاعلامية المعاصرة فهي تضمن الدقة والاستمرارية.²

وبالفعل باتت الشفوية الاعلامية المعاصرة أكثر قوة من الكتابة نفسها -التي طالما اعتبرت في السابق عاملا أساسيا للحفظ- بفعل اقترانها بالصورة والصوت التي تبين السياق الاجتماعي والزمكاني للشعر واللغة، وكذا تقريبها للمسافات التي تفصل بين البشر والسرعة الهائلة لوصولها الى المتلقي بفضل التطور التكنولوجي الهائل. بحيث يمكن ان نستمع الى قصيدة شعرية أو نصا أدبيا في نفس اللحظة في جميع القارات؛ بالإضافة الى أمانتها في التسجيل وضمانها للحفظ الطويل الامد للانتاج الشعري واللغوي.

(ب) الدور الوظيفي للشعر المزابي القديم في طقوس المجتمع النسوي

¹) Jacques DEMOUGIN, Dictionnaire des littératures francaises et etrangeres, LAROUSSE Editions, paris, 1985, p.1133.

²) Paul ZUMTHOR, Introduction à la poésie orale, p.29.

إن أهم ما حافظ على الأهازيج المزابية التراثية القديمة بالرغم من كل عوامل الاندثار التي كانت ولا زالت تحيط بها، هو دورها الوظيفي في جملة من الطقوس والعادات الشعبية المتكررة التي ترقى إلى مرتبة التقديس في المجتمع المزابي حتى اليوم، بحيث لا يمكن أداء هذه العادات والاحتفال بتلك المناسبات دون أداء هذه الأهازيج التي هي جزء لا يتجزأ منها. وترتبط الشفوية أساساً بعنصر التكرار، إذ لا يمكن للذاكرة الجماعية للمجتمع حفظ ونقل اللغة ورصيدها الثقافي والأدبي إلى الأجيال اللاحقة إلا بفضل التكرار. ويكون التكرار أكثر أهمية إذا ما ارتبط بطقوس اجتماعية متكررة مثل حفلات الزواج والحفلات الموسمية المرتبطة بالحياة الفلاحية والاجتماعية والدينية التي تعد فضاءات مثالية لنقل القيم الثقافية اللغوية الاجتماعية بين الأجيال. ويؤكد ما توصلنا إليه الباحث الفرنسي المتمزغ هنري باسييه Henri BASSET بحيث يرى أن الأشعار الغنائية الأمازيغية التي بقيت طويلاً ولم تندثر هي التي ترتبط بالعادات والطقوس الفلاحية والاجتماعية.¹

وعليه يمكن التمييز بين نوعين من الأشعار والأهازيج المزابية القديمة:

✓ الأهازيج المزابية الطقسية chants rituels المرتبطة بالطقوس والعادات الشعبية، وتم الحفاظ عليها بفضل الذاكرة الجماعية، مثل أزوجة *siwed a wi ssawaden* "بلغ ايها الذي يبلغ الاماني" التي تؤدي في أحد طقوس العرس التقليدي المزابي، وأزوجة *kred amzur* "امشط الشعر" التي تؤدي عند حفلة الختان، وأزوجة *ay anuji* "ايها الضيف" التي تؤدي في طقس خاص بالمرأة العاقر، وأزوجة *Lalla hebbik n tuffa* "سيدتي أعطينا سعة النخل" التي تكررهما الفتيات عند أداء لعبة جمع سعف النخل لتحضير طبق جماعي، والأشعار التي تقال عند تركيب المنسج المزابي التقليدي، الخ.

✓ الأهازيج والأشعار الغير مرتبطة بعادات وطقوس شعبية معينة والتي تم المحافظة عليها بفضل أعمال التدوين التي قام بها الباحثون الفرنسيون، لاسيما الأب جون دولور، ثم تم إحيائها وغنائها من قبل المنشدين المزابيين المعاصرين، مثل قصيدة *qqimey weh -ikw an* "بقيت وحدي كالغريبة"، وبعض الأشعار المتعلقة بالحياة النسوية التي دونتها الباحثة "قواشون" كما سلف ذكرها.

¹) Henri BASSET, *Essai sur la littérature des berbères*, p. 180.

ونكتفي للدلالة على الدور الطقسي الوظيفي للشعر المزابي القديم باستعراض أهم أهزوجتين فيما يلي:

1. أهزوجة *siwed a wi ssawaden* "بلغ يا مبلغ الاماني":

وتؤدى في عادات العرس بحيث تعد جزءا لا يتجزء من طقوس العرس المزابي الى يومنا هذا، إذ لا يمكن أن يحتفل بأي زواج دون أداء هذه الأهزوجة للعريس والعروس على السواء. وترتبط هذه الاهزوجة بسياق الاحتفال التقليدي بالزواج عند المزابيين، وتؤدى أداء جماعيا للعروس ليلة الزفاف من طرف أهلها من النسوة والبنات ، كما تؤدى أداء جماعيا من طرف الرجال عند مرافقتهم مركب العريس إلى بيت الزوجية عند عتبة الدار قبل دخوله الى داره. وتقول هذه الأهزوجة الشهيرة:

<i>Ssiwed a wi ssawaden</i>	بلغ أيها الذي يبلغ (الأماني) ¹
<i>Lemni n (flan) yiweḍ.</i>	لقد وصلت أمنية ..(فلان)
<i>Lemni n mamma-s yiweḍ</i>	أمنية أمه وصلت
<i>Lemni n id-xalti-s yiweḍ</i>	أمنية خالته وصلت
<i>Lemni n id-εemmi-s yiweḍ</i>	أمنية عمه وصلت
<i>Lemni n teεcirt-s yiweḍ</i>	أمنية عشيرته وصلت
<i>Lemni n tawwat-s yiweḍ.</i>	أمنية إخوته المزابيين وصلت. ²

وعند وصول العروس إلى بيت الزوجية تستقبل بجملة من الأغاني والأهازيج، أشهرها أهزوجة *Lallahukber* بلحن موزون، والذي يعبر لها فيه الجمع عن أمانيتهم في أن تجد حياة سعيدة في البيت الجديد، ويتغنون بجمالها، الخ. هذا مقطع منها:

<i>Lallah ukber !</i>	الله اكبر، الله اكبر !
<i>.....d asli !</i>	(فلان)،(أصبح) عريس !

¹ المقصود به الله عز وجل.

² *tawwat.* باللغة المزابية يعني الأخوة الاباضية المزابية ، بينما يعني *awwatan* الإخوة الطبيعيين .

<i>Lalla d taslet !</i>	السيدة (أصبحت) عريسة!
<i>Acca tagwzin</i>	غدا عند العصر
<i>Ad yemlec ħnini</i>	سيتزوج المحبوب
<i>Annecc ucu</i>	وسنتناول الكسكس
<i>Annerc rfis. Allah,allah !</i>	سنتناول الرفيس ¹ ؛ الله الله !
<i>Tajemmi n uḍil</i>	بستان من العنب
<i>ḥeb errumman di-s</i>	فيه الرمان
<i>Lalla d taslet</i>	السيدة العروس
<i>.....Tabejna n tyatt.</i>	رأس العنزة ²

وعندما تدخل العروس إلى غرفة الزوجية تتكفل أمة سوداء برعايتها، فتضع يدها على رأسها وتقول أشعارا تقائلية لمستقبل الزوجة، مادحة شأنها ومقامها العالي وجمالها ونصرتها، منها :³

<i>Llahu akbar Lalla taslet</i>	الله اكبر سيدتي العروس
<i>Lḥenni drus taddart n wesli</i>	الحنى قليل في دار العروس
<i>Lalla εalya, wṭṭa s nnej, ney ad am-d-nali.</i>	سيدتي العالية، انزلي من الأعلى أو نطلع إليك
<i>Tajemmi n uḍil, lxux dys, ṛremman dys.</i>	(أنت) واحة العنب، فيها الخوخ والرمان
<i>ctuyud mamma-s tujud an temnait</i>	هاهي أمها طلعت كالفرس/كالبطلة
<i>ctuyud baba-s tujud an Amnir...</i>	هاهو أبوها طلع كالنجم الساطع(المسمى أمنير)...

¹ هو طبق يحضر في الأفراح يتكون من فطائر السميد المرحي مع الدهن والسكر.

² في تشبيه رأس الفتاة العروس برأس العنزة تغزلا بجمالها، حيث يتسم رأس العنزة المزابية (سلالة خاصة بالمنطقة في طريق الانقراض) بالرقّة والجمال والاتساق.

³) GOINCHON, *La vie féminine au M'Zab*, appendiceV pp.280, 281.

2. أهزوجه KRED AMZUR¹ "امشطي خصلة الشعر (الطفل)":

وتؤدى في طقوس الاحتفال بختان الطفل في حفلة نسوية خاصة حين تجتمع النسوة في قاعة كبيرة، وتجلس أم الطفل وقرباته في مقابل جمع المدعوات، ويكون في حجرها الطفل وهو في حلة خاصة لابسا قندورة من الصوف تحضر خصيصا لهذه المناسبة تسمى *ticbert n lleč* "تنورة اللتش" مطرّزه ومزركشة بالحروف والرموز الأمازيغية "الثيفيناغ"، ويدعى لهذه المناسبة نساء الأقارب والجيران. وتؤدى هذه الأهزوجة من طرف بعض النسوة في الوقت الذي يخضب أصبع الطفل بالحنى وتوزع الحلوى والفول على الحاضرات حتى تعم البركة والمحبة.

<i>A memm-i, a yur, a tifawt n yidan</i>	يا ابني ، أيها القمر ، يا إشراقة في الظلمات !
<i>Rebb ad ac-yeğğ d talwit n yimuḍan</i>	جعلك الله فرجا للمرضى!
<i>A midden init mɛaya : Rebbi ad ismell ussan.</i>	أيها الناس (الحاضرون) قولوا معي: اللهم اجعل الأيام بيضاء!
<i>Kred amzur n eisa n marima ncalleh</i>	أمشط خصلة الشعر، عيسى مريم إن شاء الله
<i>Awi-d tamceḍt , awi-d a Lalla , tixutam</i>	ناوليني المشط، ناوليني الأختام، يا سيدتي !
<i>Awi-d tamceḍt , ad as-nekreḍ sys iselyan</i>	ناوليني المشط، نمشط له بها أطراف شعره
<i>Memm-ikw d yur , yella yessifaw idan</i>	ابني كالقمر ، انه يضيء الليالي
<i>Memm-ikw d yur , d asfir israḥa imuḍan</i>	ابني كالقمر، انه الدواء الذي يريح المرضى
<i>Siweṭ yersen usint-d iwint-d izelwan</i>	نساء أهله اقبلن يتغنن بالأهازيج
<i>Siweṭ yersen usint-d iwint-d ieban</i>	نساء أهله اقبلن وحملن الأكياس المملوءة (بالحلوى والفول)
<i>Yella d ayziw, di tmejdida iḥeffed lquiɛn</i>	لقد أصبح (ابني) راشدا، في المسجد يحفظ القرآن

¹ (أهزوجة شعبية معروفة تناقلتها الأجيال دون تغيير فيها.

*Yella d ayziw, di tma n ssuq yessay
ieuban*

لقد أصبح ابني راشداً، في السوق يشتري
البرانس الراقية

Yella d abyur , di lyabet irezzem aman

لقد أصبح (ابني) شاباً، في الواحة يسقي الزرع

Yella d abyur , si tmura yiwi-d idrimen

لقد أصبح (ابني) شاباً، يجمع المال من البلاد
الخارجية

Rebbi d ahnin, leukba yel wi-d-qqimen

ربي الحنون، نتمنى أن يأتي دور الأولاد الباقين

Rebbi d ahnin ad işşiw-d lemni n midden

ربي الحنون، فليبلغ أمنية الآخرين (للاحتفال بأبنائهم)

ونلاحظ في هذه الأشعار مباركة جماعية للطفل وتطيبها لخطره بعد الألم الذي سببه له الختان، وتمنيات له بالحياة المزدهرة الناجحة وتخيلاً لمسيرة حياته حسب التصور الجمعي لقيم الرجولة الناجحة في المجتمع المزابي، باعتبار أن الختان هو أول درجة من درجات بلوغ الرجولة. إذ بعد الختان يصبح الطفل يافعا يقرأ القرآن في المحاضر الدينية، ثم يكبر ليشغل بالفلاحة، وعندما يبلغ الرشد يصبح تاجراً ناجحاً يبيع البرانيس الراقية الغالية الثمن المسماة "إعوبان" في السوق.

وبصفة عامة كان الشعر الامازيغي في القديم فضاء حراً للمرأة المزابية للتعبير عن معاناتها وآمالها ورغباتها والاحتجاج على وضعها، مقابل الشعر العربي الفصيح الذي ظل صنيع المجتمع الرجالي، فظل حبيس الموضوعات الدينية والاخلاقية والسياسية. وتلاحظ تاسعديت ياسين بخصوص الشعر النسوي الامازيغي أن << الشعر النسوي يلعب دوراً مزدوجاً، من حيث كونه داعماً للنظام القائم لأنه يمثل بالنسبة لها مرجعاً، وفي نفس الوقت دور التنديد باختلالاته ومظالمه ونفاقه >> (ترجمتاً). وبذلك ظلت الهازيج المزابية بالنسبة للمرأة وسيلة للترفيه عن مكبوتاتها لتجاوز أهوال الحياة في مجتمع لا يعطيها أي فضاء للتعبير الحر والمشاركة في الحياة الاجتماعية والسياسية للمدينة خارج المجال الديني الصارم المتزمت

¹) Tassadit YACINE, « Femmes et espace poétique dans le monde berbère », in CLIO. Histoire, femmes et Sociétés, Numéro 9, 1999, Femmes du Maghreb, p.3. << La poésie féminine joue donc ce double rôle, celui de conforter l'ordre dominant, parce que cet ordre constitue pour elle une référence, et celui de dénoncer son dysfonctionnement, ses injustices et ses hypocrisies. Les femmes >>

الذي تتولاه الفقيهات الاباضيات في هيئة تمسرين *timsiridin* بكل ما يحمله من انغلاق على التعابير الأدبية والفنية المعتمدة من الرفاهيات التي وضعها الشيطان لإشغال الناس عن العبادة.

ثانيا: القيمة التراثية والموسيقية للأهازيج المزابية الغنائية كسمة للهوية الاثنو-لسانية

غالبا ما يرتبط اللحن والموسيقى بالهوية اللغوية للجماعة طالما ان الطبع الموسيقي هو سمة من سمات تميز الجماعة اللغوية عن غيرها. لذلك لا غرابة ان تتمتع الأهازيج المزابية القديمة في تمثلات المزابيين، بفضل مضمونها التراثي الثقافي الاجتماعي التاريخي من جهة، ولحنها الموسيقي الامازيغي الاصيل من جهة اخرى، بقيمة رمزية خاصة مادامت تحيل إلى البعد الامازيغي لهويتهم الألفية وخصوصيتهم الاثنو-لسانية والمذهبية. وتتبين القيمة الكبيرة للاهازيج المزابية بالنسبة لحيوية اللغة المزابية، من خلال تحليل أهمية مضمونها التراثي والموسيقي:

1. المضمون التراثي: تؤرخ هذه الاهازيج للحياة الاجتماعية القديمة للمزابيين وتحفظ للاجيال

الحاضرة والمستقبل صورة وافية لعادات وتقاليد الاجيال السابقة. وقد أدى انتشارها الواسع في التسعينيات بفضل أدائها الغنائي كما سنرى، الى إحيائها وانقاذها من الزوال من جهة، والى بعث الحنين الى التراث الامازيغي وإحيائه كشكل من أشكال التشبث بالهوية اللغوية والمذهبية في مواجهة زحف العصرية وما جلبته من تحولات استهلاكية ومن منتجات الحضارة الغربية الفردانية المادية منها الاغاني الشرقية والغربية التي تحيل في مضمونها وألحانها الى السلوكيات والثقافات الدخيلة.

2. المضمون الموسيقي: يعتبر اللحن وسيلة لحفظ الشعر كما يعد سمة للتميز الهوياتي:

✓ كوسيلة للحفظ، فإن الأزوجة تستسيغها الأذن وتطرب لها القلوب وهي أكثر سهوله للحفظ من الشعر غير الملحن. وكما يُعرف فإن اللحن يعطي للشعر نفسا أطول للحياة، بل انه أقوى وسيلة -إضافة إلى الكتابة- للحفاظ عليه من الاندثار مادام يساعد على حفظه في الذاكرة الجماعية، وبالطبع بحفظ الشعر يُحفظ معه مضمونه اللغوي.

✓ كسمة للتميز الهوياتي، حافظت الاهازيج المزابية القديمة بالبصمة الموسيقية المزابية

الاصيلة، بحيث أدى ارتباطها بألحان أمازيغية متميزة إلى إضفاء مسحة مزابية عليها. وتوضح هذه الخصوصية الموسيقية على وجه الخصوص في الأهازيج المزابية الثلاثة الأكثر شهرة وشعبية في وادي مزاب وهي أهزوجة *siwed a wi ssawaden* "بلغ ايها الذي يبلغ الأماني" ، وأهزوجة *ay anuji* "ايها الضيف" وهما من نوع الميلودي، وأهزوجة *kred amzur* "امشط خصلة الشعر" وهي من النوع الايقاعي؛ بينما فقدت الهازيج الأخرى ألحانها وانتقلت إلينا بفضل الكتاب الفرنسيين الذين اكتفوا بتدوينها دون تسجيلها الصوتي لعدم إمكانية تسجيل الغناء النسوي آنذاك، وذلك على افتراض ان الهازيج الامازيغية نظمت في البداية غناء ولحنا. إذ يلاحظ الاستاذ محمد جلاوي بحق أن من السمات البارزة للشعر الشفوي التقليدي القبائلي هو >> ارتباطه في بداية مراحل نموه بالغناء ارتباطا وثيقا، حتى اضحى الشعر والغناء يمثلان شيئا واحدا في الفهم العام للفرد القبائلي¹>> كما يفترض بول زومتور Paul ZUMTHOR ان >>كل نوع من انواع الشعر الشفوي يعد نوعا موسيقيا ايضا حتى وان لم يعرفه الذين يستعملونه²>> بل يرى الفيلسوف الالمانى نيتشه ان الميلوديا هي اصل الشعر.³

ان للموسيقى ارتباطا وثيقا بالهوية اللغوية والثقافية، والطبع الموسيقي والايقاعي يعبر مثله مثل العناصر الثقافية الأخرى عن هوية الجماعة وخصوصيتها، لذلك فإن خصوصية إزلوان الفنية والإيقاعية جعلتها تتميز عن الأشعار العربية الدينية والوطنية التي تؤدى بالألحان والإيقاعات العربية، وتتمتع نتيجة ذلك بقوة رمزية كبيرة في التصور التمثيلي الجمعي للمزابيين لتجسيدها لخصوصيتهم الإثنية - لسانية التي تحدد هويتهم وتميزهم عن غيرهم. وطالما كان اللحن والموسيقى سمة لتمييز الجماعة وتحديد هويتها، حيث تلاحظ ييف ديفرانس Yves Defrance في بحثها حول الهوية الموسيقية أن محاولات المحافظة على الثقافات الضعيفة المهددة بالزوال ترتبط في أغلب الأحيان بسمات موسيقية مميزة تحدد "بطاقة هوية" الجماعة.⁴ كما يبرهن جيوفاني قيورياتي Giovanni Giuriati في دراسته حول المهاجرين الخمير القاطنين في الولايات المتحدة الأمريكية كيف تلعب الموسيقى وظيفة أساسية هي تأكيد الانتماء للجماعة

¹ (د.محمد جلاوي، تطور الشعر القبائلي وخصائصه، المرجع السابق، ص.45).

²) Paul ZUMTHOR, *Introduction à la poésie orale*, op.cit., p.78.

³) *Idem*, p. 79.

⁴) Yves DEFRANCE, « Distinction et identité musicales, une partition concertante », *Cahiers d'ethnomusicologie* [En ligne], 20 | 2007, mis en ligne le 16 janvier 2012, consulté le 30 septembre 2016. URL : <http://ethnomusicologie.revues.org/247>, p.20.

بحضورها كسمة للهوية في كافة نشاطاتهم العائلية والجماعية.¹ وهو نفس ما يمكن معاينته لدى الجماعات الامازيغية في المهجر اين يمثل الغناء الامازيغي - بالاضافة الى اللباس بالنسبة لبني مزاب خصوصا- سمة بارزة للارتباط بالجماعة والوطن الام.

لقد بين بول زومتور الاهمية القصوى للصوت والحن في عملية التواصل اللغوي، بحيث يكون الشعر الملحون اكثر تعبيرا للشعر الملقى أو المقروء، ويقوم بدور اساسي في تعبير الجماعة عن ذاتها ونظرتها الى العالم.² ولا أدل على وظيفة اللحن والموسيقى في ايقاظ مشاعر الهوية اللغوية مما حدث بمنطقة القبائل، إذ بفضل اللحن الاصيل تم اخراج الكثير من الاشعار القبائلية القديمة المنسية الى المجال الشعبي الواسع،³ وبفضله ايضا يتم التعبير عن التميز اللغوي، لعل افضل مثال على ذلك الاغنية القبائلية الشعبية الشهيرة *a baba n yuba* "يا ابانا يوبا" للمغني ايدير التي ايقظت سنة 1973 وعيا هوياتيا لغويا قويا في منطقة القبائل وخارجها، حتى قال كاتب ياسين << كل شيء بدأ بهذه الأنشودة الطفولية الشعبية بلحن قديم جدا يحيل (سامعيه) إلى الأصول....⁴ >> (ترجمتنا). بل ظلت الاغنية القبائلية الوسيلة المثلى لمقاومة سياسة التعريب القسري والقمع المسلط على دعاة إحياء الامازيغية في ظل الاحادية اللغوية في الستينيات والسبعينيات في الجزائر. ويقول المغني فرحات مهني في ذلك <<عندما نمنع على شعب ما ان يكتب لغته ، فإنه يستطيع ان يتكلمها ويغنيها. لذلك اصبحت الاغنية(القبائلية) الوسيلة الوحيدة للتعبير ليس بالنسبة للفرد(المغني) فقط وانما لكل الشعب وقضيته>>⁵ (ترجمتنا)

وفي هذا المعنى بقي اللحن المزابي الاصيل يعبر عن الهوية الامازيغية لبني مزاب ويحيل إليها. فبالإضافة الى المضمون التراثي والتاريخي للاهازيج المزابية التي تبعث الحنين الى الأصالة والماضي البعيد، فإن شكلها الايقاعي والموسيقي يبعث الشعور بنشوة الانتماء إلى لغة الجماعة وثقافتها ، مادام أن الإنسان ميال بالطبيعة إلى الحفاظ على كل ما هو خاص به ويميزه عن غيره. ويدعم مقولتنا ملاحظتنا

¹) Giovanni GIURIATI, « La musique comme nécessité, la musique comme identité culturelle », *Cahiers d'ethnomusicologie* [En ligne], 9 | 1996, mis en ligne le 05 janvier 2012, consulté le 30 septembre 2016. URL : <http://ethnomusicologie.revues.org/1223>, p.22.

²) Paul ZUMTHOR, *Introduction à la poésie orale*, pp.162,177 et S.

³) Abdallah BOUNFOUR, Amar AMEZIANE, *Anthologie de la poésie berbère traditionnelle*, op.cit., p.178.

⁴) Moh CHERBI, Arezki KHOUAS, *Chanson kabyle et Identité berbère, L'œuvre de Lounis Ait Menguellet*, Edif Editions, paris, 2000, p. 47.

⁵) *Idem*, p.42.

لواقع المجتمع المزابي: ففي الحفلات الغنائية التي تنظمها التلفزة الوطنية للدولة في المناسبات الوطنية الهامة أين تحرص على تمثيل كل منطقة من مناطق الوطن الجزائري بطابعها الغنائي، كان المزابيون حتى أوائل الثمانينات يشعرون بفراغ كبير في الساحة الفنية لخلوها عن أي حضور غنائي لهم كجماعة إثنو-لسانية، حتى أنهم ينتظرون بشغف كبير من يمثل منطقتهم بأغنية مزابية من التراث الاصيل تبين خصوصيتهم اللغوية الثقافية. وبظهور عادل مزاب ومختلف الفرق الغنائية والانشادية المزابية في اواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات، والتي بعثت الى الساحة الفنية العديد من هذه الالهاريج النسوية القديمة؛ عاينا مشاعر النشوة والافتخار والاعتزاز لدى المزابيين كلما شاهدوا أغنية باللغة المزابية في التلفزيون أو يسمعونها في الإذاعة.

وتؤكد ذلك اغلبيه اجوبة المستجوبين في استبياننا مع تاكيدها على وجوب ان تكون أغنية "نظيفة"، فعن سؤال يقول: ماذا تشعر عندما تسمع في الإذاعة أو تشاهد في التلفزيون أغنية باللغة المزابية؟ عبّر 98 ٪ من المستجوبين عن افتخارهم واعتزازهم بذلك، ولم يمتعض عن ذلك او يتحفظ سوى 2 ٪ من المستجوبين. هذه بعض النماذج من الاجابات التي تدعم تحليلنا في هذا الصدد:

- <<عندما اسمع إزلوان فإنني اشعر بمزاييتي وخصوصيتي>> (طالب، 28 سنة، تغردايت)
- << هي الاغاني التي تميزنا اشعر بذاتي>> (طالب، 29 سنة، آت مليشت)
- <<ظهر انفسنا من خلال الاغنية مثل المناطق الاخرى>> (طالبة، 23 سنة، آت إزدجن)
- <<نبين شخصيتنا كمزابيين لكن بواسطة الاغنية النظيفة>> (طالب، 29 سنة، تادجنييت)
- <<عنصر من عناصر هويتنا ونحن متأخرون في تطويرها>> (طالب، 27 سنة، قرارة)
- <<الاغنية المزابية وسيلة لابرار ذاتنا>> (طالب، 24 سنة، آت إزدجن)
- <<الاغنية المزابية الاصلية والنظيفة هي لسان حالنا كمجتمع امازيغي>> (استادة، 28 سنة، آت بنور)
- <<اشعر بالاعتزاز اذا كانت اغنية جيدة لانها تعبر عن ثقافتنا وتراثنا>> (طالبة، 22 سنة، آت مليشت)

وتظهر هذه الاجابات اهمية الشعر الغنائي في بعث روح الانتماء الهوياتي اللغوي في نفوس الناطقين باية لغة ما، ودور الاغنية في اثبات الذات أمام الآخرين والتميز الهوياتي للجماعات الناطقة

بالامازيغية. ولعل أهم مثال عن ذلك الدور الذي لعبته الاغنية القبائلية ولا تزال منذ العشرينيات من القرن الماضي في تطور المطلب الامازيغي بمنطقة القبائل. وبالفعل فإن ألحان ازلوان وحدها تكفي لتحبيب اللغة المزابية لناطقيا وشعورهم بخصوصيتهم الاثو-لسانية المتميزة .

الفرع الثاني: القيمة اللغوية للأهازيج المزابية التراثية كلبنة للغة المزابية

ان كان من أسباب ضعف وخمود الأهازيج المزابية التراثية، هو ضعفها الأسلوبي وعدم توسعها الموضوعاتي وتطورها البلاغي لتواكب أذواق الناطقين المزابيين وحاجاتهم، إن على المستوى اللفظي أو البلاغي؛ فإنها مع ذلك تدخر رغم ضآلتها الكمية، من الناحية اللسانية عددا معتبرا من الألفاظ والتعابير المزابية القديمة المندثرة أو الآيلة للزوال التي لم تعد تستخدم إلا في كلام النساء المسنات في لغة اليوم. وبذلك باتت هذه الأهازيج خزّان لغوي حافظ على نماذج تركيبية ولفظية من اللغة المزابية القديمة يمكن أن تساعد الباحث اللغوي التاريخي في دراسته المقارنة لتطور اللغة المزابية. ويمكن أن نستعرض أمثلة لما تدخره الاهازيج المزابية القديمة من الألفاظ والتعابير المندثرة، فيما يلي:

اولا: المستوى البلاغي

تتميز الأهازيج المزابية التراثية بصفة عامة بأسلوب بسيط ولغة مباشرة تنطلق بصفة عفوية من أفواه المنشدين دون أن تخضع هذه اللغة إلى التزيين والتتميق البلاغي الذي يجعل منها لغة "الخاصة" من المنقّفين والمتعلمين بتميزها وجاذبيتها ويفهمها ويتذوقها العارفين بها وبأسرار جمالها. وعليه يلاحظ في الأهازيج قلة التعابير المجازية والبلاغية. وطالما كانت هذه الأشعار لشعراء غير معروفين فهي لا تهدف إلى البرهنة على الإعجاز البلاغي للشاعر بقدر ما تحاول التعبير عن الفرحة أو الحزن بالتناسق مع الألحان التي تؤطرها بلغة مفهومة عند عامة الناس وبسطائهم، مع اعتمادها على الإيقاع الصوتي الموسيقي باعتبارها أشعارا غنائية، دون أن تعير اهتماما خاصا للصياغة البلاغية كما هو الشأن في الشعر المزابي الحديث.

وان كانت بساطة الأسلوب في الشعر المزابي القديم ميزة تحسب له لسهولة تلقيه وفهمه وحفظه من طرف عامة الناطقين باللغة المزابية، فإنها من جهة أخرى عامل ينقص من قيمته في أعين المثقفين والمتعلمين من النخبة المتعودين على الشعر العربي الفصيح، أين يسود مفهوم "أجمل الشعر أصعبه".

ومحنة الادب الامازيغي كما يرى بحق محمد المسعودي وبوشتي ذكي تتمثل في كونه >> يهمل وينظر اليه على انه في الدرجة الثانية بعد الادب المدون المكتوب، ومن ثم، يشكك في قيمته الجمالية وبلاغة اسلوبه، ومصادقية مضامينه، وهذا التهميش لا يقتصر على الأدب، بل يمتد الى مبدعيه ومستهلكيه¹.

وبالفعل فإن الجمود الأسلوبي وعدم وجود إبداع مستمر في الصياغة البيانية والبلاغية يتلاءم مع تطور أذواق الناس وتطور نمط حياتهم وسلوكياتهم، انقص من جاذبية الشعر المزابي القديم الذي كان يمثل إحدى واجهات اللغة المزابية في علاقتها مع اللغة العربية الفصحى المهيمنة على المجال الديني والفكري والثقافي. ذلك أن الأهازيج المزابية التراثية باعتبارها وعاء لغويا للغة المزابية لم تتطور - مثل أي كائن - بتطور اللغة والمجتمع الذي تعبر عنه، إن على مستوى المحتوى المعرفي والمضمون (الأغراض الشعرية) كما رأينا، أو من حيث الخصائص الأسلوبية اللفظية والبيانية. فكان ذلك إحدى الأسباب الأساسية لجمودها وخمود دورها. ومع ذلك يمكن أن نجد في هذه الأهازيج بعض الصور البيانية والمجازية، أو بعض القصائد التي صيغت بلغة مجازية مشفرة أملت بها ضرورات التواصل.

(أ) التعابير البيانية والمجازية

تتضمن الأهازيج المزابية القديمة ذخرا من التعابير المزابية المندثرة والتركيبات النحوية القديمة التي استلهمت الشعراء المحدثين في أشعارهم، وأمثلة عديدة للصور البيانية والمجازية التي كانت سائدة في اللغة المزابية آنذاك، نذكر على سبيل المثال لا الحصر التعبيرات والتركيب التالية:

1. في مقطع من قصيدة "الأم التي ترغب في الذرية" نجد توظيفا مكثفا للتشبيه والمجاز، بحيث تشبه الأم ابنها بكل ما هو غالي الثمن ومفيد في الحياة اليومية والاجتماعية للمزابيين آنذاك ، فتارة هو

¹ محمد المسعودي ،بوشتي ذكي، الشعر الغنائي الامازيغي، (الاطلس المتوسط نموذجا)، سلسلة شراع، العدد 59، جولييت

1999، وكالة شراع لخدمات الاعلام والاتصال، طنجة،المغرب، ص.9.

ضفيرتها ومصدر جمالها، وتارة هو الإناء الذي تضع فيه الذهب، وتارة أخرى هو الفاكهة والتمر الأولى، حيث تقول : << ابني، هو ضفيري، ابني هو إنائي الذي أضع فيه الذهب، هو من تشبهه النساء الحوامل، كالفاكهة الأولى التي نذوقها، كالتمر التي نقطفها من وسط العرجون >>.

2. في أهزجة *lalla nasra* "السيدة المحظوظة" تصف الأم ابنتها المحبوبة وهي عروس، أنها منذ اليوم الأول لوصولها إلى بيت الزوجية أصبحت سيدة نفسها بكناية "مفتاحها في حجرها" والتي تعني أنها سيدة البيت الأولى المتحكمة في شؤونها، ثم تشبهها بالنخلة التي " غرسها أبوها في الواحة". وفي تعبير بليغ من الأم افتخارا بالمقام الرفيع لابنتها تقول كناية: << أنا السيدة ناصرة!، من يقصد السيدة ناصرة (للخطوبة) يجب: (أولا) أن يشاور أمه، ثم أبوه (ليخبرانه من أكون!)، ثم يأتي معه (كصداق إن تم قبوله) بحمل من أقرط الذهب!! >>

3. في أهزوجة *Lalla Jennana* تشبه الأم نفسها عند لقاء زوجها المغترب في غرفة الزوجية كـ"القمر الكامل في ليلة الرابع عشر *Iead an uyur n rbatac*". كما نجد في أهزوجة الله أكبر تعبير *mamma-s tuju-d an temnait* "امها أشرفت على الجمع كأنها فارسة (راكبة على فرس)"،

4. في أهزوجة *kred amzur* تشبه الام طفلها المحبوب بـ *talwit n yimuḍan* "دواء وعافية للمرضى"، و *a tifawt n yiḍan* "يا ضياء الظلمات"،

5. في أهزوجة هجاء الريبب نجد تعابير الهجاء القائمة على التشبيه التي كانت سائدة قديما مثل *acemrux n uziwa* "العرجون الفارغ"، *taymert n tmira* "الزربية المصنوعة من بقايا الصوف الهابطة الثمن"، *injan ayellus* "بقايا الأكل في الإناء"، الخ.

6. وفي أهزوجة *izelwan an lquran* تعبر الشاعرة كناية عن صلة الرحم معاتبة زوجها الذي هجرها *ul tezdid s ujeddu n waman* "لم تصل الرحم (لم تقدم لي كلفتة للتواصل وصلة الرحم) ولو طاس من الماء"، وهو تعبير عميق حول صلة الرحم.

7. في أهزيج النسيج نجد تعبير سياسي حول حرمة المدن المزابية وسيادتها التي تعتبر حدا احمر المنسج كحرمة حدود المدينة المزابية "اي لا هوادة في حمايتها. كما قد نجد أمثال وحكم مزابية

قديمة مثل : *Ddunnit-u an ufejjaj i yirḍen s wustu, yireḍ wu yereḍ wu*, " الدنيا مثل يد المنسج المغطى بالصوف، تعطي المال لهذا وتعري ذلك (تفقره) "، الخ.

(ب) الأشعار المشفرة

تتفرد الأهازيج المزابية القديمة بوجود بعض الأشعار المشفرة المبنية على اللغة المجازية صيغت أساسا حتى لا يفهمها إلا العارفون بالأسرار البيانية للغة المزابية. وتمثل هذه الأشعار نموذجا للغة المزابية المشفرة التي عرفت كصنف من اصناف الكلام المستخدم من طرف بعض الفئات مما يسمى *adran* *nwiwal* " قلب الكلام " أو الكلام المشفر. وقد استطاع الباحث رينيه باسيه Renet BASSET أن يجمع في أواخر القرن التاسع عشر نماذج من هذه اللغة وشرحها.¹

واغلب الظن ان للشعر المشفر وظيفة وسياق خاص يستعمل فيه، ويتمثل في حالتين:

- إما بهدف التكتّم وعدم الإفصاح الصريح عن المعنى لسبب أخلاقي كضرورة يتطلبها الحياء، وللاحتماء من الرقابة الدينية التي يفرضها المجتمع على الإبداع الشعري المتعلق بالمحظورات الجنسية على الخصوص؛
- وإما لأسباب سياسية عند مواجهة العدو في حالة الحروب التي عرفها وادي مزاب.

ويبقى الإشكال الذي يواجه الباحث اليوم هو أن اغلب هذه الأهازيج غير مفهومة المعنى ولايعرف تفسيرها إلا الذين وضعوها آنذاك، مما عقد مهمتنا في تصنيفها ضمن مدونة شعرنا. هذه بعض النماذج منها:

أ. قصيدة *Tanfust n bellexfus* " قصة (بلخفوس ؟) "

Tanfust n bellexfus

قصة (بلخفوس ؟)

Čgiy fus-ikw ayellus

وضعت يدي في إناء

Ufiy dys ifrax n belyu.....

وجدت فيه أفراخ (بلغو؟).....

¹) Renet BASSET, « L'argot du M'Zab », NOTES DE LEXICOLOGIE BERBERE, 1887, pp.439-442.

والغربة أن هذه الأزوجة الطفولية الشهيرة والطويلة التي يتغناها الأطفال حتى اليوم، مليئة بكلمات وتعبير مشفرة لم نصل إلى استكشاف معانيها حتى بالاستعانة بالأشخاص المسنين، كما لم يدونها الكتاب الفرنسيون من جملة ما دونوا فلم نجد لها أية ترجمة إلى الفرنسية. ولعل هذا الشعر المشفر حول موضوع جنسي محظور.

ب. أزوجة talefsa tīru memmi-s "الأفعى ولدت إبنها لها" المشهورة التي تغنى الى اليوم. وبالرغم من سعيها الحثيث فلم نجد تفسير لها حتى الآن. ويبدو أن لهذه الأزوجة مغازي سياسية تتعلق بالصراع الطائفي بين المزابيين والبدو الأعراب، يقول مقطع منها:

Talefsa tīru memmi-s

ولدت الأفعى إبنها لها

Sbarken-as at lġiran

فبارك لها أهل الجيران

At lġiran llan lhan.....

أهل الجيران منشغلون.....

وقد وجد أخيرا شرحا لإحدى أهازيج الألعاب الطفولية الشهيرة في المجتمع النسوي، المعروفة بأزوجة ssya ya bususi ., إذ تبين أن هذه الأزوجة من وضع أمة لتبنيه سيدها بقدوم عدو، فأصبحت لغزا تتسلى به الفتيات. ومع مرور الزمن ضاعت معانيها، حتى أصبحت هناك >> عدة صيغ لهذه القصة في الزمان والمكان والظروف <<. وحسب التفسير الذي اكتشفه الشاعر الباحث صالح ترشين، فهو كالتالي :

*Saḥ saḥ ya busisi, taḥejjam, tabriy wa tber, zakariya
tiseččin, ḥṛurnin mṛurnin, ṭaq ṭaq, tafunasit, sbet ḥenna, abu
tirzet.*

>>أفق أفق، أيها الغافل، الغريب أكياس من التمر، الأصعب (لأنها قامت بتفقد ما بداخل الأكياس
بإصبعها)، البعر (كناية عن الجمل وحمولته)، أحياء تتحرك، طلقات البارود، أفق من النوم، يا صاحب
القلب <<¹.

فبفضل هذه الأشعار المشفرة المليئة بالكنائيات استطاعت تلك الأمة أن تنقد كل سكان المدينة

¹(صالح بن الحاج عمر ترشين، المحرك الذهبي، المرحوم بليدي بوكامل عبد الله بن الحاج صالح (1860-1956)،

رواية، مطبعة الافاق، بني يزقن، غرداية، 2016، ص.8.

بإثارة انتباه سيدها الذي كان نائما، الى أنها وجدت عدوا مسلحا مختبئا داخل الاكياس لاطلاق البارود. والمؤكد أن وصول الرسالة الى صاحبها في الوقت المناسب ونجاحه في صد مكائد الاعداء خلد هذه الانشودة وجعلها موضوع لعبة طفولية بين الفتيات.

ثانيا: المستوى اللفظي

تتميز الأهازيج المزابية التراثية بخاصيتين: كثرة الألفاظ العربية الدخيلة (أ) واحتوائها على ألفاظ مزابية قديمة لم تعد في الاستعمال (ب)

(أ) الألفاظ العربية الدخيلة:

نلاحظ في الأهازيج المزابية القديمة استعمال الرصيد اللفظي السائد في اللغة الجارية langue véhiculaire بكل ما تحتويه من الكلمات العربية الدخيلة، بحيث تخلوا من أية محاولة لتمزيغ الألفاظ أو الحرص على اختيار الكلمات الأصلية - كما هو الحال في الشعر المزابي الحديث كما سيأتي بيانه-، حتى أن الشاعر يستعمل أحيانا ألفاظ عربية دخيلة بدون مبرر مع وجود مرادفات لها باللغة المزابية العادية. وعائنا شيوع هذه الظاهرة في الاشعار النسوية التي دونتها قواشون السالفة الذكر. وأغلب الظن أن سبب ذلك يرجع الى لجوئها الى نساء غير مزابيات من عرب المنطقة ممن لا يتقن المزابية لتدوين هذه الاشعار، نظرا لاستحالة انجاز مثل هذا العمل بمساعدة النساء المزابيات آنذاك بسبب تحريم الاتصال بالفرنسيات من طرف رجال الدين لاعتبارهم "نجسات". وعلى سبيل المثال نجد في البيت الآتي من قصيدة الغربة ان الشاعرة تستعمل كلمة leɛdam رغم وجود مرادفها المستعمل iysan :

Ezadey, zẓaden leɛdam-inu

أرحي، وعظامي تُرحى معي

وفي أزوجة riri riryya "هددة الطفل" نلاحظ استخدام عبارة "المعزة الحمرية" عوضا عن tyadt tazeggwayt مع أنها من اللغة المزابية المتداولة حتى اليوم ، ولا تتضمن ألفاظا قديمة غير موظفة. ونفس الملاحظة نطبق على أزوجة lalla hebbik n tuffa "لعبة سعف النخيل" التي تنتهي بعبارة << هذا الدار الخير الخير >>، أو << هذا الدار الشر الشر >> مع إن لفظة taddart مستعملة بشكل شامل في المزابية حتى اليوم.

(ب) الالفاظ والتركيبيات المزابية القديمة

يحتوي الشعر المزابي القديم على رصيد لفظي أصيل لم يعد في الاستخدام في اللغة المزابية الحالية وليس مفهوما من طرف الأجيال الجديدة. لكن بفضل هذه الأهازيج انتقل إلينا هذا الرصيد وأعاد بعثه الشعراء المحدثون في أشعارهم كشكل من أشكال العودة إلى الأصل والنقاء اللغوي كما سيأتي بيانه. فعلى سبيل المثال : في أهزوجة *kred amzur* نذكر الالفاظ *Iselyan* "الخيوط المتدلّية"، *Ieban* "البرانيس الفاخرة"، *idrimen* "النقود"، *asfir* "الدواء".

وفي الهازيج المتعلقة بالمنسج التقليدي وصناعة الصوف التي دونها كل من آلان مادلين وجون دولور *Alaine MADLEIN, Jean DELHEUR* نجد جملة كبيرة من الالفاظ المتعلقة بالصوف والمنسج التقليدي ومختلف الالبسة والافرشة التي ينتجها.

اما من الناحية التركيبية النحوية ففي اهزوجة *qqimey wehdi* نلاحظ في لفظة *baba-inu* "أبي" استعمال ضمير المتكلم الذي يفيد التملك *inu* "لي/ملكي" والذي تحول في اللغة المزابية الحالية الى *ikw* بحيث يقال *baba-kw* "أبي".الخ. وفي أهزوجة "الله اكبر"، نجد فعل *tuju-d* "أشرف على" ولفظ *temnait* "الفارسة". وفي اهزوجة لالة ناصر نجد كلمة *tazzirt* "الجماعة"، بينما نجد لفظة *meggwani* "يا لهولي وشقائي". وفي أهزوجة لالة جنانة وجدنا فعل *walla* "ارجع" والذي لم يعد في الاستعمال في اللغة المزابية المعاصرة التي تستعمل *dewley*. ويبدو ان *walla* وهو شكل مورفولوجي لجذر *WL* المستعمل في الامازيغية الشاوية، كان سائدا في اللغة المزابية قبل ان يتطور الى *dewley* من جذر *DWL*.

ونشير في الاخير الى وجود جملة من الالفاظ المزابية القديمة المندثرة التي لم نعثر على معانيها، مما ينبغي الاستعانة بتنوعات الامازيغية الاخرى لاستكشاف معانيها منها على سبيل المثال الالفاظ : *isiw, uxmiren, ikiraden*، الخ.

خاتمة المبحث الأول:

يمكن ان نستنتج من واقع ضالة الشعر المزابي القديم أن الشاعر بالامازيغية في المجتمع المزابي القديم لم يكن يتمتع بتلك المكانة المقدسة والرفيعة التي كانت للشعراء في المجتمعات الامازيغية الاخرى، إذ لم يكن، مثلما هو الحال بمنطقة القبائل مثلا، صاحب سلطة قوية على المجتمع بفضل سحر الكلمة وقوتها حتى اكتسب درجة القداسة لما نسب له من صفات أولياء الله الصالحين مثل سحر البيان وقدرة التنبؤ، الخ.¹ وإلا لما اندثر الشعر المزابي القديم الذي تراكم لمدة عشرة قرون من عمران وادي مزاب بهذا الشكل الرهيب. وأغلب الظن أن الشعراء بالامازيغية تعرضوا الى إقصاء وتقزيم متعمد من طرف رجال الدين الاباضية لمنافستهم لهم في الشرعية العلمية في خضم علاقات التجاذب بين اللغتين المزابية والعربية الفصحى.

ومع ذلك فإن الأهازيج المزابية النسوية المتبقية كانت ولا تزال، على قلتها ومحدودية مجالاتها وانحصار مواضيعها، سمة رمزية وتاريخية وثقافية لحيوية اللغة المزابية، تمثل احد عناصر الخصوصية الثقافية اللغوية للمزابيين أدت إلى تقوية وعيهم الاثنو-لساني، وتشكل، بفعل طابعها الموسيقي المزابي المميز ولغتها الاصلية، مصدرا للإلهام الشعري لأغلب الشعراء المزابيين المحدثين فضلا عن المغنين والمنشدين الذين ساهموا في بثها الواسع في الأوساط الشعبية.

إذ بالإضافة إلى الأهمية اللغوية لهذه الاهازيج باعتبارها مدونة لغوية تتضمن على دخر من الألفاظ والتراكيب القديمة، فإنها تمثل لبنة ادبية لغوية وفنية موسيقية انطلق منها الشعراء والمغنين لبعث الشعر والأغنية الامازيغية المزابية الحديثة-كما سنرى-. فأعطى ذلك للغة المزابية نفسا جديدا وحركية دفع بمكانتها الاجتماعية إلى مستوى اللغة العربية التي كانت تحتكر الأدب والشعر والانشاد لدى مجتمع الرجال والنخبة المتعلمة المعربة الحاكمة في المجتمع المزابي.

¹) Abdellah BOUNFOUR, *Introduction à la littérature berbère, 1. La poésie*, Editions REETERS, paris, 1991, p.41.

وبالرغم من الثقل الكبير الذي تمثله اللغة العربية الفصحى وآدابها في مجتمع شديد التدين مثل المجتمع المزابي، باعتبارها لغة السلطة الدينية والتعليم والادب، ولغة "الملائكة واهل الجنة"، الخ فإن ذلك لم يمنع من ظهور نهضة لاهياء اللغة المزابية وترقيتها الادبية، مع كل ما تعرض له هذا الاتجاه من مقاومة باعتباره محاولة "لخلق ضرة" تنافس اللغة العربية لغة الشرعية الدينية. مع ملاحظة ان الصراع بين النخب المعربة/العروبيين ومناضلي الامازيغية في وادي مزاب لم يشهد نفس الحدة والتطرف وممارسات الاقصاء اللغوي الذي عرفه بمنطقة القبائل،¹ بسبب العامل المذهبي الذي حافظ ولا يزال على تجانس الجماعة المزابية وصد عوامل الفرقة.

¹) Abderrezak DOURARI, «Malaise linguistique et identitaire en Algerie», *op.cit.*, pp.21 et S.

ويجدر بنا التساؤل عن العوامل التي أدت إلى النهضة الشعرية المزابية الحديثة انطلاقاً من الهازيج المزابية القديمة، وكيف توسعت أغراض الشعر المزابي لتشمل أغلب ميادين الحياة المعاصرة للمجتمع بعد انتقالها إلى الفضاء الرجالي؟ . وما هي الآثار التي ترتبت على ذلك بالنسبة لحيوية اللغة المزابية في علاقتها بالعربية الفصحى، إن من الناحية السويولسانية من حيث مركزها لدى الناطقين بها ووعيهم الاثنو-لساني، أو من الناحية اللسانية من حيث ترقيتها إلى لغة أدبية راقية وتوسع مجالاتها التعبيرية؟.

المبحث الثاني: مساهمة ازدهار الشعر المزابي الحديث وتوسع مجالاته في حيوية اللغة المزابية

نحاول في هذا المبحث دراسة كيف كانت الأهازيج الامازيغية التراثية - بفعل محافظة المجتمع النسوي عليها- لبنة لبعت حركة شعرية بدت أولى إرهاصاتها أواسط القرن العشرين لتشكل مع نهاية الثمانينيات نهضة شعرية حقيقية، إن من حيث الميادين والأغراض التي شملت أغلب المجالات، أو من حيث اللغة الشعرية الجديدة التي تبلورت بفعل هذه النهضة التي كان عمادها الشعراء والمغنيين والباحثين؛ وبالتالي ظهور مستوى راقي للغة المزابية وهو ما يعرف باللغة "الراقية أو الادبية أو العالمة". ونرى ان مساهمة الشعر المزابي في حيوية اللغة المزابية كان من ناحيتين:

- من حيث تأثير الشعر في التمثلات السوسيو-لسانية : استطاع الشعر المزابي بفضل ازدهاره وتطوره وتحول قسم منه الى أغاني واسعة الانتشار، أن يبرهن على قدرات اللغة المزابية التعبيرية والفنية والجمالية، مثله مثل الشعر العربي الفصيح الذي كانت تخلو له الساحة الابداعية الشعرية والاعلامية لوحده بوادي مزاب لمدة قرون من الزمن. وأدى ذلك الى تقوية الوعي اللغوي لدى المزابيين وتغير مواقفهم اللغوية تجاه لغتهم من الاحتقار والاستصغار وحتى الخجل منها باعتبارها "لغة الاميين والنساء"، مقارنة باللغة العربية الفصحى "لغة العلم والقرآن" والثقافة والسلطة؛ الى التثمين والاعتبار.

- ومن الناحية اللغوية تمكن الشعر المزابي الحديث من إحياء الرصيد اللغوي واللفظي والثقافي القديم للغة المزابية وبعثه بعد أن كان تراثا شفويا آيلا إلى الزوال لايعرفه إلا خاصة الناس؛ ليعطي للغة المزابية ثراء لغويا ولفظيا ويعيد لها الكثير مما فقدته من ألفاظ وتعابير بفعل الزمن. ويرجع الفضل في ذلك على وجه الخصوص إلى جهود الشاعرين عبد الوهاب حمو فخار وصالح ترشين الذين يعتبران في نفس الوقت باحثان في اللغة والثقافة المزابية.

وبذلك بات الشعر المزابي الحديث نوعا جديدا يتميز عن الأهازيج المزابية القديمة، ويحمل كل خصائص الشعر الحديث، ليقف الند بالنند إلى جانب الشعر العربي الذي طالما اعتبر في وضعية الازدواجية اللغوية في المجتمع المزابي ، مظهرا من مظاهر قوة اللغة العربية وسحرها. وأهم هذه الخصائص:

أولاً: انه من إنتاج شعراء معروفين اثبتوا تفوقهم في إتقان وتطوير اللغة المزابية واكتسبوا جمهوراً واسعاً من المعجبين بإنتاجهم. وهم ينتمون غالباً إلى النخبة الشابة المثقفة والمتعلمة في المجتمع.

ثانياً: انه شعر مدون وثابت وأغلبه نشر في دواوين-كما سلف ذكرها- احتلت مكانها في المكتبات العمومية والخاصة مثله مثل الشعر العربي الفصيح. بل نشرت بعض القصائد الهامة من إلقاء الشعراء أنفسهم في أقرص فيديو وأفلام. وهذا ما أعطى قيمة رمزية للغة المزابية في تمثلات الناطقين بها، بانتقالها إلى التدوين والبت الاعلامي الواسع بعد أن كانت لغة شفوية خالصة ولا تتوفر على كتب منشورة ومداولة.

ثالثاً: إن مواضيع هذا الشعر واسعة تشمل كل مناحي الحياة العصرية، وهو يعبر عن انفعالات وخيال الشاعر تجاه قضايا مجتمعه ومحيطه، ويتناول قضايا وتحديات الحياة المعاصرة في المجالات الاجتماعية السياسية الثقافية، ولم يعد شعراً فلكلورياً نسوياً يتداوله العامة من الأميين. كما يمتاز بلغة مزابية أدبية راقية نحتها الشاعر نحتاً وأحسن تركيبها، بحيث لا سبيل إلى فهمها إلا لمن كانت له دراية بخفايا اللغة المزابية وتعابيرها البيانية والمجازية.

وإذا تسائلنا على ضوء مقاربتنا السوسيو-لسانية لعلاقة الشعر باللغة المزابية، عن أسباب ظهور الشعر المزابي الحديث وتأثير ازدهاره على اللغة المزابية ؛ وجدنا وراء ذلك عدة عوامل سوسيو-لسانية وتاريخية تكمن في الحاجة التعبيرية للنخب المعربة الحاكمة للشعر المزابي لمخاطبة أغلبية المزابيين ولمواجهة الأناشيد الشرقية الخليعة، وانتقال الشعر المزابي إلى المجتمع الرجالي المسيطر، وتنامي الوعي بالبعد الأمازيغي بسبب الوضع الطائفي وتأثير الحركة الأمازيغية بمنطقة القبائل (المطلب الأول).

وتتجلى أهم مظاهر ازدهار الشعر المزابي الحديث في انتشاره الواسع في الأوساط الشعبية بفضل الوسائط الاعلامية والثقافية والتدوين، وتطور الشعر الغنائي الحديث والأنشودة والأغنية المزابية، وترقية المستوى اللفظي والبلاغي للغة المزابية وبعث تراثها الثقافي. وكان من نتيجة ذلك كله دعم حيوية اللغة المزابية على المستوى اللساني بإثراء اللغة الشعرية الراقية الجديدة للرصيد اللساني للغة المزابية، وعلى المستوى السوسيو-لساني بترقية مكانة اللغة المزابية في تمثلات الناطقين بها ومواقفهم وسلوكياتهم اللغوية (المطلب الثاني).

ومن أهم تجليات دعم الشعر المزابي الحديث لحيوية اللغة المزابية هو التوسع الهائل لأغراضه وميادينه للتعبير عن أهم القضايا الاجتماعية السياسية الثقافية للجماعة المزابية، حتى أصبح الانتاج

الشعري باللغة المزابية -أكثر من الشعر العربي الفصيح الذي ينتجه المزابيون - مرآة للحياة السياسية الثقافية الاجتماعية للمزابيين(المطلب الثالث).

المطلب الأول: عوامل ازدهار الشعر المزابي الحديث في ظل الازدواجية اللغوية

تزامن ازدهار الشعر المزابي الحديث في السبعينيات والثمانينيات لدى بعض النخب -كما سنرى- مع انبعاث الوعي الاتنو-لساني لدى المزابيين بأهمية اللغة المزابية، بحيث أن كلا من العنصرين أثر وتأثر من الآخر. فمن جهة أدى تنامي الوعي باللغة المزابية كعنصر مميز لهوية المزابيين إلى الاهتمام بالشعر المزابي وتطويره؛ ومن جهة أخرى نتج عن انتشار الشعر المزابي وتوسع بثه من خلال الوسائط الإعلامية، تقوية الوعي بأهمية اللغة المزابية وتحررها من النظرة الإحتقارية الدونية التي كانت تلتصق بها كلغة دنيا في التمثلات الجمعية للمزابيين؛ وبالتالي تحطم أسطورة تفوق اللغة العربية باعتبارها اللغة الوحيدة القادرة عن التعبير عن المشاعر والأحاسيس.

ذلك ان هيمنة الشعر العربي الفصيح على المجال الشعري لدى النخبة المثقفة-كما بينا سابقا- لم تمنع من بعث نهضة الشعر المزابي الحديث، بفعل ثلاثة عوامل استتجناها من تحليل السياق التاريخي المزابي التي ظهرت فيه، وهي: حاجة النخب المعربة إلى الشعر المزابي لمخاطبة المجتمع النسوي والتواصل مع قسم كبير من المجتمع الرجالي، وانتقال الأهازيج الامازيغية النسوية إلى المجتمع الرجالي المثقف(الفرع الأول)؛ وتنامي الوعي الاتنو-لساني والشعور بالانتماء اللغوي والثقافي الأمازيغي منذ الثمانينيات بسبب الوضع الطائفي وتأثيرات الربيع الامازيغي بمنطقة القبائل(الفرع الثاني).

الفرع الأول: الحاجة التواصلية إلى الشعر المزابي وظهور الشعر الرجالي المزابي الحديث

إن حاجة النخب المعربة الرجالية الحاكمة للتواصل مع عامة الشعب والمجتمع النسوي الأمي على الخصوص بلغته الامازيغية، يكون قد أدى في فترة ما بالنخبة المعربة الى استخدام اللغة الشعرية المزابية، وبالتالي تزايد الوعي لديهم بقدرتها التعبيرية. وكان من آثار هذا التحول اهتمام الرجال بصناعة اللغة الشعرية المزابية حتى أصبح حصرا عليهم. ويبدو انه مع ظهور وسائل التسجيل الحديثة

كالمسجلات والاشربة في وادي مزاب بعد الحرب العالمية الثانية، أصبحت الحفلات التي ينظمها طلبة المدارس الدينية تسمع من طرف النساء. وبما أن المجتمع النسوي في أغلبته الساحقة لم يكن يفقه في اللغة العربية الفصحى إلا القليل ظهرت حاجة النخب المعربة للتواصل باللغة المزابية مع المجتمع النسوي والعام، ومن هنا عمدت المجموعات الصوتية الدينية إلى ترديد الأهازيج النسوية لاسيما تلك المتعلقة بالأعراس. وبفعل التعاطف والإقبال الذي حظي به إدراج الأهازيج النسوية في الحفلات الرجالية من قبل المجتمع النسوي، ظهرت حاجة ملحة إلى مخاطبة المجتمع النسوي المزابي بأشعار أمازيغية مزابية حديثة حول قضايا العصر لإشراكه حياة المجتمع الرجالي. وقد كان ذلك بمثابة تثنين لهذا التراث ورفع من قيمته بعد أن عانى من الدونية والاحتقار من طرف النخبة الدينية المعربة.

أما العامل الثاني لتشجيع الإنشاد باللغة المزابية فهو -حسب الشهادات التاريخية¹- شيوع الأغاني العربية المشرقية سنوات الخمسينيات والستينيات في اوساط النخبة المعربة الجديدة التي درست في جامعات المشرق، ورجعت لتلج في الحياة الثقافية والدينية لوادي مزاب من موقع قوة كنماذج راقية للتفوق العلمي واللغوي بكل ما تحمله من سلوكيات وافكار وبث للأغاني العربية المشرقية. بعض هذه الاغاني المشرقية الخليفة تتنافى مع الحشمة والاخلاق وصرامة التعاليم الاباضية التي تحظر الغناء أصلا فكيف بالغناء الفاضح. فعمد بعض رجال الدين الاباضية الاصلاحيين مثل الشيخ صالح باجو الى نظم اشعار مزابية تربوية ودينية، واضعين لها نفس الألحان الشرقية لتتمكن من منافسة هذه الاخيرة ويسهل استيعابها من طرف عامة المزابيين.

وبذلك سعى رجال الدين الى تحقيق هدفين: الأول هو ملئ الفراغ الفني الذي احتلته الاغاني العربية الشرقية الفاضحة نتيجة التحريم الديني للغناء عند المزابيين وتطورات التي شهدتها وادي مزاب بعد الحرب العالمية الثانية مثل ظهور المذياع والمسجل وانتشار الاغاني الشرقية ومن بعدها دخول الكهرياء ثم التلفاز وتطور الحركة الكشفية التي أنشئت مجموعات صوتية؛ والثاني هو استخدام اللغة المزابية التي تصل الى كل الفئات الاجتماعية لتوعية المجتمع بالقيم التربوية والاجتماعية والاخلاقية التقليدية الاباضية وحماية الثقافة المزابية من أي تهديد.

⁽¹⁾ لقاء مع الشاعر عبد الوهاب حمو فخر ،غرداية، بتاريخ 02 سبتمبر 2015.

أولاً: انتقال الأهازيج التراثية النسوية إلى المجتمع الرجالي وظهور وتطور الشعر الرجالي المزابي الحديث

(أ) انتقال الأهازيج التراثية النسوية إلى المجتمع الرجالي

بعد أن اُتسم الشعر المزابي لمدة قرون من الزمن بطابعه النسوي الفلكلوري، وانحصر في مجموعة الأهازيج التراثية المرتبطة بطقوس وحياة المجتمع النسوي كما رأينا، وبانعدام أي أثر للرجال في صياغته ونظمه وحتى إلقائه؛ عرف الشعر المزابي الأمازيغي منذ منتصف القرن العشرين تحولاً نوعياً إلى عالم الرجال الذين تبناه ليرقوا من مكانته ويجعلوا منه شعراً عصرياً مدوناً. ويبدو أن هذا التحول جرى في مرحلتين:

- انتقال الأهازيج المزابية التراثية إلى المجتمع الرجالي بفضل المجموعات الإنشادية التي أنشأتها هيئات اعزازين لمختلف المدن المزابية لإحياء حفلات الأعراس، بأن تبنتها وأخذت تردها في هذه الحفلات إلى جانب المدائح الدينية العربية والاشعار العربية الفصيحة للشعراء المزابيين المحدثين .
- نشأة الشعر المزابي الحديث في حضان هذه المجموعات الإنشادية كأداة تواصل جديدة بين النخب الدينية المعربة والمجتمع المزابي بفئاته وشرائحه الاجتماعية الواسعة . ويبدو أن هذه النخب المعربة سرعان ما أدركت فعالية وقوة اللغة المزابية في التواصل مع المجتمع العميق بكل فئاته وغزارة الرصيد اللفظي والتراثي للغة المزابية غير المستغل في التعبير عن القضايا المعاصرة.

مع أننا لا نستطيع أن نحدد أيهما أسبق: ظهور الشعر المزابي الحديث، أم انتقال الأهازيج النسوية إلى الرجال من خلال حفلات الأعراس؛ فأغلب الظن أن منشطي المجموعات الإنشادية الصوتية عمدوا في فترة معينة نرجح أن تكون ما بين أواسط الثلاثينيات والاربعينيات، إلى إدراج الأهازيج المزابية النسوية في حفلات الأعراس الرجالية التي تقام بصفة دورية في المدن المزابية. ومنذ هذه الفترة إنتقلت هذه الأهازيج من المجال النسوي إلى المجال الرجالي وأصبحت أهازيج حفلة الزواج تؤدي على السواء من طرف النساء والرجال كل في الحفلة الخاصة به لاسيما أهزوجة *ṣiweḍ a wi ṣṣawaḍan*. كما أعطت دفعا قويا للنخب المعربة لنظم الشعر باللغة المزابية بعد أن أدركت ما لها من الاقبال والتأثير الواسع لدى الشرائح الواسعة للمجتمع المزابي التي لا تتقن اللغة العربية الفصحى.

ويبدو أن إنشاد الأهازيج الأمازيغية النسوية في الحفلات المخصصة للرجال قد لاقى، منذ هذه الفترة، استحسانا وحماسا من طرف الرجال الذين أصبح بإمكانهم تذوق هذه الأشعار والتمتع بسماعها بعد أن كانت حبيسة المجتمع النسوي، فأدى ذلك إلى تشجيع المتقنين وطلبة المدارس الدينية إلى نظم الشعر باللغة المزابية. وساهم ذلك في تخفيف الإزدواجية اللغوية والشعرية السائدة آنذاك بأن خرجت هذه الأشعار ومن ورائها اللغة المزابية من الدونية التي كانت تلتصق بها لارتباطها بالمرأة الأمية مقابل الأشعار العربية المنظمة من طرف المتدربين المعربين من الرجال كما سبق وأن شرحنا. وشكل هذا التحول دفعا قويا لمكانة اللغة المزابية في التصور الجمعي المزابي وأعطى لها عنصرا هاما من عناصر الحيوية والقوة والانتشار، بعد أن كانت لغة محصورة في التواصل اليومي في مجالات الحياة الضرورية، لتصبح لغة التصور والخيال الفني والابداعي.

(ب) ظهور وتطور الشعر "الرجالي" المزابي الحديث

من الصعوبة بمكان التأريخ الدقيق لظهور وتطور الشعر المزابي الحديث لانعدام المراجع والشواهد التاريخية، ولوجود مجموعة هامة من القصائد المزابية المنشورة مجهولة التاريخ.¹ وعليه لا يسعنا إلا الاعتماد على ما هو منشور من قصائد ودواوين منذ بداية القرن العشرين بصرف النظر عما قد يوجد من إنتاج شعري أمازيغي مخطوط لم يخرج الى الفضاء العام.

يبدو ان دخول الأهازيج المزابية النسوية في الفضاء الرسمي اللغوي الرجالي (الحفلات)، من خلال الوسائط الثقافية التقليدية لاسيما حفلات *lhejbet*، كان عاملا حاسما نقله من حالة الشفوية التي كان عليها الى التدوين، كما ألهم العديد من شعراء اللغة العربية لنظم الشعر باللغة المزابية الأمازيغية. والثابت في الامر أن الشعر المزابي الحديث ظهر على يد شعراء اللغة العربية من طلبه المدارس الدينية الإباضية من ذوي المناصب السلطوية في المؤسسات الدينية والعشائرية، لاسيما بمدينة قزارة وغرداية أمثال صالح باجو، بلحاج شيخ سليمان باشعادل، عبد الوهاب حمو فخار، صالح ترشين، إلخ؛ ولم يكن ذلك على يد النخبة المزابية المفرنسة -كما حدث بمنطقة القبائل مثلا- التي يفترض اطلاعها على الإنتاج العلمي الكولونيالي حول اللغة والأدب المزابي الأمازيغي. ولعل سبب هذه المفارقة هي الضعف العددي لهذه

¹ انظر المجموعتين الشعريتين : -عمر ن سليمان بوسعدة، أحوف ن وغلان، "ناشيد مزاب" المرجع السابق؛ يونس فرصوص، نفحات من الحياة، المرجع السابق، ص. 166 وما بعدها.

النخبة بسبب ضعف التعليم الفرنسي بوادي مزاب واقصائها من دوائر السلطة التقليدية، وبالتالي ابتعادها عن النشاطات الثقافية والتواصلية مع الجماهير. ولا ادل على ما نقوله ان اكبر شعراء اللغة المزابية عبد الوهاب حمو فخار وصالح ترشين، موضوع دراستنا، هما من النخبة المعربة المنتمية للسلك الديني.¹

وبالطبع ترتب عن انتقال نظم الشعر المزابي إلى المجتمع الرجالي من الفئة المثقفة المعربة وتوسع ميادينه إلى آفاق جديدة، إلى إعطاء اللغة المزابية مكانة رمزية راقية أخرجها من محيطها النسوي الفلكلوري الذي كانت تتحصر فيه، ومن النظرة الدونية التي عانت منها كلغة سفلى. غير أن هذا التحول أنتج في النهاية مفارقة مثيرة للتساؤل وهي أن اللغة الشعرية انتقلت من نسبها النسوي من خلال الأهازيج النسوية، إلى صنعة "رجالية" من خلال الشعر المزابي الحديث. بحيث نلاحظ عدم ظهور أي شاعرة باللغة المزابية ترتقي إلى مصاف الشعراء الرجال إن من حيث الكم أو النوع إذا استثنينا بعض المحاولات الشعرية المبتدئة لبعض النسوة في الآونة الأخيرة التي لم تستفد من البث الواسع². ولعل سبب ذلك يعود إلى انعدام الوسائط الثقافية التي تسمح للنساء بالتعبير الشعري باللغة المزابية وتجعل لهن جمهورا من المستمعين والمعجبين يؤكدن من خلاله مركزهن كشاعرات.

وفي ظل شح المصادر فإن محاولتنا لضبط ظهور وتطور الشعر المزابي الحديث في الأوساط النخبوية المثقفة لا يمكن ان تكون إلا على وجه التقريب. إذ حسب ما توفر لنا من مصادر فإن الاشعار الأولى باللغة المزابية التي وصلت إلينا بفضل التدوين ترجع الى حقبة الثلاثينيات وحتى الستينيات، قبل أن يبدأ ما يمكن اعتباره بمثابة "نهضة شعرية ولغوية" مع عبد الوهاب حمو فخار منذ اواخر السبعينيات، ثم تطور بعد الريع الامازيغي مع صالح ترشين منذ نهاية الثمانينيات، على الوجه التالي:

¹ فالشاعر عبد الوهاب حمو فخار هو ابن الشيخ حمو فخار شيخ الحركة الإصلاحية الإباضية في مدينة غرداية ومدير معهد الإصلاح الديني الثانوي. وكان مدرسا بنفس المعهد ومنشطا في الحركة، قبل ان يصبح مديرا لمدرسة الإصلاح للبنات؛ وبذلك يمكن اعتباره رجل دين وإصلاح اجتماعي قبل أن يكون شاعرا. أما الشاعر صالح ترشين فقد كان مدرسا للفيزياء في متوسطة عبد العزيز الثميني ببني يزقن، قبل ان يصبح مدرسا بالمدرسة الجابرية الإباضية الدينية بمدينة بني يزقن.

² فلة مصطفى مقنين، تاونجيمت يرسين، tawenjimt yersin (القلب المطمئن)، مرجع سابق. قرقر سعيدة، ايوالن س أول انو، مرجع سابق.

1. فترة الثلاثينيات والاربعينيات: في ظل غياب أي أثر مدون للشعر المزابي

الحديث حتى هذا التاريخ يمكن اعتبار القصيدة المعنونة *faqet ay at iyersan ddu* *yiwed Leywat* " أفيقوا يا بني مزاب، (فقد) وصل الضوء (إلى مدينة) الأغواط" لشاعر مجهول، والتي يرجع تاريخها إلى سنة 1935 ، أول قصيدة شعرية باللغة المزابية ظهرت في القرن العشرين، وقد وجدت مترجمة الى الفرنسية من طرف LÉCAULT.¹ ويدور محتوى هذه القصيدة الطويلة حول الدعوة إلى إصلاح الأوضاع والتحذير من زحف حضارة المستعمر الفرنسي، وهجاء حركة المحافظين المعارضة للإصلاحيين في خضم الصراع الديني الذي كان محتدماً في تلك الفترة بين التيار الديني المحافظ والتيار الديني الاصلاحى بزعماء الشيخ بيوض ابراهيم شيخ مدينة قرارة ، وتبدأ ببيت:

وصلت الكهرباء مدينة الأغواط (سوف تصل إلى مزاب)
ddu yiwed Leywat
eeddu yiwed aylan
 وفلان (الفرنسي) وصل الى بلادنا مزاب
Ayat iyersan ! faqet
Llan eumen-d waman
 يا بني مزاب! أفيقوا!
 لقد فاضت علينا المياه.....

ويمكن تصنيف هذه القصيدة في غرض الهجاء لما تضمنته من هجاء لاذع لأحد المشائخ المحافظين المعارضين للحركة الإصلاحية وما جاءت به من مستحدثات. وهي تؤرخ للصراع الديني المحتدم آنذاك بين انصار التيارين في وادي مزاب.

وبعد الحرب العالمية الثانية ظهرت أول قصيدة باللغة المزابية لشاعر معروف سنة 1946 وهي القصيدة الموسومة *ilul-d Sidna Muhammed* التي نظمها سنة 1946 شاعر اللغة العربية المعروف صالح باجو كما سنرى، في إطار مسابقة في الشعر المزابي قرر مشائخ الحركة الاصلاحية تأسيسها وتنظيمها لأول مرة في تاريخ وادي مزاب بهدف "مخاطبة المجتمع النسوي" الذي ظل بعيداً عن التعليم الديني العربي النخبوي.

2. فترة الخمسينيات والستينيات: وُجِدَت في المخطوطات المزابية القديمة قصيدة

¹ يوسف لعساكر، أنتولوجيا الأدب المزابي، إؤوران ن تسكلا، مديرية الثقافة لولاية غرداية، وزارة الثقافة، الطبعة الأولى، 2011، ص 9.

قصيدة من سبعة أبيات باللغة المزابية بعنوان *lherrag bla bab-s* "قطيع بدون راع" تعود لسنة 1955 لمؤلف مجهول وقّعها بلقب مستعار "أمدير راسو" (الذي يتوكل على نفسه) . وتتضمن هذه القصيدة الصغيرة لغة تشفيرية تتحدث عن أوضاع الجماعة المزابية. وحسبما فهمناه من المعنى العام فإن فيها تعبير عن تضرر من الحالة التي يوجد فيها بنو مزاب آنذاك وشكوى من عدم وجود سلطة قوية تحكمهم وتوجههم الى الأهداف السامية وكأنهم أصبحوا قطيع بدون راع، ودعوة للاستفاقة من سباتهم، بحيث يبدأ قصيدته بعبارة *eččeret-d ay At mżab* "انهضوا يا بني مزاب !" كما ينهيها بنفس العبارة "انه قطيع بدون راع".

وبحلول أواخر الستينيات بدأت إرهاصات ميلاد الشعر المزابي الحديث، وفيها اشتهرت على الخصوص قصيدتي الشاعر الشيخ سليمان باشعادل السالفة الذكر التي نظمهما سنة 1967: *in-as i tenni zzenzen dđduft s iyulad* "قل (للمرأة) التي استبدلت حرفة الصوف، بالتسكع عبر الشوارع"، ومن بعدها قصيدة *a yewwa n lyurbrt sell* "أيا أخي المغترب إسمعني جيدا".

3. فترة السبعينيات الى التسعينيات: تنامت الحركة الشعرية في أوساط الرجال

حصرا دون النساء، لاسيما بعد الاستقلال وبالتحديد منذ بداية السبعينيات، منهم عمر عبد العزيز وجابر بليدي، وصالح باجو وبضليس بكير وكركاشة ابراهيم، الخ. والمشكلة ان اشعار هؤلاء غير مؤرخة مما يجعل من الصعب دراستها من وجهة نظر كرونولوجية.¹ وتطور عدد شعراء اللغة المزابية حتى بلغ عددهم سنة 2000 مثلا حوالي ثلاثين شاعرا.² من هؤلاء تميز شاعران كبيران هما عبد الوهاب حمو فخار وصالح ترشين.

وبناء على هذه المعطيات المجزئة -وهي كل ما استطعنا ان نحصل عليه من بحثنا المضني- حول بدايات ظهور الشعر المزابي الحديث منذ بداية القرن العشرين، يمكن ان نرسم مسار هذا التطور كرونولوجيا، في الجدول التالي:

¹ يونس فرصوص، *نفحات من الحياة، المرجع السابق*، ص. 166-186.

² بلغ عدد المشاركين في المهرجان الثاني للشعر الامازيغي المنظم من طرف المحافظة السامية للامازيغية ببيزان سنة 2002 حوالي ثلاثون شاعرا. ينظر: المحافظة السامية للامازيغية، ولاية غرداية، *المهرجان الوطني الثاني للشعر الامازيغي*، 22 الى 24 مارس، 2000، إبرقان. البرنامج.

العقود التاريخية	القصيدة	الشعر
الثلاثينيات 1935	- <i>faqet-day</i> <i>At iyersan</i>	- مجهول
الاربعينيات 1946	- <i>Ilul-dsidna</i> <i>Muhammed</i>	- صالح باجو
الخمسينيات 1955	- <i>lherrag bla</i> <i>bab-s(eččeret-d</i> <i>ayAt mżab)</i>	- مجهول
الستينيات 1967	- <i>in-asitenni</i> <i>zzenzen dduft s</i> <i>iyulad</i> <i>-ayewwan lyurbt</i> <i>sell walu</i>	- الشيخ سليمان باشعادل
السبعينيات منذ 1972	- <i>Imeṭṭawen n</i> <i>lferḥ</i> - شعر غنائي	- عبد الوهاب حمو فخار - عبد العزيز عمر
الثمانينيات والتسعينيات	- <i>Ul-inu</i> - <i>Imeṭṭawen</i> <i>izeggwayen</i> - شعر غنائي	- صالح ترشين - عبد الوهاب حمو فخار - عادل مزاب - جابر بليدي.....

الجدول (13) مسار تطور الشعر المزابي الحديث

ثانيا: الحاجة التواصلية إلى الشعر المزابي

في خضم السياق التاريخي والديني والثقافي الذي ذكرناه آنفا، ظهرت في كنف الحركة الإصلاحية وبتشجيع من رائدها الشيخ ابراهيم بيوض الذي ساهم في بعث الشعر المزابي للاستجابة الى هذه الحاجة الجديدة (أ)، أول قصيدة في الشعر المزابي معروفة المؤلف في العصر الحديث موجهة للمجتمع النسوي ليتم إنشادها في حفلات الأعراس(ب).

(أ) أثر الحركة الإصلاحية الاباضية في ظهور الشعر المزابي

من مفارقات التاريخ الثقافي لوادي مزاب أن تجد فكرة بعث الشعر المزابي الامازيغي مكانها في كنف الحركة الإصلاحية الاباضية التي قادها الشيخ ابراهيم بيوض انطلاقا من مدينة قُرارة، وهي الحركة ذاتها التي ركزت جهودها بصفة خاصة على تعميم تعليم اللغة العربية كشرط من شروط النهضة الدينية، وعلى فرض اللغة العربية فرضا ليس فقط كلغة في اللقاءات والماراسيم الدينية والاحتفالية على حساب اللغة المزابية، وانما ايضا كاللغة الحصرية للتعليم الديني التقليدي. فبينما كانت اللغة المزابية هي السائدة في المدارس الدينية الاباضية التابعة للتيار الاباضي المحافظ كما عايشناها في مدينتي بني يزقن وغرداية لحوالي 15 سنة ، حيث يستعملها المدرسون كاللغة الغالبة للتخاطب مع التلاميذ والطلبة بل ولغة لتدريس علوم الدين كتاريخ الاسلام والدولة الرستمية وشرح الاحاديث، الخ؛ فرض الاصلاحيون منذ الاربعينيات على التلاميذ التخاطب باللغة العربية وحدها وجأؤوا بعبارة << تكلم باللغة العربية ! >> يشهرونها في وجه أي تلميذ يستخدم اللغة المزابية داخل القسم أو المدرسة، اعتقادا منهم ان ذلك هي الطريقة المثلى لاتقان اللغة العربية. وبالطبع يتناقض ذلك مع توصيات خبراء اللسانيات التعليمية لليونسكو الذين يوصون بوجوب تشجيع التعليم الأولي بلغة الأم سواء تعلق الأمر بالأطفال في المراحل التعليمية الاولى أو البالغين في دروس محو الأمية¹.

ويمكن أن نفسر بعث الشعر المزابي الامازيغي في الحركة الإصلاحية نفسها التي حملت لواء التعريب بناء على عاملين: الاول هو شيوع نزعة تجديد المذهب الاباضي فكرا وعبادة وتنظيما، والتي ولدت بيئة خصبة لمختلف الأفكار التجديدية والتحررية منها استخدام اللغة المزابية. أما العامل الثاني فهو عدم معاداة فكر جمعية العلماء المسلمين التي كان الشيخ بيوض أحد مؤسسيها، للامازيغية وقبولها كتراث وبعد تاريخي فحسب، رغم الجهود الكبيرة التي بذلتها في تعليم اللغة العربية والرفع من شأنها، باعتبارها اللغة الوحيدة للعلم والأدب والتقدم الحضاري، بل وللخطب الرسمية والمناقشات واللقاءات العلمية بين المزابيين. إذ الملاحظ من خلال أدبيات الحركة الإصلاحية اعتبار الامازيغية واقعا تاريخيا يرجع الى الماضي المنتهي، وان الامازيغ " عربهم الاسلام" ودخلوا في "حضارة العرب" وتبنوا العربية لغة لابديل

¹ انظر توصيات اليونسكو حول وجوب استخدام لغة الأم في المراحل الاساسية للتعليم، في ملتقى نيودلهي (1993) وعمان (1996) وهامبورغ (1997):

L'UNESCO, L'EDUCATION dans un monde multilingue, op.cit., p.26.

لها.¹ وبالرغم من عدم وجود أي معاداة صريحة للبعد الامازيغي في ادبيات الحركة الاصلاحية ، إلا أن مصطلحات اللغة العربية والقومية العربية والايديولوجية البعثية في خطاب وثقافة الاصلاحيين كانت متداخلة بحيث لا يمكن التمييز بينها في زمن سيادة الفكر القومي العربي الوافد من المشرق المبني على فكرة تحقيق "وحدة الامة العربية" وتحررها من سيطرة "الاعاجم" (الأتراك العثمانيون...)، واعتبار "اللغات الاعجمية" السائدة في "الوطن العربي" مثل الكردية والامازيغية، والسريالية، الخ "عوامل تفرقة وجهوية وطائفية" تعيق تحقيق الوحدة والاندماج العربي، مما يتوجب العمل على زوالها على المدى البعيد.

والمؤكد ان الشيخ ابراهيم بيوض لم يكن من المعادين للامازيغية او المحاربين لها، بل انه لم يعارض نظم الشعر المزابي في أواسط الأربعينيات من طرف "الطولية". لكن المؤكد أيضا ان هذا التوجه لم يكن خيارا نضاليا من أجل ترقية الامازيغية وبعثها، بقدر ما كان استجابة لحاجة عملية وبراغماتية وهي ضرورة التواصل مع المجتمع النسوي والجماهير العريضة كما سبق بيانه؛ ولأسباب دينية تتمثل في مواجهة الأغاني الشرقية الخلية التي بدأت تنتشر في المجتمع المزابي المحافظ وأصبحت تهدد نموذج الحياة الروحية الصارمة للمرأة المزابية، بواسطة أناشيد تربوية ودينية واجتماعية باللغة المزابية الأم، حتى تصل إلى الأوساط النسوية والشعبية الواسعة ولا تكون حبيسة النخبة المعربة. وربما كان الشيخ ابراهيم بيوض يطمح ان يكون له شعراء باللغة المزابية يساندون دعوته الاصلاحية في مواجهة المعارضة الشرسة للتيار الديني المحافظ، تماما كما كان لمحمد عبده شاعر النيل حافظ ابراهيم، ومصطفى صادق الرافعي، الخ.²

وتجمع الشهادات التاريخية أن الشيخ ابراهيم بيوض، بالإضافة إلى لجوئه إلى تفسير القرآن الكريم باللغة المزابية لمدة فاقت الثلاثين سنة، شجّع طلبته على نظم الشعر باللغة المزابية، وكان وراء أولى القصائد التي نظمت باللغة المزابية في الاربعينيات والخمسينيات، كما تبين الوقائع التالية:

- وافق الشيخ بيوض وشجع على تنظيم أول مسابقة في الشعر المزابي لطلبة معهد الحياة الاصلاحية الاباضي سنة 1946 ، كما سيأتي بيانه.

¹ (تتظر آراء بعض اقطاب الحركة الاصلاحية في: محمد ارزقي فراد، الامازيغية، آراء وأمثال، دار هومة للنشر، الجزائر، 2004، ص.24 وما بعدها.

² (د.عبد الرحيم محمود زلط، رسالة الشعر، في خدمة الدعوة وحركات الاصلاح قديما وحديثا، دار الفكر العربي، القاهرة، 1983، ص.199، 190.

- عندما استمع في حفلة المعايدة¹ بقرارة سنة 1967 لقصيدتي *in-as i tenni* "قل (للرأة) التي استبدلت حرفة الصوف، بالتسكع عبر البيوت"، ومن بعدها قصيدة *a yewwa n lyurbt sell* "أيا أخي المغترب إسمعي جيدا" للشاعر الشيخ بلحاج سليمان باشعادل، طُرب الشيخ ابراهيم ببيوض بهما وأعجب أيما إعجاب، وطلب من الشاعر بعثهما إلى الإذاعة القبائلية بالعاصمة، مما شكّل تزكية دينية منه لهذا الإبداع وتشجيعا منه على خدمة اللغة المزابية.²

- كان إعجابه كبيرا بقصيدة *seedi yelli* "سعادتي بابنتي" للشاعر المغني عادل مزاب عندما كان طالبا بمعهد الحياة بقرارة والتي ألقاها سنة 1968 حتى انه قال -كما ينقل عنه- : >> لو شرحتُ هذه القصيدة، فيجب أن اخصّص لكل بيت درسا كاملا، ولا يكفي<<³. مع أن عادل مزاب لاقى بعد تخرجه من المعهد ورجوعه إلى بريان ودخوله عالم الاغنية الموسيقية، معارضة وإقصاء من بعض رجال الدين المتطرفين المتتمين الى الحركة الاصلاحية ذاتها.

ويمكن تفسير هذا التوجه بكون الفكر الاباضي الإصلاحي، عكس الفكر الاباضي المحافظ، يتمتع بقابلية للتفتح على الافكار والتيارات الجديدة. ويؤكد هذا المعنى الشاعر المنشد داودي عمر قائلا : >> تأثرت بالحركة الاصلاحية من خلال مدرسة النور (...). الفكر الإصلاحي ساعدني على التفتح (...). أدركت ضرورة الجمع بين الفكر الإصلاحي والامازيغي<<⁴.

ومجمل القول أن الحاجة إلى التواصل مع الشرائح الواسعة للمجتمع المزابي كانت دافعا للتعبير الشعري باللغة المزابية لإيصال الفكرة إلى وجدان الناطقين بها، وسببا في انطلاق الاهتمام بالشعر المزابي الذي سوف يعرف منذ السبعينيات تناميا ملفتا بفعل الوعي الاثنو-لساني بأهمية اللغة المزابية كعنصر مميز للهوية المزابية وكنتيجة لتأثيرات الربيع الامازيغي بمنطقة القبائل. ما أدى بدوره إلى دعم حيوية اللغة المزابية ومكانتها لدى الناطقين بها.

¹ هي عادة تنظم في اليوم الموالي لعيد الاضحى، حيث يقبل فيها وفود اعزّاب من مختلف المدن المزابية الى قرارة للمعايدة على مشايخها واعيانها .

² لقاء مع الشاعر الشيخ سليمان باشعادل، حصة *Iwalen d imedyazen* لصالح فخار، القناة الاذاعية الامازيغية الثانية، بتاريخ 25 مارس 2012.

³ لقاء مع الشاعر المغني عادل مزاب، حصة *Iwalen d imedyazen* لصالح فخار، القناة الاذاعية الامازيغية الثانية، بتاريخ 08 جانفي 2011.

⁴ لقاء مع المنشد الشاعر عمر داودي، بني يزقن، بتاريخ 05 أفريل 2015.

(ب) ميلاد أول قصيدة باللغة المزابية معروفة المؤلف في العصر الحديث

أجمعت الروايات المتداولة أن أول قصيدة باللغة المزابية في العصر الحديث معروفة المؤلف ظهرت سنة 1946 لما تقطن مشايخ مدرسه الحياة بمدينة قزّارة إلى ضرورة تشجيع الإنشاد بالأمازيغية لغرض مخاطبة المجتمع النسوي الذي ظل بعيدا عن التعليم الديني العربي النخبوي، وذلك باقتراح من أحد رجال المال الاصلاحيين واسمه عبد العزيز محمد من مدينة تاجنيت. فتم تنظيم مسابقة بين الطلبة في هذا الشأن، أين فازت قصيدة *ilul-d Sidna Muhammed* "وُلد سيدنا محمد" للشاعر صالح باجو - شاعر اللغة العربية في المدح والزهد- بالجائزة الاولى لتكون أول قصيدة شعرية باللغة المزابية في العصر الحديث. هذه القصيدة في مدح الرسول فتحت المجال لطلاب المدارس الدينية الذين كانوا يحيون حفلات الأعراس، لنظم الشعر المزابي حول مختلف المواضيع ودفع اي معارضة من متعصبي اللغة العربية. ومما جاء في هذه القصيدة:

Ilul-d sidna muḥammed

وُلد سيدنا محمد

tedwa ddunnit s lenwaṛ

أشرقَت الأنوار على الدنيا

A Rebbi ṣall tsellem-d

يا رب صلي وسلّم

F wasi seḡḡeden -as lecjaṛ

على من تسجد له الأشجار

Tuli-d taziri n Rrsul

طلعت ضوء قمر الرسول

Tceεceε ammas n ijenwan

أضاعت وسط السماء

Tfekkeṛ -aney ass id-ilul

تذكرنا يوم مولده

Yallah ad d-nawi izelwan

هيا بنا نرثم الأشعار الامازيغية

وانطلاقا من هذه السابقة التاريخية ظهر نوع جديد من الشعر المزابي يختلف عن الأهازيج النسوية التي كان يرى إليها نظرة دونية، وهو شعر يضعه رجال من النخبة الدينية المعربة المعروفين بـ "الطولية" (الطلبة)، يُعبّر عن أفكار وقضايا إجتماعية معاصرة مثله مثل الشعر العربي الفصيح. وتبعاً لذلك ومع الاقبال الواسع الذي عرفته، ظهرت عدة أشعار مزابية من النوع الغنائي وضعها منشطو المجموعات

الصوتية مثل بلحاج سليمان الشيخ باشعادل، وبضليس بكير وكركاشة إبراهيم وعبد العزيز عمر وجابر بليدي عبد الوهاب حمو فخار، إلخ.¹

ومنذ ذلك اتخذ الشعر المزابي شكله الحديث كشعر فردي مكتوب ينتجه مبدع معروف، وهو إنما يوجهه إلى جمهور معين معروف وفقا لمفهوم الأدب الحديث، بحيث >> إن أي أديب، عندما يكتب يستحضر في وجدانه جمهورا ما ولو لم يكن إلا هو نفسه (...). وبعبارة أخرى فإن وجود جمهور مخاطب (بفتح الطاء) مفروض في أصول عملية الخلق الأدبي²

الفرع الثاني: تنامي الوعي بالامازيغية بفعل الوضع الطائفي وتأثير الحركة الامازيغية بمنطقة القبائل

إن كان ظهور حركة الاهتمام بالتراث الأمازيغي المزابي بصفة عامة واللغة المزابية بصفة خاصة بوادي مزاب يعود إلى بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، فإن هذه الحركة ازدادت منذ الثمانينيات نتيجة الصراع الطائفي وتأثيرات الربيع الأمازيغي بمنطقة القبائل.

فعلى المستوى المحلي ظهرت منذ الستينيات حركة شبابية في كنف النخبة الدينية المعربة الإباضية للاهتمام بالأهازيج المزابية الأمازيغية إلى جانب الأناشيد الدينية العربية السائدة (أولا). لكن ازداد الوعي بالهوية الامازيغية لدى المزابيين بفعل الوضع الطائفي الذي يعيشون فيه من جهة (ثانيا)، ونتيجة لتأثر النخب المزابية منذ بداية الثمانينيات بتداعيات الربيع الأمازيغي بمنطقة القبائل عبر قنوات الاتصال المختلفة لاسيما الجامعات والجمعيات والأحزاب السياسية من جهة أخرى (ثالثا).

أولا: حركة الاهتمام بالشعر المزابي الأمازيغي في الأوساط الدينية المعربة

قامت الحركة الإصلاحية الإباضية بقيادة الشيخ إبراهيم بيوض منذ العشرينيات بمشروع ضخم لإصلاح الفكر والمجتمع الإباضي عقيدة وفقها ومعاملات، لمسايرة التطورات العصرية التي فرضتها

¹ أنظر: يونس فرصوص، نفحات من الحياة، أناشيد دينية وطنية، إجتماعية طبيعية مزابية، المطبعة العربية، غرداية، الطبعة السادسة، 2015، ص. 166 إلى 185.

² روبرا سكاربيت، تر. آمال انطون عرموني، سوسيولوجيا الادب، منشورات عويدات، بيروت، 1978، ص. 136.

الحدثاء. كما سعت على وجه الخصوص، تبعا لولائها لجمعية العلماء المسلمين التي كان الشيخ ابراهيم بيوض أحد مؤسسيها الاوائل، إلى محاربة ما كنت تسميه بـ"الخرافات" وبعض العادات والأعراف التي رأت فيها ابتعادا عن صفاء الدين ونقاوته.

وكان إنشاء معهد الحياة بمدينة قزارة سنة 1924 محطة مفصلية في هذا المشروع الإصلاحية الديني الاجتماعي، رغم المقاومة التي تلقاها من طرف رجال الدين المحافظين المتشددين، والفتن التي ترتبت عن الصراع بين المحافظين والإصلاحيين للسيطرة على مجالس اعزّاب والعشائر بوادي مزاب. ومن خلال هذا المعهد تمكنت الحركة الإصلاحية الإباضية من تخريج أعداد كبيرة من المدرسين والإطارات الدينية الإباضية المعربة التي ترى في اللغة العربية "لغة العلم والدين ولغة اهل الجنة والامة العربية"، وهي نفس النخبة التي تولت تسيير المؤسسات الدينية لوادي مزاب كما فتحت معاهد إصلاحية لها في أغلب المدن المزابية. غير أن هذه الحركة لم تعر أي اهتمام يذكر للغة والثقافة الأمازيغية الأصلية للمزابيين، كما أن معهد الحياة يعتمد حتى اليوم، على منهج دراسي ديني عربي يندم فيه أي مضمون لغوي وثقافي أمازيغي.

وترتب عن ذلك أن أغلب المتخرجين تكونوا تكويننا دينيا معربا محضا خاليا من أي بعد أمازيغي، بل ان بعض هؤلاء- كما لاحظنا- اعتنقوا الفكر العروبي القومي المعادي للأمازيغية الذي كان يسود في العالم العربي منذ الخمسينيات تزامنا مع حركة التحرر من الاستعمار الغربي. بينما التحق بعض هؤلاء بعد تخرجهم من المعاهد الدينية الإصلاحية، بمدرسة الزيتونة بتونس أو بمدرسة الأزهر بالقاهرة وغيرهما من الجامعات بالشرق العربي واحتكوا بالقوميين العرب الذين كانوا يرون في اللغات والثقافات غير العربية عوامل للتفرقة والجهوية و عائقا أمام بناء "الامة العربية".

وأدى عودة هؤلاء وسيطرتهم على مقاليد تسيير المعاهد والمدارس الدينية الإصلاحية التي تفرض تعليميا إجباريا على كل التلاميذ المزابيين، إلى فرضهم لنظرة إقصائية إحتقارية للغة المزابية وثقافتها، واعتبارها لا تعدو أن تكون "لهجة محلية" وهي في أحسن الأحوال جزء من "الثقافة الشعبية" التي تعتبر في نظرهم ثقافة العامة من الدماء والأميين و"سفلة الامة" كما يصفها ابن باديس¹. غير أن هذا التوجه العروبي للحركة الإصلاحية من خلال نخبتها الدينية المتحكمة في المؤسسات العرفية الحاكمة في المجتمع المزابي، لاقى مقاومة صامتة من قبل الأغلبية من العامة الجاهلة بأسرار اللغة العربية الفصحى،

¹ انظر :

Tristan LEPELIER, *L'arabisation, un mythe? Pouvoirs et langues dans l'Algérie indépendante*, laviedesidees.fr, le 28 mars 2012, p. 3.

لاسيما النساء وفئة التجار التي تكون قسما هاما من المجتمع المزابي، فضلا عن بعض المعربين الذين بدؤوا يشعرون بضرورة الاعتناء باللغة المزابية كما سنرى.

فمن جهة تصر النخبة الدينية المعربة على فرض اللغة العربية التي لا يفقهها أغلبية المجتمع، كلغه الخطابة والشعر في كل المناسبات إلى حد الإفراط، مما أدى إلى التخمة في سوق الشعر العربي؛ ومن جهة أخرى بقي المجتمع يعاني حاجة ملحة للتعبير عن انشغالاته وإبراز هويته التي تميزه بواسطة اللغة المزابية باعتبارها لغة الأم المرتبطة بالوجدان الجماعي ولغة الفطرة التي تسرى في دمائه.

وفي هذا السياق الاجتماعي التاريخي يمكن أن نفهم كيف ظهرت حركة الاهتمام بنظم الشعر الأمازيغي المزابي في رحم الحركة الإصلاحية الإباضية ذاتها التي سعت إلى نشر تعليم اللغة العربية وفرضها كلغة إجبارية للتعليم الحر والاستعمال في كل المناسبات الدينية، واعتماد نظرة دونية إقصائية تجاه اللغة المزابية. وعليه فليس من الصدفة أن يظهر الإهتمام بالشعر المزابي أول ما يظهر بمدينة قزارة مركز الحركة الإصلاحية الإباضية على يد أحد شعراء اللغة العربية المزابيين آنذاك وهو الأستاذ صالح باجو منذ الأربعينيات من القرن العشرين.¹ ولاشك أن هذا الشاعر باللغة العربية الذي لم يكن مناضلا من أجل الأمازيغية، شعر بهذا الفراغ الرهيب والحاجة الاجتماعية الملحة لمخاطبة الشعب بلغته الأم التي يفهمها وتنفذ إلى أعماق وجدانه، فنظم قصائد عديدة باللغة المزابية في مواضيع الغربة والطبيعة والفكاهة² مثل قصيدة *Semmes Yilan* "خمس سنوات" حول معاناة الغربة، بالإضافة إلى تأليف مسرحيات فكاهية باللغة المزابية لمعالجة بعض الظواهر الاجتماعية السلبية.

ولم تمض عشرينتان حتى نظم الشيخ بلحاج سليمان باشعادل، أحد شعراء اللغة العربية أيضا المتكونين في المدارس الإصلاحية بقزارة، سنة 1967 قصيدتين غنائيتين مشهورتين باللغة المزابية عرفتا شعبيه واسعة في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، وظلتا تتشدان إلى جانب قصائد صالح باجو والاهازيج الأمازيغية التراثية في حفلات الاعراس المزابية باستمرار، وهي: *in-as i tenni* *znuzun dduft s iyulad* "قل (للرأة) التي استبدلت حرفة الصوف، بالتسكع عبر البيوت". هذه القصيدة التي تبنت لحنا قبائليا من اغاني آكلي يحياتن عرفت شهرة منقطعة النظير لاسيما انها تثير الانتباه حول خطر انقراض حرفه المنسج المزابي وإنتاج الزرابي والملابس الصوفية، وتخلي المرأة المزابية

¹ (يوسف لعساكر، إدورّان ن تسكلا ، ص 9.

² (المرجع السابق، ص 9.

عنها بسبب الرفاهية والعيش المريح الذي ترتب عن الحضارة المعاصرة. إثر ذلك نظم الشاعر قصيدة أخرى باللغة المزابية وبلحن قبائلي أيضا لاكلي يحياتن وهي : *a yawwa n lyurbet sell* "أخي المغترب اسمعني جيدا" الشهيرة التي يسدي فيها النصائح للمزابي المغترب للتمسك بأصالته وهويته وسيرة أجداده في الأخلاق والكسب الحلال. ويدل هذا المثال مدى تأثير حركية ازدهار الاغنية القبائلية على انتشار الشعر المزابي والانشودة المزابية، كما نلاحظ محور مواضيع هذه الاشعار الاولى التي فتحت الباب على ازدهار الشعر المزابي حول إحياء التراث والتمسك بالاصالة والهوية المزابية.

وفي هذه الفترة ظهرت بوادر وإرهاصات ما يمكن تسميته بحركة شعرية أمازيغية بوادي مزاب، بعد تنامي الوعي لدى الشباب بحيوية اللغة المزابية وقدرتها- مثلها مثل العربية- على التعبير عن مشاعرهم بأسلوب أدبي جمالي رفيع. وعلى سبيل المثال لا الحصر ما ظهر بمدينة غرداية وبنورة :

- **مدينة بنورة :** كان الشاعر دودو يحيى بوفحنة أحد وجوه التيار الإباضي المحافظ من أشهر شعراء اللغة المزابية في الستينيات من القرن العشرين، وكان هذا الشاعر رئيسا لمجلس أعيان مدينة بنورة (مجلس كبار العشائر والوجهاء)، غير أن الذي يميز أشعاره هو أنها موجهة أساسا إلى المجتمع النسوي وتعالج قضايا المجتمع النسوي. ولعل أهم أشعاره قصيدته المشهورة: *Mamma n zman thezzem* (الأم الحقيقية التي يعتمد عليها لمواجهة الحياة هي الأم المثابرة). وفي نفس المدينة عرف أحد أقاربه دودو بلحاج بتنظيم أشعار عديدة باللغة المزابية لا زالت على الشفوية الى اليوم.
- **مدينة غرداية:** كان من أوائل من اهتم بالشعر المزابي الأمازيغي ولايزال من رواده الأستاذ عبد الوهاب حمو فخار الذي لم يكن إلا ابن الشيخ حمو فخار رائد الحركة الإصلاحية الإباضية بمدينة غرداية منذ الستينيات. وكانت من أوائل قصائده الشهيرة التي تشكل إحدى روائع الشعر المزابي الحديث وتغني بكثرة في الأواسط الشعبية الرجالية والنسوية على السواء قصيدة: *twatṭa-d lgaflet* *Buḥrawa* "نزلت قافلة (المغتربين العائدين) على طريق منطقة بوهرأوة" التي نظمها سنة 1974 .

وتخلد هذه القصيدة الغنائية التي إتخذت لحن الأنشودة الميلوديا، مآثر الاجداد المزابيين الذين كانوا يعانون الأحوال في رحلاتهم التجارية، وتصور جو الفرحة والحزن معا الذي يتم فيه استقبال قافلة المغتربين المزابيين العائدين إلى بلاد مزاب، ممن سلم منهم من قتل قطاع الطرق، بعد سنين طويلة من المعاناة مع

الغربة القاسية، وبعد أن قطعوا مئات الكيلومترات من المسالك الوعرة المحفوفة بالمخاطر الطبيعية وقطاع الطرق، فكان وصولهم سالمين غانمين بالسلع والمؤونة حدثاً تَهْتَرَّ له المدينة. فينظم لهم استقبال كبير في مدخل وادي مزاب المسمى "بوهراوة".

وبالفعل جادت قريحة الشاعر عبد الوهاب منذ بداية السبعينيات بعدة قصائد شعرية باللغة المزابية حول مختلف المواضيع مثل الإجتماعات والطبيعة والتاريخ كانت تلقى بالمناسبات العامة كالأعراس والمهرجانات الثقافية واللقاءات الدينية، إلى جانب الأهازيج المزابية القديمة التي انتقلت في هذه الفترة إلى المجتمع الرجالي. فشكل ذلك دفعا قويا لحيوية اللغة المزابية التي أصبحت لغة الرجال المثقفين المسيطرين على السلطة الاجتماعية، ولغة العصر طالما انها تتحدث عن انشغالات المجتمع المعاصر ولم تبق في النطاق الفلكلوري المنفصل عن الزمن والمكان. غير ان ظهور حركة إحياء الأهازيج المزابية القديمة ونظم الشعر المزابي في خضم الحركة الإصلاحية يؤيد الاعتقاد عن وجود توجه واعى من طرف مشائخ الحركة الإصلاحية للتفتح على الشعر الأمازيغي وتشجيعه للتعبير عن انشغالات المجتمع وتبليغ الرسالة الإصلاحية للمجتمع النسوي.

والمفارقة التي تستدعي التفكير، هي أن أغلب الشعراء المزابيين كانوا من المعرّبين المتخرجين من المدارس والمعاهد الدينية الاباضية، وكانت لهم تجارب في نظم الشعر العربي قبل ان ينتقلوا الى الشعر المزابي بفعل الشعور بوجود فراغ في هذا الحقل وتعطش الجماهير للغتها المقصية من المجال الخطابي العام، إضافة الى الإقبال الشعبي الكبير على أشعارهم باللغة المزابية التي تصل الى اعماق المستمعين وتمس وجدانهم واحاسيسهم مادامت بلغة الام التي تميز هويتهم الاثنو-لسانية. وأفضل مثال على ذلك الاستاذ صالح باجو منظم اول قصيدة باللغة المزابية سنة 1946 الذي كان استاذ اللغة العربية وشاعرا بها، والشاعر المغني عادل مزاب، مؤسس الاغنية المزابية الحديثة في الثمانينيات، وهو من خريجي معهد الحياة وكان ايضا استاذ اللغة العربية. والسر في ذلك هو ما يقوله هذا الاخير في هذا الصدد:

>>عندما اكتشفت ان لساني الميزابي يختلف عن الآخرين، وان لغتي التي تلقيتها من أمي

مكنتني من التعرف على اشياء كثيرة لم اجدّها في غيرها،وجب الاعتناء بها وحمايتها من

التلف(....)فبفضل الله سحّر لها من يعتني بها. امهاتنا حافظن عليها فكتب لها البقاء، وفنانو

عملوا على ترقيتها من كلام الشارع الى لغة سليمة (....) ان الادب العربي الذي نهلت منه
ساعديني في محاولاتي الشعرية الفصيحة والعامية، قبل ان اهتم بهذه اللغة... <<¹.

ثانيا: أثر الوضع الطائفي في الوعي الإثني-لساني للمزابيين

لا يخفى ما للأحداث الطائفية ذات الطابع الإثني-لساني المذهبي التي هزت منطقة وادي مزاب بعد
الاستقلال من من الأثر البالغ في دعم وعي المزابيين بهويتهم الامازيغية. ومرجع ذلك أن الكثير من
المزابيين يعتقدون ان مختلف الاحداث والفتن التي ضربت وادي مزاب منذ 1975 الى 2015² والتي
كانوا فيها ضحايا النهب والحرق والقتل، انما هي استهداف لهويتهم المذهبية والإثني-لسانية، فازداد
تمسكهم بالهوية الامازيغية كعنصر يميزهم عن "الآخر" المعرب.

ولعبت الامازيغية كعنصر لاثبات وجود المزابيين وتميزهم كجماعة اثني-لسانية ومذهبية، دورا
محوريا في التنافس والصراع الطائفي بين المزابيين والسكان الناطقين بالعربية المستقرين بوادي مزاب.
ولد هذا الوضع حركة شعرية كتعبير عن تأكيد الهوية الإثني-لغوية المتميزة للمجتمع المزابي، وكانت عاملا
هاما في ازدهار الشعر المزابي وانطلاق الاغنية المزابية كوسائل لإثبات الذات، وهو ما يفسر مسار
الشاعر عبد الوهاب حمو فخار الذي جاء جل انتاجه الشعري بعد ديوانه الاول للتفاعل مع هذه الاحداث.
ففي ظل حملة تشويه الماضي الثوري لبني مزاب واتهامهم ظلما بعدم المشاركة في الثورة، من بعض
الايوساط، وبالتالي اقصائهم من مركز القرار والمسؤولية على المستوى المحلي، جادت قريحة الشاعر سنة
1984 بمناسبة الذكرى العشرون للثورة بأوبيريت مزدوجة اللغة مزابية-عربية ألقيت بقاعة سينما مزاب
بعنوان << مزاب يحييك يا نوفمبر ! >> وهي عبارة عن ملحمة تمتزج فيها مقاطع من إلياذة الجزائر

¹(انظر شهادة المؤلف في موقعه الرسمي:

www. Adelmzab.fr (12 aout 2015)

² (إندلعت أحداث 1985 بعد خلاف على أرض زراعية بين مزابي وعربي، قتل على إثرها الفلاح المزابي من طرف
جماعة من عشيرة الشعانية العربية ومثلت بجثته، إثر ذلك تم التهمج على مئات المتاجر والمسكن المزابية نهباً وحرقاً
وتخريباً من طرف جماعات العرب، بعد دعوة للجهاد أطلقها أحد أيمة العرب المالكية من على منبر المسجد. وتكرر
نفس سيناريو القتل والنهب والحرق ضد المزابيين في الأحداث المتعاقبة التي استهدفتهم سنوات 2004، 2007، وخاصة
الاحداث الخطيرة سنوات 2013 و2015، ايت قتل اكثر من 23 مزابي واحرقت ونهبت المئات من محلاتهم التجارية
وبيونهم ودنست العشرات من قبور المزابيين وهدمت اضرحة أوليائهم، الخ.

واللهب المقدس لشاعر الثورة مفدي زكريا، ومقاطع من قصيدة *irkasen* "الشطحات" التي يمجّد فيها تاريخ المزابيين. أما ديوانه الشعري الثاني *imettawen izegwayen* "الدموع الحمراء" فقد استوحاه من أحداث 1985 بغرداية وأحداث 1990 ببريان الدامية ليندد بالظلم الذي تعرض له بنو مزاب كجماعة مذهبية وإثنو-لغوية. وأخيرا ألهمته الأحداث الدامية لسنوات 2013-2015 بقصيدته *tawsest n tyerdayt jar idurran* "أزمة غرداية بين السطور" كرد على ما اعتبر حربا وجودية ضد المزابيين. وفي بني يزقن ظهر الشاعر صالح ترشين منذ بداية الثمانينات ليملئ الساحة الشعرية بقصائده باللغة المزابية متناولا مختلف مواضيع وأنشغالات المجتمع المزابي الإجتماعية الدينية السياسية.

وطلع نجم فرقة *utčiden* "الشباب اليافع" ومن بعدها فرقة *itrane* "النجوم"، واكتسبت شعبية كبيرة بعد أحداث 1990 ببريان، بأدائها لأغاني تمجد الحضارة المزابية وتؤكد على هوية المزابيين الألفية، مثل أغنية *ssa n iyerma* "المدن (المزابية) السبعة"، وخاصة أغنية *laci laci*، التي تردد عاليا وبصيغة تأكيدية *tamurt-u nney d ayetli-nney* "لاشيء لاشيء ! هذه الأرض لنا، هي ملكنا !"، الخ.

ثالثا: أثر الربيع الأمازيغي في بعث الشعر المزابي الأمازيغي

كان للربيع الأمازيغي بمنطقة القبائل أثرا محسوسا في بعث الحركة الشعرية واللغوية عند بني مزاب، وبعث الوعي الإثنو-لساني لدى المزابيين، لاسيما الشباب المثقف منهم وإدراكهم بأهمية البعد الأمازيغي لهويتهم. إذ نلاحظ أن أوائل الشعراء والفنانين المزابيين، فضلا عن الباحثين والمناضلين السياسيين تأثروا كلهم بصفة مباشرة بالقضية الأمازيغية ومكتسباتها بمنطقة القبائل. وتم ذلك بفعل وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي والاحتكاك عبر الجامعات والخدمة الوطنية والتجارة في المدن الكبرى. كما لا يقل تأثير الأغنية القبائلية أهمية في بعث الوعي الإثنو-لساني، لاسيما أغنية *Ababa-ynuba* "يا أبي إينوبا"، ومن قبلها أغاني سليمان عازم وأكلي يحياتن وغيرهم. ولا أدل على ذلك أن أغلب المثقفين المزابيين الذين حملوا المطلب الأمازيغي وساهموا في بعث اللغة والشعر والثقافة المزابية منذ الثمانينيات كانت لهم محطة في مسيرتهم إلتقوا فيها بمناضلي القضية الأمازيغية بمنطقة القبائل أو احتكوا بهم عبر مختلف وسائط التواصل لاسيما الجامعات والاحزاب السياسية والمهجر، الخ.

وفي ميدان الشعر والانشودة المزابية يظهر التأثير القبائلي جليا من خلال اقتباس الألحان القبائلية وضبط الأشعار المزابية على منوالها، إذ أن أوائل من أحيوا الشعر المزابي الغنائي كانوا قد تأثروا بالنهضة الشعرية الغنائية لمنطقة القبائل في النصف الاول من القرن العشرين، وأفضل مثال على ذلك أن احد أوائل الشعراء المحدثين الشيخ بلحاج سليمان باشعادل كان قد نظم قصيدته المشهورة *in-as i tenni znuzun dduft s iyulad a yewwa* "قل (للمرأة) التي استبدلت حرفة الصوف، بالتسكع عبر البيوت" سنة 1967 وهي من أوائل قصائد الشعر المزابي الحديث ، ثم بعدها قصيدة *n lyurbt selli walu* " أيا أخي المغترب إسمعني جيدا"؛ بعد احتكاكه ببعض القبائليين والشاوية بالمدرسة الاباضية الحرّة "الهداية"¹ بحي القصبة العتيق بالجزائر العاصمة، أين كان يدرس آنذاك مع الشيخ تاعمودت ابراهيم، ولا أدل على ذلك انه وضع لحنا قبائليا لكلا الأغنيتين مقتبس من أغاني الفنان آكلي يحياتن المشهورة التي كان يسميها بالقناة القبائلية الثانية.² ونلاحظ نفس التأثير بتداعيات الربيع الامازيغي بمنطقة القبائل لدى الفنان الشاعر جابر بليدي³ الذي كان في بداية مشواره الفني يقوم بأداء الاغاني العربية والموشحات التراثية العربية، كما عُرف باهتمامه بالطبع الغنائي الشرقي الذي يتناسب مع آلة العود التي يختص فيها. لكنه ما لبث أن تأثر بالاغنية القبائلية، لحنا ولغة، ليتحول اهتمامه الى الغناء المزابي الامازيغي منذ الثمانينيات، فنظم الانشودة الشهيرة *bhan bhan ussan n laman* "ما أجمل تلك الايام الهنيئة" وانشودة *kelmet waydillan* "كلمة ما دخلي؟" ، كما أنتج اهم شريط له باللغة المزابية أدى فيها عدة اهازيج امازيغية تراثية بألحان امازيغية

¹ يدرس بالمدارس الاباضية الحرّة حتى اليوم كل ابناء المناطق التي تنتشا فيها بغض النظر عن مذاهبهم ومناطق انتمائاتهم.

² لقاء مع الفنان المنشد الشيخ بالحاج سليمان باشعادل، حصة *Iwalen n imedeyazen* لفخار صالح ، القناة الامازيغية الثانية، بتاريخ 27 ماي 2012.

³ من أوائل المغنيين المزابيين بألة العود واستاذ الموسيقى. بدء الغناء سنة 1964 باللغة العربية بمعهد الحياة الديني الاصلاحى وعمره 16 سنة، وأنشأ مع مجموعة من المنشدين جمعية "البلابل الرستمية" التي ذات صيتها في السبعينيات والثمانينيات باغانيتها وانشيدها العربية والمزابية ، وكانت تمثل ولاية غرداية بمختلف المهرجانات واللقاءات الفنية على المستوى الوطني والدولي. ومنذ اواسط الثمانينيات اهتمت اكثر بالاغاني والانشيد المزابية الامازيغية. كما اصدر الفنان عدة اشربة باللغة المزابية آخرها شريط غنائي أدى فيها مختلف الهازيج التراثية القديمة.

اصيلة سنة 1985، حيث يقول: >> الربيع الامازيغي أوحى لنا بضرورة الاهتمام باللغة المزابية، وضرورة وجود ألحان مزابية خاصة بنا<<¹.

وكان للشاعر عبد الوهاب فخار صاحب أول ديوان شعري باللغة المزابية أيضا إحتكاك كبير بدعاة الامازيغية في السبعينيات عند دراسته بثانوية عمارة راشد بين عكنون واسفاره العديدة الى فرنسا واوروبا. وعند التحاقه بجامعة الجزائر في تخصص علم النفس التجريبي، كان يتابع دروس اللغة الامازيغية للاستاذ مولود معمري ابتداء من 1973 بالجامعة المركزية. كما كانت جمعية imedyazen المحظورة توزع منشورات على الطلبة عن اللغة والحضارة الامازيغية. وفي هذا السياق بدأ سؤال الامازيغية يتخمر في ذهن الشاعر بعد مناقشات له مع بعض الطلبة القبائليين في الإقامة الداخلية للثانوية internat ما بين سنوات 1969 و 1970 ، مما جعله يتساءل عن وضعية اللغة المزابية وعدم وجود كتب لها مثل القبائلية، حيث يقول >> بعد هذه المناقشات...، إتقدت فيّ الغيرة (على اللغة المزابية) فقررت عمل شيء ما! <<². فبدأ مسيرته في خدمة التراث الامازيغي المزابي ونظم الشعر المزابي، لينشر أول ديوان شعر باللغة المزابية سنة 1985، وهو في نفس الوقت أول كتاب باللغة المزابية ينشره احد أبناء هذه اللغة.

كما يعتبر الفنان عادل مزاب مثالا آخر لتأثير الربيع الامازيغي في النهضة الغنائية والشعرية بوادي مزاب، فبعد أن بدء مشواره الفني بأداء الأناشيد الدينية العربية بالمجموعات الصوتية التي تنشط حفلات الاعراس، تحوّل الى الاهتمام بالغناء المزابي واللحن الامازيغي الاصيل منذ أواسط الثمانينيات وبشكل أكثر في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات بفعل احتكاكه بالوسط الجمعي والسياسي القبائلي، في إطار النضال من أجل القضية الامازيغية. وهو ما يفسّر أن أهم ما أنتجه من الألبومات الغنائية باللغة المزابية كان في أواخر الثمانينيات مع احتدام النضال من اجل الامازيغية وفي فترة نضاله في صفوف حزب الارسيدي (التجمع من اجل الثقافة والديمقراطية) الذي جعل من المطلب اللغوي الثقافي الامازيغي أحد محاور برنامجه الاساسية.

¹ لقاء مع الفنان جابر بليدي، حصة Amlaga لصالح فخار، القناة الامازيغية الثانية، بتاريخ 17 اكتوبر 2013.

² لقاء مع الشاعر عبد الوهاب حمو فخار ، غرداية، بتاريخ 02 سبتمبر 2015.

ولا يختلف مسار صالح ترشين عن هؤلاء إذ انطلق في مسيرته الشعرية منذ 1983 ونظم اغلب قصائده التي نشرها في ديوانه في عشرية الثمانينيات في سياق الحراك المطليبي الامازيغي بمنطقة القبائل. وبحلول سنة 1990 كان من اوائل مناضلي حزب الارسيدي بمدينة بني يزقن، وكان لمشاركته في مهرجانات الشعر الامازيغي بمنطقة القبائل في التسعينيات لاسيما مهرجان سي محند او محند، أثرا في مساره الشعري.¹

وبما أن الشعراء والمغنين في سعيهم الى احياء التراث اللغوي والثقافي المزابي القديم وبعثه ونشره، هم في حاجة الى الباحثين المتمكنين من الرصيد اللغوي القديم فقد شهد أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات صحة لخدمة اللغة المزابية وتطويرها وتحديثها كان من بين أهم روادها الأوائل عبد الرحمان حواش (1926-2017) أحد رجال الدين الإباضية الإصلاحيين وقادتها بمدينة غرداية² بإنشاء أكبر مكتبته للبحوث والوثائق والدراسات الأمازيغية حول اللغة المزابية كان قد تم بدأ تشكيلها منذ سنة 1977 مع إطلاق عدة ورشات بحث حول اللغة المزابية كللت بإنتاج بحوث ودراسات منشورة وغير منشورة³. وفي هذه الفترة ايضا أنشئ في هذه المكتبة ماسمي بـ "مجلس اللغة المزابية" الذي جمع اغلب المشتغلين في الحقل الامازيغي من شعراء وباحثين عصاميين وجامعيين ومناضلين، اصبح مرجعا لكل الشعراء والباحثين للاعتراف من الرصيد اللغوي المزابي القديم المدون في مختلف البحوث المنتجة في الفترة الاستعمارية أو بعده. وكان الشاعرين صالح ترشين وعبد الوهاب حمو فخار من بين اعضائها البارزين.⁴

⁽¹⁾ لقاء مع الشاعر صالح ترشين، بني يزقن، بتاريخ 22 افريل 2016.

⁽²⁾ كان عبد الرحمان حواش مديرا لمعهد الإصلاح بغرداية وأحد كبار عشيرة آث علوان وعضوا في حلقة العزاية. انظر سيرته الذاتية: مجلة izmulen - ازمولن ، مرجع سابق، ص.44.

⁽³⁾ يعد عبد الرحمان حواش رحمه الله من اوائل المشجعين لمختلف المشاريع البحثية في اللغة المزابية، مثل القاموس المزابي الفرنسي الذي اصدره سنة 2011 الباحثان أحمد نوح مفنون وبكير عبد السلام. كما أنجز قاموسا للأمثال المزابية، وقاموسا لألفاظ النسيج، وبيليوغرافيا شاملة حول مزاب والإباضية، بالإضافة إلى إنتاجه لبرنامج لغوي أمازيغي في إذاعة غرداية طبعه في كتيب بعنوان "إلسنغ -لساننا" سنة 2010، الخ.

⁽⁴⁾ كنت ايضا عند بداية مشواري الاكاديمي في التسعينيات احد المترددين على هذا المجلس إثر اكتشافني لهذه المكتبة وحضور عدة جلسات حول الابتكار اللفظي وكذا القاموس المزابي في بداياته.

وإذا كانت هذه أهم العوامل الاجتماعية السياسية التي أدت الى بعث حركة الشعر المزابي والاهتمام باللغة المزابية، فإن تجليات ازدهار الشعر المزابي تمثلت في بثه الواسع بفضل تطور الانشودة والاغنية المزابية، بالاضافة الى ترقية اللغة الشعرية والادبية المزابية التي جذبت إليها المعجبين وساهمت في ترقية مكانتها لدى الناطقين باللغة المزابية.

المطلب الثاني: مظاهر ازدهار الشعر المزابي الحديث وأثر ذلك على حيوية اللغة المزابية

أدى ازدهار الشعر المزابي الحديث إلى انتعاش اللغة المزابية بنفس جديد وإلى دعمها وترقيتها. وتتجلى أهم مظاهر ذلك في استفادته، ومن ورائه اللغة المزابية، من البث الواسع بواسطة الوسائط الثقافية والإعلامية التقليدية والعصرية والتدوين، وتطور الشعر الغنائي والأغنية المزابية كتعبير فني للغة المزابية، وانتشار صيتها في الأوساط الشعبية (الفرع الأول). ومن الناحية اللسانية استنقوت اللغة المزابية بفضل تطور اللغة الشعرية، بمستوى لغوي راقي للتعبير الأدبي مدعما لفظيا وبلاغيا ومضمونا، ليشكل وسيلة مثلى لبعث الرصيد اللغوي والثقافي المزابي المهدد بالزوال وبثه في الأوساط الشعبية من خلال الأنشودة والأغنية والوسائط الإعلامية (الفرع الثاني).

الفرع الأول: البث الواسع للشعر المزابي وازدهار الشعر الغنائي والأنشودة المزابية

بمجرد أن أصبح نظم الشعر المزابي وإلقائه وظيفه رجالية، بل من صنع النخبة المثقفة من خريجي المؤسسات الدينية والجامعات وبالتالي انتقاله إلى التدوين، فإنه استفاد من الوسائط الثقافية والإعلامية التقليدية والحديثة للبث الواسع، وأصبح بذلك يؤثر في الرأي العام للجماعة ويعبر عن وعيها الجمعي وانشغالاتها وآمالها وآلامها باللغة الأم التي يفهمها وينطقها كل أبناء الجماعة دون استثناء، متقدما من حيث آثاره على المتلقين على الشعر العربي الفصيح الذي كان ولا يزال حبيس القلة القليلة من المثقفين المعربين المتمكنين من أسرار اللغة العربية.

غير أن الشعر المزابي استفاد منذ التسعينيات من بث أوسع وأكثر كثافة بعد إدراج الدولة للتنوعات الامازيغية في وسائل الإعلام السمعية البصرية الثقيلة وتنامي استخدام الانترنت. وبفضل هذه الوسائط الجديدة استفاد الشعر المزابي القديم والحديث من البث المستمر والمنتظم لدى الفئات الاجتماعية الواسعة، وأصبح له عشاقه ومتذوقوه (أولا). وشجعت هذه الوسائط وكذا السياق الجديد المتميز بانتصار المطالب الامازيغية على تطور الإنشاد والأغنية المزابية لتبعث في شكل إيقاعي وموسيقي معاصر العديد من الأهازيج التراثية والأشعار المعاصرة للشاعرين عبد الوهاب فخار وصالح ترشين (ثانيا). وسمح ذلك بتغيير نظرة المجتمع المزابي إلى الشعر والأغنية المزابية الامازيغية من كونه أهازيج فلكلورية متوقعة في المجتمع النسوي، إلى أناشيد وأغاني مزابية عصرية تنافس مثيلاتها باللغات الأخرى.

أولاً: البث الواسع للشعر المزابي من خلال الوسائط الثقافية والإعلامية والتدوين

يمكن أن نميز بين ثلاثة أنواع من الوسائط الثقافية كان لها ولا يزال الدور الجوهري في بث الشعر واللغة المزابية وتنمية الوعي الإثنو لساني لدى المزابيين: الوسائط الثقافية التقليدية لاسيما نظام *asebbarek /lhejbet* (1)، والوسائط الثقافية والإعلامية المعاصرة لاسيما السمعية البصرية منها (2)، والتدوين والنشر الورقي والالكتروني للمجموعات شعرية (3) .

(أ) الوسائط الثقافية والإعلامية التقليدية:

شكلت التجمعات والاحتفالات العائلية والدينية لاسيما نظام *asebbarek/lhejbet* (1) والمهرجانات الدينية والثقافية والاحتفالات التقليدية (2)، أهم وسائط السماع الشعري الأمازيغي لدى المزابيين منذ فترة طويلة تعود إلى ما قبل الحقبة الاستعمارية.

1. نظام *asebbarek/ lhejbet* كأهم مجال دائم للسمع الشعري: تعد حفلة

*Lhejbet/asebbarek*¹ "الاحتجاب" / "المباركة"² أفضل فضاء للتنشئة الاجتماعية

lieu de sociabilité بوادي مزاب حتى اليوم، باعتبارها اللقاء الوحيد الذين يجمع أغلب فئات المجتمع بتكرار وانتظام على طول السنة في كل مدينة مزابية بمناسبة كل عرس يقام فيها. ذلك أن العرس المزابي ليس فقط عادة لمباركة الزواج ومشاركة الفرح، وإنما هو أيضا تجمع للعائلة الموسعة والعشيرة لتفقد أحوال أفرادها وحل الخلافات وتقوية أواصر التضامن النسبي بينهم بالمشاركة في تنظيمه واعداده. ويتخلل

⁽¹⁾ *Lhejbet/asebbarek* هي الحفلة الرجالية التي تقام في دار عشيرة العريس بحضور أهل العائليين المتصاهرتين والمدعوين من الرجال بإشراف اعزابن لمباركة العرس وإعلانه للعامة في المدينة. وتختلف تسميته من مدينة مزابية إلى أخرى اذ يسمى في بني يزقن "الاحتجاب" ويقام ليلة الدخلة أما في غرداية فيسمى *asebbarek* "المباركة" ويكون عشية اليوم الأول من الدخلة . وينظم هذا الحفل بمختلف المدن المزابية جماعة من الشباب المثقف بإشراف هيئة اعزابن بعد أن كانت هذه الحفلات تنظم في بعض المدن من طرف العوام باستدعاء الفرق الغنائية الراقصة دون إشراف من رجال الدين. ففي مدينة بني يزقن مثلا كان يوجد في بداية القرن العشرين نوعين من الأعراس: "عرس عامي" ينظم بمشاركة المغنيين وفرق الغبطة دون إشراك اعزابن، و"عرس عزابي" ينظم بطريقة دينية بإشراف حلقة اعزابن. غير أنه ومنذ الخمسينيات من القرن 20 أصدرت هيئة اعزابن قانونا يقضي بتوحيد طريقة الاحتفال في "لحجبت" من طرف فرقة الأناشيد الدينية التابعة للمسجد.

⁽²⁾ أصل الكلمة من حجب يحتجب حيث تقضي تقاليد العرس المزابي أن العريس يحتجب لمدة ثلاثة أيام في دار خاصة تسمى "دار الحجة" ولا يتصل بأحد أو يكلم أحد إلا وزيره اللذين يرافقانه ويرشدانه، وبعد ليلة الدخلة يرجع إلى داره.

العرس المزابي وجوبا تنشط فني تقوم به الفرق الإنشادية التابعة لهيئة اعزابن أو العشيرة، أين يلتقي مختلف أطراف المجتمع من أبناء العشيرة والأصدقاء والأقرباء من المقيمين أو المغتربين وكبار القوم للسهر وتبادل الأخبار. وبذلك باتت هذه العادة التي تتخللها نشاطات ثقافية فضاء للتبادل والتلاحق الثقافي بين الشباب والمسنين بمختلف مستوياتهم ومشاربهم، وأكثر من ذلك تعد "لحجبت" مجالا هاما لصنع الرأي العام بواسطة الخطب والأناشيد والمسرحيات الفكاهية والقصائد الشعرية وتدخلات مختلف الشخصيات الثقافية العلمية والدينية للتعبير عن وجهات نظرهم حول قضايا الساعة الاجتماعية الدينية الثقافية.

وبالفعل كانت هذه الحفلات ولا تزال أفضل مكان للاتصال بين الشعراء المزابيين وجمهورهم والتفاعل مع مجتمعهم وتحسيس ردة فعلهم عن ما ينتجونه من شعر لاسيما في بني يزقن. هذه الحفلات باتت أقوى واسطة للبحث الشعري الأمازيغي عند بني مزاب، ساهمت عبر الزمن في تثمين الموروث اللساني والثقافي الأمازيغي وتغيير النظرة الاحتقارية له في الوعي الجمعي، كما ظلت مجالا مفضلا لمختلف المبدعين لعرض إنتاجهم الأدبي نثرا وشعرا سواء كان ذلك باللغة الأمازيغية أو العربية. وذلك بسبب ثلاثة عوامل:

- الحضور الكبير لكافة أطراف المجتمع من الرجال.
- التكرار والدورية على طول السنة ، بسبب كثرة الاعراس.
- تسجيل هذه الحفلات وإعادة بثها في المجتمع النسوي والأوساط العائلية، بواسطة الاشرطة السمعية ثم الفيديوهات.

فمنذ مدة طويلة القرن العشرين فرض اعزابن أن تنظم هذه الحفلات تحت إشرافهم وتُنشَط من طرف المجموعات الصوتية الإنشادية للطلبة المتخرجين من المدارس الدينية، وذلك بترديد أناشيد المديح الديني وحتى الأناشيد العربية والموشحات بالألحان الشرقية. غير أن إدراج الأهازيج الأمازيغية النسوية منذ الخمسينيات كما رأينا، والبحث المستمر للإنتاج الأدبي المزابي، جعل من هذه الحفلات مجالا خصبا لشعراء اللغة المزابية لإلقاء قصائدهم للجماهير الحاضرة بصفة مستمرة ودورية لاسيما بعدما لاحظوا تعطش الناس وتشوقهم لسماع الشعر بلغتهم الأم والملل من كثرة الشعر العربي. فباتت هذه الحفلات فضاء ثقافيا دائما لترقية اللغة المزابية من خلال :

- فتح المجال لمختلف شعراء اللغة المزابية لإلقاء محاولاتهم الشعرية أمام الجمهور.

- دأبت المجموعات الصوتية التي تنشط هذه الحفلات بصفة دورية على إجراء مسابقات حول الألفاظ القديمة والألغاز والأمثال والحكم المزابية، بإشراك قدر كبير من الأطفال والشباب الحاضرين لاكتشاف أسرار لغتهم الأم قبل شرحها للحاضرين.
 - عرض المسرحيات الاجتماعية والفكاهية الهادفة باللغة المزابية في كل حفلة لمعالجة الظواهر الاجتماعية.
- ولا أدل على أهمية هذه الحفلات في ترقية الشعر واللغة المزابية من أن أغلب قصائد الشاعر صالح ترشين كان قد ألقاها في حفلات الأعراس كمرحلة أولى لاختبار درجة تلقيا واستيعابها من طرف الجماهير قبل نشرها في دواوين¹. كما يتبين من دراسة مسيرة الشعراء المزبيين المعروفين أمثال عبد الوهاب حمو فخار، صالح ترشين، صالح باجو، داودي عمر، حاج يحي احمد، الخ أن مسارهم الشعري نشأ وتطور أساسا في أحضان لقاءات Lhejbet/asebbarek التي بفضلها كونوا جمهورا واسعا من محبي الشعر المزابي، مما ساهم بشكل كبير في الحيوية اللغوية-لسانية التي عرفت بها اللغة المزابية منذ أواخر النصف الثاني للقرن العشرين .

وبذلك نستطيع أن نجزم القول أن حفلات الأعراس الرجالية هي أهم وسيط ثقافي تقليدي ساهم بشكل فعال ولا يزال حتى اليوم، في تثمين الشعر واللغة المزابية وقدراتها الجمالية والإبداعية بعد أن كان تنشيط هذه الحفلات يتم باللغة العربية الفصحى وحدها. هذا اللقاء كوّن مع الزمن جمهورا يتذوق الشعر المزابي ، بل خلق اهتماما وحاجة إليه حتى أصبح يتساعل باستمرار عن جديده².

وللاستجابة إلى حاجة تنشيط حفلات الأعراس ظهرت إلى جانب الشعر المزابي، العديد من الفرق المسرحية باللغة المزابية في كل مدينة لعرض مسرحيات تعالج القضايا الاجتماعية والثقافية والتربوية بتوجيه المجتمع طبقا لتعليمات العزابة. وبذلك تطورت تجربة العمل المسرحي باللغة المزابية وولدت فرقا مسرحية رائدة شاركت في المهرجانات الوطنية للمسرح الامازيغي، بل أنتجت مسرحيات شهيرة باللغة المزابية في وسائط فيديو وأقراص مضغوطة مثل مسرحية ticbert n lleç الشهيرة حول ظاهرة إهمال التراث المزابي وزحف العصرية للممثل والمخرج بلحاج كريم، والمسرحيات الفكاهية التربوية للممثل

⁽¹⁾ لقاء مع الشاعر صالح ترشين، بني يزقن، 22 افريل 2016.

⁽²⁾ لقاء مع الشاعر عبد الوهاب حمو فخار ، غرداية، بتاريخ 02 سبتمبر 2015. لقاء مع الشاعر صالح ترشين، بني يزقن، 22 افريل 2016.

المعروف داديك الحاج، وأعمال جمعية الرسالة للمسرح بمدينة تاغردايت¹، ونشاطات جمعية ijenwan "الفضاء" خاصة مسرحية "ury amellal" "الذهب الابيض" التي شاركت بها في مهرجانين للمسرح الامازيغي بتييزي وزو وبجاية سنة 2000 ، الخ.²

2. المهرجانات الثقافية الدينية والاحتفالات التقليدية: شكلت المهرجانات الثقافية المحلية التي دأبت

على تنظيمها مختلف المعاهد الدينية الاباضية والجمعيات الثقافية والمؤسسات العرفية المزابية وسائط ثقافية هامة لبث الشعر المزابي وتطوره. إذ وجد الشاعر باللغة المزابية نفسه مطلوبا وملتمسا في كل مرة من طرف جمهوره لإلقاء جديد شعره، فيحاول إبداع أفضل ما جادت به قريحته لإطراب آذان الحاضرين وإمتاعهم بالكلمة الحكيمة والإيقاع الجميل وإبلاغهم برأيه ووجهة نظره حول مختلف القضايا الاجتماعية. إذ من عادة المعاهد الدينية الاباضية الحرة تنظيم حفلات في آخر السنة الدراسية تكون فرصة لشعراء اللغة المزابية والعربية على السواء لإلقاء جديد إنتاجهم، فشكل ذلك مجالا اجتماعيا هاما لهؤلاء لبث أشعارهم.

ولا أدل على ذلك أن اغلب قصائد الشاعر عبد الوهاب حمو فخار المتضمنة في ديوانه الأول الموسوم imetṭewen n eferh ، كان قد ألقاها في سنوات السبعينيات وبداية الثمانينيات بمختلف المهرجانات الثقافية الدينية التي نظمتها المعاهد الدينية التابعة للحركة الإصلاحية الاباضية، مثل حفلات نهاية السنة الدراسية، الاحتفاء بالحجيج، مهرجانات الكشفة وحفظ القرآن، الخ.³ كما أقيمت قصيدة imetṭawen izegwayen "الدموع الحمراء" الشهيرة حول أحداث غرداية لأول مرة قبل أن تصدر في كتاب ، في المهرجان الثالث عشر لجمعية الإصلاح بغرداية سنة 1990.⁴

(ب) الوسائط الثقافية والإعلامية السمعية البصرية العصرية

كان للوسائط الثقافية العصرية كالمهرجانات الشعرية والغنائية التي دأبت الدولة على تنظيمها دورا هاما في ازدهار الأغنية والشعر المزابي (1) غير أن إدراج اللغة المزابية في الوسائط السمعية البصرية

¹ هذه الجمعية التي انطلقت في التسعينيات أنتجت العديد من الأعمال المصورة باللغة المزابية كان آخرها فيلم " تدمورت نوبرهوش " "حياة الشخص الشرير" سنة 2016. حصة mrarḥba القناة التلفزيونية الرابعة بالامازيغية، لقاء مع رئيس الجمعية أحمد قلاع ضروس، بتاريخ 16 مارس 2017.

² جمعية هواة المسرح إجنوان، 1998، بني يزقن بنورة، البرنامج السنوي 2000-2001.

³ ينظر ديوان إمطاون ن لفرح "دموع الفرخ"، قسم الاجتماع، ص. 23 إلى 109 وقسم المناسبات ص. 275 إلى 375.

⁴ ينظر ديوان imetṭawen izeggwayen ، ص. 42.

الواسعة البث شكّل تحولا تاريخيا في حياتها، وشجع على تطوّر الشعر الغنائي المزابي وبثه الواسع (2). كما سمح دخول الشعر المزابي الحديث مجال الطباعة والنشر بانتشاره اوسع له (3).

1. الوسائط الثقافية العصرية (المهرجانات الشعرية والغنائية): استفاد الشعر المزابي

من النشاطات الثقافية التي تنظمها مؤسسات الدولة في إطار سياسة ترقية الامازيغية منذ أواسط التسعينيات، حيث نظمت المحافظة السامية للامازيغية أول مهرجان للشعر المزابي في تاريخ وادي مزاب سنة 1998 بمشاركة حوالي 20 شاعرا من مختلف المدن المزابية، بينما شارك في المهرجان الثاني سنة 2000 حوالي 30 شاعرا ضمنهم شاعرة من مدينة بريان بحيث ألقت لأول مرة في تاريخ مزاب قصيدة باللغة المزابية أمام جمهور رجالي¹. وفي هذين المهرجانين تم تنظيم قراءات شعرية ومحاضرات حول الشعر المزابي وحفلات غنائية من أداء الفرق الموسيقية المزابية في القاعات العامة بحضور السلطات المحلية للدولة والجمهور². وساهم ذلك في دعم القيمة الرمزية للشعر واللغة المزابية بإخراجهما من المجال الطائفي الخاص والشبه سري إلى المجال الرسمي العام، وكان في ذلك دعما لمركز اللغة المزابية بالاعتراف بها كلغة أدب والعمل على ترفيتها من طرف الدولة والسلطات العامة.

ومنذ سنة 2009 دأبت وزارة الثقافة على تنظيم مهرجان سنوي للأغنية المزابية بمدينة غرداية، بموجب قرار وزاري سنة 2008³، كمسابقة جهوية تصفوية للغناء المزابي من ضمن أربع مهرجانات جهوية تصفوية تنتهي بمهرجان وطني للأغنية الامازيغية. وبات هذا الحدث المحلي بيئة مناسبة لتشجيع الغناء المزابي العصري، وظهور الحاجة إلى الشعر الغنائي المزابي من طرف الشباب الناشئ لأغانيهم التي ينتجونها. وكنتيجة لذلك تمكنت الأغنية المزابية ومن ورائها اللغة المزابية من اقتحام المجال الفني الغنائي ومزاحمة مختلف الطبوع الغنائية الأخرى، بحيث ظهر العشرات من المغنيين الشباب الذين لجأ بعضهم إلى تأدية أشعار مختلف الشعراء لاسيما صالح ترشين وعبد الوهاب حمو فخار، بينما لجأ آخرون

⁽¹⁾ توليت شخصيا تنظيم هذين المهرجانين بحكم عضويتي آنذاك في اللجنة البيداغوجية للتوجيه والمتابعة بالمحافظة السامية للامازيغية . انظر: برنامج المهرجان الأول للشعر المزابي، غرداية، 14 إلى 15 ماي 1998، المحافظة السامية للامازيغية-ولاية غرداية ؛ المهرجان الوطني الثاني للشعر الامازيغي، 22 إلى 24 مارس، 2000، إبرقان. البرنامج، المحافظة السامية للامازيغية-ولاية غرداية.

⁽²⁾ انظر مقال الصحفي محمودي ابراهيم، ايزلوان، من أصول الشعر المزابي، مجلة أخبار غرداية، عدد 37، جولييت 1998، ولاية غرداية، ص. 28، 29.

⁽³⁾ وزارة الثقافة، وزيرة الثقافة، قرار رقم 120 المؤرخ في 19 مارس 2008، يتعلق بتأسيس مهرجان للأغنية المزابية بغرداية.

إلى وضع كلمات مزابية لأغانيهم لا ترقى إلى مرتبة اللغة الشعرية. مع أن الطبع الغنائي والموسيقي المزابي المميز لم يتبلور بعد بشكل واضح بسبب التأخر الكبير الذي سجله الغناء المزابي بفعل التحريم الديني.

2. الوسائط الإعلامية السمعية البصرية: شكّل إدراج اللغة المزابية في الوسائل السمعية

البصرية الواسعة البث تحولاً تاريخياً في حياتها، بحيث استفاد الشعر والأغنية المزابية من الوسائط الإعلامية الثقيلة فجعلتهما في متناول الشرائح الاجتماعية الواسعة بشكل سهل مثل النساء الماكثات في البيوت والشباب اليافعين، الخ. وتكمن أهمية هذا التحول في قوة الكلمة والصورة في انتشار اللغات ودعمها بفضل ثورة الاتصالات والانتقال إلى الشفوية الجديدة أين نجد << التكلم بدلاً من الكتابة، واستماع ما نطق بدلاً من قراءة ما كتب، واستماع الجماهير التي لا حصر لها إلى نفس الكلمات في نفس الوقت، والكلام في نفس الوقت إلى الناس جميعاً ، بدلاً من الكتابة إلى قلة منهم >>

ولا أدل على أهمية الشعر والغناء في خدمة اللغة الامازيغية، من كون أول ما تم إدراجه في القناة الإذاعية الوطنية الثانية بداية من سنة 1990 هي حصة ثقافية شعرية غنائية من تنشيط المغني الشاعر عادل مزاب (عمر بن ناصر) موسومة: *awal-nney d iggen* "كلمات وأشعار" والتي دامت عدة سنوات. ثم حظي بعدها الأدب المزابي الامازيغي بصفة عامة والشعر المزابي بصفة أخص بمجال هام للبث والإثراء من خلال الحصص الثقافية والتنشيطية المختلفة. وبفضل ذلك استطاع الشعر المزابي أن يدخل البيوت ويصل إلى أسماع المحبين له في وادي مزاب والمهجر، مما أدى إلى تثمين اللغة المزابية ودعم مكانتها لدى الناطقين بها. وتتمثل أهم هذه الحصص فيما يلي:

- حصة *awal-nney d iggen* "لغتنا واحدة" الأسبوعية التي انتجناها سنوات 2003-2006، وهي استعراض للمقارنة اللفظية الصوتية لقاموس الألفاظ الامازيغية المشتركة بين القبائلية والمزابية الذي أنجزناه في إطار رسالتنا للماجستير في اللسانيات الامازيغية (2007). وكانت تبث في القناة الثانية والقناة المحلية لغرداية.

- حصة *awal-nney d iggen* "الكلمات الجميلة" الخاصة بالقصص المزابية القديمة، التي انتجناها سنوات 2009 و2010، ومن بعدها حصة *izelwan ibhan* "الأشعار الجميلة" سنوات

⁽¹⁾ م.م. لويس، ترجمة د. تمام الحسان، اللغة في المجتمع، مرجع سابق، ص. 15.

2010-2011 التي كنا ننتجها في القناة الثانية الامازيغية ويعاد بثها في إذاعة غرداية،

والمكرسة لقراءة ونقد وتفسير مقاطع من الشعر المزابي القديم والحديث.

- الحصة الشعرية الأدبية الأسبوعية للشاعر عبد الوهاب حمو فخار بعنوان *tadfi n wiwal* " لب الكلام " التي ينتجها منذ 2001 في إذاعة غرداية.
- الحصة الأدبية الأسبوعية المخصصة للألفاظ والأمثال والحكم المزابية للشاعر عبد الوهاب حمو فخار بعنوان *idurran n wussan* "الأيام المتتالية" منذ عشر سنوات في إذاعة غرداية.
- الحصة الشعرية الأدبية الأسبوعية للشاعر صالح ترشين بعنوان *izelwan wa turat* "اشعار وتراث" منذ حوالي عشر سنوات في إذاعة غرداية.
- الحصص الأدبية والشعرية للشاعر يوسف لعساكر في إذاعة غرداية : *tasekla n* *ugyersan* "الأدب المزابي" سنة 2006، و *allas d webras* "الكلام والبحث سنة 2008، و *tisudar n wurey* " عقود الذهب" سنة 2015، الخ.
- في المجال التلفزيوني تشكل حصة *merhba* "مرحبا" الأسبوعية منذ سنة 2010 واجهة ثقافية للشعراء المزابيين والمنشدين والمغنين باللغة المزابية لعرض جديد إنتاجهم وبثه للجمهور المزابي سواء من النخبة المثقفة أو من سواد الشعب.¹

هذه الحصص التي تبث في أوقات الالتقاط المكثف في الفترة الصباحية والمسائية يواظب على سماعها الكثير من المزابيين مثل ربات البيوت أثناء القيام بالأشغال المنزلية والتجار في دكاكينهم والسائقين في طريقهم. مما جعلها مصدرا حقيقيا للتثقيف اللغوي وبث الرصيد اللفظي واللساني القديم للغة المزابية في أوساط الأجيال الشابة فباتت وسيلة مثلى للحفاظ على اللغة المزابية وثقافتها واستمرارها.

وبذلك فإن مساهمة الوسائط الثقافية والإعلامية المعاصرة القوية والفعالة في البث الواسع والمكثف للإنتاج الشعري والأهازيج والأغاني التي أنتجتها الفرق الصوتية والغنائية المزابية، كان لها الأثر المباشر على ترقية مكانة اللغة المزابية الرمزية ونشر رصيدها اللفظي والثقافي في الشرائح الاجتماعية الواسعة بعد أن كانت منحصرة في جمهور خاص من المثقفين بالنسبة للشعر الحديث، وحبسية أدراج المكتبات المتخصصة في اللغة الامازيغية التي ورثت من العهد الاستعماري بالنسبة للأهازيج القديمة المندثرة من الاستعمال العادي.

3. دخول الشعر المزابي الحديث مجال الطباعة والنشر: بدأ تدوين بعض الأهازيج

المزابية القديمة من طرف الكتاب الفرنسيين في منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كما سبق ذكره، لكن بقيت هذه الكتابات حبيسة مراكز البحث الفرنسية ولم يتم نشرها بشكل واسع بين المزابيين. كما تطلب إنشاد هذه الأهازيج في الأعراس تدوينه في كراريس المنشدين كشكل من الانتقال إلى الكتابة. ومع انطلاق الشعر المزابي الأمازيغي في السبعينيات على يد الشاعر الغرداوي عبد الوهاب حمو فخار، ظهرت الحاجة إلى طباعته ونشره ما بين الفئات الواسعة للمجتمع المزابي. فكان صدور أول ديوان شعري باللغة المزابية بعنوان *imeṭṭawen n lferḥ* "دموع الفرح" سنة 1985 تحولاً تاريخياً هاماً بالنسبة لمكانة اللغة المزابية، فاتحاً بذلك المجال واسعاً للشعر المزابي للانتشار والربط الواسع كوسيلة فعالة للحفاظ على اللغة المزابية. وتبعه ديوان *imeṭṭawen izeggwayen* "الدموع الحمراء" لنفس الشاعر.

وفي مدينة بني يزقن عرفت الثمانينيات في سياق تداعيات الربيع الأمازيغي على المستوى الوطني بروز الشاعر صالح ترشين بإننتاج شعري غزير باللغة المزابية، ما لبث أن جمعه في ديوانه الشعري الموسوم *ul-inu* " قلبي " الصادر سنة 1994 متضمناً 53 قصيدة حول مختلف الأغراض الشعرية.¹ وفي نفس السنة تدعم الانتاج الشعري باللغة المزابية بالمسرحية الشعرية التربوية الموسومة *تايدرت ن وغلان* "سنبلة ميزاب"، لعبد الوهاب حمو فخار. وفي 1998 أصدر الشاعر عبد الوهاب فخار مسرحيته الشعرية التربوية *taydert n weylan* "سنبلة مزاب"، وأخيراً قصيدته حول أحداث مزاب *tawsest n tyerdayt jar idurran* " أزمة غرداية بين السطور " سنة 2014 المنشورة في قرص مضغوط.

وتمثل الدواوين الثلاثة الأولى اللبنة التي دفعت لانطلاقة شعرية هامة بوادي مزاب ساهمت في تغيير تمثيلات الكثير من الناطقين باللغة المزابية تجاه لغتهم وتثمينها كلغة ابداع ادبي وشعري لها قواعد ونحو وهي تكتب ويمكن نشر كتب بها مثلها مثل اللغات الاخرى ؛ بعد أن كانوا يترددون حتى بإعطائها وصف اللغة. وبالفعل كان الهم الاساسي للشاعرين هو اثبات هذا المركز الذي تفتقده الامازيغية في المخيال

¹ (صالح ترشين ، أول إنو، مرجع سابق.

الشعبي والرفع من قيمة اللغة الأم وأدبها وشعرها، حيث يقول عبد الوهاب حمو فخار في مقدمة ديوانه: >> *اتمنى ان اوفق في هذه المحاولات حتى اصل الى غايتي المنشودة ان شاء الله وهي التعمق اكثر في اعماق هذه اللغة العزيزة على كل غيور على قوميته والمهتم بثقافته الجزائرية الاصيلية...¹*. ومن جهته يقول صالح ترشين في مقدمة ديوانه >> *سميت هذا الكتيب " اول انو" عبرت فيه بأبيات شعرية عن ما يكنه صدري وذلك بلغة رضعتها من صدر امي الحنون (...)* ألعتني لسانا صافيا غير آسن وتراثا ثمينا...²

والملاحظ ان كلا الشاعرين حرصا على أن لا يتوقف شعرهما على الجمهور المزابي بل يتجاوزه إلى أفق أوسع، فقاما بترجمة أشعارهما إلى اللغتين العربية والفرنسية سعيا إلى إيصال خطابهما الشعري إلى القراء غير الناطقين باللامازيغية، فضمن الشاعر صالح ترشين ديوانه ترجمة إلى العربية والفرنسية، ثم اصدر ترجمة ثانية لجزء من ديوانه سنة 2003³، بينما اصدر الشاعر عبد الوهاب حمو فخار ترجمة بالعربية لديوانه الأول سنة 2007⁴، كان قد شارك فيها في مهرجان المريد الشعري بالبصرة بالعراق سنة 2002 ممثلا للجزائر كأول شاعر ينطق باللامازيغية في تاريخ هذا المهرجان.

وبالرغم من التطور النسبي لتدوين ونشر الشعر المزابي الذي سمح بإخراجه من الشفوية، إلا أن ذلك مازال ضعيفا بحيث لم يتجاوز حتى الآن سبع مجموعات شعرية في مدة ثلاثين سنة. بمعنى إن قسم كبير من الانتاج الشعري باللغة المزابية لا يزال خارج فضاء الكتابة، إذ يبلغ عدد ما نظمه الشاعر صالح ترشين حوالي 400 قصيدة شعرية باللغة المزابية لم تنشر منها في ديوانه سوى 45 قصيدة.⁵ وبالطبع فإن أهم عائق لهذه العملية هو قلة المقرئية باللغة المزابية. والسبب الاول لذلك هو الأمية الواسعة بلغة الأم وعدم انتقال اللغة المزابية الى مرحلة الكتابة والتعليم، أما السبب الثاني فهو عدم تدريس الانتاج الشعري الامازيغي -خلافا للإنتاج الشعري العربي الفصيح- في المدارس الحرة المزابية، ما دام أن النشر يرتبط اضطراديا بمستوى المقرئية في المجتمع، ولكون المقرئية الأدبية ترتبط بدورها بالتعليم.

¹ عبد الوهاب حمو فخار، *إمطاون نلفرح*، مرجع سابق، ص.20.

² صالح ترشين، *أول انو*، مرجع سابق، ص.9.

³ Saleh TIRICHIN, *ul-inu, UL-INU, (mon cœur)*, ANEP, 2003.

⁴ عبد الوهاب حمو فخار، *إمطاون نلفرح*، نفس المرجع، ص.20..

⁵ لقاء مع الشاعر صالح ترشين، بني يزقن، يوم 22 أفريل 2015.

ثانيا: ازدهار الشعر الغنائي وتطور الإنشاد باللغة المزابية¹

يعتبر اللحن من أهم الوسائل لبث الشعر في الأوساط الشعبية الواسعة والمحافظة على الشعر في الذاكرة الجماعية للمجتمع، ذلك أن وضع الشعر في شكل إيقاعي تستسيغه الأذان يجعل المستمعين إليه يتذوقون تعابيره وكلماته ويتأثرون به، وبالتالي يكونون أكثر استيعابا له ولمعانيه ودلالاته من أن يلقي عليهم. وهذا ما يحجب اللغة التي أنشد بها ويقربها إلى وجدانهم وعقولهم ويُرسّخها ويحفظها في ذاكرتهم، ويعزز لديهم الثقة في قدرات لغتهم التعبيرية. ومن نافلة القول أن الأغنية تشكل أهم عوامل انتشار الشعر واللغة الشعرية الراقية في الأوساط الشعبية. فبفضل صوت أم كلثوم مثلا انتشرت العديد من روائع الشعر العربي القديم والحديث مثل قصائد احمد شوقي واليازجي وابو فراس الحمداني وبعض رباعيات الخيام، الخ حتى أصبحت << تدور على ألسنة الشباب المصري >>. ذلك ما حدث بالنسبة للشعر الغنائي المزابي الذي ساهم ولا يزال في ترقية مكانه اللغة المزابية والانتشار الواسع لبعض الأشعار التراثية وقصائد الشعر المزابي الحديث. فكم من أغنية ألهمت مشاعر المزابيين وحنينهم إلى تراثهم الامازيغي وبثت فيهم الاعتزاز بالانتماء اللساني- المذهبي للجماعة المزابية، كما تبين النماذج التي سنستعرضها لاحقا.

وفي محاولتنا للتأريخ للأغنية المزابية واجهتنا صعوبة التمييز بين المنشدين والمغنيين لكون اغلب المغنيين بدؤوا مشوارهم الفني بالإنشاد الديني ثم ما لبثوا أن تحولوا إلى الغناء الموسيقي بعد أن خفت وطأة التحريم الديني والقمع الاجتماعي على الموسيقى. وعليه يمكن القول أن الأغنية المزابية ظهرت وتطورت بصفة تدريجية، إذ برزت في مرحلة أولى من خلال المنشدين في حفلات الأعراس باللغتين العربية

¹ اختلف الكتاب حول تعريف الشعر الغنائي، إذ يعرفه القديما منهم حسب شكله الخارجي باعتباره أبياتا مرتبة بشكل تسهل أدائه اللحن، بينما يعرفه المحدثون حسب مضمونه باعتباره شعرا يعبر عن أحاسيس وانفعالات العاطفة الإنسانية. انظر: جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ص.151. ونحن نفضل التعريف الأول باعتبار الشكل الخارجي هو المميز الأساسي للشعر الغنائي عن غيره. بينما نقصد بالشعر الغنائي المزابي الأهازيج المزابية القديمة التي انتقلت إلى المجموعات الصوتية والمغنيين بالإضافة إلى الشعر الغنائي المزابي الحديث الذي يؤدي بالموسيقى، سواء كان شعرا منظما من طرف الشعراء أو كلمات يضعها المغنون.

² د. شوقي ضيف، الشعر وطوايعه الشعبية على مر العصور، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1984، ص.245، 246.

والمزابية، (أ) ثم ما لبث منذ الثمانينيات وبداية التسعينيات أن ظهر مغنون وفرق موسيقية غنائية باللغة المزابية، كان لهم دورا بارزا في ارتقاء مكانة الشعر واللغة المزابية (ب).

(أ) المنشدون والمجموعات الصوتية الإنشادية

ظهرت المجموعات الصوتية الإنشادية في المدن المزابية في تاريخ غير معروف يحتمل أن يكون -حسب الاتفاقات المزابية (القوانين العرفية)- مع وضع حلقات العزابة قوانين لتنظم الزواج وتوحيد طريقة الاحتفال بالأعراس في "دار الحجة" بإشراف من اعزabin في بداية القرن التاسع عشر. وتختلف تسمية هذه المجموعات حسب المدن مثل *taqimit n lebyat* "مجلس الأبيات" الذي يردد الأبيات الشعرية الدينية "أو *tṭabla n lebyat* "طاولة الأبيات" (الطاولة التي يستدير حولها المنشدون لإنشاد الشعر في الأعراس)، أو *llejnet n lebyat* "لجنة الأبيات" (لجنة المنشدون)، التي تتولى إحياء الأعراس بوادي مزاب. وكانت تتكون من طلبة المحاضر¹ ويشرف عليها العزابة الذين يتولون مباركة القران وتركيبته. ولم تذكر المصادر التاريخية وجود فرق غنائية للعامة لا يشرف عليها العزابة إلا في مدينة بني يزقن في أواسط القرن العشرين، حيث سادت نوعا من الازدواجية السوسيو-لسانية بوجود مجموعات صوتية دينية تحي حفلات الأعراس الرجالية بالأنشيد الدينية والمدائح التي تُحفظ في المحاضر والمدارس الإباضية وتؤدي حصرا باللغة العربية الفصحى فيما سمي ب"عرس عزابي" (عرس ديني)؛ بينما كان "العوام" والنساء يحيون حفلات الزواج باللغة المزابية الامازيغية بترديد الأهازيج المزابية التراثية المرافقة لمختلف الطقوس والاعتقادات الامازيغية للزواج التي تضرب في عمق التاريخ فيما سمي ب"عرس عامي". هذا الوضع يشهد مرة أخرى على الازدواجية السوسيو-لسانية التي كانت قائمة بين "الطولية" (رجال الدين) و"العوام" (عامة الناس)، كما وضحنا سالفًا. لكن بعد الاستقلال بادرت مجموعة من طلبة المدارس الدينية بمباركة الشيخ الحاج محمد بن يوسف بابانو (1868-1974) إلى إنشاء لجنة لإحياء الأعراس على "الطريقة الإسلامية" لوضع حد للحرية التي كانت سائدة في أعراس العوام التي تجري دون مراقبة إعزabin، وأجري أول عرس بهذه الطريقة بتاريخ 15 مارس 1965،² وما لبث أن

¹ "المحضرة" عند المزابيين هي المدرسة القرآنية التي يشرف عليها اعزabin وتتولى تكوين طلبة الدين المبتدئين الذين يسمون *irwan*.

² يوسف بن بكير الحاج سعيد، بلدة بني يزقن من خلال المجتمع المدني، مطبعة الآفاق، بني يزقن، 2013، ص.83.

أدرجت الأهازيج المزابية في هذه الحفلات التي كانت تسود فيها الاناشيد العربية (مدائح وموشحات وأغاني تونسية، مصرية ومشرقية أو من تأليف شعراء العربية الجزائريين والمحليين الناطقين باللغة المزابية)¹.

وبالفعل أسهمت المجموعات الصوتية الإنشادية ولا زالت من خلال حفلات العرس، في تلمين الأهازيج المزابية والشعر المزابي الحديث على السواء وبثها في الفئات الشعبية الواسعة، بعد أن أصبح أدائها بصفة دورية أسبوعية وشهرية الى جانب الاناشيد العربية، من تقاليد الاحتفال الرجالي بالزواج في مقر "لحبت" أو العشيرة. وانعكس ذلك على المكانة السوسيو-لسانية للغة المزابية وإحياء رصيدها الثقافي واللغوي. ويمكن أن نذكر على سبيل المثال بعض أهم هذه المجموعات الصوتية الإنشادية التي ساهمت في إحياء الأهازيج المزابية واللحن الامازيغي الأصيل في الآتي:

- بني يزقن: *Ilujnet n lebyat* "فرقة الأناشيد" التي أخذت في السبعينيات تسمية "جمعية التنقيف الشعبي" باقتراح من شاعر الثورة مفدي زكرياء، بالإضافة إلى جمعية *izelwan n mzab* "أشعار مزاب"².
- بريان : جمعية ألحان الفتح .
- غرداية: جمعية الأجيال الصاعدة.
- قنطرة : جمعية أنغام الحياة.
- تادجينايت/العطف: جمعية الفن والأدب الإسلامي.
- جمعية البلابل الرستمية لوادي مزاب التي كانت تضم مختلف منشدي المدن المزابية وعرفت نشاطا كبيرا في الثمانينيات كمثل للإنشاد المزابي محليا ووطنيا ودوليا، الخ.

والملاحظ أن أغلب هذه المجموعات التنشيطية تحولت إلى جمعيات ثقافية معتمدة مستقلة عن حلقة العزابة مختصة في الإنشاد المزابي الامازيغي، لإحياء مختلف المناسبات والمشاركة في المهرجانات الامازيغية على المستوى الوطني. ويمكن أن نميز من جهة بين المنشدين والمغنين الذين ينجزون شعرا

¹ تم جمع 192 نشيد عربي كان متداولاً في الحفلات التي كان ينظمها رجال الدين وخريجي المدارس العربية بوادي مزاب، مقابل 18 انشودة باللغة الامازيغية لوادي مزاب فقط. انظر: يونس فرصوص، نفحات من الحياة، مرجع سابق.

² تعتبر هذه الجمعية التي تأسست سنة 2001 من أنشط الجمعيات في ميدان ترقية الإنشاد باللغة المزابية وترقية الثقافة الامازيغية، حيث سجلت شريطاً للأهازيج التراثية المزابية بالقناة الثانية سنة 2001، وشريطين للأهازيج الدينية في القناة التلفزيونية الرابعة سنة 2012، بالإضافة إلى المشاركة في مختلف النشاطات التي تنظمها المحافظة السامية للامازيغية. كما عمدت إلى تنظيم حفلة رأس السنة الامازيغية Yennar كل سنة في مدينة بني يزقن.

ويلحنونه مع أدائه إنشادا أو غناء بالموسيقى، وهم قلة وأشهرهم الشاعر المغني عادل مزاب والشاعر المنشد داودي عمر؛ والمنشدين والمغنين الذين يؤدون أشعارا ليست لهم من جهة أخرى، وهم كثيرون يضيق المجال لتعدادهم. هؤلاء يلجؤون إلى تلحين أشعار الآخرين وأدائها، وهي غالبا من إنتاج صالح ترشين لوزنها الغنائي مثل المغني جمال ازلي (نور الدين دباش) والمنشدون حاج معروف والحاج دواق، الخ.

وينفرد الشاعر عبد الوهاب حمو فخار بتجربة نضالية خاصة في سنوات الثمانينيات في كنف الحركة الكشفية من خلال الانشاد الامازيغي كوسيلة لإثبات الهوية الامازيغية، عندما منع الحزب الحاكم اللباس المزابي (الشاشية والسروال التقليدي) على الكشفيين بوادي مزاب. حيث يقول: << شعري ظهر ونمي في الحركة الكشفية، (في سياق) والصراع على فرض الهوية المزابية >>. إذ عندما كان قائدا لفرقة "الجوالة" الكشفية الإنشادية آنذاك، كان ينظم الشعر ويلحنه ويغنيه ثم يدرّب الجماعة على أدائه.¹

كما تميز بعض المنشدين بإنتاج أدبي وإنشادي معتبر ساهم الى حد كبير في إحياء الهازيج التراثية، اهمهم المنشد عمر داودي الذي بدأ مشواره الفني في الانشاد الديني العربي في الكشفية وجمعية "الفن والأدب الاسلامي" وغيرها، لكن بفضل الوعي الهوياتي بالامازيغية تحول الى الانشاد الامازيغي باللغة المزابية منذ سنة 1973 بقصيدته الاولى *tameṭṭut n baba* "زوجة الأب"، لينتج بعدها منذ الثمانينيات خمسة اشربة ضمنها عدة أهازيج تراثية، وهي: *asli* "العريس"، *aneemur* "المغترب"، *a yelli* "يا ابنتي"، *islan* "العرسان"، وأخيرا انشودته الطويلة التي تمجد تاريخ وادي مزاب *tanfust n weylan* "ملحمة مزاب" التي صدرت سنة 1991 بعد الاحداث الدامية ببريان وغرداية.² ولا يسع المجال لذكر كل المنشدين باللغة المزابية الذين ظهوروا منذ الثمانينيات لعل أشهرهم المنشد عمر بوسعدة الذ انتج عدة اشربة سمعية ضمنها اهازيج تراثية وأشعار من نظمه وتلحينه عرفت شهرة بفضل أدائها في الاعراس والمناسبات.³

¹ لقاء مع الشاعر عبد الوهاب حمو فخار، غرداية، يوم 02 سبتمبر 2015.

² لقاء مع الشاعر المغني داودي عمر، بني يزقن، بتاريخ 12 فيفري 2015. انظر : الرصيد الموسيقي داودي عمر، المكتبة الصوتية، الإذاعة الوطنية القناة الثانية، 2010.

³ عمر بوسعدة، أحوف ن وغلان، مرجع سابق.

(ب) المغنون والفرق الغنائية الموسيقية باللغة المزابية

لم تف المصادر الشفوية ولا المكتوبة بغرضنا في التأريخ لنشأة وتطور الأغنية المزابية إلا بقدر يسير جدا، ولم تجب عن تساؤلنا حول وجود مغنين مزابيين في القديم من عدمه. والثابت أن الأهازيج المزابية كانت تؤدي من طرف النسوة بصفة جماعية وأحيانا بصفة فردية بمناسبة إحياء بعض العادات والتقاليد كما رأينا. وفي سنوات الأربعينيات والخمسينيات عُرف بعض المغنين الذين كانوا يحيون حفلات الأعراس "العامية" التي تنظمها العشائر دون ان يشرف عليها العزابة، غير أن أغلب أغانيهم كانت باللغة العربية الدراجة من صنف الشعبي مع أداء بعض الأهازيج المزابية المعروفة بالقيتارة مثل أهزوجتي، *nnan-i midden* و *siwed a wi şşawaden*، الخ.

ومهما يكن فإن الأغنية المزابية ساهمت بصفة مباشرة في تثمين اللغة المزابية والرفع من مكانتها رغم ضعفها وضآلتها بسبب تحريم رجال الدين الإباضية للغناء واعتباره مفسدة تؤدي إلى الانحلال والتفسخ الأخلاقي وأن الآلة الموسيقية هي "مزمارة الشيطان"، الخ . إذ لم يكن الغناء مسموحا به إلا في حفلات العشائر (العوام) التي تخرج عن سيطرة رجال الدين وبدون حضورهم وتركيتهم؛ بينما يسمح بالإنشاد الصوتي في إطار المجموعات الصوتية الإنشادية التي يشرف عليها العزابة دون استعمال الدف أو أي آلة أخرى بإحياء حفلات الأعراس "بالطريقة الإسلامية"، في خضم الصراع القديم بين اعزابين (رجال الدين) والعوام (العشائر). وهذا ما يفسر أن أغلب الذين غنوا بالآلة الموسيقية منذ الأربعينيات تعرضوا للقمع المجتمعي والإقصاء وحتى إلى عقوبة العزل و *tiwri* "دعوة السوء" من طرف رجال الدين المتشددين¹.

وتعد مدينة بريان مرتعا خصبا لتطور الأغنية المزابية الامازيغية بسبب ضعف سلطة رجال الدين المتشددين في هذه المدينة، بحيث انطلقت من هذه المدينة الأغنية المزابية الحديثة بالآلة الموسيقية منذ الثمانينيات على يد المغني بن ناصر عمر المعروف بـ "عادل مزاب"² رغم معارضة رجال الدين

¹ وأفضل مثال على ذلك حالة عادل مزاب مؤسس الأغنية المزابية الحديثة ببريان، فبعد أن كان عضوا في مجموعة إنشادية دينية غادر المجموعة وانتقل إلى الغناء بالآلة الموسيقية مخترقا بذلك الحظر الديني لرجال الدين المتطرفين ، لكن في حفلة من حفلات العرس استدعاه صاحب العرس لأداء أغنيته *seedi yelli* في بداية السبعينيات، مخترقا لهذا الحظر دون أخذ موافقة الفرقة الإنشادية التابعة للعزابة، فقام أحد رجال الدين بمنعه من الغناء وطرده من المنصة. وكان هذا الحدث دافعا آخر لإصرار المغني على مواصلة مشواره الغنائي بالآلة الموسيقية.

² حول المسيرة الفنية لعادل مزاب . انظر موقعه الرسمي: www.adelmzab.fr

المتطرفين. وكانت أغنية *Saedi yelli* "ياالسعادتي بابتني" أول انطلاقة لعادل مزاب في وضع الحجر الأساس للأغنية المزابية المعاصرة سنة 1968 بعد أن تلقى تركية دينية من الشيخ ابراهيم بيوض زعيم الحركة الإصلاحية الاباضية الذي شجعه على المضي في هذا السبيل، كما سبقت الإشارة إليه.

وفي سنة 1978 اصدر عادل مزاب أول شريط موسيقي باللغة المزابية متضمنا جملة من الاشعار الاجتماعية الرمزية، بالإضافة الى الأهازيج التراثية المزابية التي حولها الى أغاني عصرية باستعمال الآلات الموسيقية مثل *kred amzur* وأهزوجة *siwed a wi şşawaden* ، ولاسيما أهزوجة *ay anuji* "ايها الضيف" التي عُرف بها في الأوساط الثقافية الأمازيغية محليا ووطنيا ودوليا، خاصة بعد بثها في شريط تلفزيوني سنة 1985.¹

وفي سنة 1983 أصدر شريط غنائي ثاني باللغة المزابية ضمنه بعض الاهازيج التراثية مع أشعار أخرى من وضعه. تبعته عدة أشرطة كان لها وقعا شعبيا كبيرا لاسيما في نفوس الشباب المثقف والجامعي الذي بدء يندمج في الحركية المطالبة الوطنية التي عرفتها الجزائر في الثمانينات بما عرف بالربيع الأمازيغي. فبالإضافة إلى الأهازيج التراثية التي حولها إلى أغاني إيقاعية، فإن عادل مزاب وضع أشعارا غنائية لعدد من أغانيه تتعلق بمختلف المواضيع مثل الطبيعة والغربة والإشادة بالعادات المزابية والمرأة، الخ. كما نظم شعرا غنائيا رمزيا مثل "تامشيط ن ويدر ن لواد"، "تازدايت ن البور"، "تارمونت ن القارص"، الخ². وفي نفس الفترة ظهرت بمدينة بني يزقن أشرطة غنائية للشاعر المغني سليمان ساعو والشاعر المغني جابر بليدي تتناول عدة مواضيع اجتماعية وتراثية.

غير أن فترة الانفتاح الديمقراطي التي أعقبت صدور دستور 23 فيفري 1989، شهدت قفزة نوعية للأغنية المزابية نتيجة ازدياد حركة الوعي بالأمازيغية في أوساط الشباب لاسيما من مدينتي بريان وبني يزقن، خاصة من المنخرطين في حزب التجمع من اجل الثقافة والديموقراطية RCD الذي جعل من القضية الأمازيغية أحد ركائز برنامجه السياسي. كما كان للتبادل الثقافي الجماعي بين منطقة وادي مزاب ومنطقة القبائل أثرا في نقل المطالب اللغوية والثقافية الأمازيغية وإثارة الاهتمام بالهوية الأمازيغية للجزائر. وعليه ظهرت في هذه الفترة، بالإضافة إلى الفرق الفلكلورية للبارود والرقص، عدة فرق موسيقية للغناء

¹ يوسف لعساكر، انثولوجيا الادب المزابي، ص.55.

² قاسم يوف لعساكر، الفنان عمر بن ناصر، شبكة مزاب ميديا - Mzab Media Network - 28 نوفمبر 2016.

المزابي لاسيما فرقة ITRAN "النجوم" وفرقة UTCIDEN "اليافعين". وتزامن ازدهار الأغنية المزابية كناطق باسم الأنا الجمعي للمزابيين مع الأزمة الطائفية التي ضربت مدينة بريان إثر أول انتخابات بلدية وولائية تعددية سنة 1990 فازت فيها القائمة الحرة التي تمثل بني مزاب بالأغلبية أمام قائمة جبهة الإنقاذ الإسلامية التي تمثل السكان العرب. وأثارت الاعتداءات التي طالت المزابيين، وما خلفته من قتلى ونهب وتخريب وحرق لأملأهم، مشاعر المزابيين الذين رؤوا فيها استهدافا لهويتهم ببعدها الأمازيغي والإباضي.

ويقول عادل مزاب في أغنيته *rezem-iyi tawurt* "افتحي لي الباب" مخاطبا أمه (الأم الطبيعية أو المجازية: الأرض) أن تفتح له الباب وتتركه يشارك فيما يحدث حوله ويتضامن مع إخوته للدفاع عن وجوده. بينما اشتهرت فرقة ITRAN نفس الفرقة بأغنية *tiyri* "نداء" وهو نداء استغاثة للشباب ليهبوا لإنقاذ التراث الأمازيغي من الاندثار والضياع، حيث تقول:

*Maytellim, maytellim, a
imekras
Axbac n izetwan,
duhewwef n izelwan.....*

أين انتم، أين انتم يا شباب ؟
العمل الجاد في آلات النسيج،
وإنشاد الأهازيج المزابية.....

وفي بداية التسعينيات أصدر المغني جابر بليدي الذي كان عضوا نشطا في الفرقة الصوتية الإنشادية لبني يزقن وفرقة البلابل الرسمية لوادي مزاب، شريطا غنائيا وموسيقيا يتضمن ثلاث أغاني تراثية وثلاث أغاني لأشعار الشاعر صالح ترشين حول الطبيعة والتراث. هذا الشريط الغنائي جاء ليملئ الفراغ الذي كان سائدا في الوسط الإعلامي والإذاعي المزابي أمام صخب الأغاني العربية والفرنسية وغيرها. كما بات يلبي حاجة المزابيين الى أغاني تمثلهم كمجموعة ناطقة بالامازيغية في التلفزة الوطنية - الوحيدة آنذاك - و الإذاعة الوطنية تبث من بين الطبوع الغنائية الأخرى.

ويمكن القول أن فرقة UTCIDEN هي الفرقة الغنائية التي كان لها أكبر الأثر في بث الوعي النضالي في أوساط الشباب المزابي لإحياء اللغة المزابية والنضال من أجل القضية الأمازيغية. فهذه الفرقة التي ظهرت سنة 1990 في أوج الانفتاح الديمقراطي التعددي، وأنتجت أولى أعمالها سنوات 1992-1994 تكونت من مجموعة من المناضلين في الحركة الثقافية الأمازيغية والمنتمين أيضا إلى حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية. إذ استطاعت بأشعارها التراثية والحديثة وأغانيها الإيقاعية

الخفيفة أن تستنهض الهمم بتأثيرها البالغ في النخبة المزابية الجامعية والمتقفة التي انخرط قسم معتبر منها في حركية إحياء التراث واللغة المزابية، فضلا عن دفعها للغة المزابية إلى الواجهة الإعلامية الوطنية. هذين العاملين دفعا إلى رفع مكانة اللغة المزابية لدى الناطقين بها وإخراجها من السرية والظل إلى العلانية لتثبت ذاتها في المجال الفني والإعلامي كمتغيرة من متغيرات اللغة الأمازيغية. وعلى المستوى الشعري جاءت أعمال فرقة UTCIDEN لتضاف إلى جهود عادل مزاب في إحياء بعض الأشعار التراثية في طابع موسيقي عصري، أعطى لها روح جديدة وأخرجها من الطابع الفلكلوري والنسوي المحدود التي كانت عليه، مثل أزوجة *nnan-i midden* "قال لي الناس" ؛ كما لحنّت وساهمت في بث العديد من أشعار الشعراء عبد الوهاب حمو فخار وصالح ترشين، بالإضافة إلى أشعار الشاعر زيطاني حمو أحد مناضلي الأمازيغية الأوائل والمناضلين في حزب الأرسيدي.

إنّ ذلك ظهر في أواسط التسعينيات في مدينة بريان أيضا المغني "آلة" بأغاني جديدة تتناول مختلف المواضيع الاجتماعية أغلبها تمجيد للحضارة المزابية والدعوة إلى إحياء التراث المزابي الأمازيغي من ضمنها أغنية *axsa* "الحب" في الغزل العفيف بلحن مقتبس من المغني القبائلي سي موح. مع أن الأغنية التي أخذت صدى واسع وأصبحت مرجعا لمناضلي إحياء اللغة المزابية وتطويرها هي أغنية *tumzabt* "اللغة المزابية" وهي قصيدة للشاعر بوكراع سعيد يحذر فيها من ضياع اللغة المزابية ووجوب الاعتناء بها بتكلمها واستعمالها وتطويرها، جاء في مطلعها:

*Tumzabt, tumzabt
cemmi d awal-nney
Simawen tellid teqdid*

أيتها اللغة المزابية، أيتها اللغة المزابية، أنت لغتنا

(لقد) اندثرت من الأفواه

*Yak cemmi d ayetli-nney.
S ulawen tellid tendid...*

نعم، أنت ذخرنّا (لكن) لقد اندثرت من القلوب....

هذه الأغنية النضالية أصبحت موسيقى لحصة *awal-nney d iggen* "لغتنا واحدة" التي أنجزناها سنوات 2003 إلى 2006، ثم تبناها الباحث عبد الرحمان حواش بعد ذلك لحصته اللغوية *iles-nney* "لغتنا" حول اللغة المزابية سنة 2007، مما سمح لها بالبروز الواسع في أوساط مستمعي القناة الإذاعية الثانية والإذاعة المحلية لغرداية. ويتطور حاجة المغنيين باللغة المزابية إلى الكلمات إتجه الشاعر صالح ترشين إلى الإنتاج بغزارة في الشعر الغنائي الإيقاعي الذي أصبح السمة الغالبة في

مدونته الشعرية. ومن مدينة بريان مرة أخرى ظهرت لأول مرة في تاريخ وادي مزاب المغنية أميرة دباش ابنة المغني جمال إزلي -دباش سنة 2010 لتؤدي أغنية باللغة المزابية على المنصة في المهرجان الرابع للأغنية المزابية،¹ رغم المعارضة الشديدة لرجال الدين المتطرفين. وكان لهذا الحدث دلالة رمزية كبيرة من حيث إشراك المرأة المزابية لأول مرة في الأغنية المزابية.

ورغم انطلاقته القوية في التسعينيات وانتعاشها بفضل المهرجان السنوي لأغنية مزاب منذ 2009 فإن الأغنية المزابية لا زالت تعاني حضورا محتشما في الساحة الفنية والإعلامية المحلية والوطنية، ويرجع ذلك أساسا إلى الحظر الديني الذي جعل المجتمع المزابي >> لا يزال رافضا لفكرة ولوج أبنائه عالم الفن <<، كما يرى الفنان جمال إزلي رئيس فرقة utčidan.² هذا الوضع أضعف إحدى أهم وسائل البث الشعري والدعم اللغوي الذي يمكن ان تستفيد منها اللغة المزابية للنهوض، كما حصل مع اللغة القبايلية بفضل تطور وازدهار الاغنية القبايلية منذ السبعينيات.

الفرع الثاني: ترقية اللغة الشعرية المزابية وأثرها في حيوية اللغة المزابية

من المتفق عليه اعتبار الشاعر فاعلا لغويا هاما بسبب الدور الريادي الذي يقوم به في تطوير اللغة مادام أن >> طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة (...). هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني، أو يرسم بها صوره الشعرية <<. وطالما أن الشعر هو لغة انزياحية منمقة فإن الشاعر يبذل قصارى جهده لتطويع اللغة وتمكينها وتطويرها واستثمار إمكاناتها التعبيرية البلاغية اللفظية ورصيدها الثقافي، الخ بهدف صياغة لغة شعرية متميزة راقية يجذب إليها أصحاب الأذواق الرفيعة وتصنع الوعي البشري. ذلك أن الشاعر لا يكتفي باستخدام اللغة كمجرد أداة للتواصل مع الآخرين وإنما يتصرف فيها ، ليجعل منها لغة للوعي أكثر قدرة للتعبير والانفعال الوجداني⁴. وكما يرى الفيلسوف الألماني مارتن

¹ وزارة الثقافة- ولاية غرداية، المهرجان الثقافي المحلي للموسيقى وأغنية مزاب، 30 سبتمبر إلى 04 أكتوبر 2010، سينما مزاب، غرداية، [قرص]

² "من أقوال الفنان جمال إزلي"، مجلة تفاسكا، أصالة الماضي...مسيرة المستقبل، مجلة المهرجان الثقافي المحلي للموسيقى وأغنية مزاب، العدد الرابع، ديسمبر 2012، ص.32.

³ رايح بوحوش، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2006، ص. 152. نقلا عن عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، 1978، ص.435.

⁴ د.لطفی عبد البديع، الشعر واللغة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوندان، القاهرة، مصر، 1997، ص.2 وما بعدها.

هيدجر >> فالشعر لا يتلقى اللغة قط مادة يتصرف فيها كأنها معطاة له من قبل، بل الشاعر هو الذي يبدأ بجعل اللغة ممكنة>>¹ وهنا يبرهن الشاعر على كفاءته في تطويع اللغة وجعلها ممكنة التعبير عن أفكاره ومشاعره.

وبناء عليه أدى التطور الأسلوبي البلاغي واللفظي للشعر المزابي الحديث إلى زحزحة الهيمنة الرمزية للشعر العربي في المجتمع المزابي، بتقوية رصيد اللغة المزابية بمستوى لغوي جديد وترقية مكانتها في التصور الجمعي للناطقين بها، بعد أن برهنت على أنها لغة أدب راقية لا يختلف في بلاغته وموضوعاته عما هو موجود في اللغات الأخرى التي يعتقد أنها "متفوقة".

ويتضح هذا التطور اللغوي على وجه الخصوص في أعمال الشاعرين البارزين عبد الوهاب حمو فخار وصالح ترشين موضوع دراستنا. فقد وجد الشاعران أنفسهما أمام لغة ضعيفة لا تملك إلا بقايا من أدب شفوي محدود محتوى وشكلا مع انعدام القواميس والمراجع اللغوية والأدبية المزابية، فدفعوا دفعا إلى البحث والتتقيب في التراث اللغوي الشفوي لبناء قصائدهما مؤدين بذلك وظيفتي الشاعر والباحث في آن واحد، فبذلا جهودا بحثية كبيرة لانتقال التراث اللغوي والثقافي والقيمي المزابي وبعثه في ثوب شعري جديد لقي إقبالا واسعا من الناطقين المزابيين بل وكوّن جمهورا من المحبين والمستهلكين لهذا الشعر.

لقد أدى ظهور اللغة الشعرية المزابية الحديثة إلى بلورة "اللغة المشروعة" بمفهوم بيار بورديو باعتبارها لغة مدعمة ومصنعة جزئيا بفضل العمل التصحيحي المستمر لتحديد استعمالاتها الصحيحة أي عملية التتميط من طرف المختصين². وبذلك ساهم الشاعران ولا يزالان في عملية التتميط وتحديد قواعد استعمال اللغة المزابية. فعلى المستوى البلاغي سعى الشاعران إلى إثراء لغتهم الشعرية بمختلف الصور البيانية والبديعية اقتداء بالشعر العربي (أولا) وعلى المستوى اللفظي عمد الشاعران إلى انتشار عدد معتبر من الألفاظ المزابية القديمة التي كانت في حكم الألفاظ الآيلة للزوال وحتى المندثرة لعدم استعمالها ومعرفتها من طرف الناطقين المزابيين. كما لجأ الشاعران كلما استدعت الضرورة إلى استخدام الألفاظ المبتكرة ولو كان ذلك بشكل يسير جدا (ثانيا). وبالنسبة للمحتوى الأدبي عمد الشاعران إلى توظيف كمية هائلة من عناصر التراث الأدبي المزابي مثل الأمثال والحكم والعادات والأساطير والأحداث التاريخية التي شهدتها وادي مزاب (ثالثا).

¹ مارتن هيدجر، ترجمة د. عثمان أمين، في الفلسفة والشعر، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1963، ص.96.
²) Pierre BOURDIEU, Ce que parler veut dire, op.cit., p.53.

أولاً: ترقية المستوى البلاغي

تتميز اللغة الشعرية الحديثة التي طورها الشاعران بثرائها بالصور البيانية والمحسنات البديعية والتنميق اللفظي والثراء الفكري وهي كلها خصائص اللغة الشعرية الانحيازية المتميزة التي دعمت اللغة المزابية بمستوى لغوي رفيع من مستوياتها، وهو ما يعرف بالمستوى الأدبي أو المستوى المدعم. ولكثرة الصور البلاغية التي لا تخلو منها قصيدة من قصائد الشعراء وضيق المجال لدراستها، لا يسعنا إلا استعراض بعض النماذج البلاغية على سبيل المثال فيما يلي:

(أ) الصور البيانية¹: نكتفي باستعراض أهمها وهي الكناية والمجاز والاستعارة.

1. الكناية:

همم (الغريبون) يعدون (الأكل) ونحن نتنوق
Netnin tmudan
necnin nmeddi,
tiwira selhent, tinisa jemdent
 (مطاون ن لفرح ص. 115، 118)

في المقطع الأول كناية عن صفة عجز المسلمين الذين اكتفوا باستهلاك منتجات الغرب التي يصنعها، وفي المقطع الثاني كناية عن غلق باب الاجتهاد عند المسلمين وضياح الحلول.

احرقوا الزيت
sseryen zzit
 فاجتمعوا في حلقة
jerwen tayimit
 (أول-إنو، ص. 84)

في المقطع الأول كناية عن كثرة القراءة والتعلم وسهر الليالي بسبب أن القراءة في الليل كانت تتم في القديم على ضوء قناديل الزيت، وبكثرة القراءة تحترق الزيت. وفي المقطع الثاني كناية عن تأسيس رجال الدين الإصلاحيين لمجلس عزابة مستقل بهم.

2. المجاز:

اعلموا أنني مزابي
Necci, snet dumzab
 أقطر مزابية
settiy s tumzabt
 (مطاون ازوقاغ، ص. 36)

¹ ينظر: رابح بوحوش، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، المرجع السابق، ص. 151-184.

حيث شبه مجازا شدة الانتماء إلى الهوية المزابية بالارتواء بالماء إلى حد يجعله يقطر من الشخص لكثرة ارتوائه به، لعلاقة المشابهة بين ارتواء الماء حتى التخمّة وارتواء الأصالة، وهو تعبير مجازي كثير الاستعمال في اللغة المزابية للتعبير عن الإكثار من الشيء .

Sesten tizdayin

اسأل النخيل

sesten timetlin

اسأل الكتبان الرملية

ad ac-alsent tinfas

تحكي لك القصص

(أول-إنو، ص.24)

وجه المجاز اعتبار النخيل والكتبان الرملية كائنات عاقلة تحفظ التاريخ لعلاقة المشابهة مع البشر وهذه الكائنات التي عمرت طويلا وعاصرت الاجيال السابقة، وكأنها كشاهد تاريخية تستطيع أن تحكي بطولات الأجداد وانجازاتهم.

3. الإستعارة:

1. *Awessar s adyili*

عندما يبتعد المسن من الشاب

iregwel fumezzan

azeeluk d balluh

فإن المسن كبش انكسرت قرونة

rzen accawen-s

(إمطاون ازوقاغ، ص.30)

وهي استعارة تصريحية شبه فيها الرجل المسن الذي لا يتواصل مع الشباب في اكتمال عقله وقوته البدنية والرمزية والمادية ومكانته الاجتماعية، بالكبش القوي المكتمل الذي لا ينقصه شيئا لولا انه انكسرت قرونة وضعفت قوته بأن انتزعت منه أهم وسيلة للدفاع. وهدف الشاعر تبين أهمية التواصل بين الأجيال.

1. *a yamma , yamma*

أيا أمي ، أيا أمي

a mummu n wul-ikw

يا روح قلبي

(أول-إنو، ص.42)

استعارة مكنية بحيث تم تصوير الأم بروح قلب الشاعر وهو أغلى شيء عنده .

(ب) الصور البديعية:¹ نكتفي بإعطاء أمثلة عن أهم المحسنات اللفظية والمعنوية.

1. المحسنات اللفظية:

-الجناس:

1. *Wigwden ayewwa*
Adinin midden

من يخاف، يا أخي،

من كلام الناس

εemři ulyenni

لا يقول شيئاً أبداً

Wigwden iwawda
yeğğur fiḍaren-s

من يخاف من السقوط

بقي يمشي على رجليه

εemru ulyenni

لا يركب أبداً

(امطاون ن لفرح ص. 123)

وهو جناس تام في لفظة *ul yenni* مع اختلاف المعنى في البيتين : لا يقول = لا يركب.

nellaawen tmurt
nili dys tifawt

نحن من هذه الأرض

من حقنا العيش في ضياء (سلام ورفاهية)

tagrawla yer-ney
uhu yir d tfawt

الثورة عندنا

(أول -إنو، ص. 25)

ليست فقط بالنار

وهو جناس غير تام بين لفظتي *tifawt* "الضياء" و *tfawt* "النار".

- السجع :

uji a tawwat
iteffey-d yi aren
s ad ndent tisira

يا إخوتي، لا يخرج السميد فقط

عندما تدور الرحي

uji a tawwat
midden gae zεεemen
mi swaṭṭan timira

يا إخوتي، لا تكون الناس كلها خيرة

عندما تطيل اللحى

(إمطاون ازوقاغ، ص. 38)

¹ علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، مكتبة البشري، كراتشي، باكستان، 2010، ص. 244-267. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفانها، علم البيان والبديع، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة العاشرة، 2005، ص. 299-309.

ويكمن السجع بين اللفظين الأخيرين للمقطعين وهما *timira* و *tisira* . ونلاحظ وجود السجع حتى في الترجمة العربية بين الرحي و اللحي.

a lalla zet iztwan
a lalla awi-d izelwan

سيتي، انسجي في المنسج

سيتي، انشدي الأهازيج والأشعار

a lalla ari ussan
s tnelijar iyersan

سيتي، اكتبني التاريخ

(أول-إنو، ص. 41)

بالخيوط بين ثانيا خيوط المنسج

ويكمن السجع بين الألفاظ الأخيرة لكل من المقطعين الأولين والأخيرين.

2. المحسنات المعنوية:

- التورية:

ay yeshel yel yifis
ad yessebjer tmar

كم هو سهل للضبع

أن يقلد اللحية

ay yuær l idaren-s ad ilin mmisen
(إمطاون أزوقاغ، ص. 15)

(لكن) كم هو صعب لرجليه أن تستقيم

وتمثل التورية في لفظة *ifis* التي تعني "الضبع"، لكن الشاعر يقصد بها الحروف الأولى بالفرنسية لجبهة الإنقاذ الإسلامية FIS ، في حديثه عن اعتداءات القتل والحرق والنهب التي طالت المزابيين بعد فوز القائمة الحرة التي تمثلهم أمام قائمة هذا الحزب في الانتخابات المحلية لـ 12 جوان 1990.

wasi d ajujil *ulyessin baba-s*

من هو يتيم لا يعرف أباه

ul yufi iman-s *xalafik tala-s*

لا يجد نفسه (يعيش حياة غير متوازنة)

(أول-إنو، ص. 19)

ولا يعرف نبعه (أصوله)

وتتمثل التورية في لفظة *ajujil* التي تعني اليتيم، لكن الشاعر يقصد بها الشخص الذي يجهل هويته الثقافية والدينية وتاريخ أجداده، أي يفتقد إلى سمات الهوية كما يفتقد اليتيم إلى الأبوين ورعايتهما.

- الطباق:

melmi y ad nessen
mi neqda amecwar

متى نعرف (أن نميز بين)

d mi nebdā amecwayr

عندما ننهي المشوار وعندما نبدأ المشوار

d mi nella neğğur

وعندما نسير وعندما نصل

d mi nella niweḍ

(امطاون ن لفرح ص. 112)

ووجه الطباق بين الألفاظ المتضادة التي تعني البداية والانتها والسير والوصول.

utfen-d s sulles dewlen-d ifawen

يدخلون بالظلمات (يدخلون المعهد جهلاء)

يصبحون مضيقين (بالعلم)

ttetfen di mennaw tteffyen dyiggen

يدخلون فرادى يتخرجون موحدين

(أول-إنو، ص. 96)

وجه الطباق هنا بين الألفاظ المتضادة التي تعني الظلمة مقابل الضياء، والفردية والوحدة.

- المقابلة:

duweḥdi dej-ney ass-u tteqnen-as

الرجل الخير عندنا يربطون فمه ويده

beḥḥa-s d basa

والشرير عندنا يمضغون له الأكل ويعطون

*ductim tteffzen-as ssuluyen-as**imi-s mennaw tbaša*

له ليأكل عدة أطباق

(امطاون ن لفرح ص. 124)

وجه المقابلة بين مقطعين، أحدهما حول وضع الرجل الخير، والآخر حول وضع الرجل الشرير.

berrsey f werğaz afey tisednan

بحثت عن الرجال وجدت النساء

berrsey ftidiwt afey imenyan

بحثت عن الوحدة وجدت الخصام

(أول-إنو، ص. 73)

وجه المقابلة بين ما يبحث عنه الشاعر وما يحلم ب هان يجده، وما يجده فعلا من إحباطات في الواقع

العملي.

ثانيا: ترقية المستوى اللفظي

سعيًا إلى تحسين التأنيث اللفظي لشعرهما وإنجاز صياغة لغوية أصيلة بتعويض الألفاظ الدخيلة

لجأ الشاعران صالح ترشين وعبد الوهاب حمو فخار إلى طريقتين: إما بعث الألفاظ المزابية القديمة الآيلة

للزوال وتوظيفها لأداء المعنى المراد مساهمة في الحفاظ على الرصيد اللفظي للغة المزابية وهو الغالب (أ) أو توظيف الألفاظ الامازيغية المبتكرة في حالة الحاجة القصوى بالنسبة للمدلولات الجديدة (ب).

(أ) بعث الرصيد اللفظي المزابي الآيل للزوال

خلفا للشعر المزابي القديم الذي صيغ باللغة المزابية السائدة آنذاك بما تتضمنه من الدخيل اللفظي لاسيما من اللغة العربية الدارجة والفصحى، فإن الاتجاه المسيطر في الشعر المزابي الحديث لمختلف الشعراء هو السعي لتحقيق النقاء اللغوي، بحيث يسعى الشاعر إلى تنقية نصه بقدر المستطاع من أي لفظ أجنبي دخيل كرهان لصياغة شعر مزابي "أصيل" يثبت قدرة اللغة المزابية عن التعبير عن كل المواضيع دون الحاجة إلى الاستعارة من اللغات الأخرى.

فحتى نهاية الثمانينيات تميز الشعر المزابي بصياغته اللغوية واللفظية البسيطة المتميزة بكثرة الدخيل اللفظي، لاسيما من اللغة العربية بسبب أن من بدأ ينظم الشعر المزابي كان من المعربين كما سلف ذكره. لعل هذا المقطع من قصيدة *meħla swayeε n leεciyyet* " ما أحلى ساعات العشية"¹ للشاعر المنشد إبراهيم كركاشة مثالا واضحا لذلك، إذ نجد 9 ألفاظ عربية دخيلة من جملة 12، أي ثلاث ألفاظ فقط باللغة المزابية، حتى أننا لنتساءل بأي لغة نظم هذا المقطع أهو بالعربية أم بالمزابية:

meħla swayeε n leεciyyet
ammas n dɫul d nnesmet

ما أحلى ساعات العشية

وسط الظلال والنسمات

lwerd d rbiε d neymat
d leħbab n wul s idisan

الورد و الربيع والنغمات

وأحباب القلب من حوالي

غير أن اتجاه "التمزيب" (تطهير اللغة المزابية من الدخيل اللفظي) ما لبث أن ظهر بصفة جلية منذ التسعينيات كإحدى تأثيرات الحركة الامازيغية وبدافع الروح النضالية للشعراء. بحيث سعى هؤلاء جاهدين الى إثبات أن اللغة المزابية ليست مجرد لغة كلام الشارع وإنما هي أيضا لغة الأدب والشعر الراقي الذي يضاهي ما يوجد باللغة العربية الفصحى لغة النخبة المتعلمة.

¹ (يونس فرصوص، نفحات من الحياة، أناشيد دينية-وطنية-اجتماعية-طبيعية-مزابية، مرجع سابق، ص. 171).

وأفضل مثال للمرحلة الأولى هو الديوان الأول للشاعر عبد الوهاب حمو فخار "دموع الفرح" الصادر سنة 1985، أين يلاحظ خلوه من أي محاولة للتقنية اللغوية وعدم تخرج الشاعر في استعمال الألفاظ الدخيلة، واستعمال اللغة المتداولة التي تتخللها الألفاظ العربية والفرنسية المستعارة والمستوعبة من طرف اللغة المزابية في أسلوب سهل وبسيط الفهم لعامة الناس. بل إن شعره تضمن العديد من الألفاظ الفرنسية المستعارة كلما تعلق الأمر بالمدلولات والأشياء المبتكرة الحديثة، إذ نجد على سبيل المثال في قصيدة *adlil n lhuğgağ* "منهج الحجاج" استعمال سبعة ألفاظ فرنسية مستوعبة هي: لبوينق (Boeing)، تونوبيل (automobile)، لوتوروت (autoroute)، لبنوار (baignoire)، تويوتا (Toyota)، لزيّر (les affaires)، ليفيدو (le video).

وكان هذا الاتجاه خيارا أسلوبيا للشاعر اتخذته كحل لمشكلة تخلف اللغة المزابية عن الإنتاج اللفظي للدلالة على الأشياء والأفكار الجديدة، إذ يؤكد في مقدمة ديوانه قائلا >> ستجدون في قصائدي كلمات دخيلة وغير مزابية وهذا يرجع إلى ضعف الاطلاع على اللغة الميزابية فيما يخص محاولاتي الأولى في الشعر... <<¹، مبررا خياره وكأنه يرد على منتقدين له على استعماله لألفاظ دخيلة غير مزابية : >>فأنا كشاعر لا أستطيع أن التزم السكوت بدعوى أنني أنقب في مذكرة الشيخ عن ألفاظ ميزابية ضاعت من ألسنة الشباب، أريد أن أدرجها في بيت من الأبيات ليصبح ميزابيا أصيلا، وهذا البيت في الأخير سيحتاج إلى مترجمين لإبلاغ معناه إلى الجمهور وربما بعد فوات الأوان²<<. وأكثر من ذلك نلاحظ استعمال الشاعر لألفاظ عربية دخيلة رغم وجود مقابلها في اللغة المزابية، استجابة لضرورة الإيقاع، كما هو الحال في المقطعين التاليين، حيث استعمل لفظ "أسبع" عوض *war* ولفظ "لوجوه" عوض *udemawen*:

إبني أسد البلاد البعيدة (ص.156) *a memmi sbee n tmura*

تأثرت الوجوه اسمع إلى الزغاريد (ص.161) *lewjuh uyin sell tilewliwin*

ومع ذلك نلاحظ بداية اتجاه الشاعر منذ الثمانينيات في بعث بعض الألفاظ القديمة وإدراجها في نظمه، وشرح الألفاظ المزابية التي قد تستعصي على الشباب في نهاية كل قصيدة، مثلما نجد على سبيل

¹ عبد الوهاب حمو فخار، إمطاون نلفرح، مرجع سابق، ص.18.

² نفس المرجع، ص.19.

المثال في قصيدة tamurt n at waman niy-as yenna-yi " بلاد الغرب، قلت له ، قال لي" بالنسبة لفعل الحال yezwi "سقط من أعلى" وألفاظ المنسج التقليدي التي لم تعد مستعملة، الخ. وما لبث أن اتجه الشاعر إلى النقاء اللغوي في ديوانه الثاني imeṭṭawen izegwayen "الدموع الحمراء" الصادر سنة 1990 وكل ما أعقبه من إنتاج شعري. ففي هذه القصيدة الطويلة المتضمنة في هذا الديوان نحس بمجهود كبير قام به الشاعر من أجل تنقية اللغة من الدخيل اللفظي وتنميق الأسلوب، بحيث يمكن إحصاء عدد هام من الألفاظ المزابية المندثرة التي وظفها، نذكر على سبيل المثال ما يلي:

البدائية : asennet	لكمة : ddummict
asčam : إنقاذ البئر	isis : سن الثوم
astaf : استئصال	ilis : جزء صوف من شاة
akusi : المشي المطمئن ، الخ.	ateeteε : المضايقة

مثلما ضمن مسرحيته الشعرية taydert n weylan "سنبلة مزاب" الصادرة سنة 1997 قاموسا شمل 96 لفظة قديمة بشروحها، لهدف بيداغوجي يتمثل في تعليمها لطالبات معهد الإصلاح اللائي وجهت إليهن هذه المسرحية التربوية وبعثها من جديد في الاستعمال العادي للغة المزابية لديهن. ونذكر من هذه الألفاظ على سبيل المثال: tidi "العرق"، azdar "الإعانة"، Anekrum "المخبأ"، anbuc "الحائك المزابي/الحجاب"، الخ.

غير أن اتجاه التمزيب والنقاء اللغوي يلاحظ بصفة أكثر وضوحا وجزما في شعر صالح ترشين في ديوانه ul-inu الصادر سنة 1995، وهو ما يؤكد الأستاذ الباحث عبد الرحمن حواش في مقدمته لهذا الديوان بقوله >> أحيا لنا الأستاذ ترشين في هذا الشعر ما اندثر من نفيس كلامنا ومن بليغ آدابنا وحكمنا، وأعاد للغتنا اعتبارها ورونقها...¹<<. وبالفعل نشعر في أسلوب الشاعر صالح ترشين سعي دعوب إلى تنقية اللغة المزابية من الدخيل اللفظي وتعويضه بالرصيد اللفظي القديم الذي اندثر قسم كبير منه في لغة الأجيال الجديدة، وأحيانا بالألفاظ الجديدة المبتكرة، مساهمة منه في المحافظة على اللغة المزابية. ويدل على الأهمية اللغوية البالغة لهذا الديوان في إثراء الرصيد اللفظي المزابي تضمنه في آخر

¹ صالح ترشين، أول-إنو، مرجع سابق، ص.7.

الكتاب لقاموس من 390 لفظة قديمة بشروحها العربية والفرنسية أغلبها لم يعد في التداول أصلا في كلام الأجيال الجديدة من المزابيين، حتى يطلع عليها القارئ. ليتحول بذلك هذا العمل ليس إلى مجرد ديوان شعر للمتعة والتسلية وإنما إلى كتاب تعليم لغوي حقيقي هدفه البيداغوجي الأول هو إيصال هذا الرصيد اللفظي إلى القارئ العام كوسيلة نضال لإحياء اللغة المزابية. ونذكر على سبيل المثال الألفاظ المندثرة:

timerniwin : آلام قبل الولادة	buna : الظهر
tasemmi : الخميرة	tcumma : حمل
abyur : صبي	tacerrraft : سحابة
imriwen : الوالدين	ahati : التمني
tisila : أخمص القدم، الخ	untif : الكسول

كما وظف ألفاظ الكلام الطفولي في مخاطبته للمجتمع البالغ كنوع من التجديد والانحياز عن المعتاد من وجهة النظر الأدبية، ومحاولة لحفظ رصيد اللغة الطفولية الذي بدأ في الزوال من الناحية اللغوية، مثل: basa "اليد"، bada "الرجل"، belli "الطير"، eina "العين"، الخ.

(ب) توظيف الألفاظ الامازيغية المبتكرة

لجأ الشاعران في حالات استثنائية نادرة إلى استخدام الألفاظ المبتكرة من طرف الباحثين المزابيين أولا ، أو حتى ابتكار ألفاظ جديدة للاستجابة إلى الحاجة للدلالة على الوقائع المستجدة باللغة المزابية انطلاقا من الجذور الامازيغية لمختلف المتغيرات اللهجية الامازيغية (أولا) كما لجأ إلى تبني بعض الألفاظ المبتكرة من قبل الباحث اللغوي مولود معمري (ثانيا).

1. الألفاظ المبتكرة من طرف الباحثين المزابيين

لجأ الشاعران عدة مرات إلى استعمال الألفاظ المبتكرة من طرف فوج البحث والابتكار اللغوي الذي أنشئ برئاسة الباحث العصامي عبد الرحمن حواش بداية التسعينيات، وكان الشاعران عضوين فيه والذي نشرت نتائج إحدى أعماله في مجلة AWAL¹. وبقي هذا العمل يشكل مرجعا لمختلف الشعراء

¹) HOUACHE Abderrahmane et autres, « De quelques créations lexicales à partir des racines berbères en usage dans le sud algérien », op.cit., pp.122-148.

والصحافيين والإعلاميين والباحثين المزابيين، لاستخدام الألفاظ المزابية الجديدة التي يتضمنها، طالما أنها المستوحاة من الرصيد الجذري للغة المزابية ونظامها النحوي واللفظي والصوتي، خلافا للألفاظ التي يقترحها مولود معمري التي تستجيب أغلبها للنظام الصوتي القبائلي .

وكان للشاعر عبد الوهاب حمو فخار سبق في ابتكار بعض الألفاظ في ديوانه الأول في قصيدته الفلسفية *tamuṛt n at waman niy-as yenna-yi* " بلاد الغرب، قلت له ، قال لي" التي نظمها سنة 1983، بحيث نجده لا يكتفي بشرح لفظ *asfar* "الدواء" وإنما يبادر بابتكار ثلاث مشتقات جديدة منه وهي: *amesfar* "الطبيب"، *anasfar* "الصيدلي" ، و *tanasfart* "الصيدلية" (ص.133). كما استخدم في ديوانه الثاني الصادر سنة 1990 لأول مرة الكلمة المبتكرة *tadrusi* "الأقلية" المشتقة من *drus* " قليل" (ص. 36). غير أن الشاعر صالح ترشين هو أكثر استعمالا للألفاظ المبتكرة، بحيث يمكن أن نعد في ديوانه الصادر سنة 1995 حوالي خمسة عشر لفظا مبتكرا، منها إحدى عشر لفظة ابتكرت انطلاقا من اللغة المزابية، نستعرضها في الجدول الآتي:

الكلمة وشرحها	جذرها	نوع الابتكار
<i>arni</i> " الربا" (ص.50)	RN Y	توسيع المعنى (المعنى الأصلي "الزيادة")
<i>adrim</i> " حزب" (ص.58)	DR M	توسيع المعنى (المعنى الأصلي "التجمع")
<i>tadersi</i> " أقلية" (ص.59)	DRS	اشتقاق اسم انطلاقا من صفة (قليل-أقلية)
<i>tamejrawt</i> " جمعية" (ص.111)	JR W	اشتقاق اسم انطلاقا من الفعل (جمعية-تجمع)
<i>ameniğ</i> "عالي" (ص.175)	NG	اشتقاق صفة انطلاقا من اسم (فوق - العالي)
<i>tirşređt</i> "سطر من الكتابة" (ص.195)	RD	توسيع المعنى (المعنى الأصلي "خط مستقيم")
<i>tareğzi</i> "الرجولة" (ص.197)	RĞZ	اشتقاق صفة من اسم (الرجل - الرجولة)
<i>tisit tabercant</i> "التلفزة" (ص.214)		ابتكار معنى بواسطة جملة (كناية تشبيه بليغ)
<i>aseffar</i> "الطبيب" (ص.217)	SFR	اشتقاق اسم المهنة انطلاقا من اسم (دواء-طبيب)
<i>aser</i> "الرسول محمد" (ص.276)	SR	توسيع المعنى (المعنى الأصلي "الشخص المرسول لخطبة الفتاة")
<i>aεezzm</i> " طالب" (ص.309)	SZ M	اشتقاق اسم الفعل من الفعل (تعلم - الطالب)

الجدول (14) الالفاظ الامازيغية المبتكرة في ديوان "أول - إنو"

ويلاحظ الاختلاف الموجود بين الشاعرين في الصياغة المورفولوجية لبعض الألفاظ المبتكرة، فبالنسبة لكلمة "الأقلية" عند فخار *tadrusi* وعند ترشين *tadersi*، وبالنسبة لكلمة "الطبيب" عند فخار *amesfar* وعند ترشين *aseffar*.

2. الألفاظ المبتكرة المقتبسة من قاموس مولود معمري

عمد الشاعر صالح ترشين أحيانا إلى استخدام الألفاظ الامازيغية المبتكرة المتضمنة في قاموس مولود معمري الذي كان ولا يزال مرجعا للسانيين الامازيغيين، كما لجأ إلى استعمال لفظة *tazulalt* "عبثي" القبائلية في إحدى أشعاره أمام عدم وجود مقابل لها في اللغة المزابية. ونلاحظ انه استعمل الألفاظ الامازيغية المبتكرة في قاموس معمري هي أكثر استخداما في الأوساط النضالية المزابية منها في الشعر. من ذلك نذكر الألفاظ الثلاثة المبينة في الجدول التالي¹:

الكلمة	جنزها	من مشتقات الجذر
<i>amegday</i> "ديمقراطي"	<i>GDY</i>	"الديمقراطية" <i>tugdut</i> (p.29)
<i>tagrawla</i> "الثورة"	<i>GRWL</i>	"أحدث ثورة" <i>segriwel</i> (p. 58)
<i>tilella</i> "الحريات"	<i>L</i>	"الحرية" <i>tilelli</i> (p.44)

الجدول (15) الالفاظ الامازيغية المقتبسة من قاموس مولود معمري في ديوان "أول-إنو"

ثالثا: إحياء عناصر التراث الثقافي المزابي

من المميزات الإبداعية لأسلوب الشاعرين التي جعلت من شعرهما ليس فقط نصوصا للمتعة والتسلية، وإنما أيضا وسيلة للتنقيف الشعبي، هو توظيفهما لمختلف العناصر التراثية اللغوية الأدبية للغة المزابية مثل الأمثال والحكم والقصص والأساطير المزابية المندثرة كعناصر يستشهدان بها في أسلوبيهما بهدف الإقناع وإعطاء شعرهما عمقا تاريخيا. فظل الشعر عندهما، بالإضافة إلى وظيفته

¹) Mouloud MAMMERI, *Amawal n tmaziyt tatrart, Lexique de berbère moderne*, CNRPAH, Alger, 2008.

الجمالية الفنية وسيلة للتبليغ والتثقيف الشعبي ونقل الموروث التراثي المزابي الذي يشكل رصيذا لغويا وثقافيا وتاريخيا ملازما للغة المزابية وداعما لها. وبات ديوانيهما كتباً تعليمية حقيقية للغة المزابية الأصيلة لما يتضمنانه من شروح وتصويبات لمختلف العادات القديمة والأمثال والحكم، ونستدل على ذلك بالأمثلة التالية:

(أ) الأمثال والحكم

بالإضافة إلى التتميق البلاغي والبيان الأسلوبى وظف الشاعران الكثير من الأمثال والحكم المزابية القديمة التي اندثرت من التداول إمعانا في الاعتراف من التراث الثقافي الامازيغي الأصيل. ويهدف توظيف الأمثال والحكم من جهة، إلى استخدامها كوسيلة للإقناع تزيد من قوة البيان وأصالته وتأثيره في المستمع، ومن جهة أخرى إلى بعثها وتعليمها للسامعين حتى بات غاية شعرهما لا تتوقف فقط على الإمتاع والإخبار وإنما على التعليم أيضا . إذ تضمن ديوان عبد الوهاب فخار الأول عدة حكم مزابية أنقذها من أفواه المسنين، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: *yesqura aman ajeddu* " يجمد الماء في الإناء" مثل يضرب كناية عن كثر علمه، و *yeğgu ayyul n tæddafin* "تحايل الشخص كما يفعل الحمار الذي يرفع قطع خشب النخيل"، *hedd-nni irekkes* "tisunen" ذلك الشخص يرقص في الأدرج" أي شخص متذبذب لا يعرف ما يريد، الخ. أما صالح ترشين فقد تضمن ديوانه ملحقا من 22 من الأمثال والحكم القديمة التي استعملها خلال أشعاره (ص.316-320) تكتسي أهمية لغوية وثقافية كبيرة في إثراء اللغة المزابية السائدة.

(ب) الأساطير والعادات والتقييدات التاريخية

حرص الشاعران في مسعاهما لإحياء عناصر التراث المزابي الامازيغي الشفوي على تضمين أشعارهما بعض الأساطير والتقييدات والأناشيد التراثية. وعلى سبيل المثال ما ورد في ديوان *imeṭṭawen n Iferh* "دموع الفرح" لعبد الوهاب فخار من شرح لأسطورة الخنفساء التي يستعملها الفلاحون أثناء درس الحصاد لجلب الريح وما يرتبط بها من اعتقادات(ص. 245)، وشرح طريقة القرعة التقليدية التي كان يستعملها المزابيون قديما(ص.245-253)، كما يشرح نفس العادة بطريقة أخرى في ديوانه الثاني *imeṭṭawen izeggayen* "الدموع الحمراء" (ص.29). وفي الصفحة 39 من نفس الديوان نجده يستلهم إحدى الأبيات من قصيدة طفولية قديمة *muc n biqira* "قطعة بغيرا" وهي

قصيدة هجائية نسوية للغربة خارج مزاب وعدم فائدتها. أما الشاعر صالح ترشين فإنه استلهم قصيدته الشعرية *tamettant n wul* "موت القلب" من قصيدة طفولية قديمة تغنى لهددة الأطفال الرضع للنوم (ص.23) تقول : "التفت النوم في طريقي، فقلت له: إلى أين أنت ذاهب؟ فقال: إلى فلان"، كما استلهم إحدى الأساطير القديمة حول شجرة التين واستخرج منها الحكمة القائلة "من يقل الحق يمت". وأخيرا استلهم مقولة من إحدى القصص الشعبية القديمة التي تشكو فيها البنت إلى أمها حالة فقرها قائلة:

in-as i yemma, yi mesley, yali-d guni,

in-as i yemma, izi yejjul ul inis taddart-ikw

قل لأمي: ما أن غطيت القدر حتى فار الكسكس (لقلته)، والذباب أقسم أن لا يبيت في منزلي (لعدم وجود ما يأكله) (ص.316).

ومن جهة أخرى حرص الشاعر عبد الوهاب فخار في ديوانه الأول على تضمينه تقييدات تاريخية، أصبحت اليوم مفيدة جدا لمعرفة الأحوال الثقافية الدينية الاجتماعية لذلك العصر (السبعينيات)، مثل حياة المشائخ والصراعات الدينية بين المحافظين والإصلاحيين حول بعض الفتاوى والنوازل الفقهية والعادات الممارسة آنذاك، حتى جعل ديوانه مرجعا تاريخيا هاما لمزاب.

بالإضافة إلى المضمون الثقافي والتراثي واللفظي للشعر المزابي الحديث، فإن تطور اللغة الشعرية المزابية وترقية مستواها التعبيري واللفظي وازدهار الإنشاد والأغنية المزابية وانتشاره الواسع في الأوساط الشعبية، تزامن مع توسع كبير في أغراض الشعر المزابي الحديث وميادينه وبالتالي توسع مجالات التعبير باللغة المزابية وازدهارها الأدبي. هذا ما يثير التساؤل عن أهم الأغراض الجديدة التي اقتحمها الشعر المزابي الحديث والتي اخرجته من طابعه الفلكلوري لينفتح على آفاق واسعة ويعبر عن آمال وآلام المجتمع المزابي المعاصر ؟.

المطلب الثالث: توسع مجالات التعبير الأدبي باللغة المزابية بتوسع ميادين الشعر المزابي الحديث

بعد أن كان مجال الشعر المزابي منكمشا ومنحصرا في المواضيع الفلكلورية والحسية المحدودة البعيدة عن المجال الفكري التجريدي ومواضيع الحياة العصرية وقضايا المجتمع والفكر والسياسة، فإنه عرف منذ السبعينيات بفعل عدة عوامل، قفزة نوعية وكمية معتبرة رفعت من قيمته ومركزه تجاه الشعر العربي الفصيح الذي كان يمثل النافذة الوحيدة التي تخاطب من خلالها النخبة المثقفة المعربة المجتمع المزابي؛ وبالفعل فقد عرف الشعر المزابي الحديث من خلال عميديه عبد الوهاب حمو فخار وصالح ترشين توسعا كبيرا في ميادينه شمل أغلب مناحي الحياة. ومنذ أواسط الثمانينيات وبداية التسعينيات تطور الشعر الغنائي مع الأغنية المزابية العصرية ليدعم اللغة والشعر المزابي وليصبح بذلك الشعر الأمازيغي المزابي الناطق الرسمي للأمازيغيين بلأنا الجمعي للمزابيين بلا منازع.

إن الميزة الغالبة في الشعر المزابي هو طابعه الملتمزم بكونه خطابا نقديا اصلاحيا ارشاديا موجها الى الجماعة ومعبرا عن انشغالاتها وهمومها وآمالها، أكثر منه تعبيرا عن معاناة الشاعر وأحاسيسه الفردية والوجدانية. وبسبب هذه الوظيفة الاجتماعية للشعر الامازيغي في المجتمع المزابي، فإنه عرف تطورا متزايدا منذ السبعينيات كوسيلة لإحياء اللغة المزابية وبعثها، بفعل تطور الوعي الهوياتي الذي شهدته الجزائر بعد الربيع الامازيغي بمنطقة القبائل، والمكانة القانونية والمؤسسية للغة الامازيغية، وما ترتب عن ذلك من تحسن مركز اللغة الامازيغية وآدابها في المخيال الجمعي للناطقين باللغة المزابية.

وبذلك أصبح الشعر المزابي شعرا وظيفيا في خدمة قضايا وآمال وآلام المجتمع المزابي، باعتبار رسالة الأدب ليس مجرد ملئ الفراغ وإلهاء الجمهور وإمتاعه وإنما هي، كما ذهب أفلاطون وأرسطو وقسم كبير من النقاد >> نقد المجتمع وتوجيهه واستغلال عناصره الطيبة والارتفاع بها إلى مستوى أمثل. وهكذا تصبح رسالته توجيهها للجماهير ودعوة للمثل العليا واتجاهها بالناس إلى حياة أفضل¹.

وهكذا أضحت اللغة الشعرية المزابية بفضل التوسع الكبير في أغراضها، لغة جديدة للتواصل مع الأطياف الواسعة للمجتمع المزابي تجمع بين الجمال والمنفعة، وللتعبير عن أحوال المجتمع المزابي والتحديات والتحوليات التي يعرفها. وانعكس ذلك ترقية اللغة المزابية إن من الناحية اللغوية بإثراء رصيدها اللفظي والتركيبية بظهور مستوى أدبي راقى فيها كما سبق بيانه، أو من الناحية السوسيو-لسانية بتوسع

¹ معروف مصطفى زريق، الأدب في خدمة المجتمع، منشورات مكتبة النور، دير الزور، سوريا، 1958، ص.20.

مجالات التعبير بها إلى ميادين الحياة المعاصرة. فكان أن تدعمت قوتها الرمزية لدى الناطقين بها كلغة أدبية راقية تتمتع بقدرات جمالية وفنية لها جمهورها الذي يتذوقها ويبحث عن جديدها ويستهلكها في سوق الشعر، مثلها مثل اللغات الأخرى.

وغني عن البيان أن هدفنا هنا ليس هو الدراسة الأدبية لأغراض الشعر المزابي الحديث - على كثرتها وتشعبها- بقدر ما هو استعراض وجيز لتوسع ميادينه من خلال بعض الامثلة، لما لذلك من انعكاس على القدرة التعبيرية للغة المزابية، بحث يمكن أن نقسم هذه الميادين التعبيرية إلى مجموعتين رتبناها حسب الأهمية: شعر النقد الاجتماعي والشعر الثوري وشعر الهوية وهو الصنف الغالب سواء في الشعر المكتوب أو الشعر الغنائي مما يمكن تصنيفه في خانة الشعر الملتزم (الفرع الأول)؛ وشعر الغربة والطبيعة والغزل وهو أقل عددا بسبب طبيعة الجماعة المزابية وظروفها الدينية والاجتماعية (الفرع الثاني).

الفرع الأول: شعر النقد الاجتماعي والشعر الثوري وشعر الهوية

إن الميزة المسيطرة على الشعر المزابي الحديث -خلافًا للشعر المزابي القديم- هو كونه شعرا ملتزما في خدمة قضايا المجتمع المزابي، معبرا عن أزماته منتقدا لآفاته، مذكرا بتاريخه وقيمه ونموذجه في الحياة، داعيا إلى التغيير فيه وإلى تطوره إلى حالة أفضل. هذه الميزة الغالبة جعلت منه خطابا موجها إلى الجماعة داعيا إلى إصلاح أحوالها وليس تعبيراً عن الأحوال النفسية الخاصة بالشاعر كفرد وأحاسيسه النرجسية، كما لا يهدف إلى مجرد المتعة والتسلية وفقا لنظرية "الفن للفن"¹. وبالفعل فللأدب-إضافة إلى الوظيفة الجمالية الفنية- <<وظيفة كبرى ينهض بها في المجتمع، يمكن أن تنحصر في شيء واحد هو التهذيب، فالتهذيب الإنساني يعد الغاية الأخيرة التي تنتهي عندها جهود الأدباء²>>. ويتجسد التهذيب

¹ (تسود في الأدب نظريتان: نظرية الفن للفن وظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في فرنسا وتذهب إلى أن الفن هو تعبير عن إبداعات الفنان وهدفه المتعة الفنية، بينما تذهب النظرية الثانية التي عرفت أوجه تطورها في الأدب السوفييتي إلى أن الفن يجب أن يكون في خدمة قضايا المجتمع بل ينبغي أن يكون وسيلة نضال من أجل القضايا العادلة. انظر: عبد المعين الملوحي، الأدب في خدمة المجتمع، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1980، ص 15-19. معروف مصطفى زريق، الأدب في خدمة المجتمع، ص 25 وما بعدها.

² (نفس المرجع، ص 11).

في الإفادة أي تنقيف الشعب والتأثير الذي يؤدي إلى التغيير نحو الأحسن¹. ولذلك كان للشعر والأدب بصفة عامة دورا محوريا في مختلف الحركات والأحداث الاجتماعية والسياسية.

ويمكن التمييز بين شعر النقد الاجتماعي الداعي إلى التغيير والشعر الثوري من جهة (أولا) وشعر الهوية المزابية وتمجيد قيمها ونموذجها في مواجهة الثقافات الدخيلة التي فرضتها العصرية (ثانيا).

أولا: شعر النقد الاجتماعي والشعر الثوري

(أ) شعر النقد الاجتماعي

يمكن أن نقسم شعر النقد الاجتماعي المزابي الحديث إلى محورين: نقد أوضاع المجتمع المزابي واستنهاض الهمم(1) ونقد بعض الظواهر الاجتماعية السلبية(2).

1. نقد أوضاع المجتمع المزابي واستنهاض الهمم: إن الملف لانتباهنا أن أول ما ظهر من

الشعر المزابي الحديث-حسبما وجدنا في الأرشيف- هي أشعار في النقد الاجتماعي موسومة *lherrag bla bab-s* "قطيع بدون راعي" لمؤلف مجهول كما سلف الذكر في المطلب الأول. غير انه برز مذ السبعينيات والثمانينيات كل من الشعارين عبد الوهاب حمو فخار وصالح ترشين بشكل خاص بقصائد عديدة في نقد الأوضاع الاجتماعية والسلوكيات والذهنيات السائدة في المجتمع المزابي لعصرهم، منتقدين ومستنهضين للهمم في خطاب يغلب عليه عنفوان الشباب وتذمر المتقف المتمرد على الأوضاع السائدة المتنوّق إلى التغيير نحو الأفضل. لكن يلاحظ أن الشاعران غالبا ما يناشدان التغيير من خلال الرجوع إلى النموذج التقليدي الذي كان سائدا في الماضي. حيث ينتقد عبد الوهاب حمو فخار في أولى قصائده المعنونة *tanfust n ijudad* " قصة الطيور" سنة 1973، المجتمع المزابي الذي دخلته مظاهر الحضارة ودبّ فيه الفساد وابتعد عن صفاء الحياة القديمة وبساطتها، إذ يدخل في حوار مع أحد الطيور الأليفة فيسأله عن سبب مغادرة الطيور للديار، فيجيبه الطير أن ذلك كان بسبب فساد أحوال المجتمع، فيقول:

rewleys teddar n dwas (.....)

هريت من ديار المشاكسات

⁽¹⁾ احمد الشايب، أصول النقد الأدبي، د.م. 1953، ص.76. نقلا عن معروف مصطفى زريق، الأدب في خدمة المجتمع، المرجع السابق، ص.20.

wenni l tenyin tabejna-s

كل من يتذمر

yeğğ taddart n yiman (.....)

انعزل في دار خاصة به ¹

Dewlet l ssirat n igewwas

عودوا إلى عادات الزمن القديم

Mealtet şaffat ulawen

أسرعوا إلى تصفية قلوبكم

بينما ينتفض الشاعر صالح ترشين في قصيدته barakat s yiðes "كفانا سباتا" على
أوضاع المجتمع المزابي المتميزة بالجمود واستقالة أولى الأمر عن مهامهم في ترشيد المجتمع وتوجيه
الشباب والتكفل بهم قائلاً:

Berkat s yiðes Duqun n lhenni

كفى نعاساً وطلياً للحناء...

D tarwa jemden Ul ufin tili

والأبناء ضاعوا ولم يجدوا مرشداً

Taqqarem ixef Mayella ixef ?

تقولون القائد أين هو (هذا) القائد

Dmidden teşref Lac mani ad tetţef

والناس هائمة لا تجد أين تمسك

Teqqarem awal Mayella awal ?

تقولون الكلام أين هو الكلام

D imawen scen şelhen s wuzzal

والأفواه مكسومة مغلقة بالحديد

وينتقد الشاعر فخار من جهته بأسلوب لاذع جمود المجتمع المزابي في قصيدته الفلسفية التي
نظمها سنة 1983 بعنوان tamurt n At waman ,nniy-as yenna-yi " في
أرض أوروبا قلت له وقال لي " بعد رحلة قادته إلى أوروبا الغربية، أين التقى بأحد المغتربين المزابيين
وحاوره، حيث يطرح تساؤلات فلسفية جوهرية حول إشكالية تقدم الغرب وتخلف المسلمين مع إسقاطها على
أوضاع المجتمع المزابي المحلي. ويبدأ هذه القصيدة التي اشتهرت في بداية التسعينيات عندما غنتها فرقة
Utčiden ، بطرح أسئلة تأملية قائلاً:

¹ (تعني عبارة taddart n yiman الدار الخاصة بالزوجين الجديدين بعد انعزالهما عن العائلة الواسعة، وترمز
إلى الأنانية والانعزال والخروج عن الجماعة . فبعد أن ساد نموذج العائلة الممتدة في القديم بسبب الروح الجماعية ،
بحيث يعيش الأبناء بعائلاتهم في نفس البيت، ظهر مع تطور التمدن اتجاه استقلالية الأزواج الجدد في بيت خاص
بهم، بعد فترة وجيزة من العشرة في البيت العائلي بسبب رغبتهم في الانعتاق من سلطة الأبوين، فاعتبر الشاعر ذلك من
علامات الانحطاط والتفريق التي ستؤدي إلى زوال الروح الجماعية.

متى نعلم ؟! إذا علمنا أننا حقاً، علمنا؟! *Melmiyadnessen minessennessen*
 متى نعلم؟! إذا فهمنا، أننا فعلاً، فهمنا؟! *Melmiyadnelmed mi nelmed nelmed*

ثم يعقد مقارنة بين المجتمعين الغربي والمزابي ليظهر تقدمهم وتخلف مجتمعه على منهج كبار المصلحين الذين حاولوا مقارنة الغرب بالمسلمين بهدف استنهاض الهمم والدعوة للأخذ بأسباب الرقي الحضاري من العالم الغربي، وفقاً لجدلانية لماذا تقدم الغرب وتخلف المسلمون ؟، حيث يقول:

هم يصنعون ونحن نأخذ *Netnin ttağġan Necnin nettebbi*
 هم يفرزون (القمح) ونحن نهرسه *Netnin sseffan Necnin netteddi*
 هم يحضرون الأكل ونحن نتذوق (....) *Netnin tmudan Necnin nmeḍḍi (....)*
 (عندما) وصلنا إلى التراب (كانوا هم قد) وصلوا إلى *Niweḍ-as i wezṛar Si yiwḍen isli*
 الصخر العميق

ويختتم قصيدته بطرح سؤال جوهري: متى؟ للتعبير عن قلقه الوجود حول المستقبل متسائلاً: متى نكون في مستوى تحديات العصر ونرتقي إلى مستوى هذه الأمم الغربية المتفوقة؟ فيقول:

متى نشور؟ متى نقوم؟ *Melmiyad neččer Melmiyad d-nbedd*
 متى نشعر؟ متى ننتفض؟ *Melmiyad nḥussa Melmiyad nenfed (....)*
 متى نتعلم بواطن الامور؟ *Melmiyad nelmed jajn idcra*
 وليس فقط بالتقليد *Uji yi asebjjer !?*

وبعد هذا الطرح الفلسفي للإشكالية الحضارية لتخلف المسلمين-بني مزاب كمثل- وتقدم الغرب، يحاول الشاعر في قصيدة *smunkeẓt-aney a tawwat* "قللوا" من هذه السفاهات- يا إخوتي "استنهاض الهمم للنهضة من هذا التخلف. ففي هذه القصيدة المعروفة بـ *laci laci* "لا شيء لا شيء" التي ذاع صيتها في الجماهير في وادي مزاب وعلى المستوى الوطني، بفضل تأديتها من طرف فرقة *utčiden* "الشباب اليافع" الغنائية في التسعينيات وانتشارها الواسع بفضل الوسائط الاعلامية؛ يحاول الشاعر بعث نداء إلى أبناء مجتمعه لاستنهاضهم ناصحاً لهم ومطالباً منهم التخلي عن السلوكيات المتخلفة والعقيمة ومذكراً بمعوقات النهضة، فيقول:

فلننقص، يا إخوتي من الاجتماعات *Smunkzet-aney a tawwat besssi n ijrawen (...)*

Init-i batta da dwa, čret-d a midden

قولوا لي ما هو الدواء، قوموا يا ناس

Xsey ad xezrey tawwat-ikw d arğaz iggen

أريد أن أرى إخوتي رجلا واحدا

لكنه ينتقد بالمقابل كل هؤلاء الانهزاميين السلبيين الذين ينفقون وقتهم في نقد كل شيء والتغاضي عن كل الايجابيات بترديدهم عبارة "لا شيء" وكأنه لاشيء تحقق، وهم بذلك يُغرقون الخواطر في الإحباط والسوداوية العقيمة، فيتهجم الشاعر عليهم بأسلوب ساخر قائلاً:

Laci, laci, laci, laci, laci

لا شيء، لا شيء، لا شيء، لا شيء، لا شيء، لا شيء،

Laci nezwa, laci nehawa, laci nehwa, laci nedwa,

لا شيء، قد انقرضنا، قد انحططنا، قد ضاعت عقولنا

Dwa d batta ? and laci laci ! (...)

ما هو الدواء (إن) ؟ هو لاشيء لا شيء ! (...)

ويرد الشاعر على هذه العبارات السلبية القاتلة التي يردها بعض الكسالى أصحاب الألسنة السيئة من المنتقدين، والتي تثبط الهمم وتقتل أي بصيص للأمل في نفوس الناس، قائلاً:

Laci d awal n inenni illan dima ul zmiren

"لا شيء"، هو كلام المرضى

Llubzen, caben, zwan d netnin yi d ibezzanen

المنهزمين العجزة، الفاشلين منذ الصغر

Berkat-aney s laci, nella neqqim d lac

دعونا من "لا شيء"، لقد أصبحنا "لا شيء"

Ini yella, ad yili, si wassu laci, gğa-č !

قل انه موجود فإنه سيوجد، من اليوم اترك (كلمة)

"لا شيء" !

وفي حالة الشاعر المتمرد المنتوّق إلى التغيير الجذري للأوضاع وتحقيق أحلامه في حياة أفضل فلا يجد حوله إلا الجمود والركود، يسترسل الشاعر صالح ترشين، في قصيدة mimi (لماذا؟) ، وهو في لحظة إحباط وتشاؤم، في طرح التساؤل: لماذا ؟ فيقول:

Mimi taziri terwel si yerman ?

لماذا هرب ضوء القمر من المدن (المزابية) ؟

mimi tareğzi terwel si zman?

لماذا الرجولة فقدت منذ زمان ؟...

وفي نفس الأجواء يشتهي الشاعر، في قصيدة berrsey (ابحث) ، من مجتمع لم يجد فيه عناصر النهضة الأساسية التي يبحث عنها: الرجال، العلم، القلوب النيرة، السلام والوحدة، الخ؛ وبعبارة أشمل وأدق "الإنسان المزابي المثالي كما يتصوره ويريد، وكما ينبغي أن يكون حسب، قائلا:

بحثت عن الضوء وسط الليالي *Berrsey ftifawt Ammas n yidan*
 بحثت عن الرجل فوجدت النساء (الخائفين) .. *Berrsey fwerğaz Afey tisednan*
 بحثت عن الموعظة فوجدته في السماوات ... *Berrsey ftmusni Afey-tt ijenwan*

بل يصل الإحباط والتشاؤم في نفس الشاعر صالح ترشين مداه في قصيدة tamettant n wulawen "موت القلوب"، أين يعبر في صور بلاغية عن "موت" الإنسان المزابي كما يتخيله في صورته المثالية. فعلى وزن أسلوب قصائد هدهدة الصبيان التي تقول >> التقيت النوم فقلت له إلى أين أنت ذاهب؟ فأجابني أنا ذاهب إلى فلان (الطفل الصغير الذي تهدده أمه) لأغلق عينيه لينام>> ، يقول الشاعر:

التقيت الموت يمشي *Ufiy tamettant teğğur*
 فقلت له إلى أين أنت ذاهب؟ *Nniy-as lmani tezwid?*
 قال لي : قصد المزابي *Tenna-yi zwiyl ugyersan*
 لأغمض عينيه !... *Ad as-dley tiṭṭawin-s*

ثم يحاول استنهاض الهمم لبعث نهضة اجتماعية تعيد للإنسان المزابي مجده العابر وتبعثه إلى الرقي الحضاري الذي يناشده الشاعر، قائلا:

افيقوا أيها الأحياء ! *čret-day imaddaren*
 واحيوا طريق الإنسان المزابي *Sedret tişreḍt n ugyersan*
 ارجعوا له البرنوس الذي *Erret-as abernus illan*
 كان به مزابيا ! ... *Yettuy sys d ugyersan*

والملاحظ أن مسألة انتقاد السلطة التقليدية الدينية والعشائرية الحاكمة في المجتمع المزابي، احتلت حيزا هاما من الشعر المزابي الحديث، لاسيما عند الشاعر صالح ترشين لارتباطها بإشكالية الصراع بين الأجيال. وفي الواقع لم يكن الشاعر إلا معبرا عن آراء وانتقادات الشباب لإيصال خطابهم إلى المعنيين بواسطة اللغة الشعرية، لما لها من تأثير في التغيير الاجتماعي. ذلك أن هذه المؤسسات العرفية الموهلة

في القدم لم تستطع في الكثير من الأحيان التفتح على الجيل الجديد والتأقلم مع التحولات الاجتماعية المعاصرة إن في بنيتها أو في وظائفها، فولّد ذلك إحباطا وتذمرا منها في الأوساط الشبابية حاول الشاعر للتعبير عنها في مختلف قصائده. ففي قصيدة *ara i lwaldin* "الإبن لأوليائه" يشتكي الشاعر باسم جيل الشباب من إقصائه من مؤسسات اتخاذ القرار في المجتمع، ومعبرا عن آمال الشباب في الإنعتاق والتطور، موجهها خطابه للجيل القديم من خلال الأولياء، فيتساءل باسم الشباب :

<i>A yamma baba</i>	<i>Mimi tejjim-i ?</i>	لماذا تركتmani	يا أبي، ويا أمي
<i>Ltlazit d fad</i>	<i>Init-i mimi?</i>	أجيباني لماذا؟	للجوع و العطش
<i>Xsey ad fyey</i>	<i>Sawen uyemmi</i>	من هذا المأزق	أريد ان أخرج
<i>Xsey ad atfey</i>	<i>Ul ufiy imi</i>	(لكن) لم أجد الباب...	أريد أن أدخل
<i>Xsey ad cacey</i>	<i>ul ufiy aymi</i>	(لكن) لم أجد النماء...	أريد الانعتاق

ويعصف الشاعر القطيعة الجيلية الرهيبة التي أصبحت تتوسع بين السلطة التقليدية المتمثلة في حلقة اعزايين ورؤساء العشائر من جهة، والقاعدة الشعبية ذات الأغلبية الشبابية من جهة أخرى، قائلا:

<i>Wasi ajenna</i>	<i>Yella yettedden</i>	هم يؤذنون	من هم في الأعلى
<i>Midden adday</i>	<i>Drus wi sellen</i>	قليل من يسمعهم	الناس في البطحاء
<i>Tawwat n wessae</i>	<i>Llan ttadnen</i>	هم يؤذنون ¹	الإخوة في (مجلس) اوساع ¹
<i>Inenni n teecirt</i>	<i>Si melmi ṭsen !</i>	نائمون منذ مدة	كبار العشيرة

وكرس الشاعر صالح ترشين قصيدة طويلة بعنوان "مجلس عمي سعيد" ، لنقد مجلس أمي سعيد الديني الإباضي الكونفدرالي بسبب جموده واستقالته عن أداء وظائف الإمامة الإباضية في توجيه المجتمع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر-كما يرى الشاعر -؛ وغرقه في الطقوس والسلوكيات الفلكلورية، بينما يعيش المجتمع المزابي والأجيال الشبابية دون مرشد، مثله مثل المجتمع الإسلامي بصفة عامة، فيصف الشاعر بأسلوب تهكمي اجتماعات هذا المجلس التي تهدر في مواضيع تافهة، قائلا:

<i>ass-u nella nejru</i>	<i>bacak ad nesni</i>	لكني ننتزّين	نحن مجتمعون اليوم
--------------------------	-----------------------	--------------	-------------------

¹ (يقصد بذلك مجلس كبار العشائر المسمى مجلس الاعيان الذي يسير شؤون المدينة المزابية . وفي بني يزقن يسمى مجلس اوساع لوجود مقره بشارع يحمل نفس الاسم.

nenna lhemdullah yiweḡ-aney lemni

ونقول الحمد الله لقد وصلنا للمبتغى

وخلافا لهذه النزعة التَّهْجُمية على أداء المؤسسات العرفية المزابية الذي يطبع شعر صالح ترشين بحكم موقعه الاجتماعي كشاعر مستقل لا ينتمي آنذاك الى تلك المؤسسات وينتقد أدائها داعيا إلى إصلاحها؛ نلاحظ وجود نزعة عكسية لدى الشاعر عبد الوهاب حمو فخار تجاه المنتقدين لقادة المجتمع المزابي إذ لفت انتباهنا قلة شعر النقد تجاه أولى الأمر في مدونته، وامتعاظه تجاه المنتقدين للسلطة التقليدية ووصفهم بأصحاب "الألسنة الطويلة والروح السلبية" الذين لا يعملون إلا على تثبيط الهمم والنقد العقيم من دون تقديم البديل، الخ. ولعل ما يفسر موقف الشاعر هذا هو انتمائه إلى عائلة قيادية في الحركة الإصلاحية الإباضية بغرداية، وتوليه عدة مناصب للتسيير فيها.¹ إذ يرد الشاعر في هذا البيت على المنتقدين السلبيين الذين يجتمعون على كؤوس الشاي لانتقاد أولى الأمر، بقوله في قصيدة "لاشيء":

Wasi dessat, taleqqi-s, nqabel-t s laci laci

من هم في الأمام (القادة)، قابلناهم بلاشيء

Ayen yeḡḡu ul s-neknie, dima laci laci (...)

كل ما قام به لا نقتنع به، نواجهه دوما بلاشيء

كما يخصص نفس الشاعر قصيدة بعنوان *hami ammen-nni uju aminnat ?* لماذا هكذا وليس هكذا؟" لمحاولة تعرية نوايا فئة من الناس لا هم لها سوى نقد وتحطيم مصداقية ما يقوم به أولى الأمر في المجتمع في تسييرهم للشؤون العامة، وهم بذلك يدورون في حلقة مفرغة حول سؤالين: لما فعل هؤلاء هكذا؟ ولماذا لم يفعلوا ذلك؟ ثم يقول في ذلك بأسلوب ساخر:

Wasi sdassat yeḡḡur (...)

من هو في الأمام (في القيادة) يسير (...)

Batta yeḡḡu, hami ul yeḡḡi ?

إذا فعل، لماذا فعل ؟

Batta yenna, hami ul yinni ?

إذا لم يفعل، لماذا لم يفعل؟

وفي قصيدته الطويلة *imeṭṭawen izeggwayen* "الدموع الحمراء" الصادرة سنة 1990 في كتاب مستقل بنفس العنوان، والتي يستعرض فيها الشاعر وضع المجتمع المزابي، يؤكد عبد

¹ إذ هو ابن الشيخ حمو فخار رئيس حلقة اعزابن الإصلاحية وأحد قادة الحركة الإصلاحية البارزين بمدينة غرداية منذ السبعينات والذي تولى مناصب مسؤولية عديدة في المؤسسات الدينية والعشائرية بمدينة غرداية، بل أن الشاعر نفسه احتل أحد المناصب القيادية الهامة في جمعية الإصلاح وهو إدارة مدرسة الإصلاح للبنات، قبل أن يصبح مديرا عاما لمدارس ومعاهد الإصلاح بنفس المدينة.

الوهاب حمو فخار على حتمية التكامل بين الأجيال كشرط ضروري لأي نهضة اجتماعية، بدلا من الصراع أو إلقاء اللوم على الأجيال المسنة وقادة المجتمع المزابي، قائلا:

إذا كان الشاب يهرب من الشيخ المسنّ
amezẓan s ad yili, ireggwel fuzeeluk
مسكين هذا الشاب سوف تختلط عليه الرؤى
taleqqi n umezẓan adas-xewden allawen
عندما يهرب الشيخ المسنّ من الشاب
awessar s ad yili ireggwel fumezẓan
يصبح (مثل) الكبش الذي انكسرت قرونه
azeeluk d balluḥ s ad rẓen accwen-s

2. نقد بعض الظواهر الاجتماعية السلبية: أثارت بعض الظواهر الاجتماعية السلبية اهتمام

الشعراء المزابيين المحدثين لاسيما تلك المتعلقة بالمجتمع النسوي. ويظهر ذلك جليا في شعر صالح ترشين الذي كرس ثلاث قصائد نقدية لظاهرة التفاوت الطبقي. ففي قصيدة tajujiilt "اليتيمة" يحاول الشاعر إثارة انتباه المجتمع إلى حالة المرأة اليتيمة ومعاناتها مع الفقر ، أما في قصيدة tabeddiqt "المرأة الثرية" فيهجوا الشاعر امرأة غنية تعيش في بذخ الحياة بينما أختها فقيرة معوزة قائلا:

...مسكين هذا الذي أعطاه الرب
Taleqqi wasi ameqran yuc-as
الأمن والمال فنسي إخوته....
Lehna d uyetli yetta ayetma-s

ويثير الشاعر عبد الوهاب حمو فخار من جهته في قصيدة a yewwa macbik ammu ? "يا أخي ما بك؟" مسألة الفقر وعوز بعض الآباء عن النفقة على عوائلهم بسبب غلاء المعيشة وقلة الدخل، في دعوة ضمنية للمجتمع للتكفل بهذه الفئة الهشة، فيقول:

انظروا يا إخوتي ، ماذا يحدث (لدينا)
Dellet a tawwat , fwayen yetšaran
التقيت ذلك الشخص، في الأيام الماضية (...)
Ininnnu d ussan , mlagiy ḥed-nni(...)
قال لي : أخي ماذا أقول لك
Yenna-yi a yewwa, batta ay ad ac-
iniy
وسقطت دمة من عينه في الحين
Ameṭṭaw s ṭiṭ yesti-d lext-nni

بينما خصص الشاعر صالح ترشين قصيدة teallit "المرأة السليطة اللسان" لنقد سلوك هذا النوع من النسوة اللاتي يسخرنا ألسنتهن لمعايرة الناس وترصد هفواتهم والاستهزاء بهم، قائلا:

<i>Iles-s d amirğaz</i>	<i>d wul d</i>	وقلبها اسود (...)	...لسانها مَرّ
<i>abercan (...)</i>			
<i>Ameqran yeğğ-itt</i>	<i>d aydi jar</i>	كلبا بين الناس	جعلها الله
<i>midden</i>			
<i>Imi-s d tasirt</i>	<i>tezzad iwalen</i>	يرحي الكلمات...	لسانها كالرحي

وينفرد الشاعر صالح ترشين بقصيدة هامة يدافع فيها عن حقوق المرأة في التعليم والتوعية التربوية وعدم تركها مطية للجهل والتخلف، فيتساءل باسم المرأة المزابية في قصيدة: *tameṭṭut tenna-yas* *i weğaz* "قالت المرأة للرجل":

<i>Iezamen rezmen</i>	<i>Tennim i werğaz</i>	قلتم للرجال	فُتحت المدارس
<i>Tucim tmusni</i>	<i>Tennim i werğaz</i>	قلتم للرجال	قدمتم الموعظة
<i>Texsem ad neččer</i>	<i>Tejjim yi arğaz</i>	(لكن) تركتم الرجل وحده	تريدون النهضة
<i>Yetteddi aman</i>	<i>ammas n lmiraz</i>	في قاع المهراس ¹ ...	يهرس الماء

(ب) الشعر الثوري:

يعود قلة الشعر الثوري باللغة المزابية إلى سيادة اللغة العربية الفصحى في الحركة الوطنية كلغة لشعر المقاومة، بحيث نظم الشاعر المزابي مفدي زكريا (زكريا نأت الشيخ)، شاعر الثورة وشاعر المغرب الكبير جل أشعاره الثورية التي ألهمت الثورة التحريرية في كامل مناطق البلاد، باللغة العربية مع أنه مزابي أمازيغي عاش قسما كبيرا من حياته في الوسط المزابي الأمازيغي المحافظ وتزوج وعاش بوادي مزاب، وكان يتقن اللغة المزابية أحسن إتقان، ولم يكن من المثقفين المستعربين أو المفرنسين المنسلخين من ثقافتهم الأصيلة. والمعروف أن أول قصيدة نظمها مفدي زكريا في حياته وهو صاحب الأربعة عشر سنة كانت باللغة المزابية²، غير انه وهو شاب يافع سرعان ما عدل عن اللغة المزابية إلى العربية الفصحى لما لاحظته من المكانة التي تحظى بها هذه الأخيرة آنذاك في الأوساط النخبوية وإمكانيات الانتشار الواسع التي توفرها إن على المستوى الوطني أو العربي. ومن جهة أخرى فإن ضالة الشعر الثوري باللغة

¹ مثل مزابي يقال للشخص الذي يقوم بعمل او مجهود يذهب سدى دون أي فائدة، مثله مثل الذي يدق الماء في المهراس.

² حسب المصادر العائلية للشاعر باعتبارنا من أقاربه، كان موضوع القصيدة رثاء سخريا لكبش بعد ذبحه بمناسبة عيد الأضحى المبارك.

المزابية يعود إلى عدم دخول منطقة وادي مزاب بشكل كامل في المسار الثوري المسلّح لانعدام التحصينات الجغرافية فيها، كما هو في المناطق الجبلية الشمالية المتحصّنة، وسهولة سحقها من طرف الجيش الفرنسي، رغم المشاركة الكبيرة لبنى مزاب في الثورة التحريرية في مدن الشمال سواء في الحركة الوطنية السياسية أو المسلحة.

وأهم ما نظّم حول الثورة التحريرية باللغة المزابية أوبيرات "مزاب يحييك يا نوفمبر" التي نظمها الشاعر عبد الوهاب حمو فخار سنة 1984، بمناسبة تخليد الذكرى الثلاثين لاندلاع الثورة، وأهداها لروح شاعر الثورة مفدي زكريا ابن منطقة مزاب. وجاءت هذه الأوبيرات كرد على بعض المدّعين بعدم مشاركة المزابيين في الحرب التحريرية، بحيث ترجمت مقاطعها الى اللغة العربية الدارجة من طرف الاستاذين صالح إبراهيم باجو وباحمد أرفيس، وألّقت بمسرح سينما "مزاب" بغرداية سنة 1984، ثم المسرح البلدي بتبازة سنة 1986.¹ وقدم الشاعر في هذا العمل نظرة أصيلة لمفهوم "الثورة" الذي لا يقتصر حسبته على محاربة الاستعمار، وإنما أيضا يمتد الى مقاومة الظلم والفساد والجهوية والاحتقار والتمييز، الخ.

وحول قضية فصل الصحراء عن الجزائر التي سعى فيها الجنرال شارل دوغول رئيس فرنسا سنة 1960 إلى إقناع قادة القبائل في الصحراء بتشكيل دويلات منفصلة عن الجزائر؛ نظّم الشاعر عبد الوهاب فخار أوبيرات شعرية باللغة المزابية، تم أدائها من طرف فرقة "ألحان الفتح" التابعة لمدرسة الفتح الإصلاحية سنة 1984.² حيث أشاد فيها بموقف الشيخ إبراهيم بيوض الزعيم الروحي للمزابيين آنذاك الذي رفض رفضا قاطعا عند لقائه بشارل دوغول أي مس بوحدة الجزائر، حيث يقول:³

Fransa tenna: Zayer ad ttuzun

فرنسا قالت: الجزائر ستُقسّم

Beyyud yenna-yas: lac

(الشيخ) بيوض قال: لا

Zayer s ssehṛa, ssehṛa s Zayer

الجزائر بصحرائها، والصحراء بجزائرها

ومما نظّم من الشعر المزابي الغنائي حول الثورة التحريرية قصيدة *lqern d mennaw ilan* "قرن وعدة سنين" للشاعر المنشد عمر داودي التي اشتهرت في بداية التسعينيات بعد أن

¹ عبد الوهاب حمو فخار، الشعر الثوري الامازيغي في مزاب، محاضرة، مهرجان الشعر والغناء الامازيغي، تمنراست، 2012.

² وهي من الأعمال الشعرية غير المنشورة لعبد الوهاب حمو فخار.

³ الحصة الإذاعية Amlaga، القناة الثانية بتاريخ 27 مارس 2014 لصالح فخار، لقاء مع رئيس جمعية "ألحان الفتح" السيد الحاج عيسى طالب باحمد، ونائبه موسى صالح والحاج.

أصدرها في شريط غنائي خاص. وفي هذه القصيدة يسطر الشاعر مأساة الاستعمار الفرنسي والثورة التحريرية التي أعتقت الجزائر من نير الظلم، حيث يقول فيها:

Tatef-d franša tessensinaren

ودخلت فرنسا فأطفأت الأنوار

Tejj-aney-d yel ussan d imsullasen

وتركتنا للأيام السوداء

Neččer ul neqqim

فانتفضنا ولم نجلس

Nbedd-as gaε d arğaz iggen(...)

وقمنا (ضدها) كلنا كرجل واحد(...)

ومن جهة أخرى يعكف الشاعر الناشئ لعساكر يوسف¹ على مشروع ترجمة إلياذة الجزائر لمفدي زكريا ذات الألف بيت وبيت إلى اللغة المزابية. وبالرغم من صعوبة الترجمة الأدبية بصفة عامة والشعرية على وجه الخصوص، فإن هذا العمل يشكل دعما رمزية قويا لحيوية اللغة المزابية والامازيغية، لما تكتسيه إلياذة الجزائر من أهمية وطنية أدبية وتاريخية، باعتبارها جردا لملاحم الجزائر منذ عصر الممالك الامازيغية إلى الاستقلال. وتمكن الشاعر حتى الآن من الترجمة الى اللغة المزابية لمئات من الأبيات في هذا المشروع الضخم،² ألقى بعضها في مهرجان الأغنية المزابية الاول بغرداية، هذا مقطع منها يتحدث فيه مفدي زكريا عن حنينه إلى بلاده وادي مزاب:³

ay tmeqqered s yiyzer-nem a tala n Weylan

تقدس واديك منبت عزري

ay azal-ikw si ulal-ikw ay awiy d izelwan

ومسقط رأسي وإلهام حسي

jar iyallen n baba-kw d yidmaren n

وريض أبي ومربيع أمني

mamma-kw

d wetlaε nmezzi-kw d werja n yislan

ومغنى صباي وأحلام عرسي

¹ شاعر باللغتين العربية والمزابية بدأ أولى قصائده باللغة العربية في الثمانينيات، ثم ما لبث أن تحول إلى اللغة المزابية في بداية التسعينيات بعد احتكاكه بالحركة الامازيغية القبائلية بجامعة الجزائر، وإدراكه لأهمية البعد الامازيغي للهوية المزابية وحاجة اللغة المزابية إلى الشعر كعامل لتنميتها والمحافظة عليها.

² لقاء مع الشاعر لعساكر يوسف بتاريخ 15 مارس 2015 ببريان، غرداية.

³ المهرجان الثقافي المحلي للموسيقى وأغنية مزاب، الطبعة الأولى من 12 إلى 18 ماي 2009، سينما مزاب، مجلة المهرجان، ص.12.

ثانيا: شعر الهوية المزابية وتمجيد النموذج المزابي للحياة ومآثر الأجداد

احتل موضوع الدفاع عن الهوية المزابية إلى جانب النقد الاجتماعي المجال الأول في الشعر المزابي الحديث. وارتبط الدفاع عن الهوية المزابية ارتباطا تكامليا مع تمجيد النموذج المزابي للحياة التقليدية والحنين إلى الماضي والإشادة بإنجازات الأجداد. ولعل غلبة هذه النزعة هي وليدة الخوف من زحف مظاهر العصرية، وما جاءت به من الثقافات الوافدة والقيم والممارسات الدخيلة التي أصبحت تهدد الجماعة المزابية، بعد عزلة سياسية واجتماعية وثقافية طويلة امتدت الى حوالي عشرة قرون.

والملاحظ أن إشكالية التعامل مع العصرية ومستلزماتها كانت ولا تزال تطرح بحدة في المجتمع المزابي بسبب الاحتكاك بين نموذجين للتفكير والحياة: النموذج التقليدي للحياة المزابية بكل ما يحتويه من منظومة قيمية وعادات وتقاليد، الخ المتولد عبر تراكمات تاريخية طويلة في مجتمع محافظ جدا؛ ونموذج الحياة العصرية الزاحفة المنتشع بالقيم والسلوكيات الفردية الذي أصبح يزاحم بقوة النموذج التقليدي بفعل ثورة الاتصالات والعولمة الثقافية والتعليم.

أما ما يخص الدفاع عن الأمازيغية كونها عنصرا جوهريا للهوية المزابية إلى جانب المذهب الإباضي، فإنه لا يحتل إلا حيزا ضيقا في الشعر المزابي الحديث. ويفسر ذلك بكون الجماعة المزابية لم تعرف، مثل نظيرتها بمنطقة القبائل، ذلك الصراع الحاد من أجل إثبات هويتها الأمازيغية أمام موجة التعريب التي عرفها السكان القبائل بفعل التزاوج والاحتكاك والهجرة، إضافة إلى سياسة السلطة السياسية لعقود من الزمن لمحاولة طمس هذا الانتماء الحضاري بفرض هوية جماعية مصطنعة بجعل الجزائر "أرضا عربية"، الخ. ذلك أن بني مزاب تمتعوا منذ استقرارهم بوادي مزاب بداية من القرن 11م باستقلالية تامة وبحرية تامة في استخدام لغتهم. وبالنتيجة لم يسمح هذا السياق السوسيو تاريخي بظهور أزمة هوية تدفع الشعراء إلى مقارعتها. ومع ذلك خاض الشعراء المحدثين في موضوع الأمازيغية، متفاعلين في ذلك مع تداعيات الربيع الأمازيغي بمنطقة القبائل في بداية الثمانينات، ومؤكدين للبعد الأمازيغي للهوية المزابية (أ) إلى جانب تخليدهم لمآثر الأجداد ودفاعهم عن النموذج المزابي التقليدي للحياة (ب).

(أ) الهوية المزابية الأمازيغية

دافع الشاعران عبد الوهاب حمو فخار وصالح ترشين في عدة قصائد ومقاطع من شعرهما على الانتماء اللغوي والثقافي والحضاري الأمازيغي لبني مزاب، لكنهما حرصا في كل مرة على تأكيد تقديسهما

للغة العربية لغة الدين الإسلامي، رغبة منهما على إبعاد تهمة معادة اللغة العربية والدين الإسلامي التي التصقت بمناضلي القضية الأمازيغية منذ أمد بعيد بفعل الدعاية الإعلامية للعروبيين المعادين للأمازيغية. وتعد قصيدة *a wenni i yen-jerwen tumzabt* "أيها الذي جمع لنا اللغة المزابية !" للشاعر عبد الوهاب حمو فخار، أول قصيدة حول القضية الأمازيغية وإحيائها وترقيتها بوادي مزاب. وقد نظمها في أوائل الثمانينيات في خضم الربيع الأمازيغي، وأهداها للأستاذ حواش عبد الرحمان، أحد الباحثين في الأمازيغية في حفل زفاف ابنه. ونلاحظ في مضمونها حضوراً لأطروحات الحركة الثقافية الأمازيغية مثل ضرورة إحياء اللغة الأمازيغية، وحتمية الوحدة بين الشعوب الأمازيغية، والتساؤل حول خطورة زوال هذه اللغة واندثارها من الأفواه. هذا مقطع منها:

<i>A wenni yen jerwen awal n tumzabt</i>	إليك أنت الذي جمع لنا اللغة المزابية !
<i>Cečči s ukelleb, necci s izelwan (.....)</i>	أنت بالبحث ، وأنا بالشعر (.....)
<i>Awal n Lberber dani d imucan</i>	لغة البربر هنا وفي الأفطار (الأخرى)
<i>S Tizi yel timmi, d wayen jar-asen</i>	من تيزي وزو إلى تيمّي وما بينهما
<i>Luras d Tyerdayt, d Lhugaṛ n ubercan</i>	الأوراس وغرداية، والهقار السوداء....

المثير للانتباه في هذه القصيدة ان الشاعر يثير في أول سابقة من نوعها في تاريخ الشعر المزابي، مسألة منافسة العربية الدارجة واللغة الفرنسية للغة المزابية لدى بعض أبناء الزواج المختلط والمغتربين، أو المتعلمين بالفرنسية، بحيث اعتبر ذلك "ضياعا" لهؤلاء و"هروبا" من اصالتهم. وهو بذلك يؤرخ لهذه الظاهرة السوسiolinguistic التي كانت نتيجة لظهور زواج المزابيين المغتربين بالنساء الناطقات بالعربية في مدن الشمال الجزائري في السنوات الاولى للاستقلال، بسبب منع سفر المرأة المزابية واضطرار التجار المزابيين الذين يقضون سنوات طويلة في المهجر إلى الزواج بالعربيات. فكان ذلك انتهاكا لإحدى القوانين القديمة التي تمنع منعا باتا الزواج بالاجنبيات. إذ يقول مشتكيا من احتقار الناس للغة المزابية:

<i>Hami ussan-u midden llubzen</i>	لماذا ضاع الناس في هذا الزمان
<i>rewlen f tumzabt, hami llan zwan ?</i>	هربوا من لغتهم المزابية، لماذا انصرفوا (عنها) ؟
<i>uḍan gaε taεrabt "nyattel" d "simuh"</i>	سقطوا كلهم في العربية "نياتل" و"سي موح"
<i>d wasi yak yeezem, yi ini d ugwaman</i>	أما المتعلمين فهم كالأوروبيين.

وفي نفس المعنى يشكو الشاعر صالح ترشين في قصيدة *atbir d tjerfi* "الحمام والغراب"، من اندحار اللغة المزابية أمام اللغة العربية، مشبها اللغة المزابية بالأم التي احتقرناها واستبدلناها بـ"الضرّة"، ومذكرا بحادثة منع الشاعر المغني عادل مزاب في أوسط الثمانينيات من الإنشاد باللغة المزابية في إحدى الحفلات من بعض رجال الدين المتطرفين. حيث يقول:

أين الكتابة، أين الكلام ؟
Maytella tira, mayella awal ?
awal n tumzabt neğğ-as iyudal

جعلنا الحواجز للغة المزابية

ألقيناها في الزاوية، واتجهنا نحو الضرّة(....)
nḍebbeε-tt taymert, neqqel yel
tecna (....)
 أحدهم لم يتركوه أن ينشد شعرا باللغة المزابية
Iggen ul tejjin la ad yawi izelwan
reğlen-as imi-s, almen yef-s ussan
 أغلقوا فمه، وطووا عليه الأيام¹

وفي بداية الثمانينيات يؤكد الشاعر عبد الوهاب حمو فخار في قصيدته *i wenni i yen-jerwen tumzabt* "إلى الذي جمع لنا اللغة المزابية" المهداة الى الباحث عبد الرحمن حواش، على أهمية الأمازيغية كعنصر للهوية المزابية إلى جانب الدين الاسلامي، مذكرا أنه بفضل اللغة المزابية استطاع المزابيون المحافظة على وجودهم كجماعة منسجمة، قائلاً:

(الإنسان) المزابي بدينه ، يخاف الله...
Umzab s ddin-s, yeggwed i Rebbi....
 لغة أمّه رضعها مثل اللبن
Iles n mamma-s yetteḍ-t an uyi
 بفضلها لم يُدب، وبقي مزابيا...
*Sys ul idub, yeqqim d ugyersan*²

وبعد دعوته لقومه إلى الاعتزاز والفخر بهويتهم وانتمائهم التاريخي إلى الدولة الرستمية الإباضية الأمازيغية، يحدد الشاعر عناصر الهوية المزابية كالآتي:

¹ يشير الشاعر -في هذا السياق- إلى حادثة منع شاعر مزابي في إحدى حفلات الكشافة الإسلامية بغرداية عن إلقاء قصيدة باللغة المزابية في سنوات الثمانينيات باعتبار ذلك "عرقلة للتعريب"، غير أن الضمير في هذه القصيدة يشير إلى المجتمع المزابي (جعلنا،القينا...). وأغلب الظن أن الشاعر كان يشير إلى حادثة منع بعض رجال الدين الإباضية المعربين للشاعر المغني عادل مزاب عن الإنشاد باللغة المزابية سنة 1985 ببريان.

² كلمة *ugyersan* تعني لغة (صاحب المنسج التقليدي الذي يشير الى الزرابي) أي تعني كناية: صاحب الزرابي. ويطلقها المزابيون على أنفسهم كتسمية انتروبونية إلى جانب تسمية *At mزاب*

tumzabt d awal-kw, lquran d ddin-iw

المزابية هي لغتي، القرآن ديني

Imedheb d abrid-ikw, imezwar-ikw nnan

المذهب (الاباضي) هو طريقي، كما قال أجدادي...

ولما منع في الثمانينيات نشاط مسرحي باللغة المزابية وحذف من برنامج مهرجان ثقافي من طرف المسؤولين المحليين لحزب جبهة التحرير الوطني الحاكم حين قدم لهم للمصادقة،¹ وفي خضم مواجهة العروبيين الذين يرون في إحياء اللغة المزابية محاولة " لخلق ضرة للغة العربية لغة القرآن"؛ وضع الشاعر عبد الوهاب حمو فخار قصيدته الشهيرة *iles n mamm-kw* "لغة أمي"، متحديا هؤلاء بأبيات شعرية تبعث الأمل في محبي اللغة المزابية، مستشرفا أن الامازيغية ستبقى رغم انفهم- للأجيال اللاحقة ولن تزول من الألسن، حيث يقول:²

S memmi-kw d memmi-s

من ولدي ومن ولده...

D memmi-s n memmi-s

ومن أولاد أولاده...

Ad lalen imawen

ستولد الأفواه!

Ad ymin ilsawen

ويبرزُ اللسان بين الشفاه

y ad medyen tumzabt-ikw

يتذوق لغتي المزابية الامازيغية....

والملاحظ أن موضوع الهوية الامازيغية حضر بأكثر قوة في شعر صالح ترشين في أواخر الثمانينيات، بعد أن عرفت القضية الامازيغية تطورا على الساحة الوطنية بحيث خصص قصيدة *amaziy* "أمازيغ" للتتويه بمناقب الإنسان الامازيغي عبر العصور والتأكيد على الانتماء الامازيغي لبني مزاب وفيها يقول:

Sney amazi y d bab n wencan

اعرفُ الامازيغي، ذا المكانة

lzuṛan dren lac dysen aṭṭan

عروقه حية لا سقم فيها...

Tarwa n Rustum, d iggen s inennu

أبناء رستم، هم ضمن هؤلاء (الامازيغ)

¹ عبد الوهاب حمو فخار، الشعر الثوري الامازيغي في مزاب، ص. 19.

² من الأشعار التي لم تنشر في دواوينه. المصدر: لقاء مع الشاعر عبد الوهاب فخار، حصة Iwalen n imedyazen لصالح فخار، القناة الامازيغية الثانية، بتاريخ 11 سبتمبر 2011.

D iggen si yeyleb i twattan anu

من جملة الكثير (من الامازيغ) الذين نُسيوا في البئر

وانفرد نفس الشاعر بتكريس قصيدة رثائية للأستاذ المرحوم مولود معمري إثر وفاته سنة 1989 بعنوان: *dda Lmulud* "سيدي لمولود"، ذكّر فيها بمناقب المرحوم ومكانته العلمية وكتبه ومنشوراته وجهوده الكبيرة في خدمة الامازيغية، جاء فيها:

Dda Lmulud yunu kkuṛṣen idmaren ... ضاقت الصدور
Taziri s mani? S ay ad yunu yur من أين (لنا) ضوء القمر عندما يغيب القمر ؟

وفي بحثه عن تأكيد العناصر المكونة للهوية المزابية المرتبطة بالأرض يعبر نفس الشاعر عن هذا الارتباط في قصيدة *tamuṛt-ikw* "وطني"، قائلا:

tuni d tamuṛt-ikw Lalla n tmura.... أفضل البلاد
Tenna-yi ,necci d tamuṛt umaziṣ ارض الامازيغ
Wasi ul yumin, ad yamen zeddiṣ من لم يقتنع سيقتنع (بذلك) يوما

وحول سؤال الهوية الذي أثار نقاشا مجتمعا في بداية التسعينيات، يلخص الشاعر عبد الوهاب حمو فخار الهوية المزابية ببعديها الامازيغي والديني في قصيدة *imeṭṭawen izeggwayen* "الدموع الحمراء"، التي ذاع صيتها في كل أوساط المجتمع المزابي بعد أزمة سنة 1990 بين بني مزاب والناطقين بالعربية المتساكنين بالمنطقة، بحيث يربط ربطا شديدا بين الامازيغية والدين الإسلامي، قائلا:

necci d umṣab, أنا مزابي
settiṣ s tumṣabt أقطر بالمزابية (أصيل)¹
mummu-kw d lquran روحي هو القرآن
awen tadrusi في هذه الأقلية (المزابية)

¹ من صيغ المبالغة في اللغة المزابية.

(ب) تمجيد مآثر الأجداد والنموذج المزابي للحياة

من السمات الغالبة في الشعر المزابي الحديث بصفة عامة وشعر عبد الوهاب حمو فخار وصالح ترشين بصفة خاصة، هو نزعة الاعتزاز بالهوية المزابية بمفهومها الواسع كنموذج للتفكير والحياة المزابية والتمجيد لمآثر الاجداد الذين صنعوا الحضارة المزابية بنضالهم المستميت (1) مع مدح وتمجيد الأنا الجمعي والنموذج التقليدي للحياة المزابية (2).

1. تخليد مآثر الأجداد: دأب الشاعران في عموم شعرهما على تخليد مآثر الماضي والإشادة

بالأجداد المزابيين الذين يعود إليهم فضل بناء الحضارة المزابية من ارض قاحلة جرداء، مع التحسّر على تبدل الأحوال وإضفاء صفة المثالية والأسطورية على الماضي السعيد الذي كان فيه المجتمع المزابي في أوج ازدهاره مقارنة بالواقع المزري الحالي الذي يعتبر -في نظرهما- انحطاط وانحراف عن المسار الجاد. بل إن أول محاولة شعرية للشاعر عبد الوهاب حمو فخار سنة 1971 كانت تتمحور حول هذا الموضوع وهي بعنوان *s tnmimirin n Rebbi εacen lejdu-d-nney* "ببركات الله عاش أجدادنا الأوائل"، حيث يقول متحسراً على تبدل الأوضاع، ويسترسل في الحنين إلى الحياة القديمة قائلاً:

Xezret mani lakim imaṛu ya lḥuḍḍar

انظروا أين وصلتم أيها الحضر

Kulci yeḥḥwa, iferfer meā leṭyar (...)

كل شيء زال، وحلّق مع الطيور (...)

Mayella axemmas ijebbed leṣḥar

أين هو الفلاح (الخمّاس) الذي كان يجلب

الماء (لسقي النخيل) منذ وقت السحور

Meā wallay n tfuyt, swinet ya leṣjaṛ

مع طلوع الشمس، ارتوت الأشجار (...)

(...)

Tameṭṭut teccat ṭacca lil wenḥar

والمرأة تضرب في المنسج ليلاً ونهاراً

Teslemmad i tarwa-s leḥya d lwaqar

تعلم أولادها الحياء والوقار

ونلاحظ نفس المسحة من الحنين العميق إلى الماضي المثالي السعيد، والتذمر والإحباط من "فساد الزمان" في قصائد كثيرة للشاعر صالح ترشين الذي يتميز بنزعة دينية محافظة متشددة، وشكوى مستمرة من مظاهر التحول الاجتماعي الثقافي التي فرضتها العصرية، والتي يرى فيها اتجاهاً للانحطاط الحضاري والتفسخ الأخلاقي؛ بحيث ينطلق الشاعر من صورة نمطية للرجل المزابي الفلاح المنقشف الشديد التدين، والمرأة

المزابية الماكثة في البيت العاملة في المنسج، ويعتبر كل التحولات الحاصلة بفعل الحداثة انحرافا عن هذه الصورة المثالية التي رسمها. إذ يقول على سبيل المثال في قصيدة *barakat s yides* "كفانا سباتا":

أين أين الصوف؟
Maytella taccia ? mayellan ulman
 أين الأم التي تصنع الأيام (تبنى الأسرة)؟
Maytella mamma i tteğgen ussan
 أين الفرس أين البرنوس؟
Maytella tyallet mayella abernus

وفي قصيدة *atbir d tjerfi* "الحمام والغراب" يتحسر نفس الشاعر عن زوال نمط العيش التقليدي، راسما صورة مثالية أريحية عن الأسرة المزابية في القديم، متهجما الرفاهية الناجمة عن تطور نمط العيش قائلا:

أين الأم عندما كانت الأم؟
Maytella mamma si ttuy d mamma ?
 هي في المنسج والأب في الاجنة
Nettaha azzetta-s baba tijemma
 أرضعت الحليب ففتحت عيونهم (على الحياة)
Teşşudeğ ayi terzem tiğtawin
 فيه لغتنا فيه بذور الدين
Dys awal-nney dys ayefs n ddin

وعلى نفس الوتيرة نظم الشاعر عبد الوهاب حمو فخار قصيدتين في السبعينات من القرن العشرين يعبر فيهما عن هذا الإحساس بالتذمر والخوف من التحولات الحضارية التي يعرفها المجتمع المزابي، وحنين عميق إلى الحياة الماضية السعيدة. ففي قصيدة *regbet zman manec ibeddel* "أنظروا إلى زماننا كيف تغير" يربط الشاعر بين مغادرة الطيور الأليفة للبيوت بفساد الزمان وكثرة الفتن وفقا للاعتقادات الشعبية في التطير والتقاؤل، قائلا:

انظر إلى زماننا كيف تغير
Zman-nney xzer manec ibeddel
 غادر الطير الأليف، ذهب ولم يعد
Bueud¹ iferfer, yezwa ul d-yedwil

وفي دعوة للشباب للبحث في تاريخ الماضي المجيد يقول الشاعر في قصيدة *sewwel* "إسئل العجوز الذي يمشي معتمدا على الجدران":

¹ يعد الطير المسمى *Bueud* من الطيور المحلية الأليفة التي تعيش داخل البيت المزابي، وتقتات بالفتات وبقايا الاكل، حتى وكأنها عضوا من أعضاء العائلة. كما هو موضع التقاؤل بحيث يعتبر كثر هذه الطيور في بيت ما فألا بالخير، وجلائها دليلا على غياب النية والمحبة في البيت.

*Sewwel awessar i ġğuren jum n
imuran*

اسأل ذلك الشيخ! أنظر إليه يمشي... الذي يمشي

يلازم الجدران!

*Ikeħħez, ilehhet, cyben-t lehmum n
zman (....)*

يجزّ رجله وقد شَيَّبته هموم الزمن (....)

*In-as ad ac-yehka f ttarix n At
iyersan*

اطلب منه يحكي: ملحمة بني مزاب

2. مدح وتمجيد الأنا الجمعي والنموذج التقليدي للحياة المزابية: مما يميز شعر صالح ترشين

بشكل لافت هو الطغيان الغالب لنزعة المدح والتمجيد للأنا الجمعي للجماعة المزابية. ويتضح ذلك في أغلب شعره بشكل مبالغ فيه، وهو في ذلك وكأنه يحاول الرد على محاولات التشوية التي تلحق بني مزاب والإساءات العديدة التي تعرضوا لها عبر التاريخ من طرف خصومهم المذهبيين. وظهر ذلك خصوصا في عشرية الثمانينيات وبداية التسعينيات، أين اتُّهم بني مزاب في بعض الكتابات بعدم مشاركتهم في الثورة التحريرية، وألصقت بالشيخ بيوض ابراهيم احد رواد المدرسة الإصلاحية الاباضية تهمة العمالة لفرنسا. وحاول المتطرفون الدينيون المنتسبون الى " السنة " الطعن في إسلام المزابيين واصفين إياهم بالخوارج، ومكفّرين لهم ومعتبرين مذهبهم "مذهب ضال"، الخ مما أثار غيرة نخبة كبيرة من المجتمع المزابي، فحاول الشاعر صالح ترشين نقل ردودها في عدة قصائد. وكمثال على ذلك هذين النموذجين:

- قصيدة *tanfust-ikw* "ملحمتي" ويشيد فيها بمنجزات الإنسان المزابي في صنع الحضارة

المزابية بفضل تضحيات ونضال طويل وشاق ضد الطبيعة القاسية لإعمار وادي مزاب، قائلا:

*Tuni d tanfust-ikw ...
i wi xsen allas*

هذه ملحمتي لمن يرغب (أن يسمع) الحكاية...

*Iwi-y-d irğazen
iwi-y-d imekras*

انجبت رجالا انجبت أبطالاً

*Urin idlisen
alin d aeessas*

سطروا كتباً علوا مئذنة

- قصيدة *tfuyt n umzab* "شمس الإنسان المزابي" وفيها يذكر بمسار التاريخ المزابي الحافل قائلا:

*Tuni d tanfust-ikw
tanfust n ugyersan*

هذه ملحمتي ملحمة المزابي

*Ales-tt i tarwa
ad snen ay illan*

احكها للأولاد حتى يعرفوا ما كان

الفرع الثاني: الشعر الديني والمناسباتي وشعر الطبيعة والغربة والغزل

استجاب الشعراء المحدثون لحاجة المجتمع المزابي ذات التقاليد الدينية العريقة إلى الشعر الديني والوعظي التربوي باللغة المزابية (أولاً)، ونظموا الشعر المزابي لتخليد مختلف المناسبات، كما توسع الشعر المزابي ليشمل مواضيع مبتكرة مثل الطبيعة والغربة ولدرجة أقل الغزل (ثانياً). ويشكل توسع اللغة المزابية للتعبير في هذه المواضيع التي كانت حكرًا على اللغة العربية الفصحى، تطوراً هائلاً في أغراض الشعر المزابي أخرجه من النطاق التقليدي الضيق الذي كان فيه.

أولاً: الشعر الديني التعبدى والتربوي:

يقوم المجتمع المزابي على ثقافة دينية عريقة متجذرة في نظمه ومعتقداته وعاداته لما يتميز به المذهب الإباضي مقارنة بالمذاهب الأخرى من الصرامة الدينية في العبادات والمعاملات، ونتيجة للانعزال والحياة الصعبة المتقشفة التي عاشها واد مزاب عدة قرون من الزمن. ويمكن أن نميز بين كل من الشعر الديني التعبدى (أ) والشعر الوعظي التربوي (ب).

(أ) الشعر الديني التعبدى

أثار موضوع إحياء مناسك الحج اهتمام الشاعر عبد الوهاب حمو فخار، فنظم في ذلك قصيدتين: الأولى *nned f tbercant* "طُف بالسوداء" في وصف رحلة الحج التي قادته إلى الأراضي المقدسة رفقة والدته، ومناسك السعي والطواف بالكعبة المشرفة؛ والثانية *adlil n lhuğğaj* "دليل الحجاج" وهو دليل مبسط باللغة المزابية موجه للحجاج المزابيين، يشرح فيه مناسك الحج لعامة الناس بأسلوب ميسر؛ بينما خصص الشاعر صالح ترشين قصيدة قصيرة *lebbayka llahumma* "لبيك اللهم" لوصف رحلته إلى الأراضي المقدسة سنة 1981. إضافة إلى قصيدتين في مدح الأنبياء، خصص الأولى لمدح الرسول محمد (ص) والثانية حول قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام. ففي قصيدة *nned f tbercant* "طُف بالسوداء" يقول عبد الوهاب حمو فخار:

Ndey f tbercant, id-klin tamelli

طُفْتُ بالسوداء التي أفرزت البياض

Tebbercen s dnuv, s midden ttebbi

لِسَوْتِ بَذَنُوبِ النَّاسِ الَّتِي أَخَذْتُهَا

(ب) الشعر الوعظي التربوي

ظهر مع الحركة الشعرية بوادي مزاب، صنف مستقل يمكن تسميته بالشعر الوعظي التربوي ذا وظيفة تربوية محضة، موجه إلى الناشئة والعامة من الناس مثله مثل الوعظ الديني الأخلاقي الذي يتولاه الأئمة ورجال الدين. إن ما يفسر ظهور هذا الصنف من الشعر، بالإضافة إلى الطابع الديني المتجذر في المجتمع المزابي الإباضي، هو كون الشاعران عبد الوهاب حمو فخار وصالح ترشين تكوّنا وترعرعا في حضان المدارس الدينية الإباضية في بيئته دينية صارمة، تقاوم مظاهر العصرنة الغربية بكل شراسة وتعتبرها مصدرا للانحلال وبالتالي لفناء وزوال الحضارة المزابية. كما يمكن تفسير هذا التوجه بمحاولة الشعارين استجلاب الأوساط الدينية المعربة التي طالما كانت لها مواقف متشككة وحتى مشنجة من القضية الأمازيغية ومن مسيرة إحياء اللغة المزابية التي رؤوا فيها غالبا محاولة لخلق "ضرة" للغة العربية المقدسة مصدر مشروعيتهم.

ويشتهر الشاعر صالح ترشين بشكل أكثر وضوحا وجزما بهذا الصنف من الشعر حتى أن أغلب شعره المتضمن ديوانه *ul-inu* "قلبي" ذا مسحه وعظيه تربوية أخلاقية مسيطرة، إذ لا تخلو حتى قصائده التي تعالج مختلف المواضيع الاجتماعية التاريخية الثقافية عن الخطاب الوعظي التربوي حتى ليتخيل إليك انك تسمع لرجل دين يلقي خطبة وعظيه دينية بأسلوب شعري وجمالي. هذه الميزة تنتقي من شعر عبد الوهاب فخار مع أنه خصص مسرحيته الشعرية المتضمنة في ديوانه الثالث *taydert n weylan* "سنبلة مزاب" لتبليغ جملة من المواعظ التربوية والأخلاقية للفتاة المزابية، ليصنع منها الأم الصالحة التي يتصورها لبناء أسرة مزابية في إطار القيم والأعراف. والملاحظ بالفعل أن الشعر التربوي الوعظي للشاعرين موجه في عمومته إلى المرأة المزابية فتاة وأما، خوفا منها من أي انحراف عن المنظومة القيمية الأخلاقية السائدة في المجتمع المزابي بحكم التحولات الحضارية التي فرضتها العصرنة التي أصبحت تهدد النظام التربوي الاجتماعي التقليدي.

وينتقد الشاعر صالح ترشين في قصيدته *ahuli yessawal* "الملاءة المزابية تتكلم" وهي أول قصيدة من حيث الترتيب في ديوانه *ul-inu* "قلبي"، بعض المستجدات التي ظهرت في لباس بعض الفتيات المزابيات اللاتي يحاولن الجمع بين الحائك التقليدي وبعض مظاهر التزين العصرية الوافدة، قائلا :

مسكين أنا، انظروا إلي، لقد أصبحت غريبة الزمان...
Taleqqi-kw xezret yiri
Dewley-d ya d ayrib n zzman...

*S ayen tercast tesbiddir
Tmeħla jar irğazen
Mea-s asrawil ajeḍrar
D tzewwat s ibilbilen*

بذلك الحذاء (العالى) تشرئب وتتهادى بين الرجال...
ومعه السروال الطويل والمروحة ذات الخيوط

كما ينفرد نفس الشاعر بدفاعه المستميت في أغلب شعره عن نموذج المرأة المزابية التقليدية وتمجيده له بكل أريحية باعتباره النموذج المثالي المرجعي والقوة العليا. متصورا أن النموذج القدوة يجب أن يكمن في تلك المرأة القابعة في البيت التي تشتغل في المنسج الصوفي لتصنع الزرابي والألبسة لأولادها، في بيئة عائلية قائمة على الصرامة الدينية وتقديس التقاليد والأعراف بعيدا عن كل مظاهر العصرنة، حيث يقول في قصيدة *mamma d yelli-s* "الأم وابنتها" ناصحا الأم أن تكون قدوة لأبنتها:

*Tanjimt n idmamma d tenni
issejman*

..الأم النجبة هي تلك التي تنشى،

Memmi-s d yelli-s i tlazit d fad

ابنها وابنتها (على تحمّل) للجوع والعطش

Teğğ-as tnacra dduft-s d almad

وجعلت لابنتها "تناشرا"¹ والصوف للتعلم...

وفي نفس الاتجاه تعتبر المسرحية الشعرية التربوية *taydert n weylan* "سنبلة مزاب" للشاعر عبد الوهاب حمو فخار التي نظمها لطالبات مدرسة الإصلاح الدينية للبنات، وتم تأديتها بنفس المدرسة من طرف الطالبات؛ بمثابة قانون تربوي للسيرة المستقيمة التي ينبغي -حسبه- أن تكون عليها الفتاة المزابية المرتبطة بدينها ولغتها وتقاليدها. حيث جاء في قصيدة *tamella n twelait* "جمال الفتاة" التي تؤدى جماعيا في المسرحية :

Tawelet tamella-s tjemmu s tyawsa-s

جمال الفتاة ينمو بأفعالها الحسنة

Dyiles-s ambarec yif-as uzlan-s....

واللسان المبارك أفضل من حليه...

D tanjimt s ad tilid ass-nni a yelli

تكونين جدية يا ابنتي، في ذلك اليوم

Tawsest ad teqqes ad tezwa fiman-s

يزول العسر ويذهب وينجلي

¹ وهي مجموعة الملابس والافرشة الشتوية، تطوى بعناية وترتبط بعد غسلها كشكل كومة وتحفظ في مكان آمن للشتاء القادم.

ثانيا: الشعر المناسباتي وشعر الطبيعة والغربة والغزل:

يتمحور الشعر المزابي المناسباتي الحديث حول مواضيع المدح والثناء وتخليد الأحداث (أ) بينما كان شعر الطبيعة أكثر تداولاً من شعر الغربة والغزل (ب).

أ) الشعر المناسباتي:

1. المدح والثناء : بالإضافة إلى الخطاب الوعظي التربوي يغلب على شعر صالح ترشين

موضوع المدح والتمجيد لكل ما يتصل بالتراث من عادات وتقاليده ونمط عيش -كما رأينا- حتى أنه يمكن تصنيف أغلب شعره في خانة المدح. فقد مدح مظاهر الحياة التقليدية (العريس والعروس المزابية، التعليم الإصلاحي) ومدح وادي مزاب ومدينة غرداية، إلخ. ويقول مثلاً في مدح العروس المزابية في قصيدة "taslet-nney عروسنا" :

*Aytebha taslet-nney,
d yur ammas n yitran
A Yuc, err yef-s titṭawin,
tuced-as azeim n imucan*

ما أجملها عروسنا، (كأنها) بدر وسط النجوم
ادفع عنها يارب، عيون الأشرار،
وهب لها احسن مأوى

كما كرّس صالح ترشين قصيدة طويلة في مدح الشاعر المزابي باللغة العربية سليمان بن عمر دواق والتذكير بمسيرته في الشعر العربي والتربية والتدريس، أُلقيت في حفل نظم له في ذكرى مرور ثلاثين سنة في التدريس بعنوان "عمّ سليمان". هذه القصيدة المزابية تم نشرها كأول سابقة في ديوان الشعر العربي للشاعر سليمان بن عمر دواق الموسوم "في دائرة الطباشور"¹. بالمقابل لا نجد إلا قصيدتين للشاعر عبد الوهاب حمو فخار خصصهما لمدح شيخين من مشايخ الإباضية المزابيين وهما الشيخ أطفيش محمد بن الحاج يوسف، والشيخ إبراهيم بيوض زعيم الحركة الإصلاحية الإباضية.

بينما لم يجد موضوع الرثاء إلا حيزاً ضيقاً في الشعر المزابي الحديث. ويتعلق الأمر برثاء بعض المشايخ الإباضية الكبار. من أمثلة ذلك رثاء الشاعر عبد الوهاب حمو فخار للشيخ عدون سليمان أحد مشايخ مدينة غرداية الإصلاحيين في قصيدة ألقاها في حفل تأبينه سنة 1980 جاء فيها:

¹ سليمان بن عمر دواق، في دائرة الطباشور، (د.ن.)، غرداية، 2010، ص. 229 إلى 233.

*Ctaye n ass-u, yeḡwa-yaney iggen
Si tarwa n lmedrset,
imezwar-n sen
Wuni d daddi-kw Sliman eeddun
Lxir-s yesbeq, gaε midden snen*

ها هو اليوم رجل عنا، احد أبناء المدرسة الأوائل
هو شيخنا سليمان عدون سبق خيره كل الناس

ورثي الشاعر صالح ترشين بقصيدة طويلة الشيخ محمد بابانو احد مشايخ بني يزقن ورئيس مجلس آمي سعيد الفقهي الكونفدرالي المتوفي سنة 1988 والذي ساهم مساهمة فعالة في الحياة الدينية وكان من الأوائل في إحياء هذا المجلس الفقهي بعد ركود استمر لعقود. ومما جاء في هذه القصيدة بعنوان itri-nney yunu "نجمنا أفل":

Itri-nney yunu	ssulsen ijenwan	وأظلمت السماء	أفل نجمنا
A Yuc ameqran,	ṛhem wenni izwan	ارحم هذا الذي رجل	يارب العظيم
"baba muḡhemmed"	acrus n iyerma n	جامع المدن (المزابية)	"بابا محمد"

2. تخليد المآثر والأحداث: كان للشاعر عبد الوهاب حمو فخار السبق والريادية في تخليد

بعض الأحداث التاريخية التي عرفها وادي مزاب منذ بداية الثمانينيات بواسطة قصائد شعر باللغة المزابية أخذت صيتا واسعا في الأوساط الشعبية. ففي بداية الثمانينيات نظم قصيدته xsey ad sney, lac ul iwiḡey "أريد أن أفهم لكني لم أستطع". وإن كان أصل هذه القصيدة رثاء للشيخ الحاج بابكر إثر وفاته¹ كما ذكر الشاعر، إلا أن في مضمونها عرض للجدل الذي كان على أشده بين التيار الإباضي المحافظ والتيار الإباضي الإصلاحي، بحيث يعبر الشاعر المنتمي إلى التيار الثاني عن موقفه عن الأحداث ورأيه الفلسفي حول إشكالية المحافظة والتجديد؛ كما يخلد الشاعر حادثة إنشاء مجلس إعزابن الإصلاحي بمدينة غرداية إلى جانب مجلس إعزابن للمحافظين الإباضيين، مبررا ذلك بالتهميش الذي عانى منه رجال الدين الإصلاحيين، حيث يقول:

necci mēa ssirat, necci mēa leadat

أنا مع السيرة الاباضية، أنا مع العادات

¹ ألقى الشاعر عبد الوهاب حمو فخار هذه القصيدة في المهرجان الثقافي السادس لجمعية الإصلاح بغرداية في 20 جويلية 1983.

necci meā wayen yeṣṣawad ljenet

أنا مع كل ما يوصل إلى الجنة

mbeṣṣeḥ tabejna -kw terzem ul teqqin

لكن رأسي مفتوح غير مغلق (متفتح الفكر)

وقبل ذلك سنة 1981 نظم نفس الشاعر قصيدة خُلدَ فيها رحلة قام بها عمال مركب الحديد بغرداية أين كان يعمل، كما خُلدَ بقصيدة *tarwa n liṣlah* "أبناء الإصلاح" سنة 1983 حفل زفاف جماعي لثلاثة عشر عريسا من سبعة عشائر. غير أن أهم قصيدة باللغة المزابية أرخت لأحد الأحداث الهامة في تاريخ المزابيين ووادي مزاب هي رائعته *imeṭṭawen izeggwayen* "الدموع الحمراء" التي نشرها سنة 1990 في فترة الانفتاح الديمقراطي. ففي هذه القصيدة التي يتجاوز عدد أبياتها المائة يعرض الشاعر أحوال المزابيين إثر أحداث جوان 1985¹، واصفا بمرارة وامتعاض الظلم الذي لحق المزابيين في هذه الفتنة، ومنقدا في آن واحد الاختلالات والنقائص التي يعاني منها المجتمع المزابي آنذاك، مثل التفاوت بين الأجيال وعدم إدراك الأمور على حقيقتها واستخلاص العبر من هذه المحنة، هذا مقطع منها:

Texsem ad ṣṣey , smani ad ṣṣey?

تريدون أن اضحك من أين لي أن اضحك؟

D werkas n tfawin a tawwat
ayetli-kw

ورقص النيران يا إخوتي مالي

Yedwel-d d tnuba(....)

أصبح مباحا(....)

D tecṛumin yad nyen ssej-ney
tamurt-u D necnin
nettuba

الأنفس التي يقتلون من عندنا، في هذه الأرض

نحن الذين نتوب

أما الشاعر صالح ترشين فقد اكتفى بتاريخ قصائده في الترجمة العربية لديوانه *ul-inu* "قلبي"، بحيث نجد أنها نظمت في الفترة ما بين 1982 و 1990؛ بينما لم يهتم للأسف، مثلما فعل الشاعر عبد الوهاب حمو فخار، بتوثيق السياق التاريخي لكل قصيدة. فصارت الكثير من أشعاره المشفرة التي نظمها حول بعض الوقائع والأحداث في عصره، مبهمة لا يمكن فهمها إلا بالبحث الاستقصائي التاريخي مع

¹ في هذه الأحداث التي وقعت بسبب خلاف حول أرض بين مزابيين وعرب، تم اغتيال أحد الفلاحين المزابيين في واحته والتمثيل بجثته، تبعه الاعتداء على المزابيين وحرق ونهب مئات المحلات التابعة لهم من طرف العرب الشعابنة اثر دعوة أحد أئمة العرب المالكية من على المنبر للجهاد ضد الإباضية في شهر رمضان.

الشاعر نفسه ، كما حاولنا فعله. فمثلا في قصيدة *itri-nney yunu* "لقد أفل نجمنا" يرثي الشاعر احد علماء الدين المتوفين ويسميه 'ابا محمد' ولم نستطع معرفة هذا الشخص إلا بعد الرجوع للشاعر¹، كما التقينا في مدونه الشاعر العديد من الأبيات المشفرة التي لا يمكن فهمها إلا بالرجوع إلى سياقها الذي لم يدونه الشاعر. ومع ذلك يمكن أن نستشف من بعض القصائد سياقها التاريخي على وجه التقريب مثل قصيدة *tirceft n Mufdi* "قافلة مفدي زكريا" التي يبدو أنها نظمت في الثمانينيات إثر تنظيم الحركة الجمعوية لمدينة قزارة لقافلة مفدي زكريا شاعر الثورة التحريرية ذا الأصل المزابي، عبر الوطن وانتهت بمدينة قزارة حيث يقول الشاعر:

<i>Legraṛa tesni</i>	<i>tali l ijenwan</i>	تحتل القزارة بحلي جميل	فارتفعت للسماوات
<i>Imekras beccen</i>	<i>ffyen l izuyar</i>	تحزّم الشباب	خرجوا إلى الصحاري
<i>Dewlen yel tecli</i>	<i>ticli n imezwar</i>	رجعوا إلى السيرة	سيرة الأوائل

ب) شعر الغربة والطبيعة والغزل:

لم يُعطَ موضوع الغربة الاهتمام الكافي في مدونة الشاعرين موضوع الدراسة (1)؛ أما موضوع الطبيعة فيحتل حيزا معتبرا في الشعر المزابي الحديث مقارنة بالمواضيع الأخرى (2)؛ بينما غاب شعر الغزل بصفة شبه كلية ولا يزال بسبب الصرامة الدينية والتحریم الاجتماعي (3).

1. شعر الغربة: من المعروف عن المجتمع المزابي أنه مجتمع تاجر يشتغل قسم كبير منه في

التجارة في مختلف المدن الجزائرية منذ قرون. فقد بدء المزابيون في الإغتراب إلى مدن الشمال منذ القرن 17 م بعد أن أدركوا استحالة الاعتماد على الفلاحة لبناء حضارتهم بسبب شح الأرض والجفاف. وبازدياد حدة الغربة إلى مدن الشمال، عرف المجتمع المزابي مآسي لا زالت ترسم في الذاكرة الجماعية يفترض أن تكون مصدر إلهام الشعراء لإنتاج أفضل الأشعار. غير أن المفارقة التي وقفنا عليها هو الندرة الكبيرة لموضوع الغربة في الشعر المزابي الحديث حتى أننا لا نكاد نعثر على أي قصيدة في هذا الشأن في مدونة الشاعر صالح ترشين، بينما خصص الشاعر عبد الوهاب حمو فخار قصيدة طويلة في الموضوع اكتسبت

(¹) لقاء مع الشاعر صالح ترشين، بني يزقن، 22 افريل 2016.

شهرة كبيرة في الثمانينيات بعد إنتاجها في شريط كاسيت من طرف الشاعر. وقد يزول العجب عندما ندرك أن كلا الشاعرين نشأ وترعرا وعاشا أغلب حياتهما في وادي مزاب، و لم يعرفا من الغربة في حياتهما إلا القدر اليسير جدا، فلم يذوقا مرارتها وقساوتها ولم تلفحهم نارها لينطقوا شعرا حول معاناة الفراق وآلامه.

وأهم ما يعرف من الشعر الحديث في الغربة هي قصيدة *a yewwa,lyurbet tuεer* "يا أخي الغربة قاسية جدا" للشاعر شيخ سليمان باشعادل التي غنيت باللحن القبائلي المقتبس من المغني آكلي يحياتن، فذاع صيتها في الستينيات من القرن العشرين. وفيها يصف الشاعر معاناة الغربة وقسوتها، ونصائح للمغتربين بالمحافظة على الهوية المزابية مهما غابوا وابتعدوا في بلاد الناس. أما القصيدة الثانية للشاعر عبد الوهاب حمو فخار حول الغربة فنظمها سنة 1978 وهي بعنوان *taleqqi-s wuni sell-as yetnehhhet* "مسكين هذا الشخص، إسمع له يتأوه". وفيها يصف محنة هذا المغترب المزابي الذي انقطع عن أهله ووطنه عقودا من الزمن، وأفنى عمره في فرنسا، لكنه في لحظة وعي وندم حرّكه ضميره بفعل ما بقي في شخصيته من التربية الدينية والوعي والارتباط القومي، ليقرر العودة في آخر مسار حياته إلى الأرض والوطن والأهل وفق حتمية العودة إلى الأصل. ويقول الشاعر موضحا خلفية هذه القصيدة: >> تألمت كثيرا لحال هؤلاء الغرياء البعيدين عن واقع وطنهم منهم من لم يدخل الجزائر منذ عشرات السنين حتى أصبحت صورتهم وجددتهم على شكل أوروبي...<<¹

وفي هذه القصيدة الشهيرة يتتبع الشاعر مسار حياة هذا المغترب: من الطفولة الشقية بسبب فراق الوالدين، إلى الضياع والمعاناة في الحياة الباريسية وصعوبة العودة وإرهاصات، وأخيرا نداء الضمير ومفعول التنشئة الاجتماعية التي دفعته إلى الرجوع الصعب إلى المنبع والوطن. هذا مقطع منها:

Taleqqi wuni sell-as yetnehhhet

مسكين هذا، اسمعه ينتهت

Ticli n iyyaren yebeed fat εemmi-s

مسيرة شهور وهو بعيد عن مجتمعه

Yerwel l tmuṛa, netta yi n ilan

فرّ الى خارج البلاد، وعمره لا يتجاوز بعض السنوات

Izeyyer-t zman al ad yerṛez iri-s

أطبق عليه الزمان، حتى انكسر قفاه

2. شعر الطبيعة والغزل: أبدع الشعر المزابي الحديث في وصف الطبيعة الواحاتية الجذابة لوادي

¹ عبد الوهاب حمو فخار، امطاون ن لفرح، مرجع سابق، ص. 51.

مزاب بحيث نظم الشاعران أجمل الأشعار حول واحات النخيل الفيحاء، والتحبیب فيها والحث على خدمتها والمحافظة عليها باعتبارها تراثا فلاحيا تركه المزابيون الأوائل الذين بذلوا النفس والنفیس لتحويل الصحراء الجرداء إلى واحات خضراء عامرة. فقد نظم عبد الوهاب حمو فخار ثلاث قصائد في الطبيعة بداية السبعينيات، بينما نظم صالح ترشين أربع قصائد في الثمانينيات تم تلحين بعضها من طرف المجموعات الصوتية الإنشادية وغنائها في الأعراس لتأخذ صیتا شعبيا واسعا في وادي مزاب. وتقول أولى قصائد الشاعر عبد الوهاب حمو فخار في التغني بالطبيعة المزابية الخلابة سنة 1973 بعنوان yur azɣar n uyerm "القمر خارج المدينة":

Awissen teffeyed s temdint
Değğid ttebed lwidan

هل خرجت يا ترى من المدينة

في الليل وسرت الوديان

Tijured f ddu n uyur
Jar Ttuzuz d Bucemjan
Ammas n lexla teqqimed Tettid
lehmum n zman

ومشيت على ضوء القمر بين توزوز وبوشمجان

وجلست في الصحراء فنسيت هموم الدنيا

ويفصف نفس الشاعر في قصيدته a yewwa ebha,lkun ad yezεem "أخي كن جميلا يكن لك الكون جميلا" سنة 1976، روائع الواحات الغرداوية وجمالها قائلا:

Ijur ybecca mεa lefjer
Fuḥ lyasmin, lwerd d zzher
Sell aseggurret, fuḥ nnesmet
zall rrekεet, ul-č tehher

سر في الفجر باكرا تنشق الياسمين والورد والزهر

استمع صوت الحمام لستتشق النسما

وصلني الركعات، وطهر قلبك

ifrah aḡelf tsewskiwen
ijra aman sgurruten

العصافير تزقزق في أوكارها والضفادع تقلق...

ولعل أروع ما نظم حول الطبيعة الصحراوية المزابية هي قصيدة tajemmi yiru "الواحة قبل الفجر" للشاعر صالح ترشين التي تم تلحينها وأدائها من طرف مختلف الفرق الصوتية الإنشادية التي تحيي حفلات الأعراس بوادي مزاب، كما تم بثها بواسطة الأشرطة المسجلة حتى اكتسبت شهرة واسعة في الأوساط الشعبية لتعبيرها عن الواحات المزابية الخلابة. ويصور الشاعر في هذه القصيدة ملحمة الفلاح المزابي مع الأرض وجهاده لخدمتها وارتباطه بها، ويصف في نفس الوقت جمال هذه الواحات ويتحسس النسما التي تهب على النخلة والمياه العذبة التي يجذبها الفلاح من البئر، إلخ. هذا مقطع منها:

Xzer akerraz-nni انظر إلى ذلك الفلاح قلبه مغروس في تلك الواحة...

Ul yenkel tajemmi-nni....

Xzer-t yeğğur taziri

انظر إليه يمشي على ضوء القمر

Yesčewčiw i ayen itran

يتهامس مع تلك النجوم ...

Adu d azdad, Yiwi-d şemmed

ريح رقيقة أتت بالبرودة المنعشة

Yeskel tufert N lalla tazdayt

مسح شعر السيدة النخلة

yerjiji ul-s, tessiwel tuffa-s

ارتعش قلبها فتكلمت السعفة

وفي قصيدة *tazdayt* "النخلة" يدعو الشاعر الشباب المزابي الذي بدء في الانغماس في الرفاهية العصرية البعيدة عن النمط الفلاحي التقليدي، إلى العودة إلى خدمة النخلة، قائلا:

Dwel ali akercuc

عُد(الى النخلة)وتسلق جذعها تحمّل قليلا من وخز اشواكها

hmel bessi tadriwin

car baju dessat sacu

املئ خزان التمر بعد ملئ حاضنة الاطفال

eğğ tayetti i turmizın

واحذر (خذ احتياطك) أيام القحط

وأخيرا لا يمكن الحديث عن وجود شعر الغزل كغرض مستقل من أغراض الشعر المزابي لاعتباره من الممنوعات في المجتمع المزابي، بسبب التحريم الديني والاجتماعي الذي جعل من التغزل بالمرأة وجمالها مرادفا للخدش بالحياء العام السائد في منظومة التربية المزابية الصارمة. غير أن الغزل ليس غائبا تماما من الشعر المزابي الحديث ووجوده غالبا ما يكون عرضيا عند تناول مواضيع أخرى حول المرأة، مع حرص الشاعر أن يغلفه بالحياء، بمعنى أنه ليس بغزل مباشر بمحاسن المرأة الحسية والجسمانية بقدر ما هو إشادة بالمكارم الأخلاقية والبهاء الروحي الذي يترتب عنها. ونستشف ذلك مثلا في هذا المقطع من قصيدة *lalla n teslatin* "سيدة العرائس" للشاعر صالح ترشين أين يمدح العروس المزابية قائلا:

A lalla n teslatin

ياسيدة العرائس

I ssinjlen s ddin

التي تكحلت بالدين

وفي أسلوب مماثل في قصيدة *xsey-am a yelli* "أريدك يا ابنتي" لنفس الشاعر، يتمنى الأب من ابنته أن تكون جميلة وبهية كالقمر، بل ينبغي أن تغلب حتى نور الشمس وتجلب غيرة الحاسدات، قائلا:

Xsey-am ayelli, s tifawt-nnem

أريدك يا ابنتي، بضيائك

Ad ternid yur, d tfuyt d wusman

تفوقين البدر، وحتى الشمس والبرق

Xsey-am a yelli, s tmella-nnem

أريدك يا ابنتي، بجمالك

Ad tesherrced tismin n tunsir'in

تثيرين غيرة (النساء) المحظوظات

خاتمة المبحث الثاني

أدت نهضة الشعر المزابي الحديث وتوسع اغراضه الى تعزيز اللغة المزابية و ارتقاؤها إلى لغة أدبية وبثها الواسع من خلال الأغنية والأنشودة المزابية والوسائط الإعلامية المعاصرة. وكان من نتيجة ذلك ان تدعمت مكانتها الاجتماعية والرمزية في تمثلات الناطقين بها ومواقفهم تجاه لغتهم. فبفضل الشعر المزابي تبلور بالإضافة إلى لغة التواصل اليومي، مستوى لغوي راقى للغة المزابية، بات لغة للإبداع الشعري والأدبي تستخدم في خطاب الفئة المثقفة والنخب المزابية. وبفضل اتساع أغراض وميادين الشعر المزابي الحديث على يد الشاعرين عبد الوهاب حمو فخار وصالح ترشين، إقتحمت اللغة المزابية ميادين كثيرة لتعبر عن اهتمامات المجتمع وقضايا العصر، وياتت بذلك إلى جانب اللغة العربية الفصحى وسيلة للتعبير عن الأنا الجمعي.

فعلى المستوى اللساني انعكس تطور الشعر المزابي على اللغة المزابية بتجديد رصيدها اللفظي والتعبيري القديم وبعثته في ثوب جديد. فأعطاهما بذلك نفسا جديدا و دعمها بأدب راقى يتذوقه الناطقون باللغة المزابية، لما يحتويه من مضامين حديثة تعبر عن انشغالات العصر وقضايا المجتمع المزابي الاجتماعية والثقافية والسياسية. وعلى المستوى السوسيو-لساني فإن توسع أغراض الشعر المزابي ونشره وبثه الإعلامي أدى الى اكتسابه لجمهور واسع من المحبين المتذوقين لروائع تعابيره وألفاظه سواء من الرجال أو النساء. وبذلك أدرك المزابيون مدى قدرة لغتهم في التعبير عن آمالهم وآلامهم وما يكمن فيها من عناصر الإبداع والجمال.

وفي المحصلة سقطت التمثلات التي طالما رسخت في الوعي الجمعي للمزابيين بالقدرات الأسطورية الحصرية للغة العربية الفصحى بكونها -الوحيدة- لغة جميلة ومتفوقة، ولغة الدين والشعر والكتابة والعلم، مقابل "اللهجة" المزابية الشفوية كلام النسوة والدهماء من العوام، والعاجزة عن إنتاج أدب راقى بمستوى

الأدب العربي. هذا الانقلاب المفاهيمي الذي لاحظناه وشاهدناه في الواقع المزابي، جعل من معرفة اللغة المزابية وألفاظها القديمة وتعابيرها وأمثالها البديعة سمة من سمات المعرفة والعلم وداع للافتخار والتميز الاجتماعي، بل اكتشفت النخب المزابية المعربة أن اللغة المزابية أكثر فعالية من اللغة العربية الفصحى في التواصل مع الأطياف الواسعة للمجتمع المزابي، بل أنها -كلغة الأم- أقرب إلى مشاعرهم وذواتهم وأسهل للتعبير عن ما يختلج في صدورهم، باعتبارها >> مجالاً أكثر حرية للتعبير منه باللغة العربية التي باتت تعاني من التخمة بسبب كثرة الازدحام عليها<<¹.

خاتمة الفصل الثاني

حاولنا خلال هذا الفصل إختبار مدى أهمية الشعر المزابي بعد اقتحام المجال الأدبي الراقى، في التخفيف من الازدواجية اللغوية التفاضلية التي كانت تحتكر فيه اللغة "العليا" (العربية الفصحى) المجال الديني والأدبي والإنشادي والرسمي والعلمي، مقابل اللغة "السفلى" (المزابية) التي بقيت منحصرة في الاستعمالات اليومية الضيقة. وبينما من خلال استعراض وقائع التاريخ الثقافي للجماعة المزابية كيف استطاع الشعر المزابي أن يكون القاطرة التي تدفع بتطوير اللغة المزابية وتدعم حيويتها واستمراريتها. فعلى المستوى السوسيو-لساني لاحظنا كيف ارتبطت حركية إحياء اللغة المزابية وتطويرها والنضال من أجلها بوادي مزاب، دوماً بحركة تطوير الشعر المزابي ونشره من خلال الوسائط الإعلامية التقليدية والعصرية؛ وعلى المستوى اللساني المحض، بيّنا كيف أفضت جهود الشعراء إلى تحرير اللغة المزابية من جمودها الإتفاقي وتوسيع نطاقها إلى الفضاء الإبداعي الواسع، طالما أن الشعر، كما يقول بحق الشاعر المصري وليد علاء الدين:

>> يسعى إلى تخليص المفردة من أسرها القاتل، وإطلاق أسر العقول ممّا اعتادت عليه من استقبال للمحنط من الأفكار والكلمات، هنا يصبح الشعر لغة من لا لغة له، لأنه لا يضطرهم إلى الكتالوج الذي يمجد البشر في يومهم العادي، إنما يقول لهم امرحوا في هذا الحقل الواسع وافهموا وقوموا بالتأويل تعودوا من هناك بشرا مختلفين<<².

¹ لقاء مع الشاعر المغني داودي عمر، بني يزقن يوم 05 أبريل 2015.

² وليد علاء الدين، "الشعر صانع اللغة"، صحيفة العرب، العدد 23، 10343/07/2016، ص16. الموقع

[alarab.co.uk]

بالفعل أدى توسع أغراض وميادين الشعر المزابي، وإحياء رصيدها اللفظي القديم، إلى تطويع عجينة اللغة المزابية ليصنع بها كل ما طاب من المواضيع والأغراض، في أسلوب بديع كأن صاحبه يحاول إثبات الإعجاز البياني والقدرات اللسانية التعبيرية والفنية للغة المزابية أمام ناطقيها.

وحتى قبل نهضة الشعر المزابي الحديث وفي فترة ضعفه وخموده وانكماشه في الأهازيج النسوية الغنائية، فقد بقي كسمة للهوية المزابية إلى جانب السمات الثقافية الأخرى المعبرة عن البعد الامازيغي للهوية المزابية مثل اللباس المزابي والزربية المزابية والعادات والتقاليد والاعتقادات والتراث المادي واللامادي، الخ. وفي تصورنا كانت تمثل الأهازيج الامازيغية شكلا من أشكال مقاومة هيمنة اللغة العربية على المجال الأدبي والتعبير الفني الراقي، في إطار ثنائية الثقافة العالمية - الثقافة الشعبية culture populaire-savant. هذه الأخيرة تتمثل في المجتمع المزابي في ثنائية فئوية بين النخبة الدينية المعربة من الرجال وما يرتبط بذلك من رمزية النبل والسلطة والهيمنة من جهة، والنساء والعامية الغير متمكنة من العربية من أحاديي اللغة الامازيغية والذين اعتبروا "جهلة" ودهماء من جهة أخرى. ولا أدل على ذلك أن الأهازيج المزابية ما لبثت أن شكلت خميرة لنهضة شعرية ارتبطت بإحياء اللغة المزابية وترقيتها منذ أواسط القرن العشرين، ليتطور بشكل ملحوظ في أواخر القرن بالتزامن مع الاهتمام الوطني بالبعد الامازيغي للهوية الوطنية وترقية اللغة المزابية إلى لغة الإعلام السمعي البصري الرسمي.

وساعدت عدة عوامل الشعر المزابي الحديث على هذا الازدهار والانتشار، لاسيما وسائط البث الإعلامي الحديث، وتطور الإنشاد والأغنية المزابية في خضم تطور الأغنية الامازيغية على المستوى الوطني، بالإضافة الى الحاجة الاجتماعية إلى الشعر المزابي كفضاء أدبي للتعبير الحميمي الحر باللغة الأم عن هموم وضمير المجتمع المزابي.

وقد بين استبياننا كيف أن 98 ٪ من المستجيبين صرحوا أنهم يشعرون بالفخر والاعتزاز عند سماعهم للشعر المزابي أو لأغنية باللغة المزابية، في إجاباتهم عن سؤال عما تشعر به عند سماع الشعر المزابي الملقى أو المنشد أو المغنى (السؤال رقم 5-2). مقابل 2 ٪ لم يبدو رغبتهم في ذلك (الشكل 11). وأغلب المتحفظين على بث الأغاني المزابية في وسائل الإعلام يشترطون أن يكون ذلك طبقا للسلوك الأخلاقي "الإسلامي المحتشم" أو أنهم يفضلون "الإنشاد الإسلامي"، بمعنى ان التحفظ لا يتعلق باللغة المستعملة وإنما بمحتوى الغناء وشكله الذي ينبغي ان لا يتعارض مع الاخلاق والحياء. وعن سبب شعور الأغلبية بالفخر والاعتزاز عند سماع الشعر والغناء المزابي جاءت إجاباتهم تعبر عن ثلاث تمثلات:

- لأنه يشعروهم بالثقة في لغتهم(الأمن اللغوي): >> أحس به بكل جوارحي، لأنه يعبر عن لغتي>> (طالبة، 25 سنة، بريان)، ولأني >> أشعر بالاطمئنان لأصالة لغتنا وجمالها>> (طالب، 22 سنة، آت مليشت)، و>> لشعوري بوجود فن راقى باللغة المزابية يعبر عن حياتنا الخاصة بنا كمزابيين>> (طالبة، 26 سنة، آت ازدجن).
- لأن ذلك يثبت أن اللغة المزابية أدب وشعر وفن راقى كغيرها من اللغات الامازيغية: >> لأني أشعر أن لغتي هي لغة الفن والإبداع>> (طالبة/22 سنة، قرارة) و>> لان بني مزاب استطاعوا اقتحام المجال الفني مثل القبائل>> (طالب، 28 سنة، تغردايت) و>> لان هذا يثبت أن لدينا فن نقدمه كما هو في منطقة القبائل>> (طالب، 24 سنة، تادجنيث).
- لان اللغة المزابية وأدبها وفنها خرجت إلى الفضاء العام والإذاعة والتلفزيون: >>أشعر بفرحة تغمرني لدخوله[الشعر والأغنية] في وسائل الإعلام>> (طالب، 27 سنة، آت بنور)، >> لأننا قليلا ما نسمع في الإذاعة والتلفاز الشعر والأغاني المزابية>> (طالبة، 28، قرارة).

وتدل هذه الخطابات على أهمية الشعر المزابي المكتوب والغنائي وبثه الإعلامي الواسع في تقوية الشعور بالأمن اللغوي لدى الناطقين المزابيين وبالتالي تقوية حيوية اللغة المزابية. فمن الناحية اللسانية تعتبر اللغة كائنا اجتماعيا يتأثر بمجموعة كبيرة من العوامل من ضمنها الأدب والشعر، بحيث يؤثر كبار الشعراء والأدباء والكتاب والخطباء، مثلما هو حال الشعراء المزابيين، في حياة اللغة بما ينتجونه من صيغ وتراكيب أسلوبية فردية سرعان ما يتقبلها المجتمع لتصبح من العرف اللغوي ثم جزءا لا يتجزأ من رصيدها اللغوي¹ ومن الناحية السوسيو-لسانية، لم تعد اللغة المزابية، مع ازدهار الشعر المزابي، تقتصر على "المستوى الشعبي" populaire/familière langue كلغة سوقية لعامة الشعب ولغة التواصل اليومي الضروري بين الأفراد فحسب، وإنما تعدت ذلك إلى "مستوى اللغة العارفة أو المدعمة" langue cultivée/soutenue لتكون -مثلها مثل اللغة العربية الفصحى والفرنسية- لغة الشعر والفضاء الأدبي والفني الراقى التي تنتجها النخبة المثقفة، وأكثر من ذلك لغة تواصل شعري وفني للنخبة مع الأطياف الواسعة من المجتمع. بمعنى أن اللغة المزابية انتقلت من الوظيفة التواصلية الخالصة إلى الوظيفة

¹ د. صفوت علي صالح، محاضرات في علم اللغة، مرجع سابق، ص. 106.

الشعرية الفنية مثلما يحددها رومان جاكبسون، أي الجانب الجمالي في الرسالة ذاتها.¹ ذلك أن >> صناعة الجمال الإيصالي (هي) أهم وظائف اللغة في اللغة الأدبية² <<. والتطور الأدبي للغة يكسبها مشروعية وقوة رمزية أمام اللغات الأخرى المنافسة لها. إذ كما يؤكد العالم السوسيلوجي بيار بورديو Pierre BOURDIEU فإن "اللغة المشروعة" هي اللغة التي تحوز على رأسمال تعبيرى وأدبي يسمح لها بإنتاج كتب ونحو وقواميس، تنتج بها خطابا أدبيا يمنح للذي يستخدمه سلطة على اللغة وعلى الذين يستعملونها.³

غير انه لا يمكن أن نختم هذا الفصل دون الإشارة إلى تناقص دور الشعر في المجتمعات الامازيغية المعاصرة وتقلص كبير للوظائف الاجتماعية للشاعر مما كان عليه في القديم كناطق بلسان الجماعة لتمتعه بالإلهام الشعري.⁴ ومما أضعف القوة التأثيرية للخطاب الشعري على السوق اللغوية اكتساح اللغات الأخرى للمجال الثقافي والفني المعاصر مدعمة بالوسائل التكنولوجية المتطورة التي احتلت مجالا زمنيا معتبرا للأفراد خاصة من فئة الشباب. وعليه بات من الضروري تدريس الشعر المزابي في مختلف مستويات التعليم الأساسي والثانوي، إن على مستوى التعليم الحر أو الخاص أو العام، كمادة مساعدة لاكتساب الكفاءة اللغوية.

¹ نفس المرجع، ص.31.

² خليل مزهر الغالبي، وظيفة اللغة في الإيصال الأدبي، أوت 2012.

[<http://www.laghoo.com/2012/08>]

³) Pierre BOURDIEU, *Ce que parler veut dire, L'économie des échanges linguistiques*, op.cit., pp. 46,47.

⁴) Abdellah BOUNFOUR, *Introduction à la littérature berbère*, p.45.

الخاتمة

بدراستنا للوضع السوسيو-لساني للغة المزابية بناء على تحليل مختلف العوامل الاجتماعية التاريخية اللغوية التسعة لمنظمة اليونسكو لاختبار درجة حيوية اللغات، مدعما بالبحث الميداني للتمثلات والسلوكيات اللغوية للناطقين المزابيين؛ حاولنا تحديد وتشخيص كل من مؤشرات الضعف ومؤشرات القوة في الوضع السوسيو-لساني للغة المزابية، ثم تقييم الدور المحوري الذي يلعبه الشعر المزابي إزلوان في بعث حركية إحياء وترقية اللغة المزابية، وفي دعمها اللغوي اللفظي والتعبيري الأدبي.

وللموازنة بين الفرضيتين التي تقوم عليهما الأطروحة، أي هل اللغة المزابية "مهدة" أو "قابلة للتهديد"، يجب بادئ ذي بدء حوصلة أهم نتائج دراستنا لمؤشرات الضعف والقوة التي تسمح لنا بالتقييم الشامل للوضع السوسيو-لساني للغة المزابية، في الآتي:

أ- مؤشرات الضعف : وتعلق أساسا بدرجة التطور الداخلي للغة المزابية أي بخصائصها اللسانية ووضعها اللغوي وتتمثل في ثلاث:

✓ **تدوين ضعيف جدا إلى منعدم (الدرجة 2)** بسبب عدم تدريس اللغة المزابية في النظام الرسمي والخاص، والاستعمال الغالب للغة العربية الفصحى كلغة مكتوبة ولغة العلم والخطاب الرسمي في المجالات العلمية والأدبية والدينية والرسمية لدى النخب المزابية حتى في السياق المزابي، وعدم خلق الحاجة إلى كتابة اللغة المزابية وقراءتها. إذ نلاحظ انحصار هذه العملية في جانبها الرمزي المحدود بكتابة جمل وشعارات بالرسم التيفيناغي كوسيلة لإثبات الانتماء الأمازيغي. بينما يحضر الشعر المزابي-إزلوان بقوة في شكله الشفوي، بحيث لا يزال أغلب الناطقين بالمزابية يفضلون سماع إزلوان -عوض قراءتها- عن طريق الوسائط السمعية البصرية تبعا للتقليد الشفوي المرتبط باللغة الأمازيغية.

✓ **فقر كبير في المادة البيداغوجية ومواد التدريس (الدرجة 2)**، نتيجة التخلف الكبير إن لم نقل انعدام مسار التنميط والتهيئة اللغوية وتثبيت القاعدة في المجال النحوي والكتابي واللفظي ويرجع ذلك إلى نقص الكفاءات العلمية والأكاديمية والجامعية المتخصصة، والتراجع الكبير لإدراج اللغة المزابية في التعليم الرسمي بوادي مزاب، وعدم إشراك النخب المزابية في جهود الدولة لترقية الأمازيغية من خلال المحافظة السامية للأمازيغية التي صبت جل جهودها في خدمة المتنوعة القبائلية طباعة ونشاطا وتهيئة.

✓ ضعف أصبح يتزايد أكثر فأكثر للغة المزابية على المستوى اللفظي، وذلك بسبب الافراط في ظاهرة الدخيل اللفظي وتداخل الشفرات التي ولدت التصحر اللفظي وضياح مئات الكلمات والتراكيب المزابية الأصيلة واستبدالها بمقابلها في اللغات القوية المهيمنة. ويقابل ذلك نقص في الابتكار اللفظي باللغة المزابية لاحتواء التطور الاقتصادي التكنولوجي والاجتماعي الهائل. هاتين الظاهرتين المسببتين لضعف وموت اللغات أدتا إلى اختراق اللغة المزابية بعدد معتبر من الألفاظ والتراكيب العربية والفرنسية بشكل مفرط أصبح يهدد انسجام بنيتها النحوية واللفظية على المدى البعيد.

وبالرغم من محاولات بعض النخب المناضلة من اجل ترقية اللغة المزابية كشعراء اللغة المزابية والصحافيين والباحثين العصاميين لتعويض هذا الفراغ بابتكارات لفظية ومحاولات لإحياء الرصيد اللفظي المندثر وأحيانا تبني بعض الابتكارات من اللغة القبائلية؛ فإن استعمال هذه الألفاظ يبقى محدودا في الاوساط والسياقات المحصورة في النخب المناضلة دون الجمهور الواسع الذي يستخدم اللغة المزابية السارية المليئة بالاستعارات اللفظية والتي تعاني من ظواهر خلط وتداول الشفرات وحتى تبديل الالفاظ الامازيغية بألفاظ عربية وفرنسية. ولا شك ان استمرار هذه الظاهرة يشكل تهديدا حقيقيا على اللغة المزابية على المدى البعيد بان تدخل مرحلة "التحول اللغوي" la conversion linguistique التي تعد إحدى طرق موت اللغات.

وبالطبع أصبح من المستعجل تدرك هذه النقائص الخطيرة التي تعرقل التطور العلمي اللساني للغة المزابية، إلى جانب خلق الحاجة الى استخدامها الاوسع في الفضاء الرسمي. ويستلزم ذلك تكوين الكفاءات المحلية باللغة المزابية وإشراكها في جهود التهيئة اللغوية للدولة مثل الطباعة والترجمة واعتماد القواميس اللفظية المتخصصة في مختلف التخصصات، طالما أن تهيئة الامازيغية يمر أساسا بمرحلة تهيئة كافة تنوعاتها الجهوية والمحلية.

ب- مؤشرات القوة: وتتعلق أساسا بالناطقين باللغة المزابية (تتظر نتائج الاستبيان في الملحق) والعوامل الاجتماعية الجغرافية الدينية والسياسية المرتبطة بهم، والدور المحوري للشعر المزابي كوعاء لغوي وحامل فني وأدبي وموسيقي للغة المزابية؛ بالإضافة الى التقدم الذي عرفته الامازيغية على

المستوى القانوني والسياسي والرمزي في الجزائر بفضل الاعتراف الرسمي باللغة الامازيغية في التعديل الدستوري لسنة 2002 ودستور 2016. وتتلخص أهمها في الآتي:

- ✓ **إستمرار راسخ لتقليد انتقال اللغة بين الأجيال (الدرجة 5)،** بفعل الثقافة التربوية السائدة في المجتمع المزابي أين تلعب المرأة كأم الدور الأساسي في المحافظة على سمات الهوية المزابية ونقلها بأمانة إلى الأجيال اللاحقة من ضمنها اللغة والثقافة المزابية. وقد أجمع خبراء السوسيو-لسانية في تقرير اليونسكو لسنة 2003 >> أن لا لغة ستقرض ضد ارادة المجتمع المعني <<.
- ✓ **النسبة المرتفعة للناطقين باللغة المزابية من إجمالي عدد افراد المجموعة المزابية (الدرجة 5):** حيث لا تزال اللغة المزابية تستعمل بشكل دائم من طرف الاغلبية الساحقة لأفراد المجموعة المزابية كاللغة الاولى للتواصل بينها بصفتها سمة للانتماء للجماعة الاثو-لسانية.
- ✓ **التوسع المتزايد لنطاق استخدام اللغة المزابية في المجالات العائلية والمواضيع التقليدية وفي سياقات الوسط المزابي (الدرجة 4)،** بحيث صرح 99 ٪ من المبحوثين انهم يستخدمون اللغة المزابية وحدها في الوسط المزابي، وتدنّت هذه النسبة الى 91 ٪ في الوسط المختلط. مع ملاحظة توسع نسبي لاستخدامها في الميادين الجديدة (الدرجة 2) بفضل ترقية اللغة الامازيغية وإدراجها في الاعلام والمدرسة والمحيط. وبغض النظر عن النسبة المحتشمة للغة المزابية في الانترنت (29.9 ٪ من المبحوثين صرحوا انهم يستخدمون اللغة المزابية "غالبا" في الانترنت)، فإن دخول اللغة المزابية في مجالات الاعلام السمعي والبصري والرقمي وشبكة الانترنت يمثل قفزة نوعية هامة تساهم في خدمة حيوية اللغة المزابية وبثها وانتشارها كسمة للهوية المزابية. ذلك أن الكلمة والصورة >> قد اكتسبتا قوة هائلة في تحديد انتباه المجتمع، وتوجيهه، وتركيزه على الحقل المحدود الذي هو سلوكه <<².

- ✓ **المواقف الايجابية جدا للمزابيين المبحوثين وتمثلاتهم وسلوكهم اللغوي حيال لغته (الدرجة 4):** ونستشف ذلك من النتائج المستقاة من القراءة التحليلية لنتائج الاستبيان. إذ يؤيد 56 ٪ تدريس اللغة المزابية في التعليم الرسمي، وترتفع هذه النسبة الى 97 ٪ بالنسبة الى التعليم في المدارس الاباضية الحرة والخاصة. ويذهب 93.3 ٪ من المبحوثين الى ضرورة إحياء اللغة المزابية وترقيتها وليس

¹ مجموعة خبراء لليونسكو المختصون حول اللغات المهددة بالاندثار، **حيوية اللغات وتعرضها للاندثار**، مرجع سابق، ص. 18.

² م.م. لويس، تر. د. تمام حسان، **اللغة في المجتمع**، مرجع سابق، ص. 217.

مجرد المحافظة عليها كتراث. ولعل ما يفسر ذلك ما اكتشفناه من خلال الاستبيان الميداني-خلافًا لاعتقادنا السابق- أن 78 ٪ من المبحوثين لا يشعرون بالأمن اللغوي كونهم يعتقدون أن اللغة المزابية توجد "في خطر". وتستند أغلب إجاباتهم إلى ما اعتبروه "اكتساحًا" للغتهم بالمفردات والمصطلحات "الأجنبية" من اللغة العربية. إذ يعتقد 46 ٪ من المبحوثين أن اللغة المزابية مهددة من طرف اللغة العربية (العربية الفصحى 32 ٪، العربية الدارجة 14 ٪)، مقابل 45 ٪ لا يعتقدون ذلك.

✓ **المواقف والتمثيلات الإيجابية للمرأة المزابية تجاه اللغة المزابية:** إذ وفقًا لمقاربة مبنية على متغير الجنس نلاحظ أن الذكور أكثر تأييدًا لتدريس اللغة المزابية في التعليم الرسمي بنسبة 63 ٪ مقابل 37 ٪ إناث فقط، بينما تمثل الإناث 57 ٪ من المؤيدين لتدريس اللغة المزابية في التعليم الحر والخاص مقابل 43 ٪ من الذكور. وتستخدم الإناث اللغة المزابية وحدها في الوسط المختلط بنسبة 67 ٪ مقابل 33 ٪ من الذكور. بينما نلاحظ أن الذكور أكثر استعمالًا للغة المزابية في الانترنت والهاتف، إذ صرحت نسبة 22.20 ٪ من الذكور أنها تستخدمها "غالبًا" مقابل 7.70 فقط من الإناث. ومن جملة 74.4 ٪ من المبحوثين الذين يفهمون الكلام الاعلامي بالمزابية نجد 53 ٪ إناث و 47 ٪ ذكور. وأخيرًا حول الموقف من اللغة المزابية فمن جملة 93.3 ٪ المؤيدين لإحياء اللغة المزابية وتطويرها نجد 52 ٪ من الإناث مقابل 48 ٪ من الذكور. بذلك يتبين كحوصلة عامة أن الإناث أكثر محافظة على اللغة المزابية واستخدامها لها وتأييدًا لإحيائها وتطويرها من الذكور.

✓ **دعم مركز اللغة المزابية القانوني والرمزي والسياسي (الدرجة 3):** وذلك بفضل الاعتراف الدستوري باللغة الامازيغية كلغة وطنية ورسمية بكل تنوعاتها، وإنشاء اكااديمية اللغة الامازيغية الذي يرى فيه الاستاذ عبد الرزاق دوراري ضرورة قصوى >> لمنح هذه اللغة الوسائل المفاهيمية لتندمج تدريجيا في الفضاء الرسمي>> (ترجمتا)¹. مع أن الاعتراف بالطابع الرسمي للامازيغية ينبغي أن يكون وقعا حقيقيا على اللغة المزابية، ضمن سياسة متوازنة للدولة لترقية مختلف التنوعات الامازيغية السائدة في الجزائر من دون إقصاء.

✓ **أهمية الشعر المزابي الامازيغي المزابي ازلوان في إثراء اللغة المزابية ودعمها:** إذ بيّنّا كيف ساهم تطور الشعر المزابي في شكله المدون والغنائي ولا يزال يساهم في حيوية اللغة المزابية، بالنظر الى أهمية الوظيفة الشعرية في الخطاب الشعري بفضل تطعيم اللغة بالبعد الجمالي وتأثيرها

¹) ABBES Zineb « Tamazight : Le Pr Dourari souligne l'impact positif de la décision sur la cohésion nationale », 06/01/2016, [http://www.algeria-watch.org/fr/article/div/mort_langue.htm].

بالصور البلاغية والبيانية والإيقاع وبالتالي خلق لغة انحيازية خاصة تثري اللغة العادية.¹ ويعبر رومان جاكوبسون Roman Jakobson عن أهمية الشعر في تحرير اللغة العادية من قيود الجمود والانكماش بقوله:

>> الشعر هو الذي يحمينا ضد الآلية، ضد الصدا الذي يهدد تعبيرنا للحب وللغضب، والثورة والمصالحة، والإيمان والإنكار². << (ترجمتا)

وعلى ضوء هذه النتائج نصل إلى إسقاط الجدول التقييمي الشامل لمنظمة اليونسكو لحيوية اللغات على الوضع السوسiolساني للغة المزابية في الجدول التالي :

عوامل الحيوية التسعة لليونسكو	ترتيب اليونسكو لها حسب الأهمية	تقييمنا لدرجته (من 5 درجات)	معاييرنا لوضع اللغة المزابية طبقا لكل معيار	التقييم الشامل لدرجة حيوية اللغة المزابية
- انتقال اللغة عبر الأجيال	الأولى	5	لغة آمنة: وجود عوامل سوسiolوجية ضامنة للانتقال الجيلي للغة المزابية واستخدامها من طرف اغلب الفئات العمرية، إن لم نقل كلها.	19 درجة من 30 درجة : أي بنسبة 63.3 % التقييم الداخلي
- العدد المطلق للناطقين	الثانية	1	لغة ضعيفة جدا عدديا: إمكانية اندماجها في لغة الأغلبية العددية المحيطة بها.	
- عدد الناطقين من إجمالي عدد المجموعة	الثالثة	5	لغة آمنة: جميع أفراد المجموعة المزابية يتكلمون اللغة المزابية.	
- نطاق الاستخدام	الرابعة	4	التكافؤ بين اللغات: تستخدم اللغة المزابية مع عدة لغات	

¹) Gérard DESSONS, *Introduction à la poétique, Approche des théories de la littérature*, Nathan/VUEF Editions, paris, 2001, pp.238, 239.

²) Roman JAKOBSON, *Questions de poétique*, Editions de SEUIL, paris, 1986, p.125.

« C'est la poésie qui nous protège contre l'automatisation, contre la rouille qui menace notre formule de l'amour et de la haine, de la révolte et de la réconciliation, de la joie et de la négation ».

	حسب المجالات والوظائف. مع أنها نادرة الاستخدام في الفضاء الرسمي العام.			(التغييرات في مجالات استخدام اللغة)
	لغة متكيفة: تستخدم اللغة المزابية في بعض المجالات ووسائل الإعلام الجديدة فقط.	2	الخامسة	- مدى توسعه إلى المجالات الجديدة ووسائل إعلام جديدة
	ضالة النصوص البيداغوجية: توفر نصوص نحوية وأدبية مزابية محدودة يطلع عليها خاصة الباحثين دون العامة، مع انعدام تعليم القراءة والكتابة للمزابيين.	2	السادسة	- مواد تدريس اللغة ومحو الأمية
9 درجات من 15 درجة: أي بنسبة 60% التقييم الخارجي	التلقي السلبي: عدم وجود سياسة واضحة للدولة لترقية اللغات الأمازيغية لاسيما المزابية، وسواد اللغة الغالبة للدولة في المجال العام.	3	السابعة	- السلوك والسياسات اللغوية الحكومية والمؤسسية
	أغلب أفراد المجموعة المزابية يساندون عملية إحياء اللغة المزابية وتطويرها والمحافظة عليها.	4	الثامنة	- مواقف أفراد المجتمع حيال لغتهم الخاصة
	توثيق غير ملائم: درجة تدوين ضعيفة جدا للغة المزابية، لوجود بعض النصوص اللغوية والأدبية المحدودة تفيد البحث اللغوي. مع وجود بعض التوثيق السمعي البصري ذو	2	التاسعة	- نوع التوثيق وجودته

	النوعية الرديئة.			
التقييم الشامل : 28 (9+19) درجة من جملة 45 (15+30) درجة: بنسبة % 62.2				

الجدول (16) التقييم الشامل لوضع اللغة المزابية وفقا لعوامل اليونسكو لحيوية اللغات

ويسمح لنا هذا الجدول بتقييم أعمق لوضعية اللغة المزابية وفقا لترتيب مؤشرات الحيوية الذي تم حسب الأهمية والأولوية:¹

✓ فبالنسبة للمؤشرات الأربع الأولى الأكثر أهمية (الانتقال الجيلي، عدد الناطقين ونسبتهم، ونطاق الاستخدام)، يتبين أن اللغة المزابية تتمتع بدرجات قوية (5،1،5،4)؛ وبالمقابل نجد وضعية اللغة المزابية متدنية بالنسبة للعوامل الخمسة الأقل أهمية من الأولى (التوسع إلى مجالات جديدة، مواد التدريس، السياسة اللغوية، مواقف الناطقين، والتدوين)، بدرجات متوسطة إلى متدنية (2،2،3،4،2).

✓ وإذا حاولنا إجراء تقييم داخلي وفق العوامل الستة الأولى،² نتحصل اللغة المزابية على 19 درجة من جملة 30 درجة. وبالنسبة للتقييم الخارجي (سلوك المؤسسات ومواقف الناطقين ودرجة التوثيق)، نتحصل اللغة المزابية على 9 درجات من جملة 15 درجة. وكتقييم شامل تحوز اللغة المزابية على 28 درجة من جملة 45 درجة للغة آمنة وقوية وكاملة.

واستنادا إلى هذا التقييم، يمكن أن نخلص للإجابة على إشكالتنا بالحسم لصالح فرضية أن اللغة المزابية في الظروف الحالية ليست في وضع اللغة "المهددة" Menacée، بفضل عوامل القوة السالفة الذكر الضامنة لحيوية أية لغة، ولسبب بقائها بعيدة عن وضعية الاحتواء اللغوي assimilation linguistique/language shift أي >> تغيير الاستعمال العادي للغة ما إلى استعمال عادي للغة أخرى<<. بالفعل، إن كانت هناك العديد من تنوعات الامازيغية في الجزائر قد اندثرت فعلا، مثل زناتية

¹) Augusto CARLI, "Pour une mise à jour du concept de vitalité linguistique", op.cit., p.5.

²) اليونسكو، خطر انقراض اللغات، ص.17.

³) Jaques MAURAIS, « assimilation linguistique », Sociolinguistique, op.cit., p.51.

تيميمون ولغات بني سنوس وغزوات والبليد، الخ¹؛ فإن اللغة المزابية مثلها مثل القبائلية والشاوية والتارقية والشنوية، تبقى قابلة للتطوير العلمي والترقية القانونية.² بالطبع تبقى هذه النتيجة مرهونة باستمرار عوامل القوة وعدم زوالها أو ضعفها.

ومع ذلك تبقى اللغة المزابية في خانة اللغة "المعرضة للخطر" Vulnérable ما لم يتم معالجة عوامل الضعف التي تشوبها، لاسيما في الجانب اللساني كالإنتاج العلمي البيداغوجي الذي يفضي للتنميط والتهيئة اللغوية، والجانب السوسيو-لساني باستمرار استخدامها الشامل بين المزابيين في أكبر قدر من المواضيع مع انتقالها إلى الفضاء الرسمي.

وعليه يجدر بنا أن نتساءل في الأخير عن كيفية ارتقاء اللغة المزابية إلى مرتبة "اللغة الآمنة" ؟
Langue sûre والإجابة على ذلك بالبداية تكمن من جهة، في قدرة اللغة المزابية على المحافظة على عوامل القوة، بل واستثمارها والاستغلال الذكي لها للتغلب على عوامل الضعف بسبب الارتباط الوثيق بينهما كما سلف القول؛ ومن جهة أخرى في استدراك عوامل الضعف لدرة النقص عن تخلفها في الجانب اللغوي البحث:

❖ بالنسبة للتدوين، فإن التطور الهائل لوسائل الإعلام السمعية البصرية وأخيرا الرقمية جعل اللغات تنتقل إلى عصر الرقمنة بعد تحولها من الشفوية إلى الكتابة بفضل الطباعة في القرون الماضية.³ ويعد ذلك أفضل ضمانة لتوثيق الرصيد اللغوي والأدبي والثقافي للغات بشكل سريع وأكثر دقة وأمانا في وسائط إلكترونية محمية غير قابلة للتلف، وهو ما من شأنه أن يشكل وسيلة هامة لتدوين الرصيد اللغوي الثقافي والأدبي الفني للغة المزابية وإنتاج نصوص وأعمال وقواميس شاملة وبثها الواسع في الأوساط الشعبية لحماية اللغة المزابية في ظل العولمة اللغوية المتنامية.

❖ بالنسبة لتوفير المواد البيداغوجية، يبقى تدريس اللغة المزابية حتمية لا بد منها سواء في التعليم الرسمي أو التعليم الحر والخاص. ويستلزم ذلك توفير المواد البيداغوجية الضرورية في كافة

¹) Mohand Akli HADDADOU, « L'académie de la langue amazighe doit recenser les différentes variétés, qui sont menacées de disparition », Op.cit.

²) Abderrezak DOURARI, « Le Zénète, une langue en voie de disparition », Op.cit.

³) من مزايا النص الإلكتروني كما تبين بحق الأستاذة بذاك شابحة، أنه << نصا يقرأ وصوتا يسمع وفيلما يرى وتفاعلا بالحواس كافة، حاسة السمع والبصر والذوق واللمس وغيرها من الحواس في عملية التفاعل >>. انظر: بذاك شابحة، مراحل الأدب (شفوي، كتابي، رقمي)، مجلة بحوث، جامعة الجزائر 1، العدد 2015، 8، ص 430.

المستويات والوضعيات التعليمية، موازنة مع عملية التتميط والتهيئة اللغوية الواجبة لانتقال اللغة المزابية الى المجال الادبي والاستخدام في المجال الرسمي والإدارة العامة. وتمثل آيتي الابتكار اللفظي وإعادة بعث الرصيد اللفظي المندثر أهمية خاصة في عملية التهيئة اللغوية للغة المزابية لتمكينها من الإرتقاء الى لغة الإنتاج الادبي والعلمي ولغة الفضاء الرسمي.

ولا يخفى ما لتدريس الشعر المزابي القديم والحديث في كافة مراحل التعليم في المدارس الدينية الحرة والمدارس الخاصة، من أهمية باعتباره وسيلة للدعم اللغوي للغة المزابية ونشر اللغة الشعرية الادبية الراقية كشرط اساسي لترقية اللغة المزابية الى لغة آمنة، كما هو الحال بالنسبة للغات الاخرى كاللغة العربية.¹

❖ **بالنسبة لتوسع استخدام اللغة المزابية:** إذا أقرنا بأن ضعف عدد الناطقين باللغة المزابية لا يشكل عائقا أمام استمراريتها،² يبقى توسع استخدام اللغة المزابية في وسائل الاعلام الجديدة بشكل أكبر، وكذا انتقالها الى الاستخدام في الفضاء الرسمي والتربوي التعليمي، مرتبطا بشكل كبير بالسياسة اللغوية للدولة وتجاوز العواقب السوسيو-سياسية التي تقف في وجه ترقية اللغة المزابية على المستوى المحلي. لكن يرتبط ذلك ايضا وبشكل اساسي بتغير التمثلات والسلوكيات اللغوية للناطقين بها، وبجهود الباحثين المختصين في اللغة المزابية لإثرائها اللفظي وجمع المدونات وتطوير القواميس والكتب البيداغوجية والوسائل التعليمية بهدف إدراجها الفعلي في المنظومة التعليمية الخاصة والعامة وبثها الواسع.³

نأمل في الأخير أن تفتح دراستنا آفاقا جديدة للبحوث والدراسات السوسيو-لسانية حول موضوع حيوية اللغة الامازيغية -بمختلف تنوعاتها خاصة الضعيفة منها- ومآلاتها المستقبلية. هذا الاخير يبقى موضوع الساعة والمستقبل في خضم التحولات اللسانية الناتجة عن صراع/حرب اللغات على المستوى الكوني والتحديات الكبرى التي تمثلها ثورة الاتصالات والفضاء السيبراني على اللغات الوطنية والمحلية.

¹ ضيف شوقي ، الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، ص.200.

² Jacques LECLERC, L'expansion des langues, op.cit.

³) NOUH Abdallah, « La vitalité du dialecte mozabite dépend-elle essentiellement de son enseignement officiel ? », op.cit.

المراجع والمصادر

أولاً : المؤلفات

(أ) باللغة الامازيغية

1. بوسعدة عمر ن سليمان ، احوّف ن وغلان، أناشيد ميزابية مختارة من التراث لألمع الشعراء والمنشدين،2006.
2. ترشين صالح ، أول-إنو "قلبي - mon cœur"، قصائد بالمزابية مترجمة إلى العربية والفرنسية، ترجمة: مصطفى بن بكير حمودة، عبد الله بن صالح وينتن، دار القطب،1994.
3. فخار عبد الوهاب حمو،إمطاون ن لفرح "دموع الفرح"، من تراثنا الشعبي الجزائري،الحلقة الأولى،المطبعة العربية،غرداية،1984.
4. -----،إمطاون إزوقاغن،*ⵉⵎⵓⵙⵓⵏ ⵉⵣⵓⵕⵓⵖⵓⵎ* ، غرداية،1990.
5. ----- ، تايدرت ن وغلان "سنبلّة ميزاب"، تسنّات س زلوا نسّ تومزابت "مسرحية شعرية باللغة المزابية"، غرداية،1994.
6. ----- ، تاوسست ن تغردايت جار ييدوران، *tawsest n tyerdayt jar ydurran*، أمسية أدبية،فرقة إمطاون ن لفرح لخدمة الأدب المزابي الرفيع،الجمعة 15 أوت 2014،[قرص DVD]
7. ----- ، تيسلسلت ن وورغ، تسانت تمزوارت ، تعلم اللغة الامازيغية وآدابها بالمزابية."المستوى الأول"*Almad n yiles n Tmaziyt d tsekla-s, almad n tmaziyt d tsekla-s* مطبعة الفنون الجميلة، الجزائر، نوفمبر،2015.
8. سيوسيو يوسف وصالح ، يّف وُرغ،(مجموعة شعرية) غرداية،2006.
9. ----- ، لقوت نالؤنت "قوة الامة"، (1998).
10. ----- ، يور اجديد ايلولد "ولد الشهر الجديد"، (1999).
11. ----- ، الماد بس بسي اتحاولد يوغلاب أد باسي "تعلم قليلا واجمع الكثير"،(2001).
12. ----- ، تيفاوت نور تغغد سؤل "ضياء النور اشرق من القلب"، (2003).
13. وزارة التربة الوطنية- تاناغلافت وُساقمي اغناو، البرنامج التجريبي للسنة 7 في اللغة الامازيغية، (اهيل ن تمازيغت)، جوليت 1997.

14. وزارة التربة الوطنية- تاناغلافت وُساقمي اغناو، لَمَاد تامازيغت، **Lmed Tamaziyt** **ⵓⵍⵉⵎⴰⵔ ⵜⴰⵎⴰⵣⵉⵢⵜ** السنة 7 التجريبية، الفصل الأول، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 1997-1998.
15. وزارة التربة الوطنية- تاناغلافت وُساقمي اغناو، لَمَاد تامازيغت، **Lmed Tamaziyt** **ⵓⵍⵉⵎⴰⵔ ⵜⴰⵎⴰⵣⵉⵢⵜ** ، السنة 7 التجريبية، الفصل الثاني، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 1998-1999.
16. AGLIF N USGMI AGELNAW, *ADLIS n tyuri d tutlayt tamaziyt*, Aseggas wiss 7, Amur amezwaru, 1989.
17. HAMEK Brahim, *Ad lemey tamaziyt tizzayrit*, Asqamu Unnig n Timmuzya, 2015.

(ب) باللغة العربية

18. ابن جميع أبي حفص عمرو (حي ما بين ق7-8 هـ / 13-14)، عقيدة التوحيد، تح. عمر بن احمد بازين، المطبعة العربية، غرداية، الطبعة الثالثة، 2003.
19. ابن خلدون عبد الرحمن (1332-1406)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، الطبعة الأولى، 1981، دار الفكر، بيروت، الجزء السابع.
20. الباروني (الشيخ) أبي الربيع سليمان: مختصر تاريخ الإباضية، (د.ت)، (د.م).
21. الباروني عبد الله بن يحيى (الشيخ النفوسي)، رسالة سلم العامة والمتبدئين إلى معرفة أئمة الدين، طبعة حجرية مطبعة النجاح، مصر، 1290هـ.
22. البرادي الإمام ابو القاسم بن ابراهيم (القرن 14/8م)، الجواهر المنتقاة لما اخل به كتاب الطبقات، طبعة حجرية (د ت)، ص 155.
23. الجارم علي، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، مكتبة البشرى، كراتشي، باكستان، 2010.
24. الدرجيني ابو العباس بن اسماعيل، طبقات المشائخ بالمغرب، (المتوفى حوالي 670 هـ)، تح ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، (د ت). ج(1).

25. الحاج سعيد يوسف بن بكير ، تاريخ بني مزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، الطبعة الأولى، سنة 1992.
26. ----- ، تاريخ بني مزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، الطبعة الثانية مزيده ومنقحة، سنة 2006.
27. ----- ، تاريخ بني مزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، الطبعة الرابعة منقحة ومزيد عليها، سنة 2017.
28. -----، بلدة بني يزقن من خلال المجتمع المدني، مطبعة الآفاق، بني يزقن، 2013.
29. الحاج موسى عيسى سليمان (نخبة من الفتيان بإشراف)، تزدايت لال أوّسان-بحث خاص بالنخلة ومشتقاتها متركز أساسا على ما أملتة البيئة، الحلقة الأولى، مخبر إسفارن-آل يونس، غرداية، 1982.
30. الحاج يحي احمد بن عمر ، يلس-نغ، اللغة المزابية آية من آيات الله، محاضرة، آت مليشت، غرداية، (د.ت.) [قرص].
31. الجارم علي ، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، مكتبة البشري، كراتشي، باكستان، 2010.
32. اليونسكو (فريق خبراء الخاص باللغات المهددة بالاندثار)، حيوية اللغات وتعرضها للاندثار، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة اليونسكو، قسم التراث اللامادي، فرع التراث الثقافي، باريس، 2003. الموقع : <http://www.unesco.org/culture/ich>
33. المدني أحمد توفيق ، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
34. الملوحي عبد المعين ، الأدب في خدمة المجتمع، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1980.
35. النوري الشيخ حمو عيسى ، دور الميزابيين في الحياة الدينية و السياسية و العلمية من سنة 1505 إلى 1962، دار الكروان، باريس، الطبعة الأولى 1984، الجزء الأول.
36. العنتيل فوزي، الفولكلور ما هو؟ دراسات في التراث الشعبي، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1965.
37. الفهري د. عبد القادر الفاسي ،د. العمري نادية ، معجم المصطلحات اللسانية، انجليزي-فرنسي-عربي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2009.
38. الشماخي ابراهيم اوسليمان ،"تغاسرا د بريدن د درارن ننفوسن"(قصور وطرقاات وجبال نفوسة)، طبع بمطبعة السيد جردان بالجزائر المحروسة سنة 1202.

39. الشماخي الإمام أبو العباس أحمد بن سعيد (المتوفى سنة 928هـ): سير المشائخ، طبعة حجرية، قسنطينة الجزائر 1301 هـ.
40. الهاشمي حمود بن ناصر بن محمد ، مقدمة في منهج البحث النوعي، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، 2005.
41. بحاز ابراهيم بكير، الدولة الرستمية، 160-296هـ/777-909 م، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، منشورات آلفا، الجزائر، 2010.
42. بكاي سليمان بن سعيد ، ألفاظ النخلة بالعربية والميزابية، المحافظة السامية للامازيغية، 2006. مشروع: HCA – Maghreb Date Palm Project(RAB 98/G31) .
43. بوكرموش باحمد بن عيسى ، روائع شعرية ومداخل دينية بالألحان الشجية، منشورات مكتبة المسجد العتيق، تغردايت، 2017.
44. بوحوش رايح، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2006.
45. بورايو عبد الحميد ، الأدب الشعبي الجزائري، دراسة لأشكال الأداء في الفنون التعبيرية الشعبية في الجزائر، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007.
46. جلاوي د. محمد ، تطور الشعر القبائلي وخصائصه، (بين التقليد والحداثة)، الجزء الأول: الشعر التقليدي، المحافظة السامية للامازيغية، الجزائر، 2009.
47. دواق سليمان بن عمر ، في دائرة الطباشور، (د.ن.)، غرداية، 2010.
48. هيدجر مارتن ، ترجمة د. عثمان أمين، في الفلسفة والشعر، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1963.
49. د. وافي علي عبد الواحد ، اللغة والمجتمع، عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، 1983.
50. زريق معروف مصطفى، الأدب في خدمة المجتمع، منشورات مكتبة النور، دير الزور، سوريا، 1958.
51. زلط د. عبد الرحيم محمود ، رسالة الشعر، في خدمة الدعوة وحركات الاصلاح قديما وحديثا، دار الفكر العربي، القاهرة، 1983.
52. حجاج قاسم ، تق.د. ابراهيم بحاز، مزاب، رؤية مستقبلية مع مدخل إلى قضايا المستقبليات، دار العالمية، غرداية، الجزائر، الطبعة الأولى، 2006.

- ~ 388 ~

68. عبد البديع لطفي ، الشعر واللغة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغان، القاهرة، مصر، 1997.
69. عبد السلام إبراهيم ، بكير عبد السلام، الوجيز في قواعد الكتابة والنحو للغة الامازيغية "المزابية"، المطبعة العربية، غرداية، 1996.
70. علي صالح د. صفوت ، محاضرات في علم اللغة، دن.، 2014.
71. عبد النور جبور ، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، 1949.
72. فخار عبد الوهاب حمو، دموع الفرح، شعر امازيغي، ترجمة من الامازيغية إلى العربية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.
73. فراد محمد ارزقي ، الامازيغية، آراء وأمثال، دار هومة للنشر، الجزائر، 2004.
74. فرصوص يونس ، نفحات من الحياة، أناشيد دينية وطنية، إجتماعية طبيعية مزابية، المطبعة العربية، غرداية، الطبعة السادسة، 2015.
75. صبولسكي برنار ، ترجمة عبد القادر ستقادي، علم الاجتماع اللغوي، *sociolinguistics* ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.
76. قرقر سعيدة ، ايوان س أول انو، كلام من القلب، (دن) (د.م)، 2015.
77. رمضان كمال، تزدايت د لال ن وسان، (أول دليل علمي وتقني عن تقنيات خدمة النخلة: غرسها، تأبيرها، جني التمور... الخ)، أفريل 2016، [قرص pdf]
78. ترشين صالح بن الحاج عمر ، المحرك الذهبي، المرحوم بليدي بوكامل عبد الله بن الحاج صالح (1860-1956)، رواية، مطبعة الآفاق، بني يزقن، غرداية، 2016.
79. خليفات محمد عوض ، نشأة الحركة الإباضية بالبصرة ووضعية العالم الإسلامي . نسخة مكتبة أهل الدعوة والاستقامة الجزائر، (د. ت).
80. خليفات عوض محمد، الأصول التاريخية الفرقة الإباضية، الجامعة الأردنية، عمان الأردن، (د. ت).
81. د. ضيف شوقي، الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1984.

(ج) باللغة الفرنسية

82. **AUCAPITAINE** Henri (Le Baron), *Les Béni-MZAB, Sahara algérien*, Chalamel Librairie éditeur, paris, 1867.
83. Actes du *Colloque International sur l'enseignement des Langues Maternelles*, Tizi-Ouzou, Les 23,24 et 25 mai 2003, S.D.Noura TIGZIRI, Université Mouloud MAMMERI de Tizi-Ouzou, édités en 2006.
84. **BASSET** André, *L'avenir de la langue berbère en Afrique du Nord , Entretiens sur l'évolution des pays de civilisation arabe*, Tome III (3ème année), Centre d'Etudes de Politique Etrangère, paris, 1938.
85. **BASSET** René, *Loqman berbère*, paris,1890.
86. **BASSET** René, *Etude sur la zenatia du M'zab,de Ouargla et de l'Oued Rir'*,paris, Leroux, 1893.
87. **BASSET** Henri, *Essai sur la littérature des berbères*, Iris Press Awal, paris,1919.
88. **BEN Si LOUNIS** Ameur Nour, Moka Messaoud BENYAHIA., *Grammaire mozabite*, Imprimerie Baldachino-Laronde-Viguié, 1897.
89. **BLANC** Michel, Art. « Préservation linguistique », in Marie-Louise MOREAU, *La sociolinguistique* .
90. **BAGGIONI** Daniel, Marie-Louise Moreau, Didier de Robillard, Art. « Communauté linguistique », Marie-Louise MOREAU, *La sociolinguistique*
91. **BENTOLILA** F.(Dir.), *Devinettes berbères*, Chap.IX, Bouhounali H.B, « Devinettes du Mzab », CILF, paris 1986.
92. **BERNSTEIN** Basil, *Langage et classes sociales, codes sociolinguistiques et contrôle social*, Les Editions de MINUIT, paris, 1975.
93. **BOUKOUS** Ahmed, *Revitalisation de la langue amazigh, défis enjeux et stratégies*, Publication de l'Institut Royal de la Culture Amazighe, Série : Etudes N° 22, 2010.
94. **BOUNFOUR** Abdallah, Amar AMEZIANE, *Anthologie de la poésie berbère traditionnelle (Tachelhit,taqbaylit,tarifit, tamazight)*, l'Harmattan/INALCO, paris, 2010.
95. **BOUNFOUR** Abdellah, *Introduction à la littérature berbère, 1. La poésie*, Editions REETERS, paris, 1999.
96. **BOURDIEU** Pierre, *Langage et pouvoir symbolique*, Editions FAYARD, 1982.
- 97.-----, *Langue et pouvoir symbolique*, Editions Fayard, 1982- 2001.

98. -----, *Ce que parler veut dire, L'économie des échanges linguistiques*, Editions Fayard, paris, 1982.
99. **BOYER** Henri, *introduction à la sociolinguistique*, DUNOD, paris, 2001.
100. -----, collaboration de Gloria BAYO, *Éléments de sociolinguistique*, DUNOD, paris, 1996, 2^{ème} édition.
101. *Bulletin Officiel du Gouvernement General de l'Algérie*, année 1912, n°208911.
102. **CALVET** Louis-Jean, *La sociolinguistique*, PUF, 7ème édition, 2001.
103. **CAMPENHOUDT** Luc, **QUIVY** Raymond, *Manuel de recherche en sciences sociales*, DUNOD Editions, paris, 4^{ème} édition, 2011.
104. **CHAKER** Salem, *Une décennie d'études berbères (1980-1990), bibliographie critique*, éditions BOUCHEN, 1992.
105. **CHAMAKHI** Brahim ousliman(Tleb d'Ifren), *Le Djbel Nefousa Relations, en tamazigh't de Djbel Nefousa.*, Textes publié par A. DE MOTYLINSKI, Interprète militaire au M'Zab, Adolphe Jourdan, Editeur, Alger, 1885.
106. **CHERIFI** Brahim, préface Pierre-Philippe Rey, *Le M'Zab, étude d'anthropologie historique et culturelle*, Éditions Sédia, Alger, 2015.
107. **CHERBI** Moh, **KHOUAS** Arezki, *Chanson kabyle et Identité berbère, L'œuvre de Lounis Ait Menguellet*, Edif Editions, paris, 2000.
108. **DALLET** Jean Marie, « chants de tisseuses », *Fond et Documentations Berbères*, Fort National, 1948.
109. -----, *Berbère de l'Oued Mzab : le verbe, glossaire, classification*, Fort National, FDB, 1970.
110. **DELHEURE** Jean, *Ajraw n yiwalen tumzabt-tafransit/ Dictionnaire mozabite-français*, SELAF/Peeters, paris, 1984.
111. -----, *Iwalen d tmeğğa n'At MZAB, faits et dires du MZAB*, SELAF, paris, 1986.
112. **DEMOUGIN** Jacques (S.D.), *Dictionnaire des littératures françaises et étrangères*, LAROUSSE, paris.
113. **DESSONS** Gérard, *Introduction à la poétique, Approche des théories de la littérature*, Nathan/VUEF Editions, paris, 2001.
114. **DEMOUGIN** Jacques, *Dictionnaire des littératures françaises et étrangères*, LAROUSSE Editions, paris, 1985.
115. **DOUTTE** Edmond, **GAUTIER** Emile-.Félix, *Enquête sur la dispersion de la langue berbère en Algérie, Faite par ordre de M.le Gouverneur General*, Adolphe Jourdan, 1913.

116. **DUBOIS** Jean, **GIACOMO** Mathée, **GUESPIN** Louis, **MARCELLISI** Christiane, **MARCELLISI** Jean-Baptiste, **MEVEL** Jean-Pierre, *Dictionnaire de la linguistique et des sciences du langage*, LAROUSSE, paris, 1994.
117. **FISHMAN** Joshua A., « Aménagement et norme linguistiques en milieu linguistiques récemment conscientisés », *LA NORME LINGUISTIQUE*, S.D. Edith BIDARD, Jacques MAURIS, Editions LE ROBERT, paris, 1983.
118. **GERS** José, *Au Mzab, désert dans le désert*, Librairie de l'œuvre saint-Charles, BRUGES, Belgique, 1936.
119. **GOICHON** Anne Marie, préface William MARCAIS, *La vie féminine au Mzab, étude de sociologie musulmane*, librairie orientaliste Paul GEUTIER, 1927.
120. **GRIGNON** Claude, **PASSERON** Jean-Claude, *Le savant et le populaire, Misérabilisme et populisme en sociologie et en littérature*, GALLIMARD LE SEUIL, paris, 1989.
121. **GOUVION** Marthe et Edmond, *Le kharedjisme, monographie du Mzab*, Casablanca, 1926.
122. **GOURLIAU** Ernest, *Grammaire complète de la langue mozabite, comparée dans ses parties essentielles aux dialectes kabyle et tamachek*, A.Jourdan, 1898.
123. **HAMERS** J.F., M.BLANC, *Bilinguïté et bilinguisme*, Pierre Mardaga Éditeur, Bruxelles, 2ème édition, 1983.
124. **HAMEL** Rainer Enrique, *L'aménagement linguistique et la globalisation des langues du monde*, Traduit de l'espagnol, Version PDF [Telv16 n3_hamel . PDF(le 19-11-2015)]
125. **HOUEBINE** Anne-Marie, « imaginaire linguistique », *Sociolinguistique, Concepts de base*, Marie-Louie Moreau(S.Dir.),MARDAGA EDITIONS, 1997.
126. **HOLMES** Janet, *An Introduction to Sociolinguistics*, London and New York, Longman, 1992.
127. **HOUACHE** Omar, *Citoyen, quel langue parles-tu ?,Je parle algérien !*, Editions Essai Sedia, Alger, 2015.
128. **JAKOBSON** Roman, *Questions de poétique*, Editions de SEUIL, paris, 1986.
129. **KHALAINOU** Mohamed, *Tajeřrumt n tmaziyt(tumzabt), Grammaire berbère,le mozabite*, éditions El Furqan, imprimerie Afak, Beni-izguen,2006.
130. **KHERDOUSI** Hassina, *La chanteuse kabyle, vois, texte, itinéraire*, Editions Akili mohammed,Tizi ouzou, 2001.

131. **KLOSS** Heinz et Grant D. McCONNELL (1978-1995) , *Les langues écrites du monde, relevé du degré et des modes d'utilisation*, (6tomes), Quebec, Presses de l'université Laval.
132. **KIRCHNER** Arne, *Préservation de la langue mozabite*, Ghardaïa, 2 Mai 2008. [www.MzabHouse.com].
133. -----, *Etat actuel de la langue mozabite, : RÉSULTATS D'UN SONDAGE*, Ghardaïa ,11 mai 2009 . [www.MzabHouse.com].
134. -----, *Etapas pour l'enseignement de la langue mozabite*, Ghardaïa ,13Mai 2010 . [www.MzabHouse.com].
135. **LABOV** William, *Sociolinguistique*, Editions MINUIT, paris, 1976.
136. **LAGNY DELATOUR** Véronique, NOUH MEFNOUN Ahmed, *La louche de MAMMA WESSARA, Ajenja n Mamma Wessara, conte mozabite, français-mozabite*, Le Verger des Hespérides Editions, Nancy, France, 2016.
137. -----, *Le combat singulier de roi sauterelle et du roi lion, Anager jar aǧellid acebb d uǧellid war, conte mozabite, français-mozabite*, Le Verger des Hespérides Editions, Nancy, France, 2016.
138. **LEPERLIER** Tristan, *L'arabisation, un mythe? Pouvoirs et langues dans l'Algérie indépendante*, [laviedesidees.fr, le 28 mars 2012].
139. **LITTLE** David, « *Le Cadre européen commun de référence pour les langues et l'élaboration de politiques en faveur de l'intégration des migrants adultes* », Conseil de l'Europe, Division de politiques linguistiques, Little_CEFRmigrants_FR,(S.D.).
140. **MACKEY** William F., *Bilinguisme et contact des langues*, Editions Klincksieck, paris, 1976.
141. -----,«vitalité linguistique »,dans Marie-Louise MOREAU, *La sociolinguistique, Les concepts de base*, MARDAGA Editeur, 1977.
142. **MAHARZI** Mohand, *Tamazigh face à son destin*,Tira éditions, Bejaia,2013.
143. **MAMMERI** Mouloud, *Amawal n tmaziyt tatrart, Lexique de berbère moderne*, CNRPAH, Alger, 2008.
144. **MASQUERAY** Emile, *Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie (Kabylie de Djurdjura, Chawia de l'Aurès, Béni Mzab)*, paris, Leroux, 1886.
145. **MARTIN**-St., St-MARTIN,St-Luc MARC,St-JEAN, *Le nouveau testament, Traduit en langue mozabite*, S.éd.,S.D.

146. **MELIA** Jean, *Ghardaïa*, Bibliothèque Charpentier, Fasquelle, Paris, 1930.
147. **MERGHOUB** Balhadj, *Le développement politique en Algérie*, Fondation nationale des Sciences Politiques, Etudes Maghrebines, ARMOND COLLIN, 1972.
148. **MOULIERAS** Auguste, *Les Beni-Isguen (Mzab)*, essai sur leur dialecte et leurs traditions populaires, Fouque, Oran, 1895.
149. **MUFWENE** Salikoko, Art. « Identité », in, Marie-Louise MOREAU, *La sociolinguistique*.
150. **NACIB** Youssef, *Aspects du conte et du proverbe amazighs*, ZYRIAB Editions, Alger, 2016.
151. **NOUH** Abdallah, *Amawal n teqbaylit d Tumzabt*, Glossaire de vocabulaire commun au kabyle et au mozabite, HCA, 2007.
152. **NOUH-MEFNOUN** Ahmed, ABDESSALAM Brahim, *Dictionnaire mozabite- français*, ENAG, 2011.
153. **SALHI** Mohand Akli, *Poésie traditionnelle féminine de Kabylie*, typologie et textes, ENAG, Alger, 2011.
154. **SINI** Cherif, *Cours de sociolinguistique*, L'ODYSSEE Editions, 2015.
155. **SIOUFFI** Gilles, RAEMDONK Dan Van, *100 fiches pour comprendre la linguistique*, BREAL éditions, 1999.
156. **OULD BRAHAM** Ouahmi, "Lecture des quelques textes berbères médiévaux. Extraits d'une chronique Ibadite" par T. LEWICKI, *Littérature arabo-berbère*, N° 18, 1987.
157. **OUERDANE** Amar, *La question berbère dans le mouvement nationale algérien, 1926-1980*, éditions EPIGRAPE-Dar El IJTIHAD, ALGER, 1993.
158. **OCDE** (L'Organisation de Coopération et de Développement Économiques), *Taux de fécondité (indicateur)*. paris, [france. doi: 10.1787/cfd1ce95-fr (Consulté le 14 janvier 2016).]
159. **OIF** (Organisation internationale de la francophonie), *La langue française dans le monde 2014*, Editions NATHAN, 2014, paris.
160. **UNESCO** (Organisation des Nations Unies pour l'Éducation, la Science et la Culture), Groupe d'experts spécial de l'UNESCO sur les langues en danger, *VITALITE ET DISPARITION DES LANGUES*, paris, 2003, [<http://www.unesco.org/culture/ich>]
161. -----, *L'EDUCATION dans un monde multilingue*, Document cadre, 2003, paris.
162. -----, «Alphabétisation et alphabétisme, Quelques définitions », *Rapport Mondial de Suivi sur l'Education Pour Tous*, Chapitre 6, 2006.

163. -----, (avec le soutien du Gouvernement de Norvège), *Atlas interactif des langues en danger dans le monde*, paris, 3^{ème} édition, 2010.[<http://www.unesco.org/culture/en/endangeredlanguages/atlas>] ,
Atlas interactif : [<http://www.unesco.org/culture/languages-atlas/fr/atlasmap/language-id-1996.html>] Actualisation: Jun 27 2011.
164. **TALEB IBRAHIMI** Khaoula, *Les algérien et leur(s) langue(s)*, *Eléments pour une approche sociolinguistique de la société algérienne*, Editions HIKMA, Alger, 1995.
165. **TIGZIRI** Nora, NABTI Amar, *Etude sur l'enseignement de la langue amazighe*, HCA, Alger, 2000.
166. **TCHITCHI** Toussaint Y., Art. « Ethnie », in Marie-Louise MOREAU, *La sociolinguistique*
167. **TIRICHIN** saleh, *UL-INU*, (mon cœur), ANEP, 2003.
168. **YACINE** Tssadit, *Poésie berbère et identité*, Qasi Udifella, héraut des At Sidi Brahim, Editions Alpha, Alger, 2008, p.198.
169. -----, *L'Izli ou l'amour chanté en Kabylie*, Bouchene- awal, Alger, 1990.
170. **ZERVA** Maria, « Assimilation linguistique et processus de minoration », *Lidil* [En ligne], 44 | 2011, mis en ligne le 15 juin 2013, consulté le 17 mai 2017. URL : <http://lidil.revues.org/3147>
171. **ZUMTHOR** Paul, *Introduction à la poésie orale*, Editions du Seuil, paris, 1983.

ثانياً: المذكرات والرسائل

(أ) باللغة العربية

1. اوجانة حميد عمر بن محمد، المجتمع المزابي وتدرّيس اللغة المزابية، دراسة ميدانية في مدينة القنطرة بـمزاب، مذكرة ليسانس في علم الاجتماع الثقافي، إشراف أ. صحراوي بوزيد، تخصص علم الاجتماع التربوي، كلية العلوم الاجتماعية قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2001-2002.
2. سالمى كريمة، احتكاك القبائلية بالعربية الدارجة في كلام مزدوجو اللغة، دراسة وصفية للتداخلات اللغوية في بعض السياقات الاجتماعية، ماجستير علوم اللغة العربية، إشراف: أ/صالح بلعيد، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة تيزي وزو، 1996.

(ب) باللغة الفرنسية

3. BENAÏSSA Sara, *femme mozabite et habitat à Guerrara(Algérie), Etude sur l'adaptation culturelle à un nouveau type d'habitation*, Mémoire Master urbanisme et territoire, Mention "urbanisme", S.D. Liliane pierre louis, Institut d'Urbanisme de Paris, 2008.
4. CORDIER Lionel, *La langue comme outil de puissance : L'exemple de l'esperanto dans les jeux de pouvoir linguistique européen*, Mémoire soutenu le 2 septembre 2012, Dir. Albane GESLIN, Master Relations Internationales, parcours Enjeux de la Globalisation, Université LYON2.[en ligne].
5. CORDIER Lionel, *La langue comme outil de puissance : L'exemple de l'espéranto dans les jeux de pouvoir linguistiques européens*, Mémoire de Master soutenu le 6 septembre 2012, S.D. Albane Geslin, Institut d'Etudes Politiques de Lyon, Université Lyon 2.
6. LAÏB Rachid, BOULMA Chafia, *Tumzabt face à la modernité, Etude lexicale du journal télévisé en Tmazighte (tumzabt)*. Mémoire de licence, Option : linguistique, soutenu Le 22-10-2002. Département de Langue et Culture Amazigh, Université Mouloud MAMMERI, Tizi Ouzou.
7. NOUH Abdallah, *Le vocabulaire berbère commun au kabyle et au mozabite, Etude de lexicologie berbère comparée*, Mémoire de Magister,

- Option : linguistique amazighe, S. D. Mohammed Akli HADDADOU, 2006-2007, Département de Langue et Culture Amazighes, Faculté des lettres et langues, Université Mouloud Mammeri, Tizi Ouzou.
8. EL HADJ MOUSSA Souhila Khaoula, *L'apport de la femme mozabitoophone dans le maintien/transmission du Mozabite: cas de centre ville de Ghardaïa*, Mémoire Master académique, S.Dir.Fatma Zohra CHERFAOUI, Domaine : Lettres et langues étrangères, Filière : Langue française, Spécialité : Sciences du langage et Sémiologie de la communication ; Université Kasdi Merbah OUARGLA, Faculté des lettres et Sciences Humaines, Département des langues étrangères. Année Universitaire: 2013 /2014.
 9. GUEDJIBA Abdennacer, *La situation linguistique dans le massif central de l'Aurès (Etude sociolinguistique)*, Thèse de Doctorat en linguistique amazighe, F.L.L., DLCA, Université Mouloud Mammeri de Tizi Ouzou, S.D. Malika AHMED ZAID –CHERTOUK, 2011-2012.
 10. Ahmed RAMDANI, *Le berbère dans la Vallée du Mzab, sécurité/insécurité linguistique, représentation et maintien*, Magister :Français, Option : Sciences du langage ; S.D. Salah Khennour , UNIVERSITE Kasdi Merbah OUARGLA, Faculté des lettres et Sciences Humaines, Département des langues étrangères. Année Universitaire 2007 – 2008.
 11. SBIGA Nouha, *Les modalités de transmission des valeurs ibadites dans la famille mozabite contemporaine, l'instruction des filles en question*, Mémoire de Magister en Anthropologie sociale et culturelle, S.Dir. Pr. Brahim SALHI, Soutenu le 13 octobre 2010, Université Mouloud MAMMERI, Tizi Ouzou.
 12. SAKSING Eliisa, *L'attitude linguistique des jeunes français de 24 à 26 ans*, Mémoire de licence, S.D. Anna Ayanoglou et Martin EHALA, Université de TARTU, Faculté de Philosophie, Département d'études romanes, 2014.

ثالثاً: المقالات

(أ) باللغة العربية

2. ومادي محمد ، مدونة ابي غانم (الفقه بالامازيغية)،سلسلة دراسات نفوسية(3)،موقع مؤسسة تاوالت: [www.tawalt.com] موقع: تاماتارت، مَعْلَمَة عن كل ما هو نفوسية [http://www.tamatart.com/?p=293]
3. اوجانة حمو ، جريدة أخبار اليوم، مهرجان الأغنية الميزابية يثير جدلا كبيرا، الأحد 11 ديسمبر 2011. الموقع: [www. Akhbaralyoum-dz.com]
4. الحيدر عبد العزيز ،"الوظيفة الاجتماعية للشعر عند أليوت"،موقع الحوار المتمدن-العدد 3602،9/1/2012. الموقع: http://www.ahewar.org/deb.
5. المسعودي محمد ، ذكي بوشتي ، الشعر الغنائي الامازيغي،(الأطلس المتوسط نموذجاً)، سلسلة شراع،العدد 59، جولييت 1999، وكالة شراع لخدمات الإعلام والاتصال، طنجة،المغرب.
6. الفرقاني محمد الحبيب، سمات... وخصائص، وظواهر عامة للأدب الأمازيغي، أعمال الملتقى الأول للأدب الامازيغي- تاسكلا ن تمازيغيت، مدخل للأدب الامازيغي، الدار البيضاء 17-18 ماي 1991، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي.
7. الخواجة دريد يحيى، "وظيفة الشعر الجمالية بين قطبي المنفعة والمتعة"، الرافد- مجلة ثقافية جامعة، العدد 157 سبتمبر 2010، دائرة الثقافة والاعلام، حكومة الشارقة.
8. بذاك شابحة، مراحل الأدب (شفوي،كتابي،رقمي)، مجلة بحوث، جامعة الجزائر 1، العدد 2015.
9. نوح عبد الله، نداء للتاريخ: إلى هيئة العزابة الموقرة لآت ازجن،إلى هيئة الإدارة للمدرسة الجابرية للبنات،15 ماي 1996 ، مجلة . IZMULEN العدد01، 2001،
10. عاطف حميد عوَّاد(البروفيسور)، وظيفة الشعر في تكريس منظومة القيم الثقافية،مجلة أطلالة جبيلية، العدد 24-25،ايلول 2016، لبنان،ص.1، الرابط الالكتروني: http://www.etlalabyblos.com/item.php?item=164&sec=3
11. علاء الدين وليد ، "الشعر صانع اللغة"، صحيفة العرب، العدد 10343، 2016 /07/23. [alarab.co.uk]

12. فخار عبد الوهاب حمو ، الشعر الثوري الامازيغي في مزاب، محاضرة، مهرجان الشعر والغناء الامازيغي، تمنراست، 2012.
13. فضل الله ، وظيفة الشعر عند النقاد العرب القدامى، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور - باكستان، العدد الثامن عشر، 2011 م.
14. قسوم عبد الرزاق ، " الخريف الوطني في الربيع البربري"، جريد الشروق اليومي، 29 افريل 2009، العدد 2597،
15. عز الدين صحراوي، اللغة بين اللسانيات واللسانيات الاجتماعية، مجلة العلوم الانسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد الخامس 2004.
16. محمودي ابراهيم، ايزلوان، من أصول الشعر المزابي، مجلة أخبار غرداية، عدد 37، جويليت 1998، ولاية غرداية.
17. تادوز لويكي: الإباضية، بحث عن دائرة المعارف الإسلامية حول كلمة الإباضية، ترجمة من الفرنسية إلى العربية يحي بكوش ، 1984.

(ب) باللغة الفرنسية

18. **KOUAOU A.**, « Poésie orale berbère : statut, formes et fonctions », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n°44, 1987. Berbères, une identité en construction.
19. **AREZKI Dalila**, « Les(en)jeux de la langue maternelle(en Algérie) sur le développement psycho-affectivo-cognitif de l'enfant », *Actes du Colloque International sur l'enseignement des Langues Maternelles, Tizi-Ouzou*, Les 23,24 et 25 mai 2003, 2006.
20. **BASSET Renet**, « L'argot du M'Zab », *NOTES DE LEXICOLOGIE BERBERE*, 1887.
21. **BAUTIER Élisabeth**, « Pratiques langagières et scolarisation, Note de synthèse », *Revue Française de Pédagogie*, n° 137, octobre-novembre-décembre 2001.
22. **BEDREDDINE Mohamed**, « La communication d'expression amazighe en Algerie : des acquis et des attentes », *Actes du Colloque International, Medias, communication, Langues et langages : où on est tamazight ?*, HCA-Ministère de la communication, Tizi Ouzou , 2014.

23. **BEN-ABBAS** Mostafa, *Oralité et tradition orale*, in Actes du 2eme Colloque international sur LA LANGUE AMAZIGHE DE LA TRADITION ORALE AU CHAMP DE LA PRODUCTION ECRITE (Parcours et défis), 17 et 18 avril 2013, Université Akli Mohand Olhadj, Bouira, Faculté des lettres et des langues, Département de langue et culture amazighes.
24. **BENYOUCEF** Brahim, « Le Mzab en deuil: Manifeste pour la paix » , dans *Le jeune musulman*, Revue éditée par l'association des oulemas musulmans algériens, 27 décembre 2013 . Version électronique.[
www.lejeunemusulman.net/]
25. **BIARNAY** S., « Les dattiers dans l'Oasis de Berriane(Mzab)», in *Notes d'ethnographie et de Linguistique Nord Africaine*, Publiés par L Brunot et E Laoust, Editions Ernest Leroux, paris, 1924.
26. **BRUGNATELLI** Vermondo, « D'une langue de contact entre berbères ibadites », *Berbère en contact, Etudes en linguistique et sociolinguistique*, RUDIGER KOPPE, VERLAG, KOLN, Germany, 2008.
27. **CALVET** Louis-Jean, « Poids des langues et « prospectives » : essai d'application au français l'espagnole et au portugais », *Synergies, Brésil n° spécial 1*, 2010.
28. **CARLI** Augusto, « Pour une mise à jour du concept de vitalité linguistique », Université de Modena, Italie, in www.AUGUSTO_CARLI_relu2.2012.pdf.
29. **CHAKER** Salem, « De quelques constantes du discours dominant sur les langues populaires en Algerie : de la marginalisation à l'exclusion », *Anuaire de l'Afrique du Nord*, 1981, p. 452. [http://aan.mmsch.univ-aix.fr/Pdf/AAN-1981-20_54.pdf].
30. -----, « La langue berbère dans le champ politique maghrébin. Le cas algérien : rupture ou continuité ? », *Langue et pouvoir, De l'Afrique du Nord à l'Extrême-Orient*, Edité par Salem CHAKER, EDISUD, Aix-en-Provence, 1998.
31. -----, Chemakh Said, NOUH Abdallah, « MZAB – MOZABITES : Langue et littérature », dans *ENCYCLOPEDIE BERBERE*, XXXII, MGILD - MZAB, PEETERS, Paris – Louvain –Walpole, MA, 2010.
32. **CHANTRE** Ernest, « Les Mozabites : esquisse ethnographique et anthropométrique », *Bulletin de la Société et de d'Anthropologie de Lyon*, n°29, 1910.

33. **CUMMINS** Jim, « la langue maternelle des enfants bilingues, Qu'est-ce qui est important dans leur études », *SPROGFORUM*, n°19, 2001
34. **DALLET** Jean Marie, « Chants de tisseuses », in *Fond et Documentation Berbère*, N°18, 1947 ; et N° 24, 1948.
35. -----, « *lɛers* », *Fond et Documentation Berbère*, N°10, 1947.
36. -----, Récits du Mzab, *Fichier de Documentation Berbères*, n° 61, 1965.
37. -----, 'Pour une vérification des notations berbères mozabites d'Ernest GOURLIAU(1898)', *Fond et Documentation Berbère*, Fort-National, 1969.
38. **DEFRANCE** Yves, « Distinction et identité musicales, une partition concertante », *Cahiers d'ethnomusicologie* [En ligne], 20 | 2007, mis en ligne le 16 janvier 2012, consulté le 30 septembre 2016. URL : <http://ethnomusicologie.revues.org/247>.
39. **DELHEURE** Jean, « systèmes verbaux ouaregli-mozabites », *Journées d'étude de linguistique berbère*, Paris, Publications Langues 'O, 1989.
40. -----, 'étude sur le mozabite', *Etudes et Documentation Berbères*, n°6, 1989, Fort National.
41. -----, Alain MADLEINE, « Le travail de la laine à Ghardaïa », *Revue de l'Occident musulman et de la méditerranée*, N° 27, 1979.
42. **DE PREBOIS** Leblanc, « Legends du Mzab », *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger*, 1918.
43. **DOURARI** Abderrezak, « Malaise linguistique et identitaire en Algérie », *ANADI, Revue d'Etudes Amazighes*, N°2, 1997,
44. -----, « Le Zénète, une langue en voie de disparition », *El Watan*, 31 mars 2014, [<https://www.elwatan.com/edition/actualite/le-zenete-une-langue-en-voie-de-disparition-31-03-2014>]
45. -----, « La mort d'une langue se fait par des politiques délibérées », *El Watan*, 31 mars 2014, Mis à jour, 1 Juin, 2018, Entretien réalisé par Bsikri Mehdi. [<https://algeria-watch.org/?p=6324>].
46. **GIURIATI** Giovanni, « La musique comme nécessité, la musique comme identité culturelle », *Cahiers d'ethnomusicologie* [En ligne], 9 | 1996, mis en

- ligne le 05 janvier 2012, consulté le 30 septembre 2016. URL : <http://ethnomusicologie.revues.org/1223>.
- 47.**HADDADOU** Mohand Akli, « L'académie de la langue amazighe doit recenser les différentes variétés, qui sont menacées de disparition », Écrit par Fadila Djouder, *Théma*, 2018. [<http://reporters.dz/thema/item>]
- 48.**HEGECE** Claude, « Langues et démographie - Paysage des langues dans le monde », *La jaune et la rouge*, Revue mensuel de l'association des anciens élèves et diplômés de l'école Polytechnique, n° 639, Novembre 2008, [www.lajauneetlarouge.com]
- 49.-----, « Une langue disparaît tous les quinze jours », Entretien réalisé par Simonnet Dominique, Publié le 02/11/2000. [http://www.lexpress.fr/informations/une-langue-disparait-tous-les-quinze-jours_640290.html]
- 50.**HOUACHE** Abderrahman u Aissa et al., « De quelques créations lexicales à partir des racines berbères en usage dans le sud algérien », *Awal*, n° 11, 1994.
- 51.**IMARAZENE** Moussa, *Attitudes et représentations linguistiques au sein de la communauté kabyle de Tizi-Ouzou : Comparaison entre deux zones (urbaine et rurale)*. 2013, version PDF.
- 52.**IZMULEN**, *Revue de l'association culturelle BERGAN*, N° 1/2001.
- 53.**KAHLOUCHE** Rabah, « La vitalité du berbère en Kabylie, Aperçu socio-historique », *Cahier de Sociolinguistique de l'Université de RENNES*, N°4, Langues du Maghreb et du sud méditerranéen, Textes recueillis par Fernande Krier et Francis MANZANO, 2004.
- 54.-----, « L'enseignement d'une langue non aménagée, au statut indéfini : le berbère en Algérie », *Les langues en danger, MEMOIRES DE LA SOCIETE DE LINGUISTIQUE DE PARIS*, nouvelle série, Tome III, Peeters, 2000.
- 55.**KEBBOUR** Fatma, Ouiza MOHAMED-SAID, « Etude descriptive et analytique de journaux télévisés amazighophones : TV4 de l'ENTV et de la Chaîne privée Dzair TV(2014) », *Actes du Colloque International, Medias, communication, Langues et langages : où on est tamazight ?*, HCA-Ministère de la communication, Tizi Ouzou , 2014.
- 56.**KHELEF** Fatma, KEBIECHE Redouane, « Évolution ethnique et dialectes du Maghreb », *SYNERGIES, monde arabe*, N° 8, 2011.

57. **LANGLOI** Stéphanie et **TURNER** Annie, « *Les langues autochtones et certains facteurs de vitalité en 2011* », octobre 2013, [http://www.statcan.gc.ca/pub/89-655-x/89-655-x2014001-fra.htm]
58. **LECLERC** Jacques, "Vitalité et mort des langues", *L'aménagement linguistique dans le monde*, Québec, TLFQ, Université Laval, 02 septembre 2013. [http://www.axl.cefanelaval.ca/Langues/2vital_expansion.htm]
- 59.-----, « La mort des langues », site *Aménagement linguistique dans le monde*, Québec, TLFQ, Université Laval, 10 mai 2012. http://www.axl.cefanelaval.ca/Langues/2vital_expan
- 60.-----, « L'expansion des langue », site *aménagement linguistique dans le monde*, 02 septembre 2013 , Québec, TLFQ, Université Laval. [http://www.tlfq.ulaval.ca/axl/europe/danemark.htm], 114 Ko
- 61.-----, « La mort des langue », site *aménagement linguistique dans le monde*, 10 mai 2012 , Québec, TLFQ, Université Laval, [http://www.tlfq.ulaval.ca/axl/europe/danemark.htm], 46 Ko
62. **LEROUL** Fadhila, « Vitalité linguistique », *Campus, Revue scientifique trimestrielle de l'Université Mouloud MAMMERI de Tizi-Ouzou*, N°12, Décembre 2012.
63. **Maffi** Luisa, « *Langues menacées, savoirs en péril* », [http://www.cairn.info/revue-internationale-des-sciences-sociales-2002-3-page-425.htm] 42 OK
64. **MOTYLINSKI** A. de C., « L'Aqida des Abadhites », in *Rec. De mémo. et de textes publiés en l'honneur du XIV congrès des orientalistes, par les professeurs de l'Ecole supérieur d'Alger*, Alger, 1905.
65. **NOUH** Abdallah, « La vitalité du dialecte mozabite dépend-elle essentiellement de son enseignement officiel ? », *Timsal n tmazight*, n°7, décembre 2017. [http://www.cnplet.net/file.php/1/revues/nouh.pdf]
66. « Programme du Front de Libération Nationale adopté à Tripoli par le C.N.R.N. en juin 1962 », *Annuaire de l'Afrique du nord*, n° 1, 1962,
67. **R Pr**, « A propos d'un indice de vitalité démographique », *Revue POPULATION*, Année 1958 Volume 13, Numéro 3, version PDF.
68. **SAGART** Laurent, « Les langues en danger : aspects généraux et informations pratiques », *LES LANGUES EN DANGER, Mémoire de la société linguistique de paris*, nouvelle série, Tome III, Peeters, 2000.

69. **TALEB IBRAHIMI** Khaoula, « L'Algérie : coexistence et concurrence des langues », *L'Année du Maghreb*, 2006.
70. **TIGZIRI** Nora, « L'écriture du berbère à travers internet », *Actes du symposium International : Textes en contact, Langue et écrit face à l'oralité africaine*, Zurich, 2001.
71. **TIGZIRI** Nora, et Amar NABTI, « Evaluation du programme de langue amazighe de la 7^{ème} année fondamentale », *Actes du Colloque International sur l'Enseignement des langues Maternelles*, Tizi-Ouzou les 23, 24 et 25 mai 2003.
72. **YACINE** Tassadit, « Femmes et espace poétique dans le monde berbère », in *CLIO. Histoire, femmes et Sociétés*, Numéro 9, 1999, *Femmes du Maghreb*,

رابعاً: المصادر المختلفة

1. النصوص القانونية:

1. دستور 09 سبتمبر 1963، ودستور 22 نوفمبر 1976، ودستور 28 فيفري 1989، ودستور 28 نوفمبر 1996،
2. قانون رقم 01-16 المؤرخ في 6 مارس 2016، المتضمن التعديل الدستوري. الجريدة الرسمية رقم 14. المادة 3 من دستور 7 مارس 2016.
3. المرسوم الرئاسي 95-147 المؤرخ في 27 ماي 1995 المتضمن إنشاء المحافظة السامية للامازيغية المكلفة بإعادة الاعتبار للامازيغية وترقية اللغة الامازيغية.
4. المرسوم التنفيذي 03-470 المؤرخ في 2 ديسمبر 2003 المتضمن إنشاء وتنظيم وعمل المركز الوطني البيداغوجي واللساني لتعليم اللغة الامازيغية.

2. المصادر الإخبارية الورقية:

5. المهرجان الثقافي المحلي للموسيقى وأغنية مزاب، الطبعة الأولى من 12 إلى 18 ماي 2009، سينما مزاب، مجلة المهرجان.

6. المهرجان الأول للشعر المزابي، البرنامج، غرداية، 14 إلى 15 ماي 1998، المحافظة السامية للامازيغية-ولاية غرداية.
7. المهرجان الوطني الثاني للشعر الامازيغي، 22 إلى 24 مارس، 2000، إبرقان. البرنامج، المحافظة السامية للامازيغية-ولاية غرداية.
8. جمعية هواة المسرح إجنوان، 1998، بني يزقن بنورة، البرنامج السنوي 2000-2001.
9. وزارة الثقافة، وزيرة الثقافة، قرار رقم 120 المؤرخ في 19 مارس 2008، يتعلق بتأسيس مهرجان سنوي لأغنية وموسيقى مزاب بغرداية.
10. وزارة الثقافة- ولاية غرداية، محافظة المهرجان، المهرجان الثقافي المحلي للموسيقى وأغنية مزاب، 30 سبتمبر إلى 04 أكتوبر 2010، سينما مزاب، غرداية، [قرص]
11. وزارة الثقافة- ولاية غرداية، محافظة المهرجان، المهرجان الثقافي المحلي للموسيقى وأغنية مزاب، «من أجل فن راق وأصيل»، قاعة سينما مزاب 12 إلى 28 ماي 2012.
12. وزارة الثقافة- ولاية غرداية، محافظة المهرجان، المهرجان الثقافي المحلي للموسيقى وأغنية مزاب «لنغني للسلام»، الطبعة السابعة، قاعة سينما مزاب، 23 إلى 26 مارس 2017.
13. مديرية التربية ولاية غرداية، مديرية التعليم الأساسي، المديرية الفرعية للتنظيم المدرسي، وضعية تعليم الامازيغية في الطور الابتدائي، نوفمبر 2016.
14. م.ع.، الامسيبيون يتجمعون في حرشة والميزاب يكسرون الصمت، إختلاف في الطروحات واتفاق حول المبدأ، جريدة الخبر، 24 أكتوبر 1994.
15. «الباحث في اللغة والأدب الامازيغي الأستاذ عبد الرحمان حواش في حوار مع مجلة IZMULEN»، مجلة إزمولن - izmulen، العدد 01، 2001.
16. "من أقوال الفنان جمال إزلي"، مجلة تفاسكا، أصالة الماضي...مسيرة المستقبل، مجلة المهرجان الثقافي المحلي للموسيقى وأغنية مزاب، العدد الرابع، ديسمبر 2012.
17. "ماذا عن لغتنا المزابية؟"، بتاريخ 11 فيفري 2012. موقع: <http://www.tizafri.com/viewtopic.php?f=6&t=1072>
18. عبد السلام إبراهيم، "تيرا سي مزي : ئه، أستاف ن يلس : وهو"، رسالة إلى هيئة اميصوردان، غرداية، 28 جوان 2014 / 2964.

19. الحاج يحي احمد ، قرص تيزواتين tizwatin "المروحيات" مونولوجات فكاهية باللغة المزابية.

20. Wakli Essaïd, « Carnage de Ghardaïa/ Plusieurs rassemblements de Mozabites à travers l'Algérie », *Algérie Focus*, 8 juillet 2015.

[www.algerie-focus.com].

21. « Le documentaire "Tazdayt" ou les balbutiements du cinéma d'expression mozabite », *Algérie Presse Service*, le 26 - 03 - 2012, [<http://www.djazairess.com/fr/apsfr/239110>].

3. المصادر السمعية البصرية:

22. الأرشيف الغنائي للمكتبة الغنائية (الفونيتاك) للقناة الإذاعية الامازيغية الثانية، 2004، الجزائر العاصمة .

23. الرصيد الموسيقي عادل مزاب، المكتبة الصوتية، الإذاعة الوطنية القناة الثانية، 2010.

24. الرصيد الموسيقي داودي عمر، المكتبة الصوتية، الإذاعة الوطنية القناة الثانية، 2010.

25. الرصيد الموسيقي جابر بليدي، المكتبة الصوتية، الإذاعة الوطنية القناة الثانية، 2010.

26. الحصة التلفزيونية mrahba القناة التلفزيونية الرابعة بالامازيغية، لقاء مع رئيس جمعية الاستقامة أحمد قلاع ضروس، بتاريخ 16 مارس 2017.

27. الحصة الإذاعية Iwalen n imedeyazen " كلمات وشعراء"، من إعداد صالح فخار، القناة الامازيغية الثانية، لقاء مع الشاعر المغني عادل مزاب، بتاريخ 08 جانفي 2011.

28. -----، لقاء مع الشاعر الشيخ سليمان باشعادل (الجزء الثاني)، بتاريخ 25 مارس 2012.

29. -----، لقاء مع الفنان المنشد الشيخ بالحاج سليمان باشعادل، بتاريخ 27 ماي 2012.

30. الحصة الإذاعية Amlaga " اللقاء"، من إعداد صالح فخار، ، القناة الامازيغية الثانية، لقاء مع الفنان جابر بليدي، بتاريخ 17 أكتوبر 2013.

31. -----، لقاء مع رئيس جمعية "الخان الفتح" السيد الحاج عيسى طالب باحمد، ونائبه موسى صالح والحاج، بتاريخ 27 مارس 2014.

4. المصادر الإلكترونية:

32. <http://www.Adelmzab.fr>
 33. <http://al-injil.net/fr/en-mzab-tumzabt/>
 34. <http://www.aps.dz/culture/70397-festival-du-film-amazigh-izmuln-n-igraren-un-concentre-de-referents-identitaires-de-la-region-d-el-guerrara>.
 35. <http://atmzab.net/benou-mzab/loghatena-wa-tifinagh>
 36. http://www.alsatica.eu/alsatica/bnus/Agraw-n-yiwalen-tumzabt-t-fransist-Dictionnaire-mozabite-francaisJDelheure,1_P_2F1438039.html
 37. http://www.axl.cefan.ulaval.ca/Langues/2vital_expan
 38. <http://www.ayamun.com> .
 39. <http://www.mrahba/facebook.com>
 40. <http://www.entv.dz/tvar/dossiers/index.php?id=4&voir=6>
 41. www.ons.dz
 42. <http://www.unesco.org>
 43. <https://www.facebook.com/Tadwat/posts/288047764720925>
 44. [www.facebook.com/groupe Tamkerdit tumvint tamazigt-Bibliothèque numérique amazighe](http://www.facebook.com/groupe_Tamkerdit_tumvint_tamazigt-Bibliothèque numérique amazighe).
 45. <http://www.tizafri.com>
 46. <http://www.tourath.org/ar/content/view/12/26/->
 47. <http://www.tumzabt.tk/liens.html>
 48. www.facebook.com/tumzabte
 49. www.facebook.com/تاجمي ن تضيفي

5. اللقاءات

50. لقاء مع الشاعر عبد الوهاب حمو فخار، غرداية، بتاريخ 02 سبتمبر 2015.
51. لقاء مع الشاعر صالح ترشين، بني يزقن، بتاريخ 22 أبريل 2015.
52. لقاء مع الشاعر المنشد داودي عمر، بني يزقن، بتاريخ 12 فيفري 2015.
53. لقاء مع الشاعر لعساكر يوسف، بتاريخ 15 مارس 2015 ببريان.
54. لقاء مع الأستاذ يحي بوراس، مؤرخ ومختص في المخطوطات والتراث الديني، بني يزقن، بتاريخ 14 فيفري 2015.

الملاحق

أولاً : الاستبيان

ثانياً : الأشكال الإحصائية لنتائج الاستبيان

ثالثاً : نماذج من استخدامات اللغة المزابية في مجالات

الانترنت والعلامات التجارية

أولا: الإستبيان

باسمہ تعالیٰ: إستبيان حول اللغة المزابية - د. ع. نوح

[أرجو منكم الإجابة على كافة الأسئلة، واعتذر على عدم تأنيث الأسئلة بالنسبة للسيدات لضيق المجال]

المدينة:.....	الجنس: ذكر () أنثى ()	الوظيفة:.....
السن	المولودون سنوات التسعينيات (1990 وما بعدها)	
المستوى الدراسي	جامعي فما فوق	اقل من البكالوريا

1. سياقات استخدام اللغة المزابية

1.1. الوسط العائلي والاجتماعي المزابي

❖ هل تتكلم اللغة المزابية مع :

- الإخوة والأخوات والأقارب (دائما) - (غالبا) - (أحيانا) - (نادرا) - (أبدا)
- في اللقاءات العائلية (دائما) - (غالبا) - (أحيانا) - (نادرا) - (أبدا)
- في السوق مع وجود أجنب (دائما) - (غالبا) - (أحيانا) - (نادرا) - (أبدا)
- اللقاءات الرسمية المحلية (دائما) - (غالبا) - (أحيانا) - (نادرا) - (أبدا)

1.2. الوسط العائلي والاجتماعي المختلط

❖ ماهي اللغة التي تستعملها غالبا في هذه المواقف:

- بحضور ناطقين بالعربية معك (عرب غرداية أو عرب الشمال).....

لماذا؟.....

- بحضور غربيين معك (فرنسيين، ألمان، إنكليز...).....

لماذا؟.....

- بحضور الامازيغ الآخرين معك (القبائل، الشاوية...).....

لماذا؟.....

2. استخدامات اللغة حسب المواضيع والمجالات

2.1. هل تستعمل اللغة المزابية في الأنترنت (فايسبوك مثلا)، والرسائل القصيرة SMS للتواصل مع

المزابيين؟ (دائما) - (غالبا) - (أحيانا) - (نادرا) - (أبدا) [ضع دائرة على الجواب المناسب]

كيف ؟ ولماذا؟

.....

2.2. أيُّ لغة تستعمل في المواضيع والحالات التالية :

● تهنئة العريس/العروس..... تقديم العزاء.....

● عندما تشرح موضوعا دينيا..... لماذا؟.....

● عندما تحلم (في المنام)..... كيف ؟.....

● عندما تدعو الله وتبتهل إليه..... لماذا؟.....

● عند الخصام والشجار الشديد (المشادة الكلامية) مع شخص مزابي.....

لماذا؟.....

2.3. ما هي المواضيع التي تشعر فيها أن اللغة المزابية عاجزة عن التعبير عن أفكارك؟.....

.....

2.4. ما هي المواضيع التي تُفضّل أن تتكلم فيها باللغة المزابية، لأنك تشعر بالارتياح

أكثر؟.....

.....

2.5. أين ؟ ومتى ؟ وفي أي المواضيع تستعمل هذه اللغات :

● اللغة المزابية.....

● اللغة الفرنسية.....

● اللغة العربية الدارجة.....

اللغة العربية الفصحى.....

3. التمثّلات حول اللغات لدى المزبيين

3.1. عندما تكون خارج وادي مزاب في مدن الشمال، هل تتحدث باللغة المزابية لإظهار انتمائك اللغوي

المزابي وتميزك عن الآخرين، أم أنك تُفضّل استعمال اللغة الدارجة أو الفرنسية لإخفاء هويتك

المزابية؟.....

.....

3.2. ما رأيك في أن اللغة العربية الفصحى تنافس اللغة المزابية وتهدها؟.....

.....

3.3. في رأيك ، هل اللغة المزابية في خطر الزوال؟

[ضع X على الجواب الذي

تختاره]

(-) نعم هي في خطر، لماذا؟.....

(-) لا ليست في خطر، لماذا؟.....

3.4. ماهي اللغة/اللغات التي يجب أن يتعلمها أولادك وجوبا حسب الترتيب؟..... لماذا؟.....

.....

4. الموقف من اللغة المزابية وتدريسها

4.1. سب رأيك : ما هو واجبنا تجاه اللغة المزابية ؟

[اختر (أ) أو (ب)]

(أ) ينبغي المحافظة عليها كتراث فقط ولا أرى أي ضرورة لتطويرها وإحيائها .

لماذا؟.....

.....

.....

(ب) يجب أن لا نكتفي فقط بالمحافظة عليها، بل يجب تطويرها وإحيائها لتكون لغة العصر والتقدم والمعرفة في مستوى اللغات الأخرى كالعربية والفرنسية، إلخ.

لماذا؟.....

.....

.....

4.2. هل أنت مع تدريس اللغة المزابية في المدارس

الرسمية (الابتدائي، المتوسط، الثانوي، الجامعي) ؟

- نعم (-) - لا (-)

[ضع X على الجواب الذي تختاره]

إذا كان نعم هل يجب أن تُدرّس اللغة المزابية :

(-) للمزاييين فقط .. لماذا؟.....

.....

(-) لكل من يرغب في تعلّمها سواء من المزابيين أو من غير المزابيين.

لماذا؟.....

-إذا كنت ضد تعليم اللغة المزابية أصلا في المدارس الرسمية ، فلماذا؟.....

4.3. هل أنت مع تدريس اللغة المزابية في المدارس الحرة التابعة للمسجد (الابتدائي، المتوسط، والمعاهد الدينية الثانوية) والمدارس الخاصة التابعة للمزابيين ؟

-- إذا كان نعم، فلماذا؟.....

- إذا كان نعم، هل يجب تدريس اللغة المزابية فقط، أم أيضا الأدب المزابي والتاريخ المزابي؟.....
لماذا؟.....

- إذا كنت تُعارض تدريس اللغة المزابية حتى في المدارس الحرة والمدارس المزابية الخاصة، فلماذا؟.....

5. أسئلة حول الشعر والثقافة المزابية

5.1. هل تفهم اللغة المزابية التي تسمعها في الإذاعة والتلفزيون ؟ [ضع X على الجواب الذي تختاره]

(-) أفهم أغلب ما يقولون. (-) قليلا ما أفهم. (-) لا أفهم أي شيء مما يقولون.

لماذا؟.....

5.2. ما ذا تشعر عندما تسمع أو تقرأ الشعر المزابي (إزلوان).....

5.3. ما ذا تشعر عندما تسمع في الإذاعة أو تشاهد في التلفزيون أغنية باللغة المزابية؟.....

5.4. بصراحة ! كم تحفظ من القصص المزابية القديمة (تنفوسين) ؟.....

5.5. بصراحة ! كم تحفظ من الأمثال والحكم باللغة المزابية تقريبا؟.....

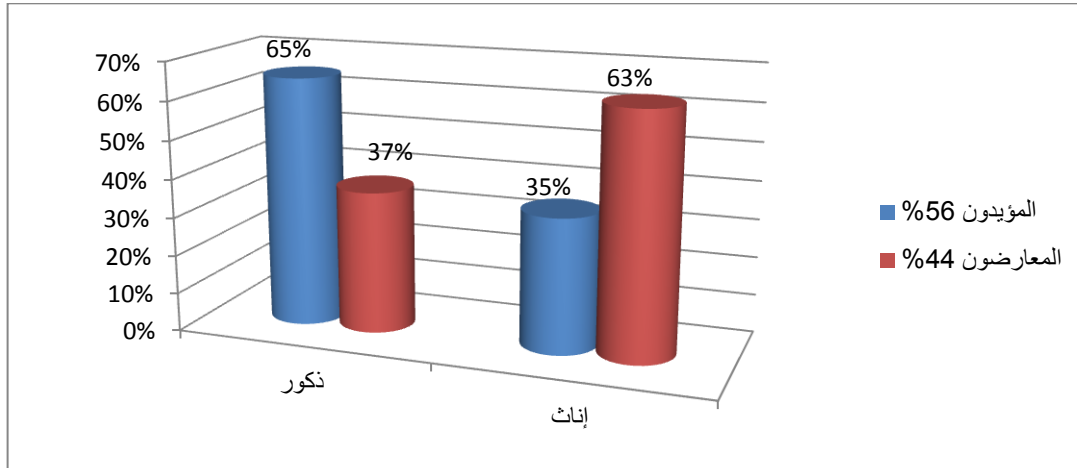
5.6. هل لديك ماتُضيفهُ حول اللغة المزابية ؟.....

تنميرت. شكراتي الحميقة لكم على كرم الإجابة. د. ع. نوح

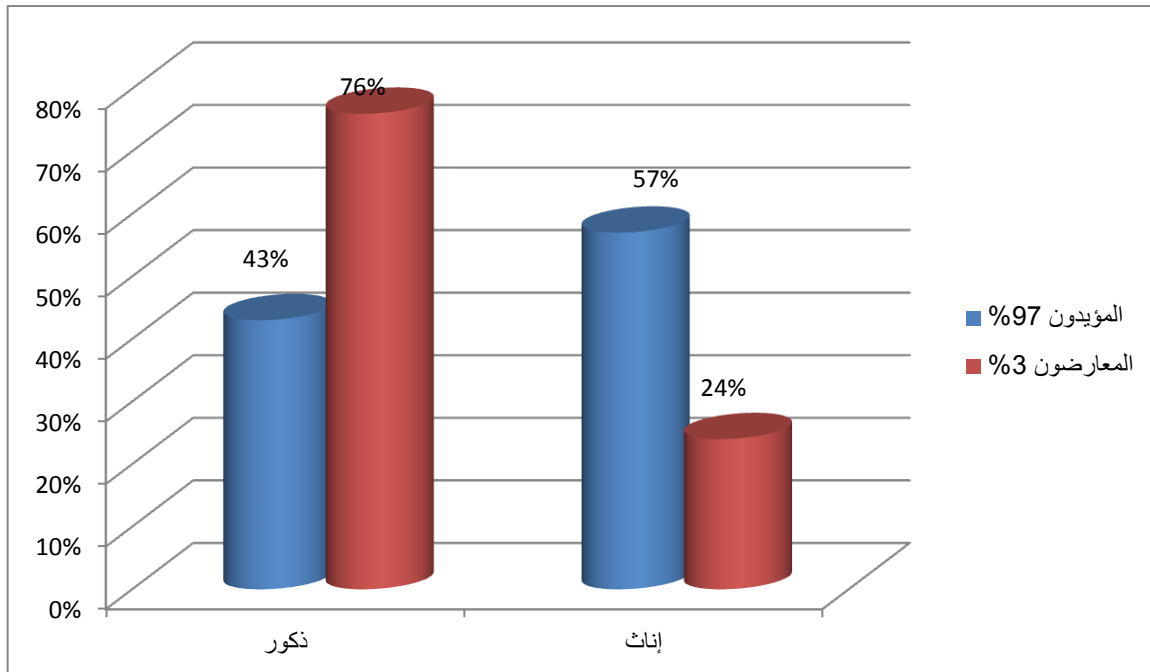
ثانيا: الأشكال الإحصائية لنتائج الاستبيان

- الفصل الأول:

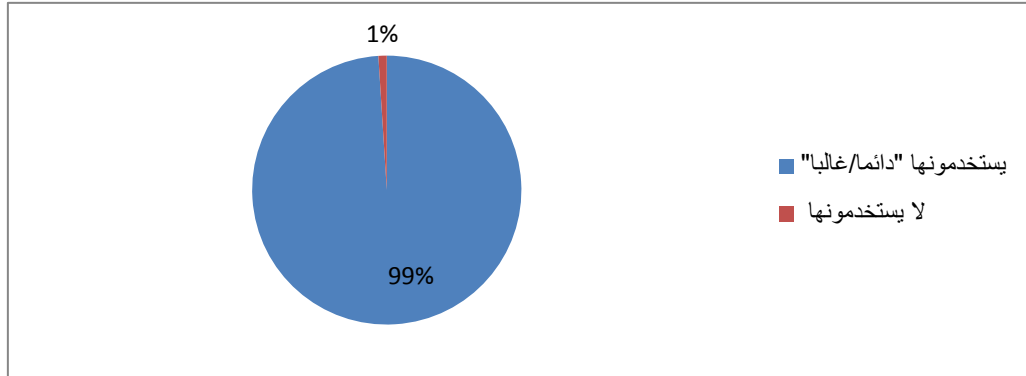
- المبحث الأول:



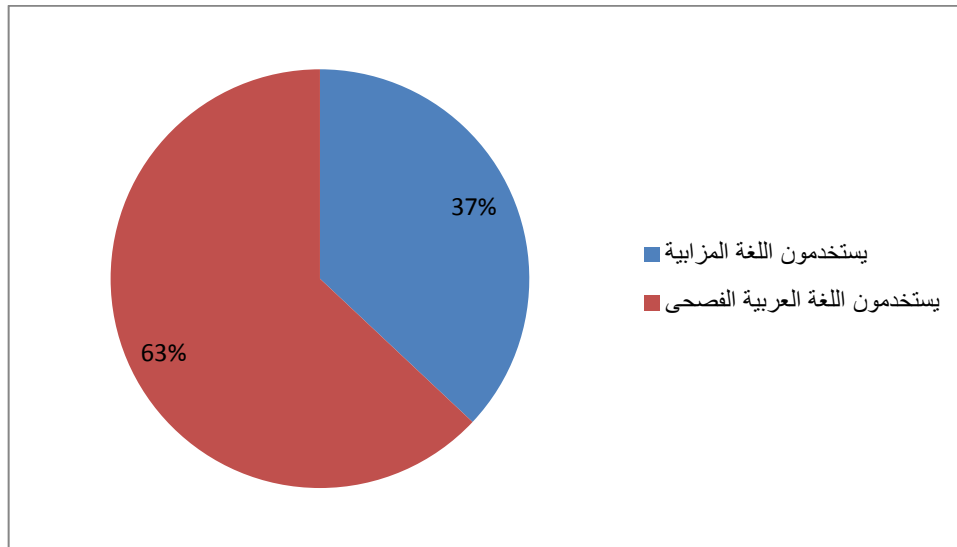
الشكل (1) الموقف من تدريس اللغة المزابية في المدرسة الرسمية (ص.74)



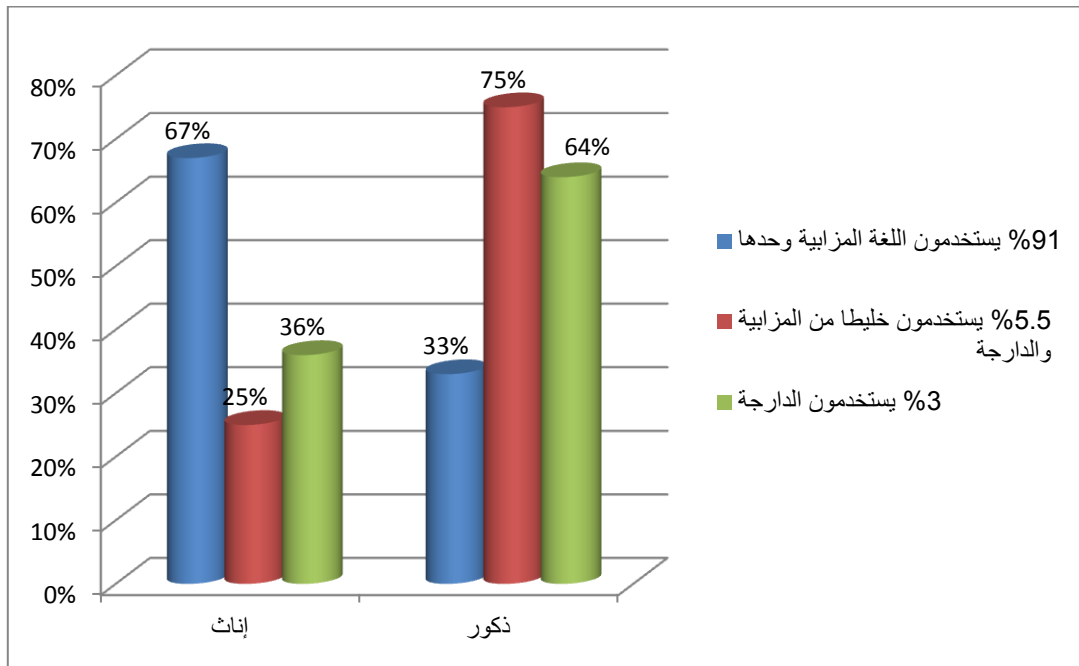
الشكل (2) الموقف من تعليم اللغة المزابية والحضارة الأمازيغية في المدارس الحرة والخاصة (ص.82)



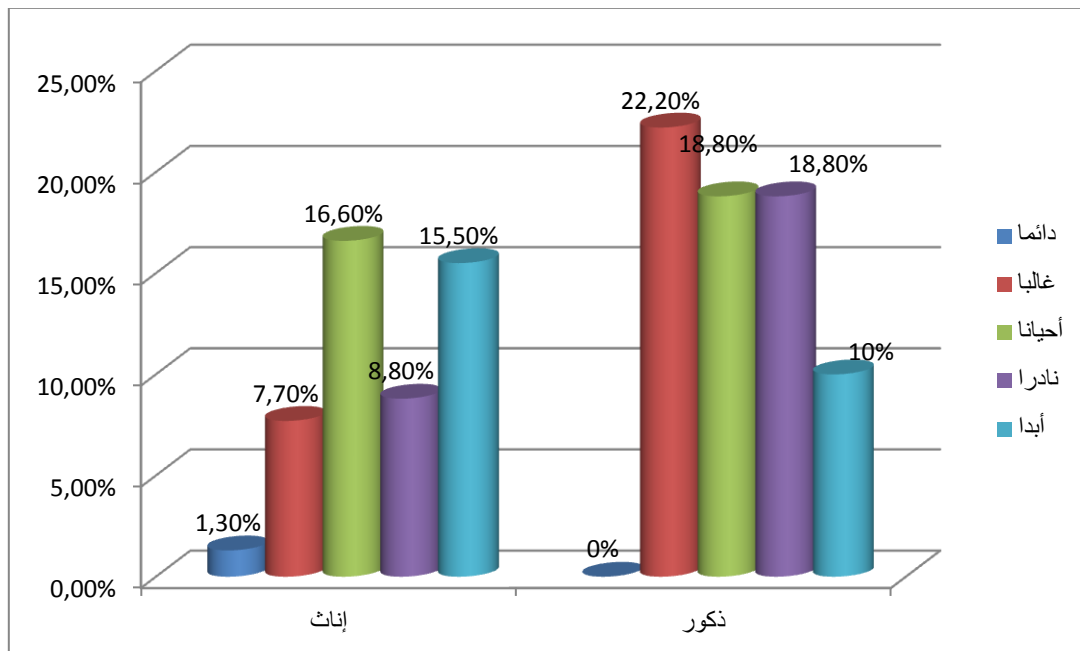
الشكل (3) تصريحات المبحوثين حول نطاق استخدام اللغة المزابية في الوسط المزابي (ص.92)



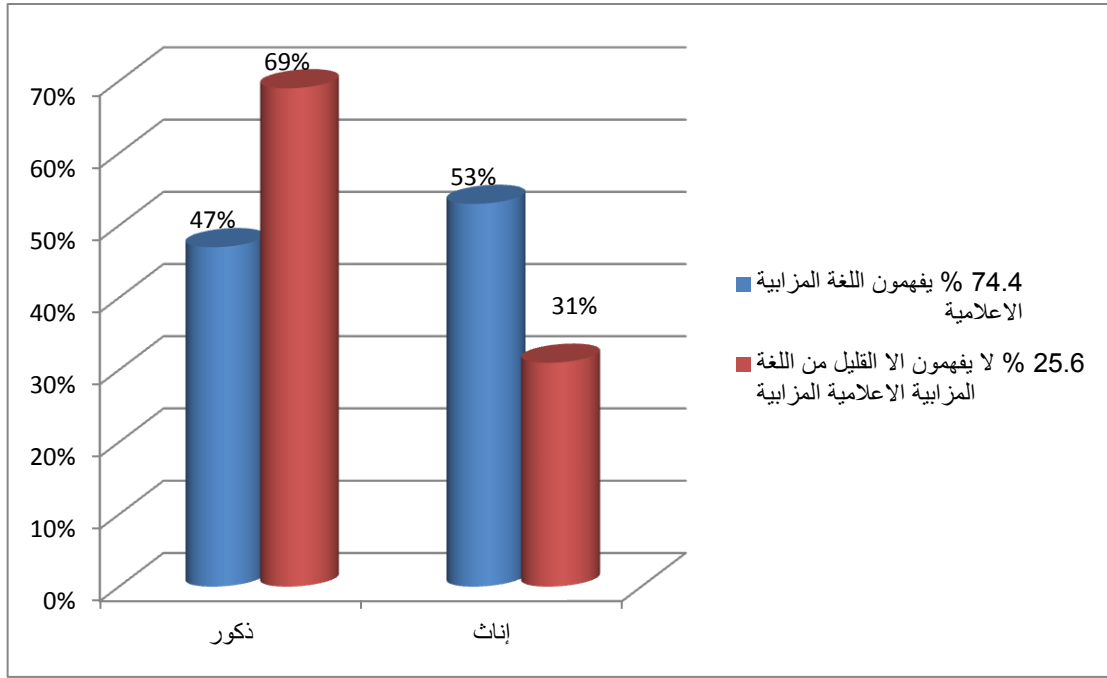
الشكل (4) تصريحات المبحوثين حول اللغة المستخدمة في الفضاء الرسمي (ص.92)



الشكل (5) تصريحات المبحوثين حول اللغة المستخدمة في الوسط المختلط (ص.100)

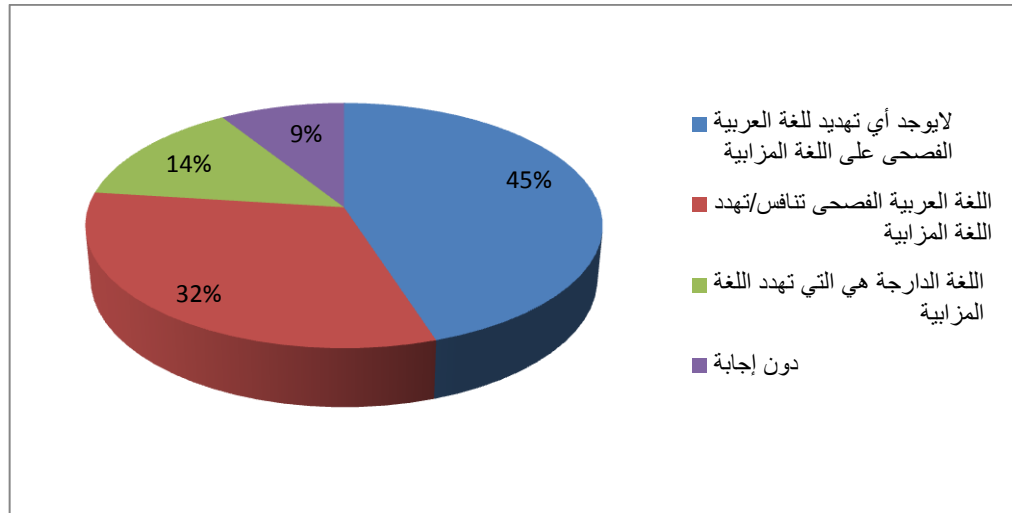


الشكل (6) تصريحات المبحوثين حول استخدام اللغة المزابية في الانترنت والهاتف (ص.119)

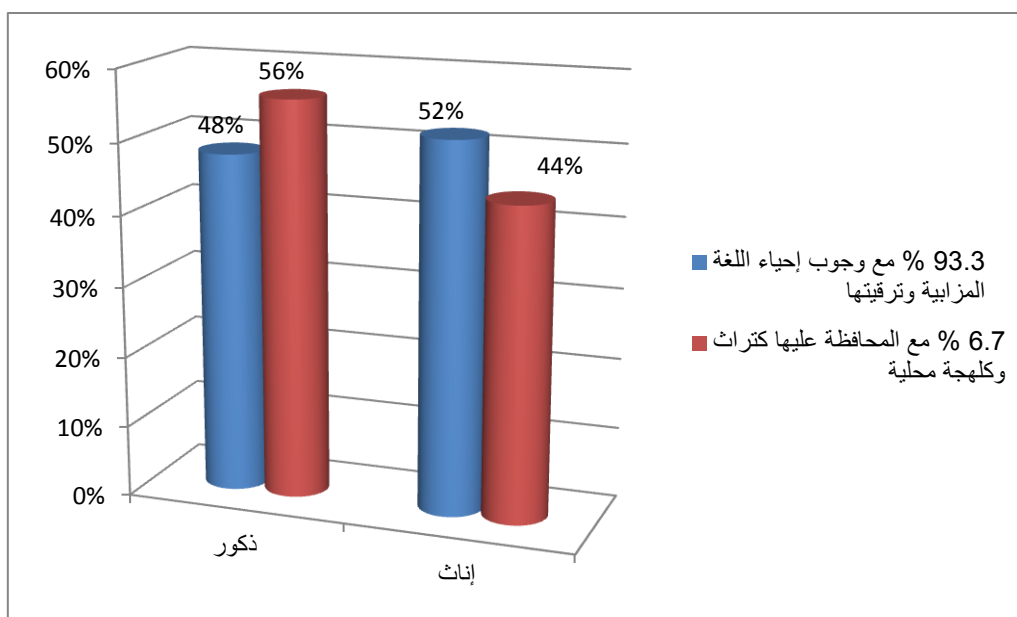


الشكل (7) مدى فهم اللغة الإعلامية المزاجية المتداولة في الإعلام السمعي البصري (ص.121)

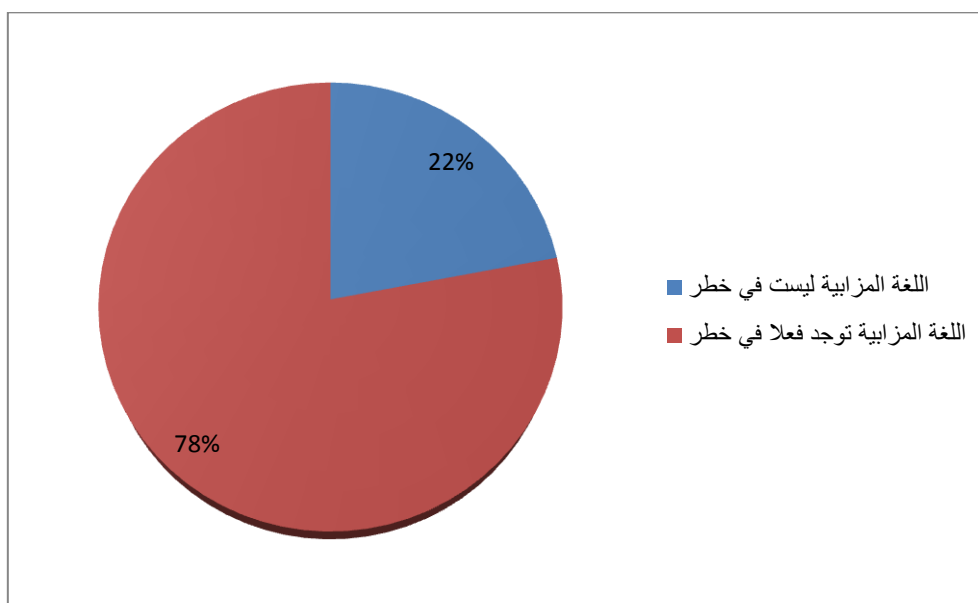
- المبحث الثاني:



الشكل (8) تصريحات المبحوثين حول مدى تهديد اللغة العربية الفصحى للغة المزاجية (ص.160)

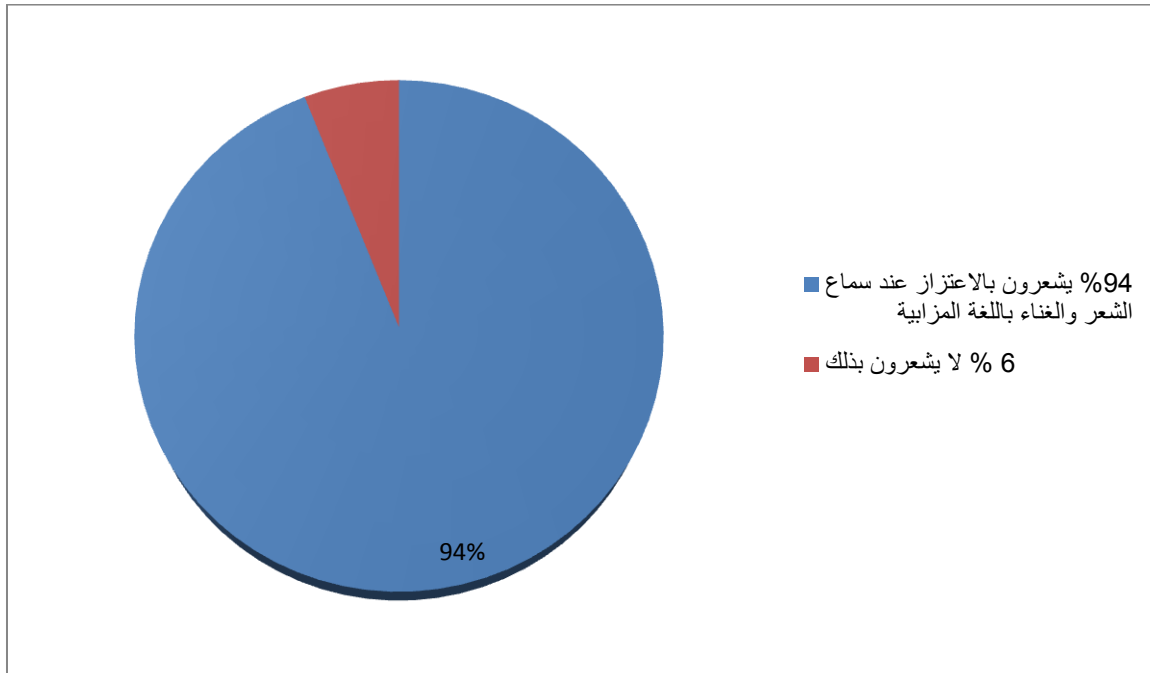


الشكل (9) مواقف المزاييين من اللغة المزابية (ص. 168، 172)



الشكل (10) درجة الأمن اللغوي لدى المزاييين (ص. 192)

- الفصل الثاني : الخاتمة



الشكل (11) تصريحات المبحوثين حول شعورهم تجاه الشعر والغناء باللغة المزاجية (ص.371)

ثالثا: نماذج من استخدامات اللغة المزابية في الانترنت والعلامات التجارية

1. الانترنت



facebook.com/ Abderrahmane Houache

موقع الاستاذ المرحوم حواش عبد الرحمن

· 17 décembre 2016

* بتّا جار وانا ، د وانا ؟ -1- *

— دفر وني قضعن غفنغ، تونتلاوين تيمزوار، باش نسن بلّي داجليد اموقران نّتا،
- د سي ييزمولنس — أغنسلمدن نّلس ن تومزابت دايولن نّلساون نّيسلمد نّييمداينس.
— أسو، أدسقمغ، فسوغ، مّناوت توالين نّعرك جار اسنت، أماغر مراوازنت. أنحكلت داوحدى! ندرق نّلسنغ
دنلساون ن تاروانغ (فخ) ، بركات يا سوخروش ن ييلسنغ !

* بتّا جار وانا ، د وانا ؟ -2- *

** باتّا جار وانا: أدّر، دوانا أدرا ، دوانا : أسدار، دوسودر؟! *
— أدّار، أيند : " الضغط على ...appuyer sur."
— أما دادّار ن صوّفت البالت (فخ)، نقّاراس: أقّاس وهو أدّار ، أنحكلت.....

موقع آت أزدجن نيوز



At Izjan news ⵓⵎⵓⵔ ⵓⵎⵓⵔ ⵓⵎⵓⵔ ⵓⵎⵓⵔ ⵓⵎⵓⵔ

18 mai ,2018

مناو نميدن قارنانغ يلزم ولتسروسوم كلشي الفاييبوك، بتا تخسم اتسيولم سيولت ستوق غرسانت

.....

مادابينا ستوات د تيشلي اجن ايثن البرنامج نوعسي سلق وايل و نتيجي ايغولادنغ
فران أولاحد ولتدوري ديسن، صح الحومان دوعيا سوخدام مبصح يلزم أصبار، يور
ايثن اديثدع ادقيم أرّازنس. أوشتيمن اوهو قرّان رمضان باش اولتيكرن، أما أغرم
انّاف ايغولاد غير إوسارن أفغند نغ زوان لتمجيدا بالاك حد سيسن اسيدرا شرا ميدن
ولتفيقين سيس آل ديثدع الحال

- منتديات أعزام <http://www.tizafri.com/>

لكاتب :
عنوان المشاركة :

نسيم بسالم [أكتوبر 18, 2015, 11:59 am]
Re: قبس من خواطري على الفايسبوك!

تيسدانان ساعة ساعة ميحمقنت فبورخس أقارنت: رُوح أيشقُوس!! تسنم بتي دشقُوس
أتوات أمّغ لاش؟!
تعاودن أشقُوس دقن النوع نالسعُدان (بباز أيساخن آت بباز)، إلصق الضُوفت، مسّيف
بشكا أدتوائس...
يُضرب مثلا لمن هُو صعب المراس، لا يُعامل معه بسُهولة، إجرّح إتبز يسعيّا العقليّة،
ويُضرب مثلا كذلك لمن التصقت به المعصية (المشقة) حتى لا تُجُثّث منه إلا بصُعوبة
(بالغة)... الفائدة سدديك محمد إمناسن رب اديج تنميرت ديس....)

At mzab.net

-- موقع آت مزاب

تومزابت قواعد اللغة المزابية : قاعدة الحرف المشدّد
توجد ثلاثة أحرف في اللغة الأمازيغية تنقلب إلى أحرف أخرى عند تشديدها بسبب الإعراب أو الإشتقاق
و هي:
حرف ض "□□" عند تشديده ينقلب طط / ط "□□"
أمثلة عن حرف "ض" "□□" / "□□" الذي ينقلب إلى "طط" "□□" / "
سقط / يوضنا □□□□ /
يَنُوطًا / يَنُوطًا □□□□□□□□ /
النّوم / يَضُنّ □□□□ /
نام / يَطُنّ. □□□□□□□□ /

- موقع تادوات

<https://www.facebook.com/Tadwat/posts/288047764720925>

· 28 août 2014

Djamel Zitani à **Wi xsen Tumzabt yelmed tira-s**

- موقع تيران تومزابت

<http://www.tumzabt.tk/liens.html>

Tira s Tumzabt

L'écriture en langue Mozabite

(2) العلامات التجارية:



- كريمة للدهن **إكومار** "موضع حلقة العروس" - عطر البخور **تاسلت** "العروس"



8 مل x 8 قارورات

Sabrinel®
LABORATOIRES

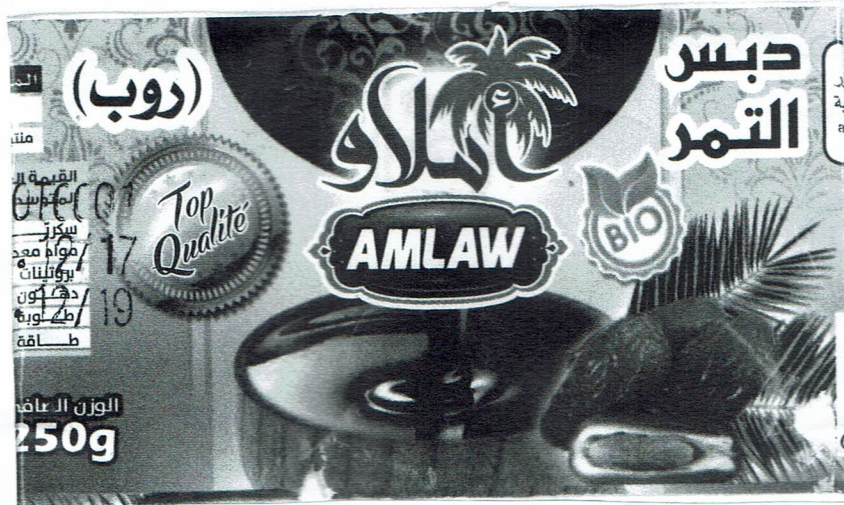
عطر الحناء
إزلوان

إنتاج مخبر صابرينال
المنطقة الصناعية (بنورة) غرداية - الجزائر -
هاتف / فاكس: 213 (0)29 27 23 41
www.sabrinel.com

- عطر الحناء **إزلوان** "الأهازيج"



- مشروب **نكر واية** (مقوي ومنتشط طبيعي)



- دبس التمر **أملو** " التمرة الناضجة "

ترسّلت أوغلان
 +ⵍⵓⵎⵉⵔ ⵙⵉⵎⵓⵙⵉⵔ
 تحف ومصاييح وزرابي
 تقليدية وعصرية رائعة
 الهاتف: 0799 28 36 39
 العنوان: ص. ب 881 بني يزقن
 ناهية عمى موسى

- محل ترسّلت ن أوغلان "عمود المنسج (منسج) مزاب"

تْغَاوْسَا نْ فُوس
 TGHAWSA nou FOUS
 الإبداع اليدوي للتحف التراثية و الفنية
 Réalisation manuelle d'ouvrages
 patrimoniaux et artistiques
 0558 08 95 03 / 0663 42 37 23
 TGHAWSAFOUS@OUTLOOK.fr
 Rue BENRABAH A.Krime (Souk de Ghardaïa)

- محل تْغَاوْسَا نْ أَوْفُوس "حرفة اليد"

La Maison de la Datté Tini
 محل التمور تيني
تغلّوست
 Taghalloust
 بنوالة التمر
 w. Ghardaïa
 Tél: 029 2699 63 Mob.: 0798 77 38 39

- مشروب تغلّوست "القهوة"

انايين
 INNAYENE
 صناعة وتحويل الرخام
 طريق العطف - بنوورة
 BABA ADDOUN: 0560.20.22.65

- محل إنايين "المطبخ التقليدي"

الفهرست

الصفحة	
1	المقدمة
14	مبحث تمهيدي الإطار المنهجي للدراسة
15	الفرع الأول: السوسيو-لسانيات (اللسانيات الاجتماعية)
18	الفرع الثاني: معايير تقييم حيوية اللغة المزابية ووضعها السوسيو-لساني
20	- السُّلم التقييمي المعتمد (سلم منظمة اليونسكو لحيوية اللغات وتعرضها للاندثار)
23	الفرع الثالث: أساليب البحث المعتمدة
23	أولاً: الملاحظة بالمشاركة
24	ثانياً: البحث الميداني (الاستبيان واللقاءات)
29	ثالثاً: البحث التوثيقي
29	الفرع الرابع: مدونة الشعر المزابي
31	الفرع الخامس: تعريف بعض المصطلحات الأساسية
36	الفرع السادس: معوقات البحث
38	الفصل الأول حيوية اللغة المزابية في محكّ معايير منظمة اليونسكو
41	المبحث الأول حيوية اللغة المزابية وفقاً للعوامل المتعلقة بخصائص اللغة

واستخداماتها	
المطلب الأول: نوع التوثيق وجودته	41
الفرع الأول: مسار انتقال اللغة المزابية إلى التدوين	42
أولاً: التدوين الضئيل للغة المزابية قبل الفترة الاستعمارية	43
(أ) تدوين اللغة الامازيغية إبان الدولة الرستمية	43
(ب) تدوين العقيدة الاباضية بالامازيغية خلال القرن العاشر	44
ثانياً: مسار تدوين اللغة المزابية منذ العهد الاستعماري	47
(أ) البداية الفعلية للتدوين العلمي للغة المزابية في الفترة الاستعمارية	47
(ب) مسار تدوين اللغة المزابية بعد الاستقلال على أيدي أبنائها ونشرها الواسع	48
الفرع الثاني : نوعية الأعمال الموثقة والمؤلفات حول اللغة المزابية وباللغة المزابية	51
أولاً: الدراسات والبحوث حول اللغة المزابية	52
(أ) أعمال الكتاب الفرنسيين حول اللغة المزابية	52
1. الأعمال اللغوية	52
2. الأعمال التدوينية للأدب المزابي	55
(ب) المؤلفات والأعمال العلمية للباحثين المزابيين باللغة المزابية	57
1. الدراسات النحوية	57
2. الدراسات اللفظية والقواميس	58
3. الدراسات اللغوية الأدبية	61
ثانياً: المؤلفات والمدونات باللغة المزابية	61
(أ) المؤلفات المنشورة	61
(ب) التوثيق السمعي-البصري للغة المزابية	64

65	(ج) التوثيق الرقمي للغة المزابية
67	المطلب الثاني: مدى توفر مواد التدريس المتعلقة باللغة المزابية ومحو الأمية
69	الفرع الأول: المواد البيداغوجية لتدريس اللغة المزابية في التعليم الرسمي ونوعيتها
69	أولاً: تدريس اللغة المزابية في التعليم الرسمي وأسباب فشله
69	(أ) التدريس الرسمي للغة المزابية
72	(ب) أهم العوائق السوسيو-لسانية لتدريس اللغة المزابية في التعليم الرسمي
76	ثانياً: المواد البيداغوجية المتوفرة ونوعيتها
76	(أ) المواد اللغوية المنتجة في الفترة الاستعمارية
77	(ب) الكتاب المدرسي لمادة الامازيغية لوزارة التربية الوطنية
78	(ج) كتاب " قواعد الكتابة والنحو للغة المزابية "
80	الفرع الثاني: المواد البيداغوجية لتدريس اللغة المزابية في التعليم الحر ومحو الأمية
80	أولاً: انعدام المواد البيداغوجية لتدريس اللغة المزابية في التعليم الحر ومحو الأمية
84	ثانياً: المادة البيداغوجية لتدريس الأدب المزابي في معهد الإصلاح الديني بغرداية كاستثناء
87	المطلب الثالث: نطاق استخدام اللغة المزابية ومدى توسعه إلى المجالات الجديدة ووسائل الإعلام
89	الفرع الأول: المجالات والسياقات التقليدية لاستخدام اللغة المزابية
90	أولاً: المجالات التقليدية لاستخدام اللغة المزابية في إطار التوزيع

	الوظيفي التكاملي للغات
91	ثانيا: السياقات التقليدية لاستخدام اللغة المزابية
92	(أ) استخدام اللغة المزابية في الوسط المزابي وتهديداته
92	1. التنوع اللهجي بين المدن المزابية
94	2. خلط وتداخل الشفرات ومدى تهديده لاستمرارية اللغة المزابية
97	3. استعمال اللغة المزابية لدى عائلات الزواج المختلط
99	(ب) استخدام اللغة المزابية في الوسط المختلط
100	1. السياق العادي
102	2. السياق التصادمي
105	الفرع الثاني: مدى توسع استخدام اللغة المزابية إلى السياقات والمجالات ووسائل الإعلام الجديدة
105	أولا: السياقات والمجالات الجديدة لاستخدام اللغة المزابية
105	(أ) السياقات الجديدة لاستخدام اللغة المزابية
106	(ب) المجالات الجديدة لاستخدام اللغة المزابية
110	ثانيا: درجة اقتحام اللغة المزابية لوسائل الإعلام السمعية البصرية
110	(أ) إدراج اللغة المزابية في وسائل الإعلام السمعية البصرية التقليدية
110	1. المجال الإذاعي
112	2. المجال التلفزيوني
113	3. مجال الإنتاج السمعي البصري الخاص
116	(ب) اقتحام اللغة المزابية لوسائل الإعلام الالكترونية الجديدة
116	1. شبكة الانترنت

118	2. الرسائل الهاتفية
122	خاتمة المبحث الاول
125	المبحث الثاني
	حيوية اللغة المزابية وفقا للعوامل المتعلقة بالناطقين وبالسياسة اللغوية والمحيط المؤسساتي
126	المطلب الأول: انتقال اللغة المزابية عبر الأجيال وعوامله
127	الفرع الأول: العوامل الجغرافية والدينية والاجتماعية الضامنة لانتقال اللغة المزابية
128	أولا: العزلة الجغرافية التاريخية السياسية لبني مزاب
132	ثانيا: التميز المذهبي والوضع الطائفي
132	(أ) التميز المذهبي
132	1. المذهب الاباضي
134	2. اثر التميز المذهبي في التميز الاثني-لساني للمزابيين
136	(ب) الوضع الطائفي
139	الفرع الثاني: العوامل الاجتماعية الضامنة لانتقال اللغة المزابية والتهديدات التي تواجهها
139	أولا: الدور المحوري للمرأة المزابية كحارس للهوية وضامن لانتقال التراث اللغوي بين الأجيال
140	(أ) الزواج الداخلي كصمام أمان من الاحتواء اللغوي
141	(ب) عزلة المرأة المزابية كظرف مساعد على محافظتها على اللغة المزابية
	(ج) التمدرس التقليدي للمرأة المزابية كوسيلة لنقل الموروث اللغوي

141	الثقافي الامازيغي
143	ثانيا: التهديدات الجديدة التي تواجه عملية انتقال اللغة المزابية بين الأجيال
143	(أ) أثر العولمة والثورة الإعلامية الجديدة على انتقال اللغة المزابية بين الأجيال
146	(ب) أثر المدارس التحضيرية للأطفال وبرامج محو الأمية للكبار في عملية انتقال اللغة المزابية
146	1. المدارس التحضيرية
148	2. مدارس محو الأمية للنساء المزيابيات
150	المطلب الثاني: عدد الناطقين باللغة المزابية ومواقفهم حيال لغتهم
150	الفرع الأول: عدد الناطقين باللغة المزابية ونسبتهم
152	أولا: العدد المطلق للمتحدثين باللغة المزابية
156	ثانيا: نسبة المستخدمين للغة المزابية من مجموع الناطقين بها وانتشارهم
157	(أ) سواد استخدام اللغة المزابية كاللغة الوحيدة للتواصل بين المزيابين
162	(ب) استثناءات لدى عائلات الزواج المختلط وقلة من العائلات المزابية المعربة
166	الفرع الثاني: مواقف الناطقين باللغة المزابية حيال لغتهم
168	أولا: اتجاه الاكتفاء بالمحافظة على اللغة المزابية باعتبارها تراثا فلكلوريا محليا
168	(أ) الفئة الحاملة لهذا الاتجاه
168	1. النخبة العروبية
169	2. قسم من النخبة الدينية المعربة
169	3. فئة المنفعيين

169	(ب) حجج ومبررات هذا الاتجاه
172	ثانيا: اتجاه إحياء اللغة المزابية وتطويرها لتكون في مستوى اللغات الأخرى المنافسة
172	(أ) الفئات الحاملة لهذا الاتجاه
172	1. المناضلون المؤمنون بالقضية الامازيغية
173	2. المتعاطفون الظرفيون والدائمون مع القضية الامازيغية
174	(ب) حجج ومبررات هذا الاتجاه
176	المطلب الثالث: السياسات اللغوية الحكومية وسلوك المؤسسات الرسمية وآثارها على وضع اللغة المزابية
177	الفرع الأول: السياسة اللغوية للدولة الجزائرية وسلوكياتها قبل الاعتراف بالامازيغية وآثارها على وضع اللغة المزابية
177	أولا: سياسة التعريب والأحادية اللغوية وآثارها على وضع اللغة المزابية
177	(أ) سياسة التعريب في إطار الأحادية اللغوية
180	(ب) المنظومة القانونية للتعريب
182	ثانيا: آثار هذه السياسة اللغوية على وضع اللغة المزابية
182	(أ) بالنسبة لسلوك المؤسسات الرسمية
186	(ب) بالنسبة لسلوك المؤسسات العرفية
188	الفرع الثاني: السياسة اللغوية للدولة الجزائرية وسلوكياتها بعد الاعتراف بالامازيغية وآثارها على وضع اللغة المزابية
188	أولا: سياسة الاعتراف بالبعد الامازيغي وترقية اللغة لامازيغية
190	ثانيا: آثار هذه السياسة على وضع اللغة المزابية
190	(أ) ترقية مكانة اللغة المزابية المؤسساتية والاجتماعية
190	1. ترقية المكانة المؤسساتية للغة المزابية
191	2. ترقية المكانة الاجتماعية للغة المزابية

193	(ب) استمرار بعض السلوكيات المؤسساتية المعادية للغة المزابية
193	1. السلوكيات المعادية الصادرة عن مؤسسات الدولة المحلية
194	2. السلوكيات المعادية الصادرة عن بعض ممثلي المؤسسات العرفية
197	خاتمة المبحث الثاني
198	خاتمة الفصل الاول
203	الفصل الثاني مساهمة الشعر المزابي في حيوية اللغة المزابية
207	المبحث الأول مدى مساهمة الشعر المزابي القديم في الحفاظ على حيوية اللغة المزابية
209	المطلب الأول: انكماش ميادين الشعر المزابي القديم كانعكاس للمكانة الدونية للغة المزابية
210	الفرع الأول: الأهازيج الاحتفالية وأهازيج النسيج والأهازيج الاجتماعية
210	أولاً: الأهازيج الاحتفالية وأهازيج النسيج
210	(أ) الأهازيج الاحتفالية
210	1. حفل الزواج
211	2. حفل الختان

212	(ب) أهازيج النسيج
213	1. ما يقال عند إعداد المنسج
213	2. ما يقال عند نسج الزربية
214	3. ما يقال عند الانتهاء من الزربية
214	ثانيا: الأهازيج الاجتماعية
214	(أ) أهازيج التفاؤل بالأولاد والاعتداد بهم
214	1. أهزوجة الأم التي ترغب في الذرية
215	2. أهزوجة الفأل التي تغنى للمرأة العاقر
216	3. الاعتداد بالأولاد والدعوة لهم بالحفظ من كل سوء
218	(ب) الأهازيج العائلية
218	1. الملاسنة بين الزوجة وحمايتها
219	2. عشرة أخوات الزوج والريب
220	3. أهازيج الألعاب
223	الفرع الثاني: أهازيج الغربية والغزل
223	أولا: أهازيج الغربية
224	(أ) المعاناة من الغربية
224	1. أهزوجة "الشعر مثل القراءان"
225	2. أهزوجة "لالة جنانة"
227	(ب) ذم الغربية ومعاتبة الزوج المغترب
229	(ج) سفر وعودة المغترب
229	1. أهزوجة وداع المغترب
230	2. عودة المغترب
231	ثانيا: أهازيج الغزل
232	(أ) الغزل الفاضح
232	(ب) الغزل العفيف

233	المطلب الثاني: العوامل السوسيو-لسانية لانكماش الشعر المزابي القديم كواجهة للغة المزابية
236	الفرع الأول: الطابع الشفوي والنسوي للشعر المزابي القديم
236	أولاً: الطابع الشفوي للشعر المزابي القديم
239	ثانياً: الطابع النسوي للشعر المزابي القديم
243	الفرع الثاني: الازدواجية اللغوية كعامل لازدهار الشعر العربي على حساب الشعر الأمازيغي
243	أولاً: الازدواجية اللغوية الفئوية والجنسية في المجتمع المزابي القديم
244	(أ) الازدواجية اللغوية الفئوية بين اعزابن (رجال الدين) والعوام (عامّة الشعب)
247	(ب) الازدواجية اللغوية الجنسية بين مجتمع الرجال ومجتمع النساء
251	ثانياً: ازدهار الشعر العربي الفصيح عند بني مزاب على حساب الشعر الأمازيغي
251	(أ) الشعر العربي القديم عند بني مزاب
251	1. المنظومات التعليمية والأشعار الإنشادية
253	2. الشعر العربي القديم المتعدد المواضيع
253	(ب) الشعر العربي الحديث عند بني مزاب
256	المطلب الثالث: دعم الأهازيج المزابية لحيوية اللغة المزابية، بفضل شفويتها ولدورها الوظيفي وقيمتها التراثية واللغوية
257	الفرع الأول: حيوية الأهازيج المزابية بفضل شفويتها ودورها الوظيفي وقيمتها التراثية والموسيقية
257	أولاً: شفوية الأهازيج المزابية ودورها الوظيفي في طقوس المجتمع النسوي

257	(أ) قوة الشفوية كعامل للحفاظ على التراث اللغوي والأدبي المزابي
260	(ب) الدور الوظيفي للشعر المزابي القديم في طقوس المجتمع النسوي
261	1. "بلغ يا مبلغ الاماني"
263	2. أهزوجة "أمشطي خصلة شعر الطفل"
265	ثانيا: القيمة التراثية والموسيقية للأهازيج المزابية الغنائية كسمة للهوية الاثنو-لسانية
266	(أ) المضمون التراثي
266	(ب) المضمون الموسيقي
269	الفرع الثاني: القيمة اللغوية للأهازيج المزابية التراثية
270	أولا: المستوى البلاغي
271	(أ) التعابير البيانية والمجازية
272	(ب) الأشعار المشفرة
274	ثانيا: المستوى اللفظي
275	(أ) الألفاظ العربية الدخيلة
275	(ب) الألفاظ والتركيبات القديمة المندثرة
277	خاتمة المبحث الأول
279	المبحث الثاني مساهمة ازدهار الشعر المزابي الحديث وتوسع موضوعاته في حيوية اللغة المزابية
281	المطلب الأول: عوامل ازدهار الشعر المزابي الحديث في ظل الازدواجية اللغوية
281	الفرع الأول: الحاجة التواصلية إلى الشعر المزابي وظهور الشعر الرجالي المزابي الحديث
283	أولا: إنتقال الأهازيج التراثية النسوية إلى المجتمع الرجالي وظهور

	الشعر "الرجالي" المزابي الحديث
283	(أ) إنتقال الأهازيج التراثية النسوية إلى المجتمع الرجالي
284	(ب) ظهور وتطور الشعر "الرجالي" المزابي الحديث
286	1. فترة الثلاثينيات والاربعينيات
286	2. فترة الخمسينيات والستينيات
287	3. فترة السبعينيات الى التسعينيات
288	ثانيا: الحاجة التواصلية إلى الشعر المزابي
289	(أ) أثر الحركة الإصلاحية الاباضية في ظهور الشعر المزابي الحديث
292	(ب) ميلاد أول قصيدة باللغة المزابية معروفة المؤلف في العصر الحديث
293	الفرع الثاني: تنامي الوعي بالامازيغية بفعل الوضع الطائفي وتأثير الحركة الامازيغية بمنطقة القبائل
293	أولا: حركة الاهتمام بالشعر المزابي الأمازيغي في الأوساط الدينية المعربة
298	ثانيا: أثر الوضع الطائفي في الوعي الإثنو-لساني للمزابيين
399	ثالثا: أثر الربيع الأمازيغي في بعث الشعر المزابي الامازيغي
304	المطلب الثاني: مظاهر ازدهار الشعر المزابي الحديث وأثر ذلك على حيوية اللغة المزابية
304	الفرع الأول: البث الواسع للشعر المزابي وازدهار الشعر الغنائي والأنشودة المزابية
305	أولا: البث الواسع للشعر المزابي من خلال الوسائط الثقافية والإعلامية والتدوين
305	(أ) الوسائط الثقافية والإعلامية التقليدية
305	1. نظام <i>asebbarek - lhejbet</i> كأهم واسطة دائمة

	للسماع الشعري
308	2. المهرجانات الثقافية الدينية والاحتفالات التقليدية
308	(ب) الوسائط الثقافية والإعلامية العصرية
309	1. الوسائط الثقافية العصرية (المهرجانات الشعرية والغنائية)
310	2. الوسائط الإعلامية السمعية البصرية
312	3. دخول الشعر المزابي الحديث مجال الطباعة والنشر
314	ثانيا: ازدهار الشعر الغنائي المزابي وتطور الإنشاد باللغة المزابية
315	(أ) المنشدون والمجموعات الصوتية الإنشادية المزابية
318	(ب) المغنون والفرق الغنائية المزابية
322	الفرع الثاني: ترقية اللغة الشعرية المزابية كمستوى رفيع للغة المزابية
324	أولاً: ترقية المستوى البلاغي
324	(أ) الصور البيانية
324	1. الكناية
324	2. المجاز
225	3. الاستعارة
326	(ب) الصور البديعية
326	1. المحسنات اللفظية
327	2. المحسنات المعنوية
328	ثانيا: ترقية المستوى اللفظي
329	(أ) بعث الرصيد اللفظي القديم الآيل للزوال
332	(ب) توظيف الألفاظ الأمازيغية المبتكرة
332	1. الألفاظ المبتكرة من طرف الباحثين المزابيين
334	2. الألفاظ المبتكرة المقتبسة من قاموس مولود معمري
334	ثالثاً: إحياء عناصر التراث الثقافي المزابي
335	(أ) الأمثال والحكم

335	(ب) الأساطير والعادات والتقييدات التاريخية
337	المطلب الثالث: توسع مجالات التعبير باللغة المزابية بتوسع ميادين الشعر المزابي الحديث
338	الفرع الأول: شعر النقد الاجتماعي والشعر الثوري وشعر الهوية
339	أولاً: شعر النقد الاجتماعي والشعر الثوري
339	(أ) شعر النقد الاجتماعي
339	1. نقد أوضاع المجتمع المزابي واستنهاض الهمم
346	2. نقد بعض الظواهر الاجتماعية السلبية
347	(ب) الشعر الثوري
350	ثانياً: شعر الهوية المزابية وتمجيد النموذج المزابي للحياة ومآثر الأجداد
350	(أ) الهوية المزابية الأمازيغية
355	(ب) تمجيد مآثر الأجداد والنموذج المزابي للحياة
355	1. تمجيد مآثر الأجداد
357	2. مدح وتمجيد الأنا الجمعي والنموذج التقليدي للحياة المزابية
358	الفرع الثاني: الشعر الديني والمناسباتي وشعر الغربة والطبيعة والغزل
358	أولاً: الشعر الديني التعبدية والتربوي
358	(أ) الشعر الديني التعبدية
359	(ب) الشعر الوعظي التربوي
361	ثانياً: الشعر المناسباتي وشعر الطبيعة والغربة والغزل
361	(أ) الشعر المناسباتي
361	1. المدح والثناء
362	2. تخليد المآثر والأحداث
364	(ب) شعر الغربة والطبيعة والغزل

364	1. شعر الغربة
366	2. شعر الطبيعة والغزل
368	خاتمة المبحث الثاني
370	خاتمة الفصل الثاني
373	الخاتمة
383	المراجع والمصادر
409	الملاحق
410	أولاً: الإستبيان
414	ثانياً: الأشكال الإحصائية لنتائج الاستبيان
420	ثالثاً: نماذج من استخدامات اللغة المزبوبة في مجالات الانترنت والعلامات التجارية
420	1. الانترنت
422	2. العلامات التجارية
425	الفهرست
441	فهرس الجداول البيانية والخرائط

فهرس الجداول البيانية والخرائط

(أ) الجداول البيانية

رقم الجدول	العنوان	الصفحة
1	تشكيلة عينة الاستبيان	26
2	متغير الجنس في الاستبيان	27
3	ترتيب عوامل حيوية اللغات في خطة الدراسة	40
4	نسبة استخدام اللغة المزابية في الانترنت والهاتف	119
5	اسقاط جدول فيرغسون على استخدامات اللغة المزابية	122
6	تقييم اللغة المزابية وفقا للعوامل المتعلقة بخصائص اللغة (التوثيق والتدريس ونطاق الاستخدام)	123
7	عوامل التميز بين الناطقين باللغة المزابية والناطقين بالعربية	135
8	استخدام اللغتين المزابية والعربية لدى سكان وادي مزاب في بداية القرن العشرين حسب دوتييه	138
9	تقييم اللغة المزابية وفقا للعوامل المتعلقة بالناطقين والسياسة اللغوية والمحيط	198
10	التفاعل والتأثير المتبادل بين عوامل حيوية اللغات	200
11	مقارنة العوامل المؤثرة في الوضع السوسيو-لساني للغتين المزابية والعربية الفصحى	249
12	الوضع السوسي-لساني للغتين المزابية والعربية الفصحى	250
13	مسار تطور الشعر المزابي الحديث	288
14	الالفاظ الامازيغية المبتكرة في ديوان أول - إنو	333
15	الالفاظ الامازيغية المقتبسة من قاموس مولود معمري في ديوان أول - إنو	334
16	التقييم الشامل لوضع اللغة المزابية وفقا لعوامل اليونسكو لحيوية اللغات	380

(ب) الخرائط

رقم الخريطة	العنوان	الصفحة
1	خريطة ديمو-لغوية لوائي مزاب	154
2	خريطة ديمو-لغوية لوائي مزاب وبريان وقرارة	155

تتميز اللغة المزابية التي صنفها منظمة اليونسكو سنة 2010 في خانة "اللغة القابلة للتهديد" ، بدرجة حيوية متوسطة. ويثير هذا الوضع تساؤلا حول ما إذا كانت اللغة المزابية للاباضيين، وفقا لوضعها السوسيو-لساني، ستتطور في المدى البعيد إلى "لغة مهددة" أو بالعكس من ذلك قد تصبح "لغة آمنة" بالنظر إلى عوامل القوة التي تتمتع بها ؟.

وتكمن عوامل قوتها في الاستخدام الشامل لها من طرف الناطقين المزابيين في الوسط المزابي كلفة انتماء إثنو-لساني، وكذا في ترسخ تقليد انتقالها بين الأجيال كسمة أساسية للهوية المزابية إلى جانب المذهب الاباضي. غير أن اللغة المزابية تعاني من عوامل ضعف جدية من الناحية اللسانية، تتمثل أساسا في بطء انتقالها إلى التدوين وانعدام تدريسها في التعليم الرسمي والحروالخاص، مما حرّمها من المقرئية والإثراء اللفظي، ومن عملية التنميط البيداغوجي والتهيئة اللغوية، وهي شروط أساسية لقوة اللغات واستمراريتها. ومن حيث مجال الاستخدام بقيت اللغة المزابية حبيسة الفضاء الحميمي للجماعة وقليلة التواجد في الفضاء الرسمي الذي لازالت تحتل فيه اللغة العربية الفصحى المكانة الأولى .

ويشكل الشعر المزابي-إزلوان بنوعيه المدون والإنشادي الغنائي عاملا قويا في الوضع السوسيو-لساني للغة المزابية بفضل توسع مجالاته التعبيرية وبثه الواسع وتطوره الأسلوب. وبفضله ظهرت وازدهرت لغة أدبية راقية دعمت اللغة السارية على المستوى اللفظي والتركيبي والتعبيري من جهة، ورفعت من مكانتها في تمثالات الناطقين بها كلفة أدب وإبداع من جهة أخرى، كما يشهد على ذلك التاريخ الثقافي لوادي مزاب في العشرية الأخيرة.

Le classement de la langue mozabite par l'UNESCO en 2010 dans la catégorie des « langues vulnérables » suscite une interrogation majeure sur son devenir. En effet, cette langue propre à la communauté ibadite, s'affaiblirait-elle pour devenir à terme « une langue menacée », ou pourrait-elle plutôt, se renforcer et devenir « une langue sûre » ? Les facteurs de sa vitalité résident dans son emploi systématique dans le milieu mozabite en tant que langue d'appartenance ethnolinguistique, ainsi que sa transmission intergénérationnelle en tant que caractéristique fondamentale de l'identité mozabite aux cotés de Ibadisme.

Cependant, la langue mozabite souffre de facteurs de faiblesse, qui consistent essentiellement en son retard quant au passage à l'écrit, en plus de son enseignement qui demeure presque inexistant, ce qui la prive d'enrichissement lexicale, de lisibilité, de processus de normalisation pédagogique et d'aménagement linguistique, qui comptent parmi les conditions essentielles de la force des langues et de leur continuité. Aussi, de point de vue utilisation, la langue mozabite est restée confinée dans un espace restreint de la vie intime des locuteurs et peu présente dans l'espace officiel dominé par la langue arabe classique.

Par ailleurs, la poésie Mozabite dite « Izelwan » représente un important facteur de vitalité de la langue mozabite. En effet, grâce à l'élargissement de ses domaines, sa vaste diffusion et son développement stylistique et métamorphique, une langue littéraire élaborée est émergée pour soutenir la langue mozabite véhiculaire sur les plans lexical et expressif d'une part, et hissé sa valeur dans les représentations de ses locuteurs en tant que langue de littérature et de créativité d'autre part, comme le témoigne l'histoire culturelle du Mzab, durant les dernières décennies.